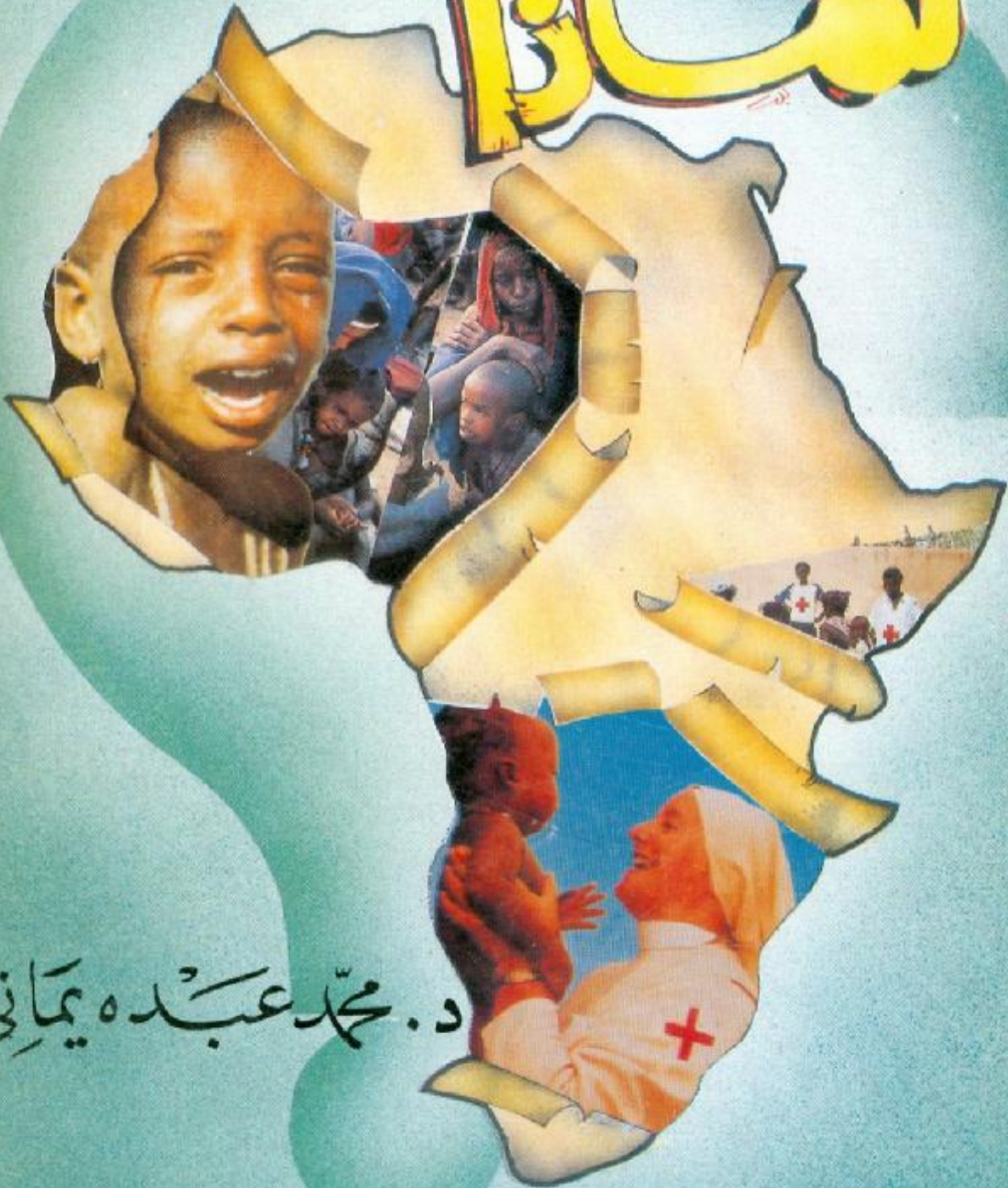


الوقعتنا المتنازعة



د. محمد عبده يماني

Created with

 **nitro** PDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

أفريقيا .. لماذا ؟

المحتويات

العنوان	الصفحة
● المقدمة	٢١
● تمهيد : العلاقات التاريخية	٣٣
○ الاستعباد .. الاستعمار ... الاستقلال !	٣٥
التناقض الفاضح	٣٦
اليقظة الأفريقية	٣٨
محاربة الاستقلال والإسلام بالتنصير	٣٩
○ نحن وأفريقيا	٤٢
قبل الإسلام	٤٢
وبعد الإسلام	٤٣
منافذ الاتصال العربي - الأفريقي	٤٥
علاقات حضارية متوازنة	٤٦
أهمية التحرك السريع الجدي	٤٧
● الفصل الأول : الإسلام في أفريقيا	٤٩
○ الهجرة الأولى والدعوة .. والفتوحات	٥١
الدعوة إلى الإسلام	٥٢
فتح مصر بمساعدة أهلها	٥٢
انتشار الإسلام جنوبا وغربا	٥٣
التجانس المذهل بين الدعوة والأفارقة	٥٤
جهاد وإصلاح وممالك إسلامية	٥٦

الصفحة	العنوان
٥٨	○ التكامل ، و التمازج العرقي واللغوي
٥٨	مشاركة حياتية
٥٩	التمازج العرقي
٦٠	اللغة العربية واللغات المحلية
٦٢	○ اللغة العربية وأفريقيا
٦٢	دين ولغة وتجارة
٦٣	علاقة قديمة جداً
٦٣	.. ودين ولغة .. وسياسة
٦٧	كل مسلم داعية
٦٨	ازدهار الحركة العلمية
٦٩	○ انتشار اللغة العربية في كل أفريقيا
٧١	لغة القرآن ولغة الإنسان
٧٣	حرب الاستعمار ضد اللغة العربية
٧٥	مشاكل بحاجة إلى حلول سريعة
٧٧	إعادة النظر في الأجهزة العاملة
٧٩	تعليم اللغة العربية بالتليفزيون
٨١	○ من السودان إلى الحبشة
٨١	الحبشة والإسلام المتسامح
٨٣	.. وأرتريا
٨٤	○ تنزانيا المسلمة ... نموذج صارخ
٨٤	النشاط الصليبي في تنزانيا
٨٦	التفرقة الدينية في التعليم .. بالأرقام
٩٣	الحلول المقترحة
٩٤	النشاط الإذاعي

الصفحة

العنوان

٩٥	النشاط الاجتماعي
٩٥	الجمعيات التصيرية
٩٦	ملاحق إحصائية
٩٦	ملحق رقم (١) الهيكل التنظيمي الديني
	ملحق رقم (٢) الأبرشيات والهيئات والمرافق الكنسية وعدد
٩٧	المسيحيين والقساوسة
٩٨	ملحق رقم (٣) روابط الجمعيات الكاثولوكية في تنزانيا
٩٩	ملحق رقم (٤) هيئة الراهبات في تنزانيا
١٠٠	ملحق رقم (٥) المعاهد الدينية في تنزانيا
١٠٤	○ انتشار الإسلام في بقية الدول الأفريقية
١٠٤	جزر القمر
١٠٤	أفريقيا الوسطى
١٠٥	تشاد
١٠٥	النيجر
١٠٦	الكاميرون
١٠٦	نيجيريا
١٠٨	بينين
١٠٨	توغو
١٠٩	سيراليون
١٠٩	ساحل العاج
١١٠	بوركينافاسو
١١١	مالي
١١٣	السنغال
١١٣	غامبيا

الصفحة	العنوان
١١٤	غينيا
١١٥	غينيا بيساو
١١٥	ليبيريا
١١٦	غانا
١١٦	غينيا الاستوائية
١١٧	الجابون
١١٨	جزر غربي أفريقيا
١١٩	زائير
١٢١	رواندا
١٢١	بوروندي
١٢٣	أوغندا
١٢٥	الصومال
١٢٦	جيبوتي
١٢٧	كينيا
١٢٨	أنجولا
١٢٩	زامبيا
١٣٠	ملاوي
١٣٠	موزامبيق
١٣١	مدغشقر
١٣٤	موريشيوس
١٣٥	ناميبيا
١٣٥	بوتسوانا
١٣٥	زيمبابوي
١٣٦	جنوب أفريقيا

الصفحة	العنوان
١٣٧	سوازيلاند
١٣٧	ليزوتو
١٣٨	○ تقرير كرافورد
١٣٩	أعظم تحدٍ للنصرانية
١٤١	انتشار الإسلام في أفريقيا
١٤٦	محاولة عرقلة الدعوة بالتبشير
١٤٧	الإسلام ينتشر رغم كل شيء
١٥٠	ضد التفرقة العنصرية
١٥١	أسباب انتشار الإسلام والإقبال عليه في جنوب أفريقيا
١٥٦	توصيات كرافورد
١٥٦	التحديات بالنسبة للشهادة وتفسير الإنجيل
١٥٧	الدعوة إلى تنصير المسلمين سراً
١٥٨	توجيه المبشرين للاقتداء بسلوك الدعاة
١٥٩	○ التفرقة العنصرية والاستعمار .. جنباً إلى جنب
١٦٠	التفرقة العنصرية أضعفت التنصير
١٦١	التنصير تمهيد للاستعمار
١٦١	من المواجهة إلى الحوار
١٦٢	حوار المنافقين
١٦٥	لماذا تنصرون المسلمين ؟
١٦٧	○ الأقطار الأفريقية الشمالية
١٦٧	من ليبيا .. إلى موريتانيا
١٦٩	قادة كبار وفتوحات كبرى
١٧٢	عرب وبربر ؟ كلا . بل مسلمون
١٧٢	مسلمون فقط

الصفحة	العنوان
١٧٤	شاهد من غير أهله
١٧٧	○ خلاصة
١٧٨	التنصير في خدمة الاستعمار
١٨٠	بناة لا غزاة !
١٨٣	○ ملحق إحصائي : المسلمون في أفريقيا
١٨٧	● الفصل الثاني : الاستعمار القديم والجديد
١٨٩	○ المسيحية والصليبية
١٩٠	الشعار الاستعماري
١٩١	الإسلام ، عدو الاستعمار الدائم
١٩٣	الصليبية والتنصير .. معا
١٩٥	المعمرون .. والمدمرون
١٩٦	محاولة تمزيق الجبهة الإسلامية
١٩٨	○ تنصير ... استرقاق ... استعمار !!
١٩٩	عشرات ملايين الضحايا ... للبيع
٢٠٠	نهب ثروات أفريقيا
٢٠١	حملة أكاذيب ضد الإسلام
٢٠٣	اغتصبوا كنوز الأرض .. والأرض !
٢٠٤	تقاسم الكنز
٢٠٥	ألاعيب مكشوفة
٢٠٨	○ إسرائيل الأفريقية : دولة جنوب أفريقيا
٢٠٨	قاعدة عسكرية استعمارية
٢٠٩	تعاون تام مع إسرائيل
٢١٠	○ كفاح الأفريقيين ضد الاستعمار
٢١٠	محاولة التخريب الثقافي

الصفحة

العنوان

- ٢١١ فشل التنصير والتملك والتغريب
- ٢١٢ الحاجة إلى إعادة البناء
- ٢١٤ ○ خلاصة
- ٢١٧ ● الفصل الثالث : أفريقيا وإسرائيل
- ٢١٩ ○ القواعد الاستعمارية الدائمة
- ٢٢٠ جذور الخصومة التاريخية
- ٢٢١ إصرار بريطاني
- ٢٢١ المفارقة الأوربية - اليهودية العجيبة
- ٢٢٣ سوق إسرائيلية - أوربية في أفريقيا
- ٢٢٥ تمثيل الاستعمار الجديد
- ٢٢٨ ○ الصراع السياسي العربي الإسرائيلي في أفريقيا
- ٢٢٨ مد وجذر
- ٢٣٠ تفوق عربي على إسرائيل
- ٢٣٢ تعاون إسرائيل وجنوب أفريقيا
- ٢٣٣ عودة إسرائيل إلى الساحة الأفريقية
- ٢٣٥ الضعف العربي والدعم الأوروني
- ٢٣٨ ○ كامب دايفيد : فتح أبواب أفريقيا أمام إسرائيل
- ٢٤٠ تعاظم الوجود الإسرائيلي في أفريقيا
- ٢٤٢ من يمол هذا التمدد ؟
- ٢٤٥ ○ سيظلون غرباء
- ٢٤٦ لا يوجد أي قاسم مشترك بينهم وبين أفريقيا
- ٢٤٧ حتمية المواجهة في أفريقيا
- ٢٥٠ ○ خلاصة
- ٢٥١ ● الفصل الرابع : أفريقيا والعرب



الصفحة

العنوان

- ٢٥٣ ○ تطور العلاقات العربية الأفريقية
- ٢٥٣ ○ العرب وأفريقيا .. تحت الاستعمار
- ٢٥٤ الثورة الجزائرية وأهميتها
- ٢٥٦ ○ ثورة عربية أفريقية
- ٢٥٨ ○ .. وعربية إسلامية !
- ٢٥٩ ○ العرب يدعمون جميع حركات التحرير
- ٢٦١ دعم رسمي على مستوى الجامعة العربية
- ٢٦٤ ○ العلاقة مع منظمة الوحدة الأفريقية
- ٢٦٥ ○ .. وخرج الاستعمار رغماً عنه
- ٢٦٦ محاولات العودة بطرق مختلفة
- ٢٦٨ ○ الملك فيصل والعلاقات العربية الأفريقية
- ٢٦٨ ○ علاقات صداقة مخلصه .. متوازنة
- ٢٦٩ ○ دعم التعليم في أفريقيا
- ٢٧٠ ○ اتصالات مباشرة وتحركات عملية
- ٢٧١ ○ مساهمة مصر مازالت مستمرة
- ٢٧٣ ○ ضرورة تقوية الروابط العربية - الأفريقية
- ٢٧٤ ○ غزو الإخاء والصداقة والتعاون
- ٢٧٦ ○ الحملات الدعائية ضد الجاليات العربية
- ٢٧٧ ○ دور الوجود العربي في التنمية والتطوير
- ٢٧٩ ○ وحدة الأخطار والمصالح
- ٢٨٣ ● الفصل الخامس : منهاج التعاون الأفريقي - العربي
- ٢٨٥ ○ الاقتصاد أولاً
- ٢٨٨ ○ منهاج معقود بين ندين
- ٢٨٨ ○ أولاً : المقدمة

الصفحة	العنوان
٢٩٠	ثانياً : المبادئ
٢٩٠	ثالثاً : مجالات التعاون وبرنامج العمل
٢٩٨	رابعاً : المؤسسات
٣٠٠	الإعلان - الملحق
٣٠٢	تنظيم وطريقة العمل لتحقيق التعاون الأفريقي - العربي
٣١١	● الفصل السادس : سلاح أم تنمية
٣١٣	○ سفينة بلا ريان
٣١٤	العالم الثالث يجب أن يبقى عالماً ثالثاً
٣١٥	ثروات لشراء السلاح ورواتب الخبراء العسكريين
٣١٧	.. ومعاهدات عسكرية .. لا إنمائية
٣٢٠	○ المساعدات العربية .. دون شروط
٣٢٠	١ - المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا
٣٢١	٢ - الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الأفريقية
٣٢٢	٣ - الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية
٣٢٢	٤ - تقدم المساعدات للدول الأفريقية المصابة بالقحط
٣٢٣	٥ - إمداد بعض الدول الأفريقية بالبتروال
٣٢٥	○ الصعوبات التي تعترض المساعدات العربية
٣٢٦	محاولة إزالة العوائق
٣٢٧	الدعايات الغربية الكاذبة
٣٢٨	الوقائع تدحض الأكاذيب
٣٢٩	صندوق التنمية السعودي وتقدماته
٣٤٠	القروض والمشاريع
٣٥٢	.. وقروض مباشرة
٣٥٤	الجداول التفصيلية

الصفحة

العنوان

- ٣٦٩ ○ مساعداهم ، أفخاخ ومصايد
- ٣٧١ ○ خلاصة
- ٣٧٣ ● الفصل السابع : مشكلات أفريقية
- ٣٧٥ ○ مشاكل ... ومشاكل
- ٣٧٦ مشاكلنا متشابهة
- ٣٧٧ ومصادرها واحدة
- ٣٧٩ سياسة الوفاق .. الخطر الأكبر
- ٣٨٠ الغاية تبرر الوسيلة
- ٣٨٢ الخلافات ، مشكلة المشاكل
- ٣٨٥ ○ نموذج من تنزانيا
- ٣٨٦ توجهات غير مدروسة
- ٣٨٦ الإغراق في الديون
- ٣٨٧ ديون جديدة وأعباء حتى الإفلاس
- ٣٨٩ ○ تنازع النفوذ بين الغرب والشرق
- ٣٨٩ حلف النقيضين
- ٣٨٩ تراجع أمريكي وتقدم سوفيتي
- ٣٩٠ تدخلات مشبوهة لتعطيل مسيرة التنمية
- ٣٩٣ ○ منظمة الوحدة الأفريقية .. ما لها وما عليها
- ٣٩٤ اتساع الهوة بين الأهداف والواقع
- ٣٩٦ نتائج المشكلات الأفريقية
- ٣٩٨ يعالجون الجوع .. بالسلاح
- ٣٩٩ الضمير العالمي .. إلى أين؟؟
- ٤٠٢ ○ المشكلات التي يواجهها الإسلام في أفريقيا
- ٤٠٢ البعثات التنصيرية

الصفحة

العنوان

- ٤٠٥ أهداف استعمارية تحت ستار التنصير
- ٤٠٦ محاولة تخريب الإسلام من الداخل
- ٤١٠ الحاجة إلى توعية المسلمين
- ٤١١ ضرورة حل الخلافات ومنع تجددتها
- ٤١٣ ○ خلاصة
- ٤١٥ ● الفصل الثامن : الإسلام ومستقبل القارة الأفريقية ..
- ٤١٧ ○ الخطر القادم على جناح الأثير
- ٤١٧ استعمار جديد .. رهيب
- ٤١٨ السيطرة للعلم والتكنولوجيا
- ٤١٩ والتصدي بالعلم والتكنولوجيا
- ٤٢٢ ○ ماذا يفعل غيرنا في عالم الاتصال والدعوة ؟
- ٤٢٣ مواقع التخطيط للإذاعات التنصيرية
- ٤٢٥ مراكز التدريب
- ٤٢٧ ضرورة مواجهة البرامج الإذاعية الخطرة
- ٤٣٠ ○ من المراكز الرئيسية .. إلى البعثات التبشيرية
- ٤٣١ إذاعة الشرق الأقصى
- ٤٣١ وإذاعة حول العالم
- ٤٣٢ إذاعات تبشيرية أخرى
- ٤٣٤ ○ منتجو البرامج التبشيرية
- ٤٣٤ نور على نور
- ٤٣٥ التبادل الثقافي
- ٤٣٧ ○ خلاصة
- ٤٣٩ ● الفصل التاسع : أدباء أفريقيا*
- ٤٤١ ○ تواصلا مقطوع .. وعداء غير مبرر

الصفحة

العنوان

- ٤٤١ عداوة للعرب والإسلام
- ٤٤٤ تأثير الثقافة الغربية عليهم
- ٤٤٥ أصوات منصفة .. وضرورة التواصل معهم
- ٤٤٦ والتعرف إلى آدابهم
- ٤٤٩ ● الخاتمة : على هامش منهاج التعاون العربي الأفريقي .
- ٤٥١ ○ تعاون مشترك بدون مطامع
- ٤٥٢ « يوشك أن تتداعي عليكم الأمم .. »
- ٤٥٣ ضرورة العمل الناشط المستمر
- ٤٥٤ الحاجة إلى منهاج وتنسيق
- ٤٥٥ ○ اقتراح عملي
- ٤٥٥ الخروج بخطة عمل واضحة
- ٤٥٦ الاهتمام بالإنسان أولاً
- ٤٥٧ مواجهة الواقع بالحقائق
- ٤٥٩ إنتاج برامج تلفزيونية باللغات المحلية
- ٤٦٠ تبسيط الشؤون الدينية في حدود جوهر الدين
- ٤٦١ ○ المساجد والمدارس والجامعات والمستشفيات
- ٤٦١ المدارس وإعداد دعاة عمليين
- ٤٦٢ والجامعات
- ٤٦٣ المستشفيات والمستوصفات
- ٤٦٥ الدور التبشيري للمستشفيات
- ٤٦٦ ضرورة التطوع لمواجهة التبشير عن هذا الطريق
- ٤٦٨ ○ نشر اللغة العربية
- ٤٦٩ الصلة الإعلامية مقطوعة بين العرب وأفريقيا
- ٤٧٠ ضرورة تصحيح الصورة العربية في أفريقيا

الصفحة

العنوان

- ٤٧١ تكثيف النشاط الثقافي
- ٤٧١ الاهتمام بالدراسات والدارسين الأفارقة
- ٤٧٣ **○ المساهمة في النشاط الاقتصادي**
- ٤٧٤ ديون الدول الأفريقية لبنك التنمية الإسلامي
- ٤٧٥ أهمية التبادل التجاري والاستثمار الزراعي
- ٤٧٦ والمساهمة في التصنيع
- ٤٧٦ وكل ذلك بالسلوك الإسلامي
- ٤٧٨ **○ الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة**
- ٤٧٨ المرحلة الأولى
- ٤٧٨ المرحلة الثانية
- ٤٧٩ المرحلة الثالثة
- ٤٧٩ المرحلة الرابعة
- ٤٨١ **○ الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية**
- ٤٨١ ادفع ديناراً تنقذ مسلماً
- ٤٨٢ ومن أهداف الهيئة
- ٤٨٣ **○ وبعد .. أفريقيا .. لماذا ؟**
- ٤٨٥ **○ أهم المصادر والمراجع**

المفتي

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

أفريقيا ... لماذا ؟

راودتني فكرة الكتابة عن العلاقات العربية - الإسلامية - الأفريقية منذ سنوات عديدة خلت ، وخصوصا عندما عملت « بجامعة الرياض » ، ثم عندما كنت مديرا « لجامعة الملك عبد العزيز » « بجدة » ، وأتيحت لي الفرصة للاتصال بمجموعات كبيرة من أبناء « أفريقيا » ، ورجالها ، وعلمائها والتقيت بعدد كبير من الاساتذة والمفكرين والطلاب في معظم الدول الأفريقية ، ودارت بيننا إبانها مناقشات وحوارات حول تلك العلاقات في ماضيها وحاضرها ومستقبلها ، وفي إيجابياتها وسلبياتها .

وعادت الفكرة تلح علي من جديد ، بعد أن عملت وزيرا للإعلام ، وتيسر لي مزيد من المعلومات من خلال لقاءاتي مع وزراء الإعلام الأفارقة ، وفي مؤتمرات الإعلام الأفريقية والإسلامية ، وفي المناسبات الكبيرة التي جمعته بنخبة من المثقفين والإعلاميين في دول أفريقية كثيرة .

وازدادت « الصورة » في ذهني وضوحا عندما التقيت بالقادة والزعماء الأفريقيين خلال اجتماعاتهم مع جلالة الملك « خالد بن عبد العزيز » ، طيب الله ثراه ، وخادم الحرمين الشريفين الملك « فهد بن عبد العزيز » ، يحفظه الله ، خلال المؤتمرات والنشاطات الإسلامية العامة .

ثم بعد أن غادرت العمل الرسمي ، وتركت « وزارة الإعلام » في عام ١٩٨٣ ، واستمرت اتصالاتي بكثير من الأصدقاء في « أفريقيا » وحرصت على مواصلة اللقاء بهم ، وبحكم عملي في الجامعة ، وصلتي « برابطة العالم الإسلامي » و« هيئة الإغاثة الإسلامية العالمية » و« منظمة المؤتمر الإسلامي » ومؤسساتها المختلفة ، مثل « منظمة إذاعات الدول الإسلامية » ، تمكنت من جمع الكثير من المعلومات المفيدة ؛ ولعل فرصة

اللقاءات الكثيرة بالطلاب الأفارقة من مختلف أنحاء القارة الأفريقية أتاحت لي الاطلاع عن كثب على كثير من القضايا والموضوعات التي دفعتني لتبني هذا البحث ؛ ثم قررت أن أبدا رحلات جديدة استكمل فيها دراسة هذا الموضوع ، وقد كانت هذه الرحلات من أهم روافد البحث ، إضافة إلى ما سبقها من رحلات رسمية . وكانت اللقاءات في هذه المرة أكبر نفعاً وأكثر جدوى وأعطتني فرصاً واسعة للتعرف على كثير من جوانب الحياة في البلدان التي زرتها ومكنتني من تحسس مشاعر الناس واستشعار عمق الارتباط الذي يشعرون به نحونا والآمال التي يعلقونها علينا .

ثم شاء الله أن أعمل رئيساً لجمعية « اقرأ » الخيرية العالمية ، التي أسستها مع أخي الشيخ « صالح كامل » ، وهو من رجال الأعمال الذين اهتموا بقضايا الأقليات المسلمة وله جهود كبيرة في مجال البنوك الإسلامية وخدمة الاقتصاد العالمي بصورة عامة . وهكذا توالى رحلاتي واتصالياتي بهؤلاء الأشقاء في مناسبات وزيارات مختلفة وكنت دائماً أحس بعمق المشاكل التي يعانون منها . . . وأبعاد المخاطر التي يتصدون لها . . . وفي قلوبهم ألم وفي أعينهم عتاب . . . وفي حلوقهم غصة . . . وعلى ألسنتهم دعاء بأن يجمع الله شملهم باخوانهم في العالم الإسلامي وأن يصبرهم بواجبهم نحو « أفريقيا » وأبناء المسلمين هناك .

وأذكر أن وفداً رسمياً ، في إحدى الزيارات ، قام بالمرور على شيخ نيجيري يدرس القرآن لمجموعة من الصبيان تحت شجرة كبيرة ، وقام أعضاء الوفد بالسلام عليه ، فرد السلام باقتضاب شديد وكأنه على عجلة من أمره وكأنه يستحث أعضاء الوفد لمغادرة المكان ، واحس الاخوة بهذه الجفوة وبادره رئيس الوفد قائلاً :

- « مرحباً ايها الشيخ لقد جئنا لزيارتك والتعرف على احوالكم وليس لنا أي مطمع آخر » . فردّ الشيخ : « ونحن أيضاً ليس لنا مطمع فيكم وقد رددنا تحية الإسلام بمثلها » . فقال رئيس الوفد : « ولكننا جئنا لنعرف أحوال أهل

المنطقة وكيفية مساعدتهم فنحن وقد رسمي يهدف إلى التعرف على مجالات العون لإخواننا ، فردّ الشيخ وهو يتسم في وقار :

« يا شيخنا لقد سئمتنا من كثرة الوفود التي تأتي وتروح ، تسأل وتكتب وتعد التقارير دون فائدة ، سنوات بعد سنوات . وهذا سبب لنا الكثير من الإحباط وأفقدنا الثقة في مثل هذه الزيارات التي لا فائدة منها والتي تعطلنا عن أداء واجبنا نحو هؤلاء الصبية ، وتزرع في نفوسهم بوادر عدم الثقة في إخوانهم المسلمين الذين يتسلون بالمرور عليهم وكأنهم سياح أو . . . »

وسكت الشيخ ولاحظ الإخوان أن عينيه قد اغرورقتا بالدموع فمسحها بثوبه وبدأت أعين الطلاب أيضا تمتلئ بالدموع وهم يشاهدون شيخهم يبكي ، ولم يعرفوا القصة ، وخشينا أن نقع في ورطة كبيرة اذا تممس هؤلاء الصبية أو غضبوا منا أو . . . ولكن الشيخ ما لبث أن تماسك وأشار للوفد بالجلوس . . . وقال :

« يا إخوان انظروا هناك . . . »

وأشار بيده إلى مجموعة مباني بيضاء على مسافة منا . . . وقال :

« هذه كنيسة وبجوارها ملجأ ومدرسة بسيطة ، قام بعملها النصارى في اطار عملية التنصير وبدأوا بصورة عملية فأخذوا الطلاب وآوهم ، هؤلاء ناس عمليون وأنتم أيها الأحباب وفد بعد وفد وتقارير ولا شيء يتم ، أرجو ألا تغضبوا فهذه هي الحقيقة ونحن نحاول المحافظة على هؤلاء الصبية ونعلمهم القرآن ، ونحن نفتقر حتى إلى الألواح التي نكتب عليها فأرجو أن تبلغوا اخواننا هناك بان يجزموا أمرهم ويعملوا كما يعمل هؤلاء النصارى ويتخذوا خطوات عملية أو على الأقل يتركونا وحالنا ، ولنا الله عز وجل ولن يضيعنا . إن شاء الله ، وهو حسبنا ونعم الوكيل . »

وهذا بلا شك نموذج يوضح بجلاء أهمية الخطوات التي من الواجب اتخاذها لنجدة هؤلاء الأشقاء المبرمج العلمي وخطوات فعالة ، فقد سئم الناس الزيارات



التي لا طحن خلفها ؛ وكنت أحرص على تدوين كل هذه الحالات التي مرت بنا أو بغيرنا من الوفود لأعكف على تأملها وتحليلها لعلها تساعدني في القاء الضوء على القضية الأساسية التي أنا بصدد بحثها .

وهكذا بدأت فكرة هذا الكتاب تلح علي إلحاحا شديدا فالموضوع واسع ومتشعب وله جذوره وامتداداته ، وله خلفياته وأساسياته ، فهو لا يمكن ، والحالة هذه ، أن يستوفي حقه من المناقشة مهما امتدت ، ولا ان يستقصى بحثه في مقالة طويلة أو محاضرة شاملة .

إنه موضوع يستدعي دراسة شاملة تأخذ الأمور حسب أولوياتها وتطوراتها ، فتحدد مواقع الصواب ومواقع الخطأ وتبحث بقدر الامكان عن عواملها ومسبباتها ليتمكن بعد ذلك أن نحدد أين نحن من « أفريقيا » وأين « أفريقيا » منا . وننظر بتحسب لأبعاد المصير .

فالكاتب ، إذن ، محاولة لطرح موضوع العلاقات العربية الأفريقية في الوقت الحاضر وبحثها واستقرائها ووضعها في إطارها الصحيح ، أو بمعنى آخر ، تحديد أبعاد الخطر الذي يتهدد الوجود العربي أو على الأصح الوجود الإسلامي في « أفريقيا » وغرضي الأساسي هو تحديد ابعاد سياق هذا التسلسل الاستعماري في شكله الحديث وابعاد هذا الغزو الصليبي المسعور الذي يدعمه ويؤيده هذا التسلسل الاستعماري في شكله الحديث

إن هذا الثلاث النكد (الصليبية ، الصهيونية ، الاستعمار بوجهه الكالخ الحديث) يتغلغل في العالم الإسلامي عامة ، وفي أفريقيا خاصة ، كما يتغلغل السرطان في جسم الإنسان ، تغلغلا بطيئا لكنه عميق الجذور ، تغلغلا لا يكاد يحس به المرء ، ولكنه وخيم العواقب ، تغلغلا يتستر وراء مجريات الحياة العادية اليومية ، ليضرب ضربته القاضية في نهاية المطاف .

والسؤال الحقيقي ، هل استطعنا أن نوقف هذا التسلسل وإلى أي حد عملنا على مقاومته ، المقاومة الفعالة وهل نسير فعلا في الاتجاه الصحيح لمكافحة

إن ما دار بين الشيخ النيجيري ، والوفد الرسمي ، مما مر بك قبل هنيهة يمثل الاجابة الصحيحة على هذا السؤال . . . وسأحاول تفصيل الجمل منها على مرارته ؛ فمثلا . . . إن نسبة المسلمين في « نيجيريا » تساوي ٧٥ ٪ من عدد السكان . . . فلننظر نسبتهم من مواقع السلطة والنفوذ ، ومعلوم أن السلطة هي التي تحمي الدين الذي نعتنقه من غوائل المتغولين .

أ - يتكون المجلس الاعلى (العسكري) حين كتابتي لهذه السطور من ٢٧ عضوا . . هل تعلم ان عدد المسلمين منهم ، تسعة فقط - والباقون ال ١٨ كلهم مسيحيون !

ب - ومجلس الوزراء المكون من ٢١ وزيرا يشكل المسيحيون فيه أكثر من الضعف ، أي ان عشرة فقط منهم هم المسلمون ! دعك من توزيع الوزارات ، فالمسيحيون يستأثرون بوزارة الداخلية ، ووزارة الدفاع دعك من الخارجية ومن الاقتصاد ، بل وحتى الاعلام !

ج - المجلس الوطني لإدارة الولايات . . . يتكون من ٢٦ عضوا : ١٦ منهم مسيحيون ، بل ورئيسه مسيحي !

د - حتى في الولايات ، اكتسح المسيحيون أكثر من النصف منها بكثير . . . فهناك ثلاثة عشر واليا ، ضمن الإحدى وعشرين ولاية ! وليت الأمر وقف عند هذا الحد ، بل تسلق المسيحيون إدارة الولايات الشمالية ، التي كانت خالصة للمسلمين !

وإذا أردت أن تدرك مدى تأثير السلطة في الأمور الدينية ، فمن الممكن أن أذكر عشرات الأمثلة ، لكن أذكر له مثلا ، لو وجهت إليه عجب الدنيا كلها كاملا غير منقوص ، لما كفى فيه ! المسيحيون ، وعددهم لا يزيد عن ربع السكان ، أقاموا الدنيا وأقعدوها حينما اعلن انضمام « نيجيريا » إلى العضوية العاملة في منظمة المؤتمر الإسلامي ! وأرغى قساوستهم وأزبدوا ، التي تمثل ثلاثة أضعافهم من المسلمين ! هل

في الدنيا أعجب من هذا ؟ .

على من تُنحى باللائمة في هذا الأمر ؟ على النيجيريين ؟ لا والله ان اللوم يقع أولا وأخيرا علينا نحن .. فقد كان يمكن تفادي هذه المحنة ، محنة إبعاد المسلمين عن السلطة ، لو وفرنا الكوادر اللازمة من النيجيريين المسلمين ، عن طريق التعليم ، والتدريب والابتعاث ، وما إلى ذلك ...

وبمناسبة التعليم دعني أذكر لك ما يدمي القلب ، ويفتت الأكباد وينكس الرؤوس ، رؤوس من بقيت في وجوههم أثارة من حياء وخجل .

هل تعلم أن في « نيجيريا » نحو من ثلاثين جامعة ؟ اغلبية مديريها من أقلية المسيحيين ؟ وإنك لتدرك انعكاسات هذا على المسلمين ؟ فشروط القبول يضعها المديرون بحيث لا تتوفر في الطلبة المسلمين ؟ فقد علمت ان نسبة المسلمين في جامعة « لاغوس » على سبيل المثال هي ١٥ ٪ من مجموع الطلاب البالغ عددهم أكثر من ١٢٠٠٠ (اثني عشر ألف) طالب ...

وبعض الجامعات تدرس الأديان المقارنة .. ولا بأس ، لكن أكثر من يقومون بتدريس المادة من « المنصرين » فانظر الصورة النكراء المشوهة التي يجد هؤلاء الحاقدون الفرصة لرسمها ، في بلد أكثر من ثلاثة أرباع سكانه من المسلمين .

وأنكى عن ذلك وأفزع انك تجد مدارس كثيرة تعتبر للمسلمين أصلا ، لكن مديريها ومعلميها جميعهم من المسيحيين باستثناء مدرسي مادة الدين الإسلامي ! على عاتق من يقع اللوم في هذا الهوان ، وهذا الامتهان ؟

ولما كانت الحكومة لا تستطيع تلبية كافة المطالب الشعبية من حيث التعليم ، فإنها سمحت لمن يريد بإنشاء مدارس خاصة ، على أساس من ليبرالية التعليم . . . ولا بأس أيضا . . .

وتنافس الصليبيون والمسلمون في هذا الميدان . . . ولكن التنافس لم يكن متكافئا . . .

فالكنائس العالمية بأسرها ، والدول الصليبية والإلحادية بأجمعها ، كلها تمد المبشرين بالمال الفائض عن الحاجة . . .
والمسلمون الفقراء يعيشون على فتات الموائد لينافسوا المنصرين في هذا المضمار ؟

فماذا كانت النتيجة ؟

مدارس لا تضارع من حيث البناء ، ومن نوعية المدرسين ومن حيث التجهيزات الخ الخ . . . هذه كلها في صالح المسيحيين .
وهذا بدوره كان له اسوأ الانعكاسات على المسلمين ! وعلى الاسلام في « نيجيريا » ؟

الطالب المسلم تتعلق نفسه بمدارس التبشير هذه ، على الأقل للمستوى العلمي الرفيع الذي يضمه فيها . . . ولكن لا بد من ثمن . . . فعليه لكي يضمن القبول أن يعلن عن ارتداده عن الإسلام ؟ ويحدث ! وأن يغير اسمه بحيث يتمشى مع الوتر المسيحي ، ويكون ، إذا ارتد عن الإسلام في الظاهر لا في الباطن ، وغير اسمه لمجرد حاجة في نفس يعقوب ، فإنه بإجباره على حضور الدروس المسيحية ، وخلو فكره من الخلفية الإسلامية التي يقاوم بها التيار ، يحتضن المسيحية عن طواعية ، ويدافع عنها بإخلاص ، ويحارب الإسلام « بحسن نية » وبكل ما أوتي من قوة !

وقد علمت ، ومن مصادر موثوق بها ، وتقارير نزيهة ، أن أكثر من ٩٠ ٪ من أبناء المسلمين الذين يدخلون هذه المدارس ، يرتمون في أحضان الصليب ، ليعودوا « مخالب قط » في أيدي الصليبيين . . .

ترى لو قمنا نحن - المسلمين بواجبنا ازاء اخواننا في العقيدة من النيجيريين ، أكان يحدث عشر معشار هذا ؟

وليس غريبا ، والحال هذه ، أن يتجح المنصرون ؟ ويعتقدوا أن زحفهم التنصيري بدأ يؤتي أكله ، وأن الطريق أصبح أمامهم ممهدا لبلوغ الغاية المنشودة

لا في « أفريقيا » وحدها ، وإنما في كل العالم !
 بين يدي الآن الترجمة الكاملة لأعمال المؤتمر التبشيري الذي عقد في مدينة
 « جلين آبري » بولاية « كولورادو » في « الولايات المتحدة الأمريكية »
 ١٩٨٧ ونشرته « دار MARC » بعنوان :

THE GOSPET AND ISLAM A / 278 COMPENIUM

وترجم هذا بعنوان « التنصير - خطة لغزو العالم الإسلامي » جاء في
 صفحة ٢٩ من هذا الكتاب ما نصه « ان العالم العربي لم يفتح أبوابه أبدا
 أمام أهل الكتاب كما يفعل اليوم . . » يصغي المسلمون اليوم إلى رسالة
 « الكتاب المقدس » بانفتاح واهتمام لم يسبق له مثيل « وعن شمال « افريقيا »
 نفسها يقول « نحن على أبواب اختراق طالما صلينا من أجله » .

وعن « الباكستان » جاء في نفس الكتاب وفي نفس الصفحة « لقد فتح
 الرب للكنيسة باباً على المسلمين (الباكستانيين) لم يسبق له مثيل في تاريخ
 الإرساليات التنصيرية الحديثة ؟

وعن « الأردن » يقول : ان أربعين عاما من الزرع بدأت تثمر آخر الأمر .
 ان هذا هو وقت تنصير المسلمين .

ويقول الكتاب ص ٢٩ / ٣٠ « ويوضح مسح سريع كيف يعمل الرب
 وبكل قوة ، ففي « اندونيسيا » يندفع المسلمون الذين يشكلون ٨٠ ٪ من
 عدد السكان بأعداد غفيرة لتقبل رسالة المسيح ، وارتفعت نسبة أعضاء
 الطوائف النصرانية الخمس وسط المسلمين إلى اكثر من ٢٠٠ ٪ خلال أحد
 عشر عاما حيث ازداد عدد أعضاء الكنيسة بـ ١٢٥٠٠٠ شخص . »

وهكذا يتكلم كيف أن المد المسيحي يسري في المسلمين في « لبنان » وفي
 « إيران » ، وفي « الصومال » وفي « تركيا » الخ الخ ، مما يدل على أن قناة
 المسلمين لانت ، وأن الأمل مفتوح لينضم جميع المسلمين إلى الصليب !

فانظر الفرق بين حاضر المسلمين المؤسف ، وبين ماضيهم المشرف ،



ماضيهم القريب ، دعك من ماضيهم البعيد التليد الذي لم يسجل التاريخ مثله لأي أمة من الأمم ، في أي فترة من الفترات .. يقول « صموئيل زويمر » - وما عهده عنا نسبياً ببعيد - يقول « إن تنصير العالم الإسلامي مهمة عظيمة صعبة للغاية ، ومثبطة للعزيمة إلى درجة لا يمكن أن يشجع عليها إلا تطلع المتسلقين إلى الأعلى . . . إن تنصير العالم الإسلامي ليس عبارة نتبادلها بكل سهولة ! بل هو هدف عميق يستلزم العمر كله ، عمل مبني على الإيمان ، جهد تحركه المحبة ، وصبر يولده الأمل ، وقد يتأجل ولكنه لا يموت . . . » .
 هكذا كان الإسلام ، مهمة تنصير معتنقيه « صعبة للغاية ومثبطة للعزيمة » إلى عهد « زويمر » ، وما عهد « زويمر » ببعيد ، وتدور عجلة الزمان فترة صغيرة ، وإذا بالتنصير يسحب البساط من تحت أرجلنا ويكون من أمره بعض ما أوردناه إليك . . .

واستمع إلى المبشر « ريد » REID وهو يتكلم عن الإسلام ، حين كانت الدنيا بخير وكان الإسلام إسلاما ، وكان المسلمون مسلمين ؟ استمع إلى « زيد » هذا ، وهو يتكلم عن استحالة تنصير المسلم . . « إن الإسلام بنى ذلك الجدار الشاهق (ويسميه أيضا الحاجز الصلب) حول أتباعه ليحميهم في داخله ، ويترك المبشر تائها خارجه ، إنه جدار أثبت مع الأسف أن تسلقه أو اختراقه مستحيل^(١) .

ولكن لما ضعفنا ، وأصابنا الوهن ، حب الدنيا ، وكراهية الموت ، وأصبحنا غناء كغناء السيل ، ظل الجدار شاهقا ، كما هو ، والحاجز صلبا لا يلين ، ولكن أعطينا أكتافنا للصليبيين ليتسلقوا عليها ، فدخلوا علينا ، وأمسكوا بأزمة الأمور ، ومقاليد السلطة ، حتى ان ربع سكان « نيجيريا » من المسيحيين ، أصبحوا هم الكل في الكل ، كما رأيت من بعض ما نقلناه لك ، دعك من اندونيسيا ، ودعك من تركيا وإيران ! وصدقت نبوءة المصطفى

(١) الله أو الدمار لدولة « سعد الجمعة » صفحة ٩٧ (دار الكتاب العربي) .

ﷺ ، وأصبحنا غناء كغناء السيل ! وإنا لله وإنا إليه راجعون . . .
 وهناك سؤال ، يمكن طرحه على مستوى العالم الإسلامي كله ، في أعقاب
 نيل الاستقلال ، خاصة وأكثر من سبعين في المائة من كل العرب يعيشون في
 أفريقيا ، اذ يزيد عددهم في « أفريقيا » عن مائة المليون نسمة ، و« أفريقيا »
 إضافة إلى ذلك ، بحق ، قارة الإسلام ، مثلما كانت في مشارف الهجمة
 الاستعمارية ، إذ يكاد عدد المسلمين فيها يبلغ المائتين والخمسين مليوناً من
 جملة سكانها وأن ما بين ربع وثلث المسلمين في العالم يعيشون في
 « أفريقيا » !!

وقد ذكرت مجلة « تايم » الأمريكية في تحقيق لها عن الوضع الديني في
 « أفريقيا » في عددها بتاريخ ١٢ مايو ١٩٨٠ ان عدد المسيحيين في « أفريقيا »
 عام ١٩٦٠ كان حوالي الثلاثين في المائة ، وقد ارتفع عام ١٩٨٠ إلى ما يقرب
 من الخمسين في المائة من جملة سكان « أفريقيا » ، وذكرت في جزء آخر من
 التحقيق أن نسبة الزيادة السنوية أكثر من ٥ ٪ أي بإضافة ٦ مليون مسيحي
 كل عام وتوقعت أنه بنهاية القرن سيكون نصف الثمانمائة مليون أفريقي
 مسيحيين . وتلك أكبر زيادة تشهدها المسيحية في كل تاريخها ، فيما ذكرت
 المجلة الأمريكية . ورغم أن هذه الأرقام خاضعة للنظر إلا أنها تشير ، من وجهة
 نظر الغرب على الأقل ، إلى اتجاه الأحداث في « أفريقيا » . ولعل من أكبر
 المفارقات في هذا الصدد أن يتصل المسلمون من الدعوة لإسلامهم باسم
 العلمانية الغربية ، في حين يتحمس دعاة العلمانية للدعوة لدينهم بهذه الطريقة
 التي لم يشهد مثلها التاريخ . وفي هذا ما فيه من عبرة لمن يأخذون الأمور
 بظواهرها ويتجافون عن جواهرها ، فينخدعون بالشعارات ولا يلحظون ما
 تحتها من تضليل وما يكتنفها من أحابيل .

ولست متشائماً رغم ذلك ، فقد أوضحت في هذا الكتاب كافة الإيجابيات
 التي تجعلنا ما نزال ممسكين بزمام الموقف رغم كافة السلبيات . . .
 إن غرضي من هذا الكتاب أن يبينه كل من يهمهم الأمر ، شعباً

وحكومات إلى هذا الخطر المحدق بوجودنا الإسلامي ووجودنا العربي في « أفريقيا » ، بل وفي غير « أفريقيا » .

إني آمل أن الفت النظر إلى أن الثالث الصليبي ، الاستعماري الصهيوني دائب كل الدأب ، ليسحب البساط من تحت أرجلنا ، دون أن نشعر ؟ يكفيه أن يسحب في اليوم قيد أتملة من هذا البساط ، ثم تتطور الأتملة إلى شبر بالتدرج ويتطور الشبر إلى ما لا يعلم إلا الله

إن كل أملي من هذا الكتاب هو أن يعيد إلى أذهاننا صورة الفردوس الذي افتقدناه بالأمس ، صورة « الأندلس » التي ما أكثر ما فيها من عبر وعظات ؟ وصورة أولى القبلتين ، بما فيها أرض « فلسطين » وكيف انتزعتها من أيدينا ، وسحبها من تحت أرجلنا اسرائيل بالعمل الدائب الخفي ، حتى ظننا انها لا تملك شيئا ، ولا تستطيع ان تفعل من شيء ، إلى أن كان ما كان ، وانقلبت الأوضاع رأسا على عقب ! فأصبحت هي التي تصول وتجول ، وتعربد ذات اليمين وذات الشمال كيفما شاءت بعد ان كانت تطلب الحماية !

إن كل أملي من هذا الكتاب أن يدق أجراس الخطر ويجند طلائع النذر حتى لا يعيد التاريخ نفسه ففعلت منا « أفريقيا » كما أفعلت منا أرض « فلسطين » ومن قبلها « الأندلس » . . الفردوس المفقود . .

إن كل أملي من هذا الكتاب أن يقوم مقام ذلك الشاعر الذي صاح في قومه في ظروف مثل هذه الظروف .

أرى وسط الرماد وميض نار ويوشك أن يكون لها ضرام إن كل أملي من هذا الكتاب أن يحذر من يههم الأمر مما في « وسط الرماد » من وميض لا يرى ، لأن الرماد يخفيه ، ومما يحدث من مستصغرات الأمور ، مما تطويه الحياة العامة ، والا يخدعنا الظاهر الذي لا نرى من شر قد يكون بطن فيه . .

إن هذا الكتاب في جملته هو محاولة للإجابة على هذا السؤال : « أفريقيا ..

لماذا ؟ ، فإذا عرفنا لماذا « أفريقيا » بالذات عرفنا ماذا ينبغي أن نفعل
« لأفريقيا » الفردوس الثاني ، الذي نخشى أن يفلت من أيدينا ، كما أفلتت
« الأندلس » !

نسأل الله ألا يعيد التاريخ نفسه إلا لصالح الإسلام والمسلمين فالله تعالى
قد طمأننا على أن التاريخ سيعيد نفسه لصالحنا ! لكن بشرط واحد ! ﴿ وعد
الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف
الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد
خوفهم أئمة يعبدونني لا يشركون بي شيئا ومن كفر بعد ذلك فأولئك هم
الفاسقون ﴾ [النور : ٥٥] .

هكذا وعد الله الذين آمنوا منا وعملوا الصالحات . . . لكنه اشترط لذلك
شرطا في تمام الآية الشريفة ﴿ يعبدونني لا يشركون بي شيئا . . ﴾ .
ومن هنا جاءت أهمية أن تكون كل تحركاتنا في سبيل الله . . جهادا دائما
وعملا مخلصا وسيرة صادقة لنصرة الله عز وجل ونصرة دينه ولينصرن الله
من ينصره . . .

ألا هل بلغت ؟ . . . اللهم فاشهد .

محمد عبده يماني



تمهيد .. المآقات التاريخية

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الاستعباد .. الاستعمار .. الاستقلال

« أفريقيا » هي أكبر قارة في العالم بعد « آسيا » ، فمساحتها تبلغ ثلاثين مليون كيلومتر مربع ، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف مساحة « أوروبا » ، وعدد سكانها اليوم يقارب أربعمئة مليون نسمة ، وفيها أطول نهر في العالم هو « نهر النيل » (٦٦٨٠ كم) ، وأكبر صحراء في العالم وهي الصحراء الكبرى (٩,٠٥٦,٠٠٠ كم^٢) .

وتعتبر الزراعة أهم الموارد التي يعتمد عليها الأفريقيون في معيشتهم ، وهناك عدد من الدول الأفريقية المنتجة للبتروول « كالجنائر » و« ليبيا » و« مصر » و« نيجيريا » و« الغابون » ، وهناك دول أفريقية أخرى تنتج البتروول والغاز بكميات محدودة .

و« أفريقيا » ، اليوم ، هي موطن أكبر مخزون من المواد الخام كالذهب ، والفوسفات ، والمنجنيز ، والكوبالت ، والماس ، والأورانيوم ، والحديد ، والنحاس ، والكروميت ، والبوتاس ، والملح ، والبوكسيت .

ولقد ظلت « أفريقيا » قارة مجهولة تماما بالنسبة للأوروبيين إلى بضع مئات خلت من السنين ، لاسيما مناطقها الجنوبية والوسطى ، واقتصرت معلوماتهم على بعض المناطق الساحلية المتاخمة للبحر الأبيض المتوسط ، ثم توغل بعض الأوروبيين في المناطق الواقعة جنوبي الصحراء الكبرى وهدفهم هو البحث عن الذهب (كان ذلك في القرن الميلادي الخامس عشر) ، ثم تطور بهم الأمر إلى ممارسة تجارة الرقيق التي بدأها الأسبان والبرتغاليون ثم تبعهم الانجليز والفرنسيون والهولنديون ، فأخذوا عشرات الآلاف من الأفريقيين ، قسرا وقهرا ، إلى القارة الأمريكية ليعملوا في مزارع القطن ، فنشأت بذلك مشكلة إنسانية واجتماعية عويصة ما زال الأميركيون



المنحدرون من أصل أفريقي يعانون منها إلى اليوم .

التناقض الفاضح

وبدأت المطامع الأوروبية تتجه بأنظارها إلى « أفريقيا » تحت مختلف العلل والأسباب ، وجاءها التجار ، والمبشرون والجنود والمستعمرون ، وتقاسمت أوربا معظم أجزاء أفريقيا ، فكان هناك : الانجليز ، والفرنسيون ، والبرتغاليون ، والأسبان ، والألمان ، والبلجيكيون ، والايطاليون .

والغريب ، حقا ، أن أيا من أولئك المتسلطين الأوربيين لم يرف له جفن من حياء ، أو يتحرك فيه وتر من إنصاف في تقويم أعمال القهر والتنكيل التي قاموا بها في « أفريقيا » من وجهة نظر أخلاقية أو إنسانية ، بل هم على العكس من ذلك ، اعتبروا ذلك حقا طبيعيا للأوربيين بحكم عقدة التفوق العرقي التي تسيطر عليهم ، لدرجة جعلت كاتبا فرنسيا مرموقا وهو ، « مونتيسكيو » Montesquieu ، لا يخجل من القول بالحرف الواحد :

« إذا كان عليّ أن أدافع عن حقنا المكتسب في اتخاذ الزنوج ذوي البشرة السوداء عبيداً ، فإنني أقول: ان شعوب « أوروبا » لم يكن أمامها إلا أن تستعبد شعوب « أفريقيا » لكي تستخدمها في استصلاح أرجاء « أميركا » الواسعة . وما شعوب « أفريقيا » إلا جماعات سوداء البشرة من أخصم القدم إلى قمة الرأس ، ذات أنوف فطساء إلى درجة يكاد من المستحيل أن نرثي لها . وحاشا لله ذي الحكمة البالغة أن يكون قد أودع روحاً طيبة في جسد حالك السواد » .

فهل يمكن أن يتصور إنسان عاقل درجة من الانحطاط واللاأخلاقية أدنى من الدرجة التي انحدر إليها « مونتيسكيو » وهو يحاول تبرير التسلط الأوربي على الشعوب الأفريقية بذلك المنطق العجيب ؟ .

وأبي مستوى ثقافي وصل إليه هذا الكاتب الذي يعتبر من كبار الكتاب الفرنسيين ببهله الحقائق البيئية في تنوع أعراق البشر ، كما أرادها خالقها

عز وجل ، والمساواة التي شاءها سبحانه وتعالى يوم أنزل رسالته السماوية القائلة بأن البشر متساوون ولا فضل لأبيض على أسود إلا بالتقوى ؟ .. وما مدى علم هذا « الكاتب » الذي لا يرى ، ولا يعرف ، أبعد من أرنبه أنفه إذا كان يجهل تلك الحقيقة ، ويفترض أن الله تعالى لم يودع أرواحا طيبة في أجساد سوداء ؟ ..

وكيف ، إذن تيرر بعثات التنصير حماسها في محاولة نشر دينها بين الأفريقيين السود ما دام « مونتييسكيو » قد حكم سلفا بأنهم لا يملكون أرواحا طيبة ؟ .. الحق أن هذا الكاتب ليس سوى واحد من عشرات ، من الكتاب والسياسيين والقادة الأوربيين الذين اعتبروا استيلاءهم على « أفريقيا » حقا مكتسبا فبرروا به - وبمتهى البساطة - كل ما ارتكبوه من مجازر وحشية ، وأعمال إرهابية ، في الأقطار الأفريقية وغيرها دون أن يقولوا لنا : من الذي أعطاهم ذلك الحق ؟ .. وأي ميرر عقلائي يمكن أن يقنع إنسانا منصفنا بأن للون الانسان علاقة بمستواه الانساني ؟ .. وهناك من كتاب الغرب ومفكره ، ومن المؤرخين الغربيين من يعتقد بأن الأفريقي الأسود ليس قادرا على التفكير الراقى أو الابتكار والإبداع^(١) .

إن أبسط رد على هذه الترهات يتمثل لنا في ذلك العدد الكبير من العبقريات الزنجية التي تدين لها الحضارة الغربية بالذات بالشيء الكثير ، فهناك الأطباء والعلماء والمكتشفون والفنانون والموسيقيون والكتاب والشعراء ذوو البشرة السوداء والأرواح العظيمة ، ممن أضافوا إلى الحضارة الانسانية شيئا كثيرا ، داحضين بذلك ، وبكثير من العنفوان والترفع ، كل ما حاول المنصرون الأوربيون أن يلصقوه بالأفريقيين وسواهم من العروق الأخرى .

ومن المسلم به أنه لا سبيل إلى أن يقبل انسان عاقل ومثقف ذلك الافتراء

(١) من أمثلة هؤلاء « ديفيد هيوم » و« هيجل » و« ترفي روبير » و« أنتوني تردين » .

الذي ابتكره « مونتيسكيو » وسار على غراره ، وسبقه ، كثير من الاستعماريين الأوربيين في محاولة فاشلة ، وسخيفة لإيجاد مبرر لذلك التاريخ الاستعماري الدموي في القارتين الأفريقية والأميركية .

اليقظة الأفريقية

وكما حدث ، ويحدث دائما ، فإن العدوان الأوربي المستمر على « أفريقيا » كان له دوره الهام في توحيد قوى الشعوب الأفريقية ، وفي تجسيد « القومية الأفريقية » التي اتخذ منها الأفريقيون سلاحا يقاومون به الاستعمار الدخيل . والواقع أن اليقظة الأفريقية قد سبقت ، بكثير ، كل التوقعات الاستعمارية التي كانت تحلم ببضعة قرون أخرى من الزمن ، يقضيها المستعمرون في « أفريقيا » الغنية بثرواتها الطبيعية .

وكانت الحرب العالمية الثانية أحد المنعطفات الهامة في توجيه الكفاح الأفريقي توجيهها صحيحا . ذلك أن الحلفاء الذين سقط معظمهم ، عدة سنوات ، تحت وطأة آلة الحرب النازية الساحقة ، تخلوا عن كبرياتهم المصطنع ، وتناسوا ادعاءاتهم في التفوق والقوة ، فراحوا ينشدون ود الشعوب الأفريقية والآسيوية الواقعة تحت تسلطهم ، وراحوا يرفعون شعارات « الحريات الأربع » و « ميثاق الأطلنطي » و « شرعة حقوق الانسان » و « عالم الأمم المتحدة » ، على أساس المساواة التامة بين الأمم والشعوب ، ومكافحة الخطر النازي والفاشي المتعصب للعنصرية ، المحتقر لسواه من الشعوب ، العامل على بسط سيطرته وهيمنته على الآخرين ..

وأدرك الأفريقيون ، ببساطة تامة ، أن الحلفاء والنازيين من طينة واحدة ، وأسلوب واحد ، وهدف متطابق . فكلا الطرفين ، الحلفاء والمحور ، قد مارس العنف والقهر والعدوان ، وما أطلقه الحلفاء على النازيين من نعوت لم يكن الحلفاء أنفسهم بمنجاة منها ، فكان الموقف الطبيعي هو رفض الطرفين معا ،

والمناداة باستقلال « أفريقيا » بعيدا عن سيطرة الغرباء ، والاعتزاز بالقومية الأفريقية في مواجهة شعارات التفوق العنصري والأفضلية العرقية التي طبقها الأوروبيون .

ومنذ أواسط الخمسينات من هذا القرن ، بدأت الشعوب الأفريقية في انتزاع استقلالها واحدة بعد الأخرى ، وانشاء دولها المستقلة ، ولكن الأصابع الاستعمارية لم تتوقف - قط - عن عبثها ومؤامراتها ، فالاستعمار يريد العودة من النافذة بعد أن خرج من الباب ، وبعد أن أصبحت « أفريقيا » خمسا وخمسين دولة ، معظمها تعتبر دولا إسلامية ، يشكل المسلمون فيها أغليات واضحة ، وفي بعضها يشكلون كامل عدد السكان .

محاربة الاستقلال والإسلام .. بالتصير

لقد عرفت « أفريقيا » خلال تاريخ تعاملها مع أوروبا لونا معينا من التسلل الاستعماري الذي دعمته جميع الدول الاستعمارية الأوربية في مختلف فترات ذلك التاريخ ، وهو « التبشير » الذي دخل « أفريقيا » بحجة « تمدين » الأفريقيين^(١) بإدخالهم في الدين المسيحي ، مع أن الغايات الحقيقية الكامنة وراء تلك الحجة هي أولاً : محاربة الدين الإسلامي الذي كان - ومازال - ينتشر بسرعة بين الأفريقيين ، والذي كان هو العقبة الكأداء في وجه المطامع الاستعمارية والمستعمرين ، لدرجة كتب معها وزير خارجية فرنسا « هانوتو » ، عام ١٩٠٠م ، مقالين شهيرين في جريدة « جورنال » الباريسية ، شكا فيهما من المصاعب التي تعانيها فرنسا الاستعمارية في البلاد الإسلامية ، ومن انتشار الإسلام في مختلف أنحاء العالم بسهولة ويسر ، وكان مما قاله بالحرف الواحد :

(١) وكان المشرون دائماً هم طلاب الغزو الاستعماري للجيش الأوربية .

« وهو (أي الإسلام) موجود وشائع في آسيا حيث لا يزال قائماً في بيت المقدس ، وناشراً أعلامه على مهد الإنسانية ، ويحسب أنصاره وأشباعه في قارات الأرض بالملايين ، وقد انبعثت شعبة منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض إلى القول بأن العشرين مليون مسلم الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون ، فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء « لساكياموني » ، وليس هذا بالأمر الغريب ، فإنه لا يوجد مكان على سطح المعمورة إلا واجتاز الإسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق ، فهو الدين الوحيد الذي أمكن اتخاذ الناس له زمراً وأفواجاً ، وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل إلى التدين به كل ميل إلى اعتناق سواه »^(١) .

وكان الوزير الفرنسي قد كتب هذا القول ، أو اعترف به ، في معرض شكواه من المتاعب التي تواجهها فرنسا في مستعمراتها الأفريقية ، وتعاطف المسلمين الأفريقيين فيما بينهم على اختلاف بلادهم ومواقعهم في مجابهة الاستعمار الأوربي والتنصير الصليبي . فالمقلان لم يكونا بغية الاعتراف بهذا الواقع الإسلامي المشرف ، وإنما للتنبية إليه ، والدعوة إلى تشديد النكير على المسلمين الأفريقيين ، لاجراجهم عن دينهم ونشر المسيحية بينهم بدلا منه .

واستكمالا لهذا الموضوع أذكر أن الأستاذ الشيخ محمد عبده قد تصدى للوزير الفرنسي ، وأبدى أسفه لأن تسلم فرنسا مقاليد سياستها الخارجية لرجل مثله ، جاهل بالإسلام وحقيقة المسلمين ، ورد على جميع الافتراءات والنظريات الخاطئة التي أوردها في مقالته ، وفند أقواله جميعها في جريدة « المؤيد » .

وكانت للاستعمار مصالح متعددة في محاربة الدين الإسلامي في « أفريقيا » وغيرها لادراكه واقع التضامن الإسلامي التلقائي الذي يشد المسلمين بعضهم إلى بعض ، وأن إضعاف الإسلام في أي بلد يعني تثبيت جذور الاستعمار وترسيخ أسسه .

(١) الإسلام بين العلم والمدنية للشيخ محمد عبده - كتاب (الهلل) يناير ١٩٨٣ - ص ٢٧ .

وكان السبب الثاني لنشاط « التبشير » في القارة الأفريقية - وهو نتيجة للسبب الأول - إفساح المجال للاستعمار كي يتسع ويمتد تحت ستار المسيحية وإيجاد علاقات « روحية » بين الدول الأفريقية والدول الأوربية (المسيحية) ، وهو الهدف الذي أخفق - وما زال - إخفاقاً ذريعاً ، رغم تكاتف الدول الأوربية ، ومعها أميركا ، في إنفاق المليارات لدعم حركة « التنصير » وإن كان من المحتم أن ندرك حجم المخاطر المتزايدة نتيجة الضغوط المتواصلة .

ورغم أن عمر « التنصير » في القارة الأفريقية هو من عمر التسلسل الاستعماري نفسه ، فإننا لم نلمس له أية آثار « حضارية » أو « تمدنية » أفادت الأفريقيين في شيء ، واقتصرت الآثار على بناء الكنائس والكاتدرائيات ، ومحاولة استمالة بعض السياسيين وزعماء القبائل ، وتدبير الانقلابات والثورات وتوزيع الأسلحة ومعدات التخريب على الأنصار ، وفيما عدا ذلك ، ظل التخلف على حاله ، وظلت المشكلات الاقتصادية والاجتماعية قائمة . وما تزال جهود الدول الأفريقية مكبلة بأعباء عصور الاستعمار بأشكاله القديمة والجديدة ، والتي تشكل قوة كابحة لانطلاقها نحو التحرر الكامل والتخلص من التبعية .

هذا هو ، في كلمات ، مجمل تاريخ العلاقات التاريخية بين « أفريقيا » وأوروبا ، فهو تاريخ قصير جدا في حساب الزمن ، لا يزيد عن أربعمائة أو خمسمائة سنة .. وهو تاريخ دموي وبلا أخلاق ، تكالبت فيه أوروبا الاستعمارية على القارة الأفريقية لتفتك بالأهلين ، وتسوقهم عبيدا إلى ما وراء البحار ، وتحكم وضع يدها على خيرات القارة ومعادنها ، وتحرص على الحيلولة دون أي تطور جدي في المستوى الحضاري للشعوب الأفريقية .



نحن وأفريقيا

فماذا كان حال العلاقات التاريخية بيننا وبين أفريقيا ؟ ..

يمكننا أن نقول إن تلك العلاقات ليست « مختلفة » فقط عن العلاقات الأوربية الأفريقية ، وإنما هي متناقضة تماما معها ..

فهي علاقات قديمة قدم التاريخ نفسه ، وتمتد إلى آلاف السنين ، بل إن البعض يرى ان اسم القارة الأفريقية نفسه مأخوذ من اسم الملك العربي « أفريق بن قيس » .

قبل الإسلام ..

كثير من الموجات البشرية التي خرجت من شبه الجزيرة العربية ، قد اتجهت غربا إلى « أفريقيا » : « مصر » وشواطئ « أفريقيا الشمالية » ، وشواطئ « البحر الأحمر » ..

وفي القرن الأول الميلادي كتب مؤلف كتاب « الكشاف البحري » ، وهو مؤلف أفريقي ، يقول انه يعجب لكثرة السفن العربية على الساحل الشرقي « لأفريقيا » ، ويشيد بقدرة العرب على الحياة في « أفريقيا » والتزواج مع أهلها حتى اختلطت الأنساب ولم يجد الخصام بينهم سيلا ، كما يذكر أن السفن العربية كانت تجميء محملة بالخناجر والرماح والزجاج والعاج وقرون الخرتيت (الكركدن) وجلود السلاحف ..

واضافة إلى الاتصال البحري ، عبر الساحل الأفريقي الشرقي ، كان اتصال العرب « بأفريقيا » يتم عن طريق بوابتها الشمالية الشرقية وهي « سيناء » التي كانت تصل ما بين قارة آسيا « و » أفريقيا « .

وهكذا كان اتصال العرب « بأفريقيا » يتم عبر الطرق البرية والبحرية ، فقد كان الحضارمة والعمانيون يقبضون بأيديهم على كل طرق الملاحة بين « أفريقيا » و « المحيط الهندي » ، وامتد نشاط التجار العرب حتى أعماق « الكونغو » ، واجتازوا الصحراء الواقعة بين « أفريقيا المدارية » و « أفريقيا المتوسطة » رافضين ، عمليا ، الرأي القائل بوجود « أفريقيتين » تفصل بينهما الصحراء الكبرى .

وعلى امتداد الشواطئ الأفريقية المطلة على « البحر المتوسط » استقبلت « أفريقيا » بعض الموجات العربية النازحة من « شبه الجزيرة العربية » ، وانتشرت اللغة العربية انتشارا واسعا لم تعرفه أية لغة أخرى غير أفريقية .

.. وبعد الإسلام

ومع انتشار الإسلام ازداد التمازج بين العرب والأفريقيين بحكم المساواة التي جاء بها الإسلام بين بني البشر جميعا ، وصلات الاخاء التي أوجدها الإسلام ، فكتب كثير من الرحالة العرب ، « كابن بطوطة » و « العمري » ، أن العرب عاشوا بين أهل « أفريقيا » وشاركوا في جميع النشاطات العامة ، حتى أن بعض الممالك الأفريقية خصصت أحياء لإقامتهم تعرف باسمهم ، وتحت ظلال الإسلام قامت امبراطوريات وحكومات أفريقية كان لها شأن في التاريخ الإسلامي كامبراطوريات « مالي » و « غانا » و « كانم » و « بورنو » و « سنجو » في غرب « أفريقيا » ووسطها .

وكان بعض الأفريقيين يتناقلون بكثير من الاهتمام قصة « عنتره بن شداد » الفارس والشاعر العربي الأسود ، كما يشيرون إلى كتاب « الجاحظ » « مفاخرة السودان على البيضان » ، وإلى أن بين الرعيل الأول من صحابة رسول الله ﷺ ممن سبقوا إلى الإسلام ، وجاهدوا في سبيله ، وتحملوا الأذى والنكير ، واحتلوا مكانة كبيرة لدى المسلمين جميعا كثيرا من السود ، « كبلال » مؤذن رسول الله ﷺ ، و « نافع » عبد الرحمن « أحد القراء السبعة ومعلم

« مالك بن أنس » و« سمية » أم « عمار بن ياسر » ، أول شهيدة في الإسلام . واستمر المسلمون الأفريقيون في القيام بنصيبهم في خدمة الإسلام والفكر الإسلامي ، وظهر منهم غير قليل من العلماء والأدباء ، كما اتخذ كثيرون منهم اللغة العربية وسيلة للتعبير عن أفكارهم ، وتكاد لا تخلو لغة أفريقية ، اليوم ، من كلمات عربية لا سيما لغة « الهوسا » واللغة السواحيلية ، وهما أكثر اللغات الأفريقية انتشاراً ، كما أن الأسماء العربية شائعة جداً في البلاد الأفريقية ، وهي تتناول الأشخاص والمدن على حد سواء ، وتقدر نسبة الألفاظ العربية في لغتي « الهوسا » والسواحيلية بثلاثين في المائة من مجموع ألفاظها ، كما أن معظم اللغات الأفريقية كانت تكتب بالحرف العربي .

وهكذا سارت خطوط الاتصال بين العرب و« أفريقيا » في جميع الاتجاهات لتزيد من توثيق العلاقات التاريخية العريقة بين الجانبين قبل الإسلام وبعده ، وإلى يومنا هذا .

أما اليوم فإنه من المؤسف حقاً أن كثيراً من اللغات الأفريقية تكتب بالحرف اللاتيني ما عدا لغة « الهوسا » . إلا أن نسبة الألفاظ العربية ما زالت عالية في كثير من اللغات الأفريقية مثل السواحيلية كما ذكرت ، وكذلك « الوولوف » ، و« الفولاني » و« نيبا » ، والبربرية ... وغيرها . وقد كانت السواحيلية أصلاً تكتب بالحرف العربي^(١) .

عن طريق « سيناء » عبرت بعض الموجات العربية إلى « مصر » و« ليبيا » و« تونس » ، وعن طريق « البحر الأحمر » عبر التجار والبحارة العرب إلى « الحبشة » و« السودان » و« أرتيريا » . وحول بحيرة « تشاد » ، غربي « السودان » ، قامت ممالك أفريقية ذات أصول عربية ومنها على سبيل المثال ،

(١) كان العالم العربي غائباً عندما عقدت مؤتمرات في « أفريقيا » انتهت إلى تلك النتائج ، فكان ذلك أول الطريق إلى عزل شعوب إسلامية عن اللغة العربية ، بدءاً من تغيير الحرف إلى الحروف اللاتينية .

« كاتم » ، و « برنو » ، التي ينتسب أهلها إلى « سيف بن ذي يزن » أحد ملوك التبابعة .

منافذ الاتصال العربي الأفريقي

وهكذا يمكن القول ، إن الاتصال العربي - الأفريقي ، قد تم عن طريق ثلاثة منافذ رئيسية هي :

- ١ - الساحل الشرقي « لأفريقيا » ، الذي ساهم بدور كبير في نقل المؤثرات العربية (ثم الإسلامية) إلى أواسط القارة وداخلها وتوثيق الروابط الاقتصادية ما بين « شبه الجزيرة العربية » وشعوب شرق « أفريقيا » .
- ٢ - الأراضي المصرية التي نقلت ، بدورها ، تلك المؤثرات إلى الشعوب التي تعيش على ضفاف « نهر النيل » .
- ٣ - مدن وموانئ الشمال الأفريقي التي حققت الاتصال العربي الأفريقي فيما بينها من جهة ، ومع شعوب غربي « أفريقيا » من جهة أخرى ، وذلك عن طريق « الصحراء الكبرى » ، التي تعتبر حلقة هامة من حلقات الاتصال البشري بين المناطق الواقعة شمالها والأخرى الواقعة في جنوبها ، غربي « السودان » . وقد أطلق الاغريق والرومان على الساحل الأفريقي الشرقي اسم « ساحل غرانيا » نسبة إلى مملكة « غران » التي يقال انها قامت في منطقة ما جنوبي « شبه الجزيرة العربية » في حقبة سابقة لظهور الإسلام ، وانتقل بعض أهلها إلى شرق « أفريقيا » حيث نسب الاغريق والرومان ساحله إليهم .

وقد نما اتصال العرب بالساحل الشرقي عبر « باب المندب » وساعدتهم خبرتهم بالملاحة وعلم الفلك في تحديد الاتجاهات بالشمس ، والنجوم ، لإقامة ملاحه منتظمة ، بين بلادهم وساحل « أفريقيا » الشرقي من بلاد « الدناقل » و « عدل » شمالا حتى « موزمبيق » وما جاورها في جزيرة « مدغشقر »

جنوبا ، وكان التجار والبحارة العرب هم همزة الوصل ما بين شرق « أفريقيا » و« الشرق الأقصى » ، وبلاد « البحر الأبيض المتوسط » حيث كانوا ينقلون البضائع بين الجانبين .

علاقات حضارية متوازنة

وإذا كان لنا من تعليق على هذا الاستعراض الخاطف لبدايات العلاقات العربية الإفريقية ، فهو أن هذه العلاقات قد اختلفت اختلافا جذريا عن العلاقات التي عرفتها « أفريقيا » ، بعد ذلك ، مع غير العرب ، فهي علاقات إنسانية وبشرية واقتصادية وحضارية ، سارت في طريقها بكل سهولة ويسر ، من غير عنف ، ومن غير تسلط ، ولا أثر فيها لمطامع خاصة أو أغراض مريية ، فهي علاقات طبيعية أملت ظروف الموقع الجغرافي ، والتحرك البشري ، وعمل الطرفان كلاهما على تنميتها ، وتعميق جذورها مع ما يحمله ذلك من تأثيرات بلغت ذروتها بظهور الإسلام ووصوله إلى القارة الأفريقية ، بعد أن انتشر وثبت مواقعها في الجزيرة العربية .

ولقد عمد بعض مؤرخي الغرب من غير المنصفين إلى تشويه حقائق التاريخ ، وقلب الحقائق ، وحاولوا تصوير العلاقات العربية - الإفريقية على أنها علاقات استغلال وتسخير ، وزعم بعضهم أن المسلمين والعرب هم السبب الأول في نشر تجارة الرقيق وازدهارها ، بل ويذهب بهم الباطل إلى ادعاء أن الغربيين إنما دخلوا « أفريقيا » للدفاع عن الإنسان الأفريقي وحمايته من المسلمين والعرب . ومما يؤسف له حقا أن مثل هذه الاتهامات أصبحت تروج بين أوساط الشباب الذي يتعلم في الغرب من أبناء « أفريقيا » ، في وقت لم نبذل نحن فيه الجهد الكافي لنشر حقائق التاريخ وإيضاح العلاقات العربية الإسلامية مع « أفريقيا » وخاصة في أوساط المثقفين والطلاب . وأحسب أننا قصرنا كثيرا في هذا المجال ، حتى أنه ليندر أن تجد جهدا منظما ، أو عملا إعلاميا جيدا يتعرض للعلاقات العربية الأفريقية ، ويسعى لبسطها ، ونشرها

بصورة منطقية ، وعصرية ، ومقبولة للأشقاء هناك . وهذا التقصير صاحب هجوما متعمدا ، وتشويها متواصلا لصورة الإنسان العربي والمسلم هناك ، الأمر الذي أساء إلى تاريخنا المشرق في « أفريقيا » وشوّهه . وقد جاء هذا في وقت خطير بالنسبة للكلمة ، وأهمية وسرعة انتشارها ، فقد أصبح الناس يصدقون ما يقال وما ينشر في أجهزة الإعلام ويأخذونه على أنه قضية مسلم بها فكيف إذا كان جهدا منظما ، وإعلاما موجها ، وكيف يكون التأثير إذا كان الجانب الآخر صامتا أو متقاعسا ، بل وغير مدرك لأبعاد مثل هذا التشويه وخطورته ، والتزوير لحقائق التاريخ ؟ وكيف إذا انتقل الأمر إلى مناهج الدراسة ووسائل التسلية ، التي تسعى لترسيخ مفاهيم خاطئة عن الإنسان العربي والمسلم في عقل الطفل الأفريقي ، ونحن لا نفعل شيئا ، وإن عملنا فعمل غير منظم ولا متواصل ، بل وغير مدروس ، مما يجعله أقل فاعلية ، وقد يأتي بنتائج عكسية في بعض الأحيان .

أهمية التحرك السريع الجدي

ومن هنا جاءت أهمية التحرك والاتصال والمواصلة مع هؤلاء ، والحرص على مد جسور الثقافة والعلوم معهم من جديد ، والاستفادة من وجود أبنائهم بين ظهرانينا ، وإشعارهم بعمق هذه الروابط ، وأهميتها وتاريخها ، ثم ربطهم بنا ، وتوثيق صلاتهم معنا ، ومواصلة إيفاد البعث المخلصة الواعية الصادقة العاملة إليهم ، والتي تسعى لعمل مخلص ، ودعوة صادقة يرجى بها وجه الله تعالى . فبدون هذا العمل المنظم والمخلص ، لن يتحقق أي تطور في العلاقات العربية الأفريقية ، لأن هناك من الرجال والنساء الغربيين ، من تفرغوا لهذا العمل ولتحقيق الأهداف التي خططوا لها ، ويعملون من أجلها ، وعلى الرغم من نبل أهدافنا ، وسمو مقاصدنا ، فإن الغلبة كانت لهم لأنهم أكثر إخلاصا لباطلهم ، منا لحقنا .

وثالثة الأثافي أننا بدأنا ننسحب من « أفريقيا » بصورة مفرعة ، في وقت



يتقدم فيه الغرب بصورة واسعة ، وخطط منظمة ، ورغبة واضحة في تغيير هوية هذه القارة ، وأخشى ما يخشاه المخلصون اليوم ، أن استمرار هذا النهج من قبلهم ، وهذا الإهمال والإعراض من جانبنا ، قد يؤدي إلى ضياع « أفريقيا » كما ضاعت الأندلس ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ! ونعوذ بالله أن يعود الإسلام غريبا كما بدأ غريبا ، وأن نصل إلى هذه المرحلة من التقاعس واللامبالاة وضعف الهمم ، في وقت فتح الله فيه « أفريقيا » على أيدي رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، وعملوا بصدق وإخلاص لتكون كلمة الله هي العليا فأعانهم الله وثبت خطاهم مع ضعف إمكانياتهم وصعوبة ظروفهم ، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون .





الفصل الأول
الإسلام في أفريقيا

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الهجرة الأولى والدعوة .. والفتوحات

كان أول اتصال بين العرب المسلمين وأفريقيا يوم رأى رسول الله ﷺ أن يخرج أصحابه إلى « الحبشة » ، بعد أن تزايد أذى قريش للمسلمين بصورة لا يستطيعون لها رداً ، فقال لهم (١) :

« لو خرجتم إلى أرض « الحبشة » فإن بها ملكاً لا يظلم عنده أحداً ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » .

فخرج من المسلمين ثلاثة وثمانون رجلاً معهم أبناؤهم ونساؤهم ، ووجدوا في جوار « النجاشي » ما كانوا يأملون فيه من الأمن والطمأنينة .

ثم كان ماكان من محاولة « قريش » تأليب « النجاشي » على المسلمين وإيفادها رجلين منها لهذه الغاية ، حاولا أن يدسّا على المسلمين لدى « النجاشي » بعد أن قدما لبطارقته الهدايا ، فوقف « جعفر بن أبي طالب » ، رضي الله عنه ، يرد على الدسيسة بكلام مبين ، وبيان صادق بكى له « النجاشي » حتى ابتلت لحيته ، وبكى بطارقته حتى ابتلت كتبهم ، ثم قال « النجاشي » للقرشيين :

« إن هذا والذي جاء به « عيسى » ليخرج من مشكاة واحدة ، انطلقا ، فلا والله لا أسلمهم إليكما ولا يقادون » .

وما من شك في أن أمر رسول الله ﷺ لأصحابه بالخروج إلى « الحبشة » ، إنما كان بسبب العلاقات القديمة القائمة ما بين « شبه الجزيرة العربية » والقارة الأفريقية ، وما كان بين أهل هذه وتلك من تعامل متبادل ،

(١) السيرة النبوية لابن هشام - ج ١ - ص ٣٢١ - مكتبة البايي الحلبي بمصر .

ومعرفة وثيقة فكان أن سجل تاريخ الإسلام لـ « أفريقيا » مآثرة لها مكانها في ذلك التاريخ ، ففتحت صفحة جديدة في العلاقات بين العرب حملة الإسلام الأوائل ، وإحدى ممالك « أفريقيا » ، كانت بعدها صفحات وصفحات ولم يمض على ظهور الإسلام وانتصاراته سوى عقدين ونيف من الزمن ..

الدعوة إلى الإسلام

وكانت « أفريقيا » بعض ما تطلع إليه رسول الله ﷺ حين شرع في دعوة « مصر » و « فارس » و « الروم » إلى دين الله ، وبعث إلى المقوقس ، حاكم « مصر » ، يدعو للإسلام ، فرد عليه ردا لطيفا ، وأهداه « مارية القبطية » على النحو المعروف الذي ترويهِ السيرة النبوية .

ولقد كانت « أفريقيا » ، أرضا وناسا ، على الدوام محل اهتمام عرب شبه الجزيرة باعتبارها أقرب المواقع إليهم وأحسوا بذلك الارتباط الميكر بها .

فتح « مصر » .. بمساعدة أهلها

وحين سار العرب المسلمون إلى « مصر » حاملين دعوة الحق ، لم تكن حربهم مع أهلها ، وإنما كانت مع مستعمرتهم الروم ، فهم قد أتوا منقذين ولم يأتوا غاصبين ، واضعين وصية رسول الله ﷺ بشأن « مصر » في ضمائرهم ، بعد أن حدث أمير المؤمنين « عمر بن الخطاب » رضي الله عنه فقال أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « سيفتح الله عليكم بعدي « مصر » ، فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهرا وذمة » .

وإذ أمد الله المسلمين بنصره ، فأجلوا الروم عن « مصر » بأكملها (عام ٢١ هـ) ، أمنوا أقباطها على أرواحهم وأنفسهم ، فراح هؤلاء يدخلون في دين الله بملء رغبتهم وإرادتهم ، وقد أشار إلى ذلك المؤرخ المسيحي « حنا النيقوسي » فذكر أن أقباط « مصر » بدأوا في اعتناق الإسلام فور دخول

Created with

المسلمين إلى أراضيها ، وحاربوا إلى جانب المسلمين ضد الروم ، وكان بين أولئك المحاربين « يوحنا » الذي كان أحد رهبان دير « سيناء » ، فأسلم وقاتل مع المسلمين ..

وبعد أن تمت الغلبة للمسلمين أكرموا الأقباط وأحسنوا معاملتهم واتخذوا منهم أعوانا في شؤون الإدارة والدواوين ، فراح أكثرهم يدخل في الإسلام ، فانتشر دين الله بينهم حتى بات أغلب أهل مصر من المسلمين بعد الفتح بزمن غير طويل ..

انتشار الإسلام جنوباً وغرباً

و شاء الله « لمصر » أن تصبح حصنا من حصون الإسلام وركنا أساسيا من أركان الدولة الإسلامية ومنطلقا لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية في اتجاه الغرب والجنوب كما أصبحت إحدى منارات الفكر الإسلامي وفيها ظهر مئات من العلماء والفقهاء ، وبها الجامع « الأزهر » وجامعته التي تعد إحدى شواخح دور العلم في دنيا الإسلام ، كما كان « لمصر » في مختلف أدوار التاريخ جهد مرموق في خدمة الإسلام والعمل على الدعوة في سبيل الله ، ومقاومة التيارات العدوانية الخارجية في القارة الأفريقية ، إضافة إلى ما يبذله الدعاة المصريون في بعض أنحاء القارة الأفريقية ، أيامنا هذه من جهود مباركة في الوعظ والتوعية والإرشاد .

من « مصر » انتقل الإسلام إلى جنوب بلاد « النوبة » و« السودان » وما جاورها ، وغربا إلى « ليبيا » وما تلاها حتى شواطئ « الأطلسي » .

ومنذ أيام « عمرو بن العاص » بدأت جهود المسلمين تتجه جنوبا لنشر دين الله ووقعت أحداث تاريخية كثيرة ليس هنا مجال استعراضها ، أدت إلى قيام دول إسلامية عديدة في بلاد « النوبة » و« السودان » ، ولكن المهم في الأمر أن تلك الدول (الصغيرة) قد أخذت على عاتقها نشر الإسلام فيما

يلبها من بلدان جنوبا وغربا ، أي أننا نلاحظ فيما يتعلق بأسلوب انتشار الإسلام في « أفريقيا » وسواها من بلاد العالم أن المناطق التي دخلت في الإسلام ما لبثت أن تحولت بدورها إلى داعية لدين الله .

التجانس المذهل بين الدعاة والأفارقة

ولا شك أن عملية التجانس الكبيرة التي تمت بين الدعاة المسلمين وبين أبناء « أفريقيا » قد أذهلت الكثيرين ، وحاولوا وضع تصورات مختلفة للكيفية التي تحقق بها هذا التجانس الكامل ، بحيث أصبحت هناك وحدة الدين أولا ثم ذوبت الفوارق العرقية وفوارق العنصر ، وأخيرا التجانس اللغوي أيضا للمجموعات الأفريقية الكبيرة . وهكذا استطاع الإسلام ، باعتباره منهجا للحياة يتفق والفطرة الإنسانية ، أن يدخل إلى قلوب الأفارقة ، وفطرتهم السليمة يقودها ويرشدتها ، واستطاع في الوقت ذاته أن يضيف الطابع المحلي عليها بالإضافة إلى بعث هممها إلى الغايات الربانية السامية ، وتقوية الأفراد والجماعات الاجتماعية النشطة وجعلها أكثر تماسكا وأكبر حجما في ظل عقيدة التوحيد ومثل الإسلام ، حتى تمخض عنها بعد ذلك ميلاد امبراطوريات أفريقية شهيرة وحركات سياسية ، تشكل الآن جزءا أساسيا من تراث الشعوب الأفريقية المسلمة منها ، بل وحتى غير المسلمة . ولا شك أن تفسير هذه القضية كما يرى البروفسور « مدثر عبد الرحيم » هو أن الإسلام كهيككل بسيط يتكون من الشهادة ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ومن الإيمان الراسخ بوحداية الله والتسليم بأن سيدنا محمدا نبيه ورسوله .. هذه الأمور امتزجت مع فطرة الاعتقاد لدى الأفارقة واختلطت بها وأثرت فيها وتمخضت عن تركيبة جديدة وأصيلة تغذت بتعاليم الإسلام وقيمه ومبادئه وأدت بالتالي إلى عملية دمج في إحاء شامل لحضارة جديدة وكأنها كما يصفها الدكتور « مدثر » سمفونية ، لكل جزء من أجزائها شخصيته الخاصة أو ذاتيته المتفردة ، ولكنها التحمت جميعا ضمن النسيج الإسلامي .



والواقع أن غالبية المصريين والأحباش الذين ارتضوا العقيدة الجديدة ، أصبحوا متحمسين متفانين في سبيل الإسلام ، وحتى أصبح البربر متقدي الحماسة لنشر الإسلام شأنهم شأن بقية العناصر الأفريقية ، وتفانى مسلمو شمال « أفريقيا » عربا وبربرا في نشر الإسلام . وانتقل الإسلام عبر البحار إلى « أسبانيا » وجنوب « فرنسا » وجزيرة « صقلية » وأجزاء أخرى من غرب « البحر الأبيض المتوسط » من جهة ، وإلى غرب « أفريقيا » عبر الصحراء من جهة أخرى . والذي يلاحظ هنا أن حاملي لواء العقيدة الإسلامية كانوا دعاة ولم يكونوا جنودا ولا جنرالات بل كانوا تجارا وعلماء وشيوخا ورعين ، وأساتذة معلمين . والواقع أن الفضل في غرس البذور الأولى للإسلام في « أفريقيا » الاستوائية يرجع ، في المقام الأول ، للنشاطات الدينية لأولئك التجار الذين كانت ممارستهم إسلامية وكانوا قدوة حسنة ، من قوافل البربر التي عبرت الصحراء إلى غرب « أفريقيا » وبحارة الفرس وجنوب الجزيرة العربية الذين أبحروا عبر « المحيط الهندي » إلى شرق « أفريقيا » . فالبراعم الأولى بدأت تسير على طول الساحل وعلى طول طريق القوافل عابرة الصحراء وفي كل المراكز التجارية المزدهرة لمدن كبيرة مثل « تمبكتو » و« كانو » و« ممباسا » و« زنجبار » ، وكل هذه المراكز ومثيلاتها من مراكز التجارة والحكم نشرت الإسلام على نطاق واسع ، كما أسهم مشايخ الدين بنصيب ملحوظ في هذا المجال ، وكان لكثير من مشايخ الطرق الصوفية دور كبير في نشر الإسلام في هذه البقاع .

وقد أشار أحد المراقبين الانجليز منذ مائة سنة مضت إلى « أن المبشرين المسلمين أظهروا رفقاً وتعاطفا واحتراما للعادات المسيحية والعصبيات المحلية ، الشيء الذي كان دون ريب أحد أسباب نجاحهم والذي يحسن بمبشريننا ومعلمينا أن يقلدوه » .



Created with

download the free trial online at nitropdf.com/professional

جهاد وإصلاح .. وممالك إسلامية

إن الموقف المتميز بالتسامح والاحترام للأعراف والعادات المحلية الذي استوقف كاتب هذه الفقرة ، كسبب أساسي للاستجابة العفوية والإيجابية للإسلام من قبل الأفارقة ، يؤكد أنه فقهاء المسلمين منذ قرون يقرون العرف كمصدر للتشريع ، بجانب المصادر المعتبرة الأخرى ، طالما لا يتعارض مع نصوص قطعية ، وهذا أمر ساعد في إثراء أحكام الشريعة عبر القرون .

ولا شك أن بساطة الإسلام وفطريته وسماحته وتقبله لكل ما هو خير من عادات وتقاليد كريمة ، قد ساهم في انتشار الإسلام وتمكينه . ولم يجد مسلمو شرق « أفريقيا » مثلاً تناقضاً بين عادة الخفاض الإسلامية وبين مراسم الشعائر القبلية المعروفة بـ (جاندو) ورقصات (الانياقو) المصاحبة لها . غير أن عادات أخرى (مثل تلك التي في غرب « أفريقيا ») بدت محتشدة بالسحر وتقديس الأرواح أو عبادة الأسلاف وقد اعتبرت بالنسبة للمسلمين الأفارقة غير إسلامية دون جدال ومن ثم غير مقبولة . ولاستئصال مثل هذه التناقضات ، بالإضافة إلى أشكال أخرى من الفساد الديني والسياسي والاجتماعي (وفيما بعد أيضاً لدفع الهجوم الضاري للاستعمار الأوربي) ، انطلقت السلسلة الطويلة من حركات الجهاد المهدوي ، التي أصبحت علامات في تاريخ الإسلام في كل مكان من القارة ؛ وأهم هذه الحركات في أوساط بربر الشمال الأفريقي ثورتا المرابطين والموحدين اللتان بدأهما « عبد الله بن ياسين » والمهدي « محمد بن تومرت » وأدتا إلى قيام امبراطوريتين كبيرتين ، استطاعت كل واحدة منهما على انفراد أن تتحد وتوحد مساحات كبيرة من « أسبانيا » وشمالي « أفريقيا » والصحراء .

وفي غرب « أفريقيا » حيث أسست مملكتنا « غانا » و« مالي » بقيادة قواد أقوياء مثل « مانزا موسى » و« آزكيا محمد » انتشرت روح الإصلاح الديني والاجتماعي بجهود هاتين المملكتين اللتين دعنا لهذه الغاية عدداً من العلماء



البارزين والأساتذة من الصحراء وماوراء الصحراء من بينهم المصلح الشهير « الماقلبي » . ونتيجة لمجهود أمثال هؤلاء الرجال بصفة رئيسية ولمجهودات شيوخ الطرق الصوفية بشكل خاص ، انتشر الإسلام بشكل واسع بين الناس وبين الصفوة المشتغلة بالحكم والتجارة ، ولا يقل عن ذلك أهمية تلك السلسلة من حركات الجهاد في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، والتي بدأت بحركتي « إبراهيم موسى » والمامي (الإمام) « إبراهيم سوري » في « غينيا » بما في ذلك حركات « عثمان دان فودي » في « سوكتو » والحاج « عمر » (في المنطقة ما بين « السنغال » و « النيجر ») و « محمد أحمد المهدي » « بالسودان » و « محمد عبد الله حسن » « بالصومال » ، خلال العقدين الأولين من هذا القرن .

ولم تتمخض هذه الحركات الجهادية من الناحية السياسية عن خلق حكومات أفريقية هامة ربطت القارة من « المحيط الأطلنطي » حتى « البحر الأحمر » فحسب ، بل تمخضت كذلك عن تزويد القارة بمقاومة صلبة للاستعمار الأوربي .. مقاومة غَدَّتْ وألهمت فيما بعد الحركات الوطنية التي انتزعت الاستقلال « لأفريقيا » في نهاية الأمر .

أما على الصعيدين الاجتماعي والديني ، فقد استحدثت حركات الجهاد نموا وتطورا متشددا خاصة في شمال « أفريقيا » وغرب « أفريقيا » (عادة على نهج المذهب المالكي في الشريعة والفقه) . وقد أمدتنا هذه الحركات بصور مثيرة للاهتمام ، عن الصوفية ومهابة شيوخ طرقها وأوليائها في مجتمعات « البحر الأحمر » و « الحبشة » و « الصومال » .



التكامل والتمازج .. العرقي واللغوي

بصرف النظر عن الاختلافات في النكهة أو ظلال الفوارق الدقيقة كيفما كانت فإن الإسلام كدين ومنهج للحياة نجح تماما في تزويد مجتمعات أفريقية ضخمة ، وآخذة في النمو ، بروابط قوية من الإخاء والهوية المشتركة .

وقد تدعمت هذه الروابط القوية من الإخاء الديني والوفاق الاجتماعي إلى حد أبعد بعملية التكامل اللغوي والعرقي المتزامتين واللتين تضمنتا إسباغ الطابع المحلي على المؤثرات الوافدة ومن ثم التجانس - في نفس الوقت وعينه - للمجتمعات المحلية داخليا مع بعضها بعضاً ومع باقي العالم الإسلامي^(١) .

مشاركة حياتية

ومما لاشك فيه أن المتبع لعملية التجانس التي تمت بين العرب الذين قدموا إلى « أفريقيا » يحملون الدعوة الإسلامية ويمتزجون بالناس ويدعون إلى الله بطريقة طبيعية وصادقة ، يلاحظ أن البعد العرقي أو العنصري لهذه العملية قد تم : « لأن حاملي لواء نشر الدعوة الإسلامية - أيا كانوا - أثبتوا على الدوام ميلا متميزاً إلى ألا يعظوا وكأنهم يلقون كلمة الله من علياء كما يقال ، ولكنهم يقيمون بين من يتصلون بهم من الناس ، يشاركونهم حياتهم ، ويتزاوجون معهم . ونتيجة لهذا الموقف إلى حد كبير ، انصهر سكان مناطق كبيرة في « الشرق الأوسط » و« شمال أفريقيا » و« شرق أفريقيا » في الدم العربي . هذه

(١) الإسلام والتجانس الاجتماعي في أفريقيا - بروفيسور مدثر عبد الرحيم ، مجلة « دراسات أفريقية » ، العدد الأول ١٤٠٥ هـ .

الرغبة العفوية للتزاوج ، بالإضافة إلى هيبة الإسلام و ثراء حضارته أيضا ،
تعلان حقيقة أن أناساً كثيرين يشعرون بفخر نسبهم العربي (حقيقة كان أم
تصوراً) إضافة إلى هويتهم الإسلامية ، ليس في البلاد العربية وحدها ، بل
على نطاق العالم الإسلامي من « غينيا » و « السنغال » إلى « الصين »
و « الفلبين » .

التمازج العرقي

« لم يكن العرب من جانبهم على استعداد للتزاوج فقط ، مؤدين بالتالي لخلق
مجتمعات عربية حديثة تكشف عن تنوع واسع في المادة الملونة بالأنسجة
والخلايا وفي الخصائص العرقية تبعاً للصنف البشري الذي تزاجوا معه ، بل
نجدهم في كثير من الحالات امتصوا تماماً لغوياً و عرقياً بواسطة السكان المحليين
المعنيين » .

« إذن فعملية الاستعراب التي حدثت في أجزاء من « أفريقيا » قد اشتملت
أيضاً على أفرقة العرب الوافدين بدرجات وحدود متفاوتة ؛ ويمكن الاستدلال
على ذلك ليس فقط بالرجوع للتركيبة الشهيرة للشعب السواحلي وحضارة
شرق « أفريقيا » ، بل أيضاً بالنسبة لقبائل (هاما) العربية « بالمغرب » الذين
امتصوا لغويا و عرقيا بواسطة البربر ، و بعرب « بني كنز » الذين ذابوا في
« نوبيي » شمال « السودان » ، ويمكن الإشارة أخيرا ، وربما بصورة ملفتة
للنظر إلى حد ما ، لعرب « البقارة » بغرب « السودان » الذين رغم طلاقهم
في الحديث بلغتهم الأم إلا أنهم في سواد الابنوس ، والذين ، لكيما يتكيفوا مع
تربة « كردفان » و « دار فور » الطينية الرطبة تخلوا عن الجمل واستبدلوه بالثور
الذي يركبونه كيفما كان الأمر ويعاملونه بشكل عام وكأنه جمل » .

« وكما يتوقع ، هذا المسلمون الآخرون في أنحاء العالم ، بما في ذلك
« أفريقيا » ، نموذج العرب كأول ناشرين للإسلام ؛ وهكذا تزاج البربر
و « الفلانيون » ينسر و ذابوا إلى حد كبير في « التوكولور » و « الهوسا » تبعاً

لذلك وتزواج هؤلاء بدورهم مع المجموعات الأخرى فكان الأثر الإجمالي عملية زيادة تراكمية للتكامل العرقي بالإضافة للتكامل اللغوي بين الأفارقة المسلمين في كل موضع من القارة»^(١) .

اللغة العربية .. واللغات المحلية

وإذا تركنا موضوع البعد العرقي والعنصري جانبا ، وانتقلنا إلى موضوع اللغة العربية وانتشارها في « أفريقيا » ، بل وفي غيرها من أجزاء العالم الإسلامي ، فإننا نلاحظ أن هذه الجماعات تكيفت أيضا مع كثير من اللغات المحلية في الوقت الذي عملت فيه على نشر الإسلام واللغة العربية ، وهذا جعل انتشار اللغة العربية أقوى وأوقع :

« يمكن تبين نفس النمط فيما يخص انتشار اللغة العربية في مختلف أنحاء « أفريقيا » وغيرها من العالم الإسلامي ، وبمعنى آخر أن الاستعراب اللغوي أو الحضاري ، (الذي ارتضته بل سعت في سبيله الجماعات المختلفة والأفراد حبا وإجلالا للغة القرآن) ، اشتمل أيضا على درجات متفاوتة من التكيف مع اللغات المحلية تفاوتتا ما بين الاستعراب التام إلى التأصيل التام ، متمخضا عن تبني المهاجرين العرب للغة المحلية بدلا عن لسانهم الأصلي - وذلك بالطبع مع ظلال متعددة من ألوان الطيف في الوسط » .

« وهكذا بينما نجد الجماعات المختلفة في مختلف أجزاء « أفريقيا » وكذلك « آسيا » تخلت ، كليا أو جزئيا ، عن لغات تقليدية كالكبيلية والنوبية والبربرية ، وتبنت في مكانها اللغة العربية ، فإن لغة التخاطب اليومية في كل من المناطق المعنية على حدة - رغم أنها عربية دون شك - لها نكهة خاصة تعكس أثارا وثيقة الصلة باللسان أو الألسنة التقليدية » .

(١) الإسلام والتجانس الاجتماعي في « أفريقيا » - بروفيسور « مدثر عبد الرحيم » ، مجلة « دراسات أفريقية » - العدد الأول - رجب ١٤٠٥ هـ .

« ومن جهة أخرى هناك العديد من المجتمعات في « آسيا » ، كما في « أفريقيا » ، احتفظت بلغاتها التقليدية رغم أنها أثريت بالعديد من الكلمات والتعابير ، ومكتوبة في حالات كثيرة بالحروف الهجائية العربية أو بشكل معدل منها ، وهذا الأمر واقع على سبيل المثال لدى « الهوسا » و « الولوف » في غرب « أفريقيا » وعند الفرس في « آسيا » .

« وهناك فئة أخرى تشمل لغات تمثل لغتي « الحراري » و « السواحيلي » في « أفريقيا » إلى جانب « الأردية » وربما « الجاوية » في « آسيا » ، حيث تمثل كل واحدة من هذه اللغات تركيبة جديدة حيث انصهرت العربية - وحدها أو بالاتحاد مع لغة إسلامية أخرى - مع لغة محلية أخرى لتثمر عن تركيبة جديدة ومبتكرة ، ويبدو بالتالي أن اللغة العربية تقف مع هذه اللغات موقفا لا يختلف عن موضع اللاتينية إزاء اللغات الأسبانية والبرتغالية والفرنسية والإيطالية ، وكيفما كان الأمر فإن الأثر الإجمالي للعمليات الوثيقة الصلة للتجانس الديني واللغوي والعرقى التي أشرنا إليها هو انبثاق وتطور سلسلة ذاتيات اجتماعية حضارية متكاملة إلى أبعد حد وجميعها أفريقية بحق مثلما هي إسلامية بحق (١) .



(١) الإسلام والتجانس الاجتماعي في « أفريقيا » - بروفيسور « مدثر عبد الرحيم » ، مجلة « دراسات أفريقية » - العدد الأول - رجب ١٤٠٥ .

اللغة العربية وأفريقيا

لا شك إذن أن اللغة العربية لعبت دوراً أساسياً وكانت من أهم اللغات في « أفريقيا » بل كانت في يوم من الأيام هي اللغة الأولى ، ولا زال حتى الآن يتحدث بها أكثر الكثافات البشرية من السكان ، وتدخل بنسبة عالية جداً في أكثر اللغات المحلية الأفريقية انتشاراً ، وخلال العصور الوسطى ساهمت الممالك الأفريقية الإسلامية ، التي سادت في فترة من الزمن في شرق القارة الأفريقية وفي غربها ، ساهمت مساهمة كبيرة في ترسيخ اللغة العربية بين السكان بل وفي نقل الحضارة والفكر الإسلامي إلى هذه المناطق ، وفي جميع المجالات ارتبطت الدعوة الإسلامية هناك باللغة العربية :

دين ولغة .. وتجارة

« وقد ارتبطت الدعوة الإسلامية في بلاد السودان الأوسط والغربي - كما في غيرها من المناطق - باللغة العربية لغة القرآن والعلوم الإسلامية ، وسار الإسلام واللغة العربية جنباً إلى جنب مع الجهاد في سبيل نشر الدين وتوسيع رقعة البلاد الإسلامية فضلاً عن تنشيط الحركة التجارية ، واحترم المسلم في بلاد غربي « أفريقيا » اللغة العربية احتراماً يقرب من التقديس ، لأنها لغة القرآن وبها يؤدي صلواته وبها يتلو قرآنه ويقرأ علوم الدين . والدعوة الإسلامية أبداً تشجع التعليم وتجعله جزءاً لا يتجزأ من الدين ، ويعطي المجتمع الإسلامي العلم والعلماء منزلة جد عظيمة ، بل إن أول ما نزل من سور القرآن الكريم كان يدعو إلى القراءة والتعليم : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ [سورة العلق : ١ - ٥] . وقد نفهم من الأمر بالقراءة أنه دعوة لكل مسلم

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

لأن يقرأ كل ما في الكون من آيات دالة على عظمة الخالق . وقوله تعالى :
﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [سورة الزمر : ٩] .

علاقة قديمة جداً

ومنذ فجر التاريخ والقلم العربي هو القلم المعروف في « أفريقيا » دون غيره ،
وكانت هناك علاقة تجارية قديمة بين البلاد التي كان العرب يطلقون عليها اسم
المغرب وبين البلاد الواقعة جنوب الصحراء الكبرى ، وكان ذلك قبل القرن
السابع الميلادي ، أي قبل دخول الإسلام في القارة الأفريقية ، وقد اشتهرت
عدة طرق للقوافل كانت تبدأ من « مراکش » و« تلمسان » و« تونس »
و« طرابلس » و« مصر » ، متجهة إلى الجنوب ، فتجتاز « الصحراء الكبرى »
وتصل إلى المراكز التجارية الرئيسية في غربي « أفريقيا » مثل « غانا » القديمة
ومثل « تمبكتو » وولايات « الهوسا » و« كانم » و« برنو » وغيرها . وذكر
بعض المؤرخين أن التجارة ظلت لعدة قرون بأيدي الإغريق قبل دخول العرب
والإسلام إلى المغرب ثم تولاهما العرب بعد فتح « شمال أفريقيا » ودخول
الإسلام إليها ، فأصبح العرب بعد ذلك يجتازون الصحراء الكبرى ويتوغلون
إلى « أفريقيا » التماساً للرزق ، وكانوا يتجرون في عين البضائع التي كان يتجر
فيها من قبلهم التجار الذين كانوا يحضرون معهم إلى « غربي أفريقيا » تلك
البضائع المطلوبة كالحرير والسروج والسيوف والنحاس والملح والأدوات ،
وأشياء شتى من المنسوجات فيبيعونها ويشتررون الذهب والجلود والعاج والعبود
وغير ذلك^(١) .

ودين ولغة .. وسياسة !

وطبيعي أن هذه العلاقات الاقتصادية والتجارية على وجه الخصوص ، التي

(١) انتشار اللغة العربية في بلاد غربي « أفريقيا » عبر التاريخ - د. « السر سيد أحمد العراقي »
- مجلة « دراسات أفريقية » - العدد الأول - رجب ١٤٠٥ .

تمت في القرن السابع الميلادي ، كانت اللغة العربية فيها هي لغة التخاطب بين التجار وبين الناس وأوجدت تلك الصلة العميقة ، ولأنها من أرقى اللغات فقد اختلطت باللغات المحلية وتداخلت معها وامتزجت بكثير منها وأخذ الناس ينشرونها فيما بينهم ، ولعل هذه العملية كانت حجر الأساس لانتشار اللغة العربية في أفريقيا ، وتوغلت بالتالي اللغة العربية في داخل « أفريقيا » ؛ ففي كثير من الأحيان نلاحظ أن عصر اللغة العربية ، بل والعلوم الإسلامية ، ازدهر في غربي « أفريقيا » عندما قامت بعض الامبراطوريات الإسلامية الكبرى في « غانا » مثلا و« مالي » ثم في « برونو » و« امبراطوريات « الهوسا » و« التكارنا » و« الفلانيين » حيث جعل هؤلاء اللغة الرسمية هي اللغة العربية في كل أغراض الحياة واستخدمت كذلك في مجال الحكم والإدارة والقضاء بل وأصبحت لغة المكاتبات الرسمية بين هذه الدول وبين العالم الإسلامي ووجد بعض المؤرخين أن هناك في الدواوين المصرية في زمن المماليك صيغا عربية خاصة لمخاطبة ملوك تلك البلاد الأفريقية عندما تصدر المكاتبات لها . من هذا يتضح كما يقول الدكتور السر السيد « أحمد العراقي » : « أن اللغة العربية كانت لغة أساسية بل ولغة دولية في تلك العصور الوسطى واستمرت حتى قيام الخلافة السوكونية التي أسسها الشيخ « عثمان فودي » في بداية القرن التاسع عشر وعاشت حتى مطلع القرن العشرين ، كانت هي لغة الدين والثقافة والتجارة ولغة الحكومة والإدارة والقضاء ، وهي لغة التخاطب في كثير من البلاد . وكانت في الوقت نفسه إلى جانب لغات « الهوسا » و« الفلاني » و« البرنو » إلا أنها كانت اللغة السائدة » .

« وقد تحمس كثير من الملوك والرؤساء لنشر اللغة العربية بل وتفانى بعضهم في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزنوج »

« وقد كثرت هجرات المسلمين بعد ظهور الإسلام من العرب والبربر إلى السودان وذلك منذ الفتح العربي الإسلامي وشمال « أفريقيا » ، واحتكر التجار

المسلمون عملية الاتصال ببلاد « السودان »^(١) لأسباب دينية وتجارية واستقرت أعداد كبيرة منهم في تلك البلاد . وهناك جهود امبراطورية « أودغست » الإسلامية وتفاني ملوكها في نشر الإسلام واللغة العربية بين الزوج . بلغت هذه الامبراطورية ذروتها وعظمتها خلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين . وقامت بدور كبير في نشر الإسلام والعلوم الإسلامية العربية قبل حركة المرابطين .

وذكر « ابن حوقل » أن ملك « أودغست » « تيبوتان » كان شديد الحماس لنشر الإسلام واللغة العربية بين قومه وبين الزوج المجاورين من ناحية الجنوب . وفي مطلع القرن الحادي عشر الميلادي جاء إسلام ملك « التكرور » « ارجاني بن رابيس » (ت حوالي ٤٣٢ هـ - ١٠٤٠ م) عنصرا هاما في ازدياد انتشار الإسلام ، وذكر « طرخان » أن ازدياد هذه الصلات المتنوعة وهذه الجهود البارزة قد أدت إلى انتشار الإسلام في غربي « أفريقيا » . ولما كانت « غانا » جزءا من غربي « أفريقيا » ، فلا ريب أن الإسلام دخلها وانتشر بين بنيتها بدرجات متفاوتة .

والراجع أن عددا كبيرا من سكان « غانا » قد اعتنق الإسلام وأن مظاهر هذا الدين من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية قد وجدت طريقها إلى بلاد « غانا » في زمن مبكر قبل المرابطين . وذكر « البكري » (ت ١٠٩٤ م) أن « بني أمية » أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد « السودان » في صدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في « غانا » . ويقول « القلقشندي » أن أهل « غانا » أسلموا في أول الفتح ، ويهمننا في هذا المجال أنه يؤرخ لامبراطورية « غانا » الإسلامية بدخول المرابطين أراضي « غانا » الوثنية وذلك عندما أخضعوا « أودغست » عام ١٠٥٥ ، واستولوا على مدينة

(١) بلاد « السودان » لا يقصد بها جمهورية « السودان » الحالية ، وإنما كانت تطلق على مناطق شاسعة في وسط « أفريقيا » وغربها المتاخمة لجنوب الصحراء .

« غانا » عام ١٠٧٦ ، وعينوا عليها حاكماً من البربر ، ومنذ ذلك الحين برزت الآثار العربية الإسلامية في بلاد غربي « أفريقيا » وكانت أوضح ما يكون في العاصمة « كومي صالح » والمدن الزاهرة الكبرى أمثال « ولاتة » و« نيمية » و« أودغست » وقد ضمت « غانا » نحو اثني عشر مسجداً ، وألحق بكل مسجد مدرسة لتعليم القرآن الكريم وقواعد الدين واللغة العربية كما أن القسم الإسلامي من العاصمة كان مليئاً بالعلماء والفقهاء والأئمة . وكذلك كانت « ولاتة » و« نيمية » و« أودغست » التي كانت مراكز عربية ثقافية كما كانت مراكز لنشر الدعوة الإسلامية ، وكانت اللغة العربية هي لغة العبادة والثقافة الوحيدة في البلاد ، وهذا بكونها لغة التجارة المستعملة في التبادل التجاري والمكاتبات ، واحتلت هذه اللغة في « غانا » وفي غيرها من بلاد « السودان » الغربي والأوسط المكانة التي احتلتها اللغة اللاتينية في أوروبا في العصور الوسطى ، بل زادت عليها إذ بقيت اللغة العربية بتلك البلاد لغة للدين والثقافة حتى العهد الاستعماري ، بينما زالت اللغة اللاتينية تدريجياً أمام زحف اللغات الجرمانية القومية بأوروبا في تلك العصور ، وأكثر من هذا شهد بعض المكتشفين والمستعمرين في مطلع العصور الحديثة بأن إمام سكان غربي « أفريقيا » باللغة العربية يفوق إمام أوروبا باللغة اللاتينية في العصور الوسطى .

ومما يذكر أن المرابطين كانوا يرسلون العلماء بين القبائل السودانية لبث العقيدة الصحيحة ، وأقبل الأفريقيون المسلمون على مناهل العلم في حماسة تلقائية بسبب ما اتصف به انتشار الإسلام ولغته من تسامح وفضائل ، وبفضل ما امتاز به المسلمون من العرب والبربر ، الذين استقروا في « غانا » وغيرها من بلاد « السودان » والذين اتصلوا بتلك البلاد ، من كفاءة وخبرة في مختلف الميادين الاقتصادية والإدارية فضلاً عن الجانب الثقافي إذ كان المسلمون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية ، بدليل استعانة ملوك « غانا » بهم في أجل أعمالهم ؛ فالمسلمون في بداية الأمر هم الذين يتولون إدارة الدواوين . ومنهم الوزراء الذين كانوا يساعدون الملوك وقد ذكر البكري : أن تراجع الملك من

المسلمين ، وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه . فهذا دليل على انتشار الثقافة الإسلامية التي توسعت وانتشرت بعد أن أصبحت مملكة غانا دولة إسلامية^(١) .

كل مسلم داعية

ولا شك أن هذا الدور الذي قام به التجار والدعاة في نشر الإسلام واللغة العربية في « غانا » وفي غيرها كان عاملا أساسيا . غير أنه أيضا كان هناك دور آخر وهو دور الهجرة التي قام بها بعض المسلمين من « غانا » إلى المدن الأخرى وخاصة بعد غزو قبائل « الصوصو » الوثنية لـ « غانا » والاستيلاء عليها فانتشروا في البلاد وأقاموا مراكز مختلفة أصبح بعضها ذا أهمية كبيرة وساهم في نشر الثقافة الإسلامية ، ثم بعد أن أخذت مملكة « مالي » الإسلامية دور « غانا » عند اختفائها من مسرح التاريخ السياسي استمرت عملية انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية واستمر بقاؤها حتى القرن الثالث والرابع عشر وأصبحت من كبرى الدول الإسلامية التي قامت في غرب أفريقيا .

الذي يميز أهل هذه المناطق أنهم كانوا متمسكين بالإسلام ومتحمسين له وخصوصا قبيلة تعرف بقبيلة « الماندينجو » :

« وقد أعطى ابن بطوطة صورة واضحة لهذه المملكة التي زارها سنة ٧٥٤ هـ (١٣٥٢) وقد أعجب بشدة عنايتهم بحفظ القرآن حيث قال : وهم يجعلون لأولادهم القيود إذا ظهر في حقهم التقصير في حفظه ؛ فلا تفك عنهم القيود حتى يحفظوه . ولقد دخلت على القاضي يوم العيد ، وأولاده مقيدون وقلت له : ألا تسرحهم ؟ فقال : لا أفعل حتى يحفظوا القرآن .



(١) انتشار اللغة العربية في بلاد غربي « أفريقيا » عبر التاريخ - د. « السر سيد أحمد العراقي » - مجلة « دراسات أفريقية » - العدد الأول - رجب ١٤٠٥ هـ .

ازدهار الحركة العلمية

تعتبر مرحلة انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية على أيدي سادة امبراطورية « مالي » الإسلامية من المراحل الهامة في تاريخ تطور اللغة العربية وانتشارها على نطاق واسع في بلاد « السودان » الأوسط والغربي . ففي هذه المرحلة ازدهرت الحركة العلمية وعرف عن السلطان « كنگن موسى » أنه استقدم عددا كبيرا من العلماء ولا سيما من « مصر » و « المغرب » و « الأندلس » . فامتألت بلاده بالعلماء من السود والبيض على السواء ، وكان ازدهار حركة التبادل التجاري بين « مالي » والخوارج من العوامل التي ساعدت على ازدهار الحركة العلمية في « مالي » .

ومن المدن التي اشتهرت بكثرة علمائها : « تونبكتو » و « مالي » و « جني » و « جاو » ، حتى أنه عندما تدهورت دولة « مالي » سياسيا بقيت هذه المدن محتفظة بمكانتها العلمية كمراكز كبرى للثقافة الإسلامية في قلب « أفريقيا » . وأهم مركز ثقافي في « تونبكتو » مسجد « سنكري » أو جامعة « سنكري » ، ففيها كان العلماء في كل فنون العلوم الإسلامية ، وأكثر العلماء من البيض من قبيلة « جدالة » بصفة خاصة ، ومن أعظم علمائها المؤرخ الفقيه « أحمد بابا » الذي نقل عنه « السعدي » الكثير مما أورده في « تاريخ السودان » .

وقد وجدت المدارس الكثيرة في جميع المدن المشهورة بجوار المساجد مثل مدارس « زاغة » . ويقول « ابن بطوطة » عن أهل هذه المدينة أنهم : قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلب علم .



انتشار اللغة العربية في كل أفريقيا

بجانب الاهتمام بالقرآن كما ذكر « ابن بطوطة » هناك الاهتمام بلغة القرآن وهي اللغة العربية والتي اكتسبت مسحة من التقديس عند مسلمي غرب « أفريقيا » عامة ، وكانت جميع الوثائق الهامة تكتب باللغة العربية كما كانت العربية لغة الحكومة والمراسلات الدولية ولغة التجارة ، أي أنها كانت اللغة السائدة ، ويقول « توماس أرنولد » : « غدت اللغة العربية لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة الأفريقية » .

ويقول « ديشان » : « ولم تكف قبائل الممالك الأفريقية بدخول الإسلام ، بل طبعت بطابع عربي بسبب انتشار اللغة العربية في تلك البلاد » .

وهناك خصائص معينة في نطق الحروف العربية بين مسلمي غربي « أفريقيا » . وأما طريقة الكتابة فهي طريقة المغاربة ، يقول « القلقشندي » : « وكتابتها بالخط العربي على طريقة المغاربة وقد ورد إلى السلطان « الناصر » كتاب من « موسى » : (سلطان مالي) بالخط المغربي .

ساعد ازدهار امبراطورية « مالي » الإسلامية واتساع رقعتها وعظمة ملوك المسلمين وتقانيهم من أجل خدمة الإسلام والثقافة الإسلامية على أن تترك اللغة العربية أثرها القوي في اللغات المحلية ولا سيما لغات « الهوسا » و« صنفي » و« الفلاني » فاستخدمت اللغة العربية منذ ذلك التاريخ في كتابة اللغة « الفلانية » ولا تزال إلى اليوم^(١) .

يضاف إلى كل هذا الدور الذي قامت به مملكة « كانم برنو » التي

(١) المرجع السابق . Created with

تأسست قبل القرن العاشر بكثير ودخل إليها الإسلام عن طريق التجارة وانتشر تدريجياً وانتشرت معه اللغة العربية . في هذه المملكة كان لأولئك العرب الذين كانوا في هذه البلاد دور كبير حيث ساهموا في ترسيخ اللغة العربية . وكان هناك رجل مشهور من دعاة الإسلام اسمه « كانم محمد بن ماني » في القرن الحادي عشر وقام هذا الداعية بدور أساسي وكبير في نشر الإسلام واللغة العربية وقد عرف حكام « برنو » أساساً بحماسةهم للدعوة الإسلامية :

« ولا شك أن العلاقة التي كانت موجودة في تلك القرون قد ساعدت كثيراً في نشر الثقافة العربية الإسلامية في تلك المنطقة حيث انتشر فيها التعليم وكثر من يتكلم باللغة العربية ، وكثر العلماء . ولقد ساعد في نشر اللغة العربية وجود عدد كبير من العرب الوافدين إليها والذين اشتهروا باسم قبيلة « شوا » ، وهذه القبيلة تسكن الحدود الشرقية « لبرنو » بجوار نهر « تشاد » . وهكذا كان الحال إلى مطلع القرن التاسع عشر .

كذلك يضاف إلى هذه الأدوار ما قامت به قبائل « الفلاني » التي اشتدت حماستها لنشر الإسلام زمن ازدهار دولتهم - الخلافة « الصكتية » في القرن التاسع عشر . على أن إسلام « الفلانيين » يرجع إلى حوالي القرن الرابع عشر حيث انتشرت الثقافة العربية الإسلامية بفضل جهود الشيخ « عثمان بن فودي » مؤسس « الخلافة الصكتية » وأعوانه في كل ولايات « الهوسا » (تضم كل شمال « نيجيريا ») وامتدت حتى ولاية « نوني » في الجنوب . ونشر الفلانيون الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في مناطق عديدة يقع بعضها في « النيجر » و« داهومي » وبعضها الآخر في « الكاميرون » . وجعل حكام هذه الدولة اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة ، وهي كذلك لغة الثقافة فيها ، وشجع الشيخ « عثمان بن فودي » وأعوانه على التعليم وأوضحوا أهميته والضرورة منه في معظم كتاباتهم . لذلك تمثل مرحلة « الخلافة الصكتية » العصر الذهبي لازدهار وانتشار اللغة العربية وتقدم العلوم والثقافة الإسلامية في بلاد « السودان » الأوسط والغربي .

إن نشأة التعليم العربي في أرض « الهوسا » ترجع إلى بداية توغل الإسلام إلى هذه البلاد ، قبل ظهور الشيخ بعدة قرون . وقد ظهرت المدارس القرآنية بظهور الإسلام ، وكان المجتمع في هذه المنطقة يهتم بهذه المدارس ويرسل الأطفال بنين وبنات إليها فيتعلمون شيئا من القرآن كما يتعلمون بعض المبادئ الإسلامية ، لذلك كانت لهذه البداية نتائج بعيدة المدى : فذكر « عثمان سيد أحمد » أن التعليم الإسلامي قد ثبت في هذه البلاد وأصبح تعليم اللغة العربية مفتاحا للعلم والمعرفة والمكانة ولارتباط ذلك بالإسلام ، الذي حث على طلب العلم ونشر التعليم باللغة العربية .

لقد ساهم في هذا الميدان كثير من المغاربة والشناقيط ، الذين يمرون في هذه البلاد في طريقهم إلى الحج ذاهبين أو عائدتين . وعلى رأس هؤلاء « محمد بن عبد الكريم المغيلي » و« أحمد بابا التيبكتي » وغيرهما ، ومنهم من درس في « الأزهر » مثل « محمد الأمين الكانمي » ومنهم من درس في « المغرب » و« تيبكت » و« القدس » مثل « جبريل بن عمر » والشيخ « عثمان بن فودي » وأخيه « عبد الله بن فودي » وغيرهم من العلماء الذين كرسوا حياتهم في نشر الإسلام والثقافة العربية^(١) .

لغة القرآن ولغة الإنسان

ولا شك أن المتتبع لتاريخ انتشار اللغة العربية فيما عرف بمملكة « صكت » أو « خلافة صكت » التي عرفت فيما بعد « بنيجيريا » الشمالية يلاحظ أن هناك أدوارا أساسية لعبها الرجال المحليون وحرصوا فيها على جعل اللغة العربية هي اللغة الرسمية المستعملة حتى أن الشيخ « عبد الله » شقيق الشيخ « عثمان بن فودي » قد خاطب هو وأخوه قبائل الفلاني جميعهم وأخذ ينصحهم بتعلم

(١) انتشار اللغة العربية في بلاد غربي « أفريقيا » عبر التاريخ - د. « السر سيد أحمد العراقي » - مجلة « دراسات أفريقية » العدد الأول - رجب ١٤٠٥ هـ .

اللغة العربية لأنها لغة القرآن ولأنها أفضل اللغات وطلب منهم أن يحافظوا في الوقت نفسه على تعلم لغة الفلاني لأنها لا تتعارض مع تعلم اللغة العربية . وهكذا نرى أن حماسة مثل هؤلاء الرجال وإخلاصهم قد ساهم مساهمة كبيرة في دعم نشر اللغة العربية في تلك المناطق . ولم تفتح بطبيعة الحال مدارس نظامية على النحو الحديث ، ولكن طريقة تعليم اللغة العربية بأسلوب الكتابات وبطرق المشايخ والمعلمين كما يسمونهم وتلاميذهم ، وبعضهم كان يسميه المؤدب - كل هذا أسهم في نشر اللغة العربية . وكانت اللغة العربية كما ذكرنا تتمتع بمركز مرموق ولهذا عندما دخل المستعمرون الأوروبيون إلى هذه البلاد حاولوا التقليل من أهمية اللغة العربية وإحلال اللغة الانجليزية محلها كما فعلوا في « نيجيريا » فيما بعد :

« لقد عكف العلماء على تعليم اللغة العربية وتعلموها لغة وأدبا وألّفوا بها كتباً كثيرة في شتى الفنون ، ولقد أنتج العلماء والأدباء في تلك الفترة كثيراً وألّفوا كتباً ورسائل عالجوا فيها كثيراً من المشكلات الدينية والاجتماعية والسياسية ، ومنها كتاب الشيخ « محمد بلو » الذي كتبه في الطب النبوي وكتاب « القول السنا » .

وقد حوت الكتب معلومات وافية في الطب وطرق علاج بعض الأمراض . وكان أيضاً لبعض العلماء ميول أدبية ساعدتهم على التأليف في مجال الشعر والنثر^(١) .

وعندما نتحدث عن انتشار اللغة العربية في هذه المناطق وخصوصاً في كنف « الخلافة الصكّية » وما حولها ، لا ينبغي لنا إغفال دور الطرق الصوفية في تلك المناطق وما ساهمت به من نشر للدعوة الإسلامية واللغة العربية : « انتشرت الطرق الصوفية التي كان من أكبرها « الطريقة القادرية » . وتعتبر هذه الطريقة من أشد الطرق حماسة لنشر الدعوة الإسلامية بكافة الطرق

والوسائل عن طريق فتح المساجد والمدارس والزوايا لتعليم القرآن ، وأصبح الشيخ « عثمان » قطبا من أقطابها ، لذلك أصبحت هي الطريقة الرسمية للخلافة وتمتعت بهذه الصفة ما يزيد عن قرن من الزمان ، ويرى الشيخ « محمد ناصر كبرا » أن « الطريقة القادرية » كانت ولا تزال من أقوى الطرق في غربي أفريقيا وأدت دورا كبيرا في نشر الإسلام والثقافة العربية .

كما شاء القدر أيضا « للطريقة التيجانية » أن تظهر في بلاد « السودان » الأوسط والغربي على يد الشيخ « عمر القوتي » الذي دخل أراضي « الخلافة الصكتية » في أيام أمير المؤمنين « محمد بلو » عائدا من الحج ثم توجه منها إلى « ماسينا » في « مالي » ثم إلى بلاد « السنغال » حيث قام بنشر الإسلام والثقافة العربية وساهم خلفاؤه من بعده أيضا بقدر معقول في نشر الدين واللغة العربية .

فمهما يكن من أمر فإن الطرق الصوفية التي ظهرت في خلال القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين أصبح لها دور لا يستهان به في نشر التعليم الديني والثقافة العربية «^(١)» .

حرب الاستعمار ضد اللغة العربية

نخلص من كل ذلك إلى أن عملية التعليم تطورت واحتلت منزلة رفيعة في هذه البلاد ، وكذلك الأمر في بقية الدول الأفريقية ، ولكن في هذه المنطقة على وجه الخصوص وفي « خلافة صكت » التي أنشئت على أساس إسلامي وفقا لقوانين الشريعة الإسلامية ونظمها كان من الطبيعي أن تبرز أهمية اللغة العربية سواء في الكتابة في الدواوين أو المحاكم الشرعية وفي القضاء واستخدامها أئمة المساجد إلى غير ذلك ، وعندما دخل المستعمرون إلى هذه المناطق بذلوا جهودا كبيرة لكي يزيلوا اللغة العربية ، وحاولوا كما ذكرنا جعل اللغة الانجليزية

هي اللغة الرسمية للبلاد ، وكذلك في الدواوين والمكاتب ، ولم تسلم من ذلك إلا المساجد فقط وكذلك القضاء ؛ ولو أنهم فيما بعد شجعوا كثيرا من القضاة على استعمال اللغة الانجليزية في المداولات ، وكان من فضل الله تعالى أن لغة « الهوسا » ولغة « الفلاني » كانتا تكتبان بالحروف العربية ولهذا كان الناس يتعلمون الكتابة والقراءة بتلك الحروف ويستعملونها ويكتبون بها حتى في أثناء كتابة لغاتهم المحلية ، فشجع ذلك على بقاء جذور اللغة العربية والله الحمد .

ورافق ذلك حماسة مجموعة كبيرة من العلماء المخلصين في « نيجيريا » والذين ساهموا مساهمات كبيرة في هذا المجال وظلوا يعضون على الدين بالنواجذ ، وظلوا حريصين على بقاء جذوة الإسلام في نفوس أبناء المسلمين ، وأدركوا أهمية اللغة العربية ولذلك حرصوا على تعليمها والعناية بها ، وهذا وزير العدل النيجيري السابق الشيخ « أبو بكر تومي » الذي تحدث في « مؤسسة الملك فيصل » عندما حصل على الجائزة وقال : « كل ما نريده منكم أيها الإخوان أن تعطونا أواحاً وأقلاماً نعلم بها أبناءنا اللغة العربية . تعالوا إلى بلادنا وساعدونا على بقاء اللغة العربية وعلى نشرها وعلى نشر تعاليم الإسلام وإبقاء جذوة الإسلام وممارسات الشريعة الإسلامية بين أبنائنا وفي بلادنا ، وتربيتهم على أسس إسلامية سليمة » . فمثل هذا الرجل وغيره كانوا يدركون أهمية انتشار اللغة العربية وأهمية بقاء التعاليم الإسلامية بين أبناء جلدتهم .

ومن فضل الله تعالى أن اللغة العربية بقيت لغة مهمة في هذه البلاد وفي شتى أنحاء « أفريقيا » رغم ما بذله الاستعمار من جهود كثيرة ورغم ما قامت به الإرساليات والطوائف التنصيرية وما عملته من تسهيلات لنشر الدين المسيحي والثقافة الغربية ، ولكنها أدركت الأثر البارز للغة العربية في نفوس هذه الشعوب الأفريقية . ويلاحظ الإنسان العادي اليوم أن الكثير من الكلمات ، بل آلاف الكلمات المستخدمة الآن في « أفريقيا » وفي مناطق مختلفة منها ، هي كلمات عربية داخلية في لغاتهم المحلية ، وكثير من

أسماء الأعلام والمدن والنباتات والحيوانات لاتزال اللغة العربية هي اللغة التي تنطق بها كما ذكر الدكتور « السر سيد أحمد العراقي » في دراسته المنشورة في مجلة « دراسات أفريقية » ، والتي تحدث فيها عن أن أثر اللغة العربية ظل واضحاً في هذه اللغات المحلية لأنها لغة القرآن والعقيدة الإسلامية ، وقد ازداد إقبال الأفريقيين المسلمين على مناهل العلم والتعلم باللغة العربية ، وهو اليوم - والله الحمد - يسير من حسن إلى أحسن ، والإسلام راسخ في نفوس هؤلاء ويذكرون للإسلام تسامحه وفضائله وما امتاز به المسلمون من خير ومن خبرة في شتى المجالات التي ساهمت في نشر التعليم وتشجيع حركة التعليم في بلادهم ، وأنهم (أي المسلمون) لا يزالون يمثلون حضارة رفيعة ومدنية سامية .

مشاكل بحاجة إلى حلول سريعة

ولكننا نأتي هنا إلى القضية الهامة وهي أن اللغة العربية تعاني الآن معاناة شديدة من ضعف الإمكانيات ، وضعف المدرسين ، والكتب التي تصلح لتعليم اللغة العربية في العصر الحديث ، ومن هنا تأتي أهمية أن يقوم العرب ، والمسلمون عامة ، بدور أساسي وإيجابي في إعادة نشر اللغة العربية في « أفريقيا » وتشجيع المراكز الموجودة هناك بشتى الطرق وباستخدام الإمكانيات الحديثة .

ويتحدث الناس اليوم عن إمكانيات مختلفة ، كالأقمار الصناعية وغيرها ، وخصوصاً إذا استخدمت القناة الكثيفة التي تتوفر حالياً في القمر الصناعي العربي وفي غيره من القنوات الحاضرة والمستقبلية ، والتي يمكن استخدامها لنشر اللغة العربية في أوساط « أفريقيا » عن طريق إنشاء مراكز بسيطة داخل هذه المعاهد والمراكز والتجمعات السكانية المختلفة ، كما أن أبناء المسلمين من أساتذة الجامعات ومن طلابها الذين يحسنون تعليم اللغة العربية أو حتى مبادئ اللغة العربية ، من واجبهم أن يحاولوا القيام بسياحة دينية ثقافية عربية داخل



« أفريقيا » ليلتحموا بهؤلاء الناس ويزوروا هذه القبائل المتعطشة إلى لقاء العرب وإلى لقاء المسلمين وإلى لقاء الذين يتحدثون باللغة العربية ، والبقاء معهم لفترة الصيف والاتحام بهم كما نفعل الآن - والله الحمد - في جمعيات مختلفة .

وقد كان لي شرف المساهمة في برامج الوفود الصيفية والمعسكرات الصيفية التي نقوم بها في جمعية « اقرأ » الخيرية بالتعاون مع المركز الإسلامي في « الخرطوم » ، وبالتعاون مع بعض الجامعات الإسلامية و« جامعة الأزهر » و« المنظمة العالمية للشباب الإسلامي » ، و« لجنة مسلمي أفريقيا » و« منظمة الدعوة الإسلامية العالمية » وغيرها . حيث أخذ من هؤلاء الشباب من نبعثهم إلى هذه المناطق ليحتكوا بالناس ويلتحموا بهم ويعلموهم اللغة العربية ويفرح الناس بلقائهم . وقد كانت التجارب في السنوات السبع الماضية ، أي منذ عام ١٤٠٣ هـ إلى اليوم ، تجارب مثيرة ومفيدة تدعونا إلى مزيد من الاتحام وإلى مزيد من التعاون للمساهمة في نشر اللغة العربية وإعادة ذلك الماضي المجيد العريق ، وهذه من الخطوات الهامة التي يجب أن نتنبه إليها فنضاعف الجهود في تعليم اللغة العربية وفي نشر تعاليم الإسلام في « أفريقي » ، وفي الوقت نفسه نفتح مجالات أوسع لأبناء « أفريقيا » للالتحاق بجامعةاتنا في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، والعناية بهم وإعطائهم الفرصة لثقافة صحيحة ورعايتهم لأن مجرد حضور الطلاب لا يكفي ، إذ لا بد من رعاية مستمرة ولا بد من اتصال مستمر ، ولا بد من إشراف دقيق إذا كنا نرغب بالفعل أن نعيد ذلك التاريخ المجيد « لأفريقيا » .

علينا إذن أن نحسن إختيار هؤلاء الطلاب ، وأن نحسن التعاون معهم وتربيتهم ثم إعادتهم إلى بلادهم ليكونوا إن شاء الله رسل خير وبركة ، وبالتالي تؤدي ذلك الدور المشرف الذي قام به الأجداد . أما أن ننسحب في هذا الوقت وأن تضعف البعثات الدراسية وأن نقلل المنح الدراسية وأن نهجر « أفريقيا » وأن لا يفتد إليها إلا بعض السواح أو بعض الدعاة الذين ليس لديهم إمكانات كبيرة أو إمكانات تتأصل على نشر اللغة العربية والتوغل بين القبائل



ومساعدة هذه المراكز ، فإن هذا جهد عابر وقد لا يكون له الأثر الكبير الذي يجب أن يكون لتحرك عربي إسلامي منظم نحو « أفريقيا » في هذا الوقت الذي هو من أخطر الأوقات ، لأنها تعاني من هجمات كثيرة ومختلفة وشرسة تستهدف نزع الجذور الإسلامية وإبعاد الإسلام وإبعاد اللغة العربية عن « أفريقيا » ؛ وهي جهود لا يستهان بها ويجب على العقلاء أن يدركوا أن هذه العمليات لها مخاطرها الكبيرة وأن استمراريتها تشكل خطراً على الوجود العربي الإسلامي في « أفريقيا » وتحول بين هؤلاء الأشقاء وبين منابع الدين ومنابع اللغة العربية ، وهذا التقصير سنسأل عنه دون شك أمام الله عز وجل أولاً وقبل كل شيء ، ثم سيكون التاريخ شاهداً على إهمالنا وتقصيرنا وضعفنا وهي قضية ألقت النظر إليها اليوم ، وألقت النظر إلى أهمية العناية بنشر اللغة العربية بطريقة منظمة وبإعداد كتب ، كما ذكرت ، تصلح لتدريس اللغة العربية تصل إلى هؤلاء ، وأن تكون الجهود في حد ذاتها جهوداً منظمة منسقة متواصلة حتى تحقق الهدف المنشود ، وأحسب أن من الواجب في مثل هذا المجال أن نلقت النظر إلى أهمية إعادة تقويم المؤسسات التعليمية والتنموية التي تم توجيهها للعمل في « أفريقيا » أو العناية بالقضايا الأفريقية ، فكثير من هذه المؤسسات هي مؤسسات غير فاعلة وغير مؤثرة .

إعادة النظر في الأجهزة العاملة

والحقيقة أن مثل هذه المؤسسات لابد من دراستها دراسة سليمة ، ووضع الثقة الصحيحة فيها ووضع رجال مؤتمنين على مثل هذه القضايا ، لأن كثيراً من المؤسسات التنموية والتعليمية لم تؤد حتى أدنى الواجبات بالنسبة لأفريقيا ، وبقيت أسماء في كثير من الأحيان غير فاعلة وغير مؤثرة ، إضافة إلى أن بعض هؤلاء وللأسف الشديد استغل اسم الإسلام وعمل تحت ستار الإسلام واستفاد من الثروات الكبيرة التي خصصت لخدمة مجالات إسلامية فاستغلها في غير مجالها .

Created with



nitro professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

مثل هذه المؤسسات حتى لا تبقى مريضة وعاجزة عن العمل وتحسب على العمل الإسلامي في « أفريقيا » وهي لا تؤدي أي جهد في هذا المجال .

ولقد مرت بي كثير من التجارب المؤلمة التي أشعر بخجل شديد عندما أذكرها ، وشاهدت بعض المشروعات الخاسرة والتي كلما أمرُّ بها أتذكر أولئك الرجال الذين خانوا الأمانة ولم يؤديوا الرسالة ولم يؤديوا لا حق الله عز وجل ولا حق المرتبات التي تصرف لهم ، ولا حق الواجب الذي ألقى عليهم وضيعوا هذه المؤسسات ، فلم تُؤد أي دور ، في وقت نلاحظ فيه أن الذين يعملون في مجال التنصير يعملون بجد واجتهاد وباخلاص متواصل حتى أننا لاحظنا أثناء تجوالنا في بعض البلاد الإسلامية التي منيت بهجمات شرسة من البعثات التنصيرية أن بعض الفتيات في عمر الورود يقمن بزيارة القبائل وزيارة الناس ويحتضن الأطفال ، ويعملن ليل نهار من أجل الأهداف التي حضرن من أجلها ، ونحن نبعث دعاة في كثير من الأحيان لا يؤديون واجب الله عز وجل ولا واجب المرتبات التي يأخذونها ، فكان من الواجب أن نحسن أول مانحسبنا اختيار من نبعثهم وندربهم ونعنى بهم ، ونعنى بمتابعة نشاطاتهم ونفهمهم الأهداف الكبيرة التي نسعى إليها ، وأن الهدف ليس فقط الدخول مع الناس في خلافات حول قضايا بسيطة ولا قضايا جانبية على حساب الهدف الأسمى الذي نرغب فيه ونهدف إليه وهو إعادة ترسيخ الإسلام في نفوس هؤلاء ، وربطهم بإخوانهم في العالم الإسلامي وإشعارهم بأن هناك إخوة لهم مهتمين بهم حريصين على مصالحهم ، وأن تكون القضية كلها مربوطة ببرامج دقيقة مخططة وليست انفعالية ولا عاطفية ولا وقتية ؛ لأن مثل هذه الأمور ثبت أنها لا تؤدي إلى أي نتيجة ، بل على العكس يكون لها في الكثير من الأحيان نتائج عكسية ، خصوصاً ونحن في هذه المرحلة الخطرة وهذا الوقت الذي تعاني فيه « أفريقيا » من هذه الهجمات الشرسة من مختلف الجهات ، ومن هنا يصبح الأمر أكثر خطورة ويتطلب جهداً أدق واخلاقاً ومواصلة وتخطيطاً سليماً على مراحل صحيحة ، ويتمويل منتظم حتى نصل إلى مانصبو إليه وحتى نصل

إلى قلوب هؤلاء الناس الذين يتعطشون إلى لقائنا . ولا شك أن هذا الإعراض وهذه اللامبالاة وهذا الضعف في التواصل ستكون له آثار مؤلمة ومؤسفة وقد يساهم في تضييع « أفريقيا » ، وقد نصحو بعد وقت وبعد أن يكون قد سبق السيف العذل . فأرجو من الله تعالى أن يتنبه اخواننا القادة في مختلف القطاعات الذين لهم صلوات بالعمل الإسلامي في « أفريقيا » حتى يضعوا مثل هذه الأمور في نصابها الحقيقي ، وحتى نكف عن عمل اللجان الذي ليس من ورائه أي طحن ، فالأمر في هذا المجال يتطلب منا كما ذكرت عملاً مخلصاً وصادقاً وبناءً .

والجذور العربية ، تاريخياً وحضارياً ، هي جذور عميقة وعريقة ، لم تتمكن جميع أنواع الاستعمار ، على كثرتها وطول زمنها ، من اقتلاعها أو إضعافها لأنها أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الوجود الأفريقي والتراث الأفريقي .

وفوق هذا كله ، فإن الدين الإسلامي ، الذي أنزله الله تعالى هدى ورحمة للبشر أجمعين ، هو ، كما أثبتنا ، الدين الأول في القارة الأفريقية .

تعليم اللغة العربية بالتلفزيون

لا شك أن التلفزيون هو من الأدوات الهامة والتي يجب الاستفادة منها في عملية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، خصوصاً إذا وضعنا في الاعتبار الإمكانيات الحديثة التي سبقت الإشارة إليها ، وأهمها قضية الأقمار الصناعية . ولكن مثل هذه البرامج لابد من العناية بها ، والتخطيط لها بدقة ، ولقد كان لنا في جمعية « اقرأ » الخيرية حظ طيب في التخطيط لبرنامج هام يهدف إلى هذا النوع من التعليم ، وكانت قد أعدته « منظمة الإذاعات الإسلامية » والتي يرأسها الأخ الأستاذ الدكتور « أحمد فراج » ، وكان من أهدافها الأساسية تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ، والمنتشرين في أنحاء العالم .

وقد خاضت المنظمة تجربة تعليم اللغة العربية باللغة الإنجليزية والفرنسية بواسطة الراديو ولقيت إقبالا هائلا ، حتى أنه تم نسخ وتوزيع (٢٦٥٢) حلقة

باللغتين ، مع طبع الكتب اللازمة وتوزيعها .

وقد كان من الممكن التوسع في هذه التجربة لولا ارتفاع التكاليف ، خاصة في عملية توزيع الكتب لكل متابع في الدول الإسلامية ، ولهذا فقد لجأت « منظمة الإذاعات الإسلامية » إلى فكرة جديدة لإنتاج هذا البرنامج بواسطة التلفزيون ، وتم التخطيط له بدقة ، وقد أخذ في الاعتبار أن عملية التكلفة ستكون أقل ، لأن إنتاجها التلفزيوني سيغني عن عملية الكتب ، ولقد كانت فكرة البرنامج تتركز في العمل على تعليم نحو (٨٠٠) مليون مسلم لغة القرآن ، مع الأخذ في الاعتبار أن آثار هذا البرنامج سوف تمتد إلى غير المسلمين من الراغبين في التعرف إلى الإسلام وثقافته بصورة فردية أو جماعية ، وحتى على مستوى المعاهد والجامعات والمؤسسات التعليمية .

وقد نجحت المنظمة في إقناع جمهورية مصر العربية بالتعاون مع جمعية « اقرأ » لتنفيذ المشروع ، والذي اعتبره رئيس المنظمة أفضل من إنتاج مليون حلقة من أي برنامج آخر ، لأنه يعنى باللغة العربية التي تجعل المسلمين على صلة مباشرة بالقرآن والسنة وغيرهما من أمهات المصادر الإسلامية .

ولا شك أن إتمام هذا البرنامج وظهوره إلى حيز التنفيذ سيكون من أهم الخطوات الفاعلة لدعم تعليم اللغة العربية لأبناء المسلمين وخصوصاً من غير الناطقين باللغة العربية .



من السودان .. إلى الحبشة !

تلكأت الدعوة الإسلامية في السودان عندما حل الاستعمار البريطاني هناك ، فعمل على مقاومتها والحيلولة دون انتشارها وبخاصة في الجنوب الذي كان وثنيا ، وظل على وثنيته إلى يومنا هذا باستثناء من دخل معهم في المسيحية ، بقوة الاستعمار البريطاني والبعثات التبشيرية التي كانت تبذل الأموال الطائلة والجهود الكبيرة لحمل الناس على اعتناق دينها في الوقت الذي كانت فيه أقاليم بأكملها تدخل في الإسلام طوعاً واختياراً ، ومن غير أن يجبرها على ذلك أحد .

الحبشة .. والإسلام التسامح

أما « الحبشة » فقد دخلها الإسلام من بوابتها الشمالية والشرقية ، فعبّر البوابة الشمالية امتد الإسلام من « السودان » إلى « الحبشة » ، وعبر البوابة الشرقية حمل التجار العرب المسلمون دعوة الحق من خلال استمرار صلاتهم البشرية والتجارية القديمة مع « الحبشة » . ولقد حافظ المسلمون على العلاقات الدينية القائمة بين الكنيسة المصرية والكنيسة الأثيوبية وأقروا أهلها عليها انسجاماً مع ما يتسم به الإسلام من التسامح في معاملة أهل الكتاب والذمة ، ولكن دين الله كان يلاقي هوى وقبولا في نفوس الناس هناك فيدخلونه أفواجاً ، الأمر الذي أدى إلى وقوع سلسلة من الأحداث منها غزو البرتغاليين لشواطئ « أفريقيا » الشرقية في القرن الخامس عشر الميلادي ، ولكن المجاهدين المسلمين هبوا للدفاع عن أنفسهم ، وقامت في الحبشة ممالك إسلامية وأخرى مسيحية ، واستمر الصراع بين الأجيال المسلمين وسواهم زمناً طويلاً ، كان النصر في أعقابه للمسلمين لولا تدخل الأصابع الاستعمارية المنتشرة تحت قناع

وكمثال على ذلك ، نشير إلى الأمير الصومالي « أحمد بن جرائي » (الذي كان يلقب « بالأشول » والذي كان ابن أحد القساوسة ممن تركوا دينهم ودخلوا في الإسلام ، فقد كانت « للأشول » حملات موفقة في بلاد الحبشة حتى أن أحد زعماء القبائل الحبشية بعث إليه يقول :

- « أنا مسلم وابن مسلم ، أسرني المشركون ونصروني ، وأنا قلبي مطمئن بالإيمان » . وكان هذا الزعيم قد أجبر على التنصر ، ولكنه ما أن سنحت له الفرصة مع جهاد « ابن جرائي » حتى بعث إليه بتلك الرسالة وعاد إلى الإسلام هو وقبيلته كلها ..

وإننا لنلاحظ بوضوح يلفت الانتباه أن جميع من تابعوا جهاد المسلمين في « الحبشة » ، من رجال الاستعمار البريطاني والإيطالي في « أفريقيا » ، قد اعترفوا بأن الإسلام ينتشر انتشاراً واسعاً في « الحبشة » وأن انتشاره لا يقتصر على الأفراد ، وإنما يتناول قبائل كاملة كانت تدخل في الإسلام رغم التهديد والتكيل الاستعماريين المستترين وراء الصليبية .

وحتى اليوم لا تزال « الحبشة » تعتبر بلداً مسلماً ، فالمسلمون يشكلون الأكثرية الساحقة ، أما باقي الأحباش فيتوزعون بين الوثنيين الذين يلون المسلمين في الكثرة ثم المسيحيين .

ولقد كان ملك « الحبشة » نفسه مسلماً ، فقبل أن يتسلم آخر ملوكها « هيلاسيلاسي » الحكم ، كان سلفه - واسمه « ليج ياسوع » - مسلماً ، وقد حكم « الحبشة » من عام ١٩١٣م إلى ١٩١٦م ، وجاهد في سبيل نشر الإسلام بين القبائل الحبشية ، الأمر الذي ألب عليه الكنيسة القبطية ، والدول الاستعمارية ، حتى أسقط ووضع في السجن حيث توفي فيه ، وخلفه « هيلاسيلاسي » الذي كان معروفاً بتعصبه الشديد ضد الإسلام والمسلمين ، فتولى الحكم على أساس العمل على تصفية الإسلام والمسلمين في « الحبشة » و« أريتريا » وتحويل « الحبشة » إلى دولة مسيحية ، ولكن هذا الهدف لم

يتحقق قط ، بل إن العكس هو الذي حدث ، إذ استمر الإسلام في الانتشار هناك ، الأمر الذي دعا أحد المؤلفين الغربيين لأن يكتب :

- « .. إنني لم أر أي أثر لنجاح البعثات التبشيرية ، وعلى النقيض من ذلك توجد شواهد قوية تثبت أن الإسلام ينتشر بين سكان تلك الجهات انتشاره في جهات أفريقية أخرى » ...

والواقع أن هذا الانتشار يتم بصورة طبيعية وتلقائية ، فلقد استهوت أخلاق المسلمين وصدق معاملتهم ، ونظافة ملابسهم ومأكلهم ومسكنهم ، الأهلين ، فمضوا يعتنقون دين الله رغم ما يعلمون من الوبال الذي سيجرهم إليه ذلك ، من الدول الاستعمارية والحكام غير المسلمين ..

ومن بين حوالي ستة وعشرين مليون حبشي ، هناك أكثر من اثني عشر مليون مسلم (حسب احصاء عام ١٩٧١ م) .

أريتريا

وإذا تحدثنا عن « الحبشة » ، فإن الحديث يؤدي بنا إلى « أريتريا » ، التي تعتبر الآن ، أحد أقاليم « الحبشة » التي ضمت إليها قهزرا واغتصابا منذ الاستعمار الإيطالي ، أيام موسوليني . ويزيد عدد المسلمين في أريتريا عن ثلاثة ملايين نسمة ، يعيشون في حالة من الفقر المدقع وصفت بأنها « لا يكاد يتصورها العقل » ، رغم أن بلادهم تتمتع بثروات طبيعية كبيرة ، نذكر منها الحديد الذي يقدر الاحتياطي المؤكد منه بخمسة وعشرين مليار طن ، والبتروال الذي كان يتدفق تلقائيا من البرك في « مصوع » فعمدت السلطات الحبشية إلى ردم تلك البرك ، إضافة إلى الأراضي الزراعية الخصبة والثروات الحيوانية الوفيرة ..

وما زالت ثورة الشعب الأريتري المسلم قائمة منذ حوالي عشرين عاماً

« تنزانيا » المسلمة .. نموذج صارخ

انتشر الإسلام في « تنزانيا » على أيدي التجار المسلمين ، والمهاجرين العرب الذين توجهوا إلى « أفريقيا » عقب أحداث « سياسية » ألمت بهم في بعض البلاد العربية ، وأسس المسلمون هناك كثيراً من الدول والممالك ، أشهرها « مملكة الزنج » التي تأسست في القرن الهجري الرابع ، فعملت على نشر الإسلام في « زامبيا » و« موزمبيق » و« ملاوي » و« روديسيا » .

وفي القرن العاشر الهجري غزا البرتغاليون « مملكة الزنج » ، واجتاحوا عاصمتها « كلوة » وقتلوا سكانها وأحرقوا أكثر من ثلاثمائة مسجد فيها ، ومالبثوا أن هزموا على يد سلطان عمان « سيف بن سلطان » الذي قضى على كل أثر للبرتغاليين في « زنجبار » و« موزمبيق » .

ويبلغ عدد سكان « تنزانيا » حوالي ثلاثة عشر مليون نسمة ، يشكل المسلمون أكثر من نصفهم ، وفي « زنجبار » تبلغ نسبة المسلمين ٩٠٪ من مجموع السكان البالغ أربعمائة ألف نسمة ، وفي « تنجانيقا » تبلغ نسبة المسلمين ٦٠٪ من مجموع السكان البالغ أكثر من اثني عشر مليون نسمة .

وفي « تنزانيا » عدد من المدن الإسلامية مثل « دار السلام » التي يشكل المسلمون ٩٠٪ من سكانها ، و« زنجبار » التي تعتبر مدينة إسلامية خالصة ، و« كلوة » التي كانت عاصمة « مملكة الزنج » الإسلامية التي قامت في القرن الرابع الهجري .

النشاط الصليبي في « تنزانيا »

ولا شك أن « تنزانيا » تعطي مثلاً واضحاً لذلك الهجوم الشرس من النصارى الصليبيين الذين خططوا وعملوا بكل الوسائل في سبيل تمزيق وحدة

المسلمين في هذه البلاد ، وإضعافهم وتغريبهم عن دينهم ، وردهم بكل ما يستطيعون عن الإسلام .

وقد بدأت كارثة « تنزانيا » مع أيام حكم « جولوس نيريري » قبل أن تتحد مع « زنجبار » التي كان يحكمها سلطان عربي حتى عام ١٩٦٤م ، حيث تم القضاء على الحكم العربي بواسطة تأمر اشتراكي مسيحي عنصري ، قتل وشرد معظم العرب المسلمين في تلك الجزيرة ، وشنت حرب شعواء على الإسلام واللغة العربية ، حيث منع استعمال اللغة العربية كتابة وحدثا ، وألغى تدريسها في المدارس كما تم طرد الدعاة المسلمين من الجزيرة ، واستخدمت الأحرف اللاتينية في كتابة اللغة السواحيلية بدلا من الأحرف العربية ، ثم تلا ذلك الاتحاد مع « تنجانيقا » وتكونت دولة واحدة باسم « تنزانيا » .

ونسبة المسلمين في « تنزانيا » أكثر من ٧٠٪ ؛ ودعونا نلقي نظرة على المخطط التنصيري الذي تغذيه الكنائس في مجال التعليم ، وكيف جعلوا المسلمين في أدنى السلم التعليمي في « تنزانيا » مما أدى إلى تأخرهم وفقدهم ، بل أمكن إقصاؤهم من مواقع اتخاذ القرار ، وبالتالي إضعاف نفوذ الإسلام والمسلمين في « تنزانيا » ذات الأغلبية المسلمة .

لقد دخل التعليم الحديث في « تنزانيا » بواسطة البعثات الكنسية التنصيرية كما هو حال معظم الدول في « أفريقيا » ، وذلك قبل مجيء الاستعمار بعشرين عاما حتى تمهيء المواطنين لتقبل الاستعمار بكل سيئاته ، وقد كانت لهذه البعثات ثلاثة أهداف رئيسية في تلك المرحلة :

١ - المساهمة الفعالة في تعليم المسيحيين مختلف أنواع المعارف الإنسانية ، التي تمكنهم في المستقبل من تسيير دفة الأمور في البلاد .

٢ - إعداد طبقة من سكان البلاد إعداداً فكريا ونفسيا واجتماعيا ليكونوا تحت خدمة المستعمرين المرتقبين ، وذلك بغرض تمكينهم من نشر المسيحية

٣ - تنصير أكبر عدد من المواطنين المحليين وذلك بغرض تغيير تركيبة السكان الدينية في المنطقة باعتبار أن « تنزانيا » من أكثر دول شرق « أفريقيا » الناطقة بالسواحيلية من حيث تعداد السكان والمساحة وذات تأثير واضح على جيرانها .

التفرقة الدينية في التعليم .. بالأرقام

بدأ تنفيذ المخطط المشار إليه بإنشاء مجموعة كبيرة من المدارس في مناطق المسيحيين ، وأهملت المناطق المسلمة في تلك المرحلة حتى يتسنى لهم إعداد الكادر المسيحي المؤهل والذي سيقود البلاد ويسهل أعمال المؤسسات الكنسية فيما بعد . وبذلك أصبح التعليم مرتبطا ارتباطا وثيقا بالجانب المسيحي وأصبح المتعلم في « تنزانيا » هو المسيحي والجاهل هو المسلم .

ومن المعلوم أن « تنزانيا » جعلت التعليم في المرحلة الابتدائية إجباريا بينما جعلته فيما بعد هذه المرحلة يعتمد على مقدرة الشخص المالية ، إذ أن معظم المدارس الثانوية تطلب قدراً معيناً من المال ، نظراً لأن المدارس الحكومية الثانوية لا تفي إلا بحاجة عدد محدود من الطلاب ، وأن هذه المدارس تدار بواسطة لجان يسيطر عليها المسيحيون . ومن عجب أن قبول الطلاب لهذه المدارس يتم بصورة سرية تمكنهم من اختيار الطلاب الذين يريدونهم بكل حرية ، بغض النظر عن مستواهم الأكاديمي ؛ والجدول التالي يبين لنا عدد المدارس الثانوية في « تنزانيا » والجهات التابعة لها :



عدد المدارس الثانوية في « تنزانيا » والجهات التابعة لها

٨٦ مدرسة	١ - عدد المدارس الخاصة الحكومية والتي تدار بواسطة لجان يسيطر عليها المسيحيون
١٢٢ مدرسة	٢ - عدد المدارس الخاصة التي تشرف عليها الكنائس إشرافاً مباشراً وتعتبر مدارس أكاديمية
٢٢ مدرسة	٣ - عدد المدارس الخاصة التي تشرف عليها الكنائس إشرافاً مباشراً بإضافات مركزة من التعاليم النصرانية
٦ مدارس	٤ - عدد المدارس الخاصة التي يشرف عليها المجلس الإسلامي
٣ مدارس	٥ - عدد المدارس الخاصة التي تشرف عليها جمعية الطلبة المسلمين
١ مدرسة	٦ - عدد المدارس الخاصة التابعة للشريعة وتسيرها الشيعة
٢٥٠ مدرسة	المجموع

من الجدول السابق يتبين لنا بجلاء أن التعليم بعد المرحلة الابتدائية يقع بأكماله تحت سيطرة الكنائس ، بينما نجد أن المدارس التي يشرف عليها المجلس الإسلامي لا يتعدى عدد المسلمين فيها الـ ٤٠٪ في أحسن الأحوال . ومن المعلوم أن نسبة الطلبة المسلمين في المدارس الابتدائية يمثل أكثر من ٧٠٪ ، ولكن هذا العدد يقلص في المراحل العليا إلى أن يصل إلى أدنى درجاته في المراحل الجامعية المختلفة . وللتدليل على ذلك يمكننا أن نأخذ مدرسة « ماقومي » الابتدائية في « دار السلام » كمثال لنرى عدد الطلاب الذين تقدموا لامتحانات المرحلة الابتدائية ونسبة المسلمين فيهم ومجموع الطلاب المقبولين للمرحلة الثانوية في « دار السلام » في نفس السنين ونسبة المسلمين فيهم ، ليتبين لنا كيف تدار عجلة التعليم لصالح المسيحيين في ذلك البلد :



Created with

download the free trial online at nitropdf.com/professional

مثال (١) الطلبة الذين تقدموا لامتحانات مدرسة « ماقومي » الأولية
١٩٧٨ - ١٩٨٠

السنة	المسلمون	غير المسلمين	المجموع	النسبة
١٩٧٨	١٤٩	١٠٠	٢٤٩	٦٠ في المائة
١٩٧٩	١٣٤	٩٨	٢٣٢	٥٨ في المائة
١٩٨٠	١٣٩	٥٩	١٩٨	٧٠ في المائة

مثال (٢) اختيار الطلاب للدخول للمجموعة الأولى في المرحلة الثانوية
١٩٧٨ - ١٩٨٠

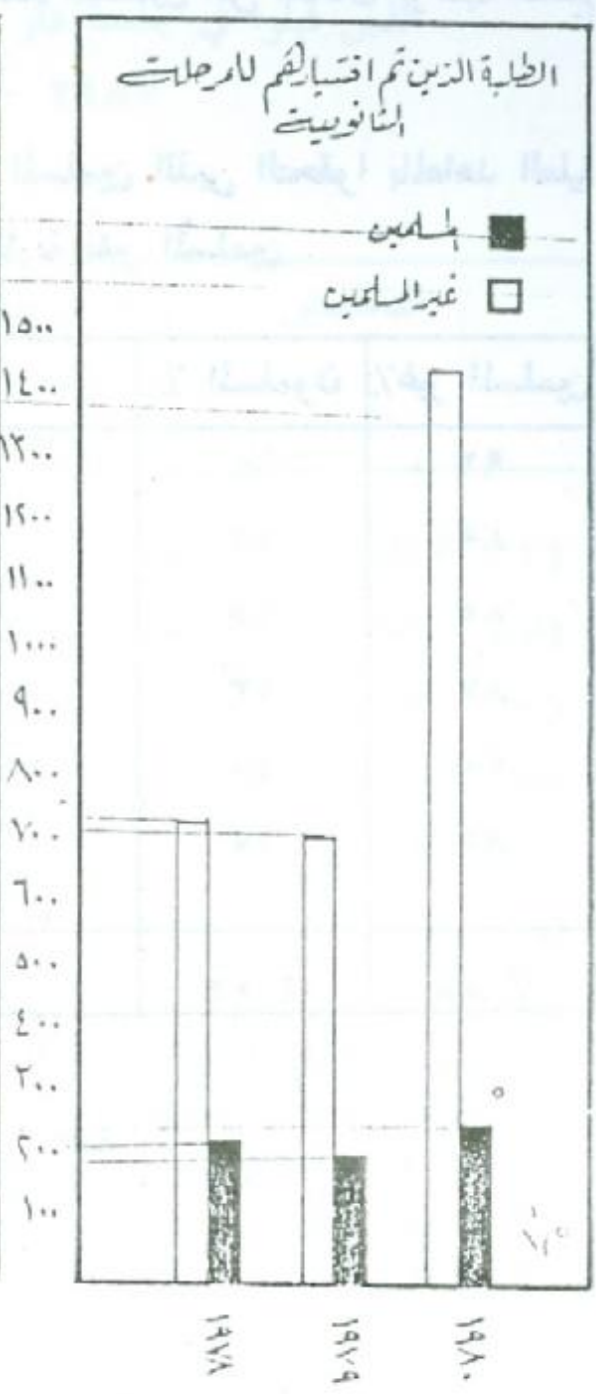
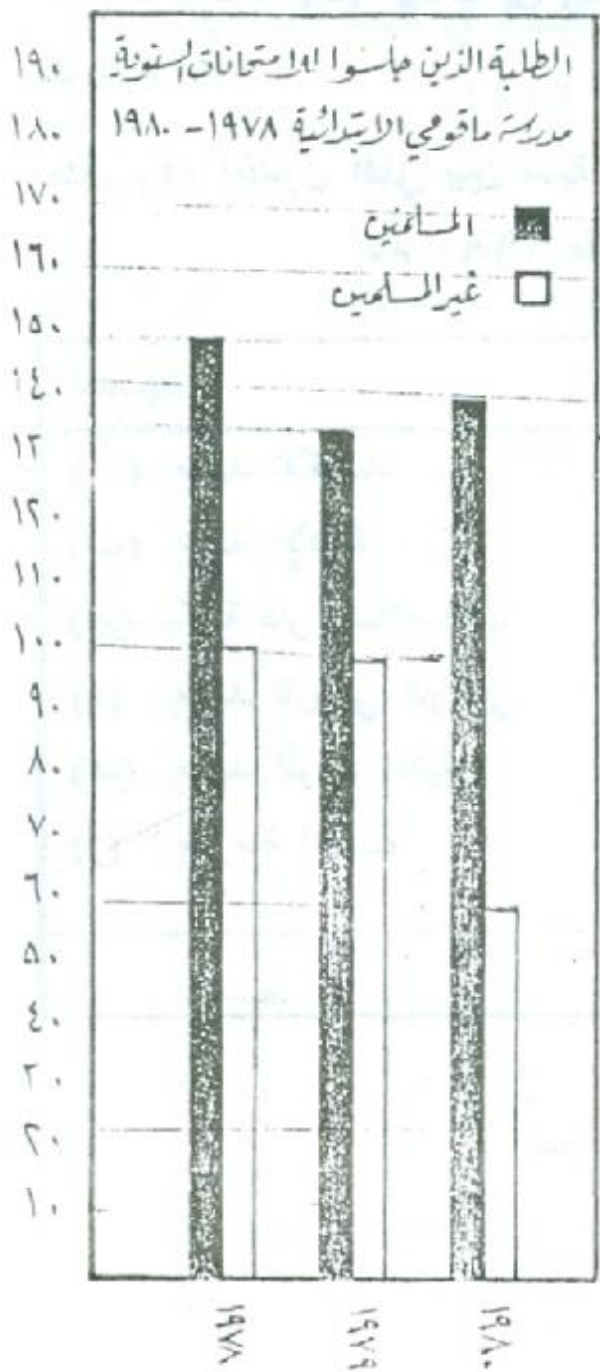
السنة	مجموع الطلاب المختارين	الطلاب المسلمون	نسبة المسلمين
١٩٧٨	٩٥٦	٢١٦	٢٣ في المائة
١٩٧٩	٩٠٣	١٩٤	٢٢ في المائة
١٩٨٠	١٧٠١	٢٤٧	٢٣ في المائة

ويقتضي نظام التعليم في « تنزانيا » الدخول للجامعة بعد المرحلة الثانوية العادية وإكمال دراسة لمدة سنتين كمرحلة انتقالية للجامعات والمعاهد العليا التي تسمى المجموعة الخامسة والسادسة . والجدول التالي يبين عدد المسلمين المختارين لهذه المرحلة ونسبتهم لغير المسلمين :

مثال (٣) النسبة المتوية للطلاب المسلمين الذين اختيروا
للالتحاق بالمجموعة الخامسة على مستوى القطر ١٩٧٨ - ١٩٨٠

السنة	% غير المسلمين	% الطلاب المسلمون
١٩٧٨	٨٨	١٢
١٩٧٩	٨٧	١٣
١٩٨٠	٨٦	١٤





وبمقارنة الجدولين (١) و(٢) بالجدول (٣) يتبين لنا بجلاء أن هناك مخططاً مدروساً ومنظماً بعناية يهدف إلى إقصاء المسلمين عن اللحاق بركب التعليم في «تنزانيا» .

مثال (٤) الجدول التالي يبين نسبة المسلمين الذين التحقوا بالمعاهد العليا عام ١٩٨٠ مقارنة بغير المسلمين

المعهد	% المسلمون	% غير المسلمين
(أ) معهد الاقتصاد	٨	٩٢
(ب) معهد الإدارة	١١	٨٩
(ج) كلية دار السلام الفنية	١٥	٨٥
(د) معهد ناروهي الزراعي	١٣	٨٧
(هـ) معهد الموارد المائية	١٠	٩٠
(ز) مدرسة المحاسبة	١٥	٨٥
المتوسط	% ١٢	% ٨٨



مثال (٥) الجدول التالي يبين لنا عدد الطلاب المسلمين
الذين قبلوا في جامعة دار السلام في السنة الدراسية
١٩٨٧ - ١٩٨٨

المجموع	عدد الطلاب غير المسلمين	عدد الطلاب المسلمين	التخصص
١٩٣	١٧١	٢٢	(١) الآداب
١٣٥	١١٢	٢٣	(ب) التربية
١٢٩	١٠٦	٢٣	(ج) الاتصالات
١٨٠	١٤٨	٣٢	(د) الهندسة الزراعية
١٣	١٠	٣	(هـ) الجيولوجيا
٦٢	٥٧	٥	(و) القانون
٣٦	٢٨	٨	(ز) العلوم
٦٨	٦١	٧	(ر) التربية / العلوم
٨١٦	٦٩٣	١٢٣	المجموع

النسبة المئوية للطلاب المسلمين المقبولين في جامعة دار السلام ٨٨/٨٧
هي ١٥,٠٦٪



مثال (٦) الجدول التالي يبين النسبة المئوية للطلاب المسلمين المقبولين في جامعة « دار السلام » في الفترة ١٩٦٩ - ١٩٨٢ . ومن الملاحظ أن النسبة تكاد تكون محصورة بين ١٧٪ - ١١٪ من جملة الطلاب . فهل يمكن أن يكون هذا الأمر صدفة وبغير هدف ، أم أن هناك تخطيطا دقيقا ومركزا يتم تنفيذه بكل دقة وإحكام ، كما سبق أن ذكرت في بداية هذا التقرير ؟

السنة	% للمسلمين	% لغير المسلمين
١٩٧٠/٦٩	١٧	٨٣
١٩٧٢/٧١	١٣	٨٧
١٩٧٣/٧٢	١٤	٨٦
١٩٧٤/٧٣	١٣	٨٧
١٩٧٦/٧٥	١٥	٨٥
١٩٧٩/٧٨	١٤	٨٦
١٩٨٠/٧٩	١٤	٨٦
١٩٨١/٨٠	١١	٨٩
١٩٨٢/٨١	١٦	٨٤



إن الإحصاءات السابقة توضح بجلاء المخطط الماكر الذي تنفذه المؤسسات الكنسية ، بمختلف اتجاهاتها ، في سبيل محاربة الإسلام والقضاء على المسلمين من خلال حرمانهم من التعليم . والجدير بالذكر أن العقبات التي تحول بين المسلمين في « تنزانيا » واللحاق بركب التعليم إضافة لما تقدم في هذا التقرير عن النشاط الكنسي تتلخص في الآتي :

- ١ - عدم توافر المدارس الثانوية الإسلامية التي يمكنهم الالتحاق بها .
- ٢ - عدم استطاعة عدد كبير منهم أن يتحملوا نفقات التعليم .
- ٣ - حرمان المسلمين من التعليم طيلة الفترة الماضية ترك اقتناعا باستحالة تعليم أبنائهم ، وبالتالي أصبح التعليم بالنسبة لهم لا يشكل أي هم من همومهم اليومية .

الحلول المقترحة

- ١ - دعم المدارس الثانوية القائمة والتي تم إنشاؤها بالدعم المحلي وبعض الدعم الخارجي .
- ٢ - لسد الثغرة على المدى القريب العاجل ينشأ مشروع لكفالة طالب للدراسة من المرحلة الثانوية إلى الجامعة .
- ٣ - إقامة عدد من المدارس الثانوية والإشراف على تسييرها .
- ٤ - دعم برامج « منظمة الدعوة الإسلامية » والخاصة بتوحيد منهجي اللغة العربية والدين الإسلامي وتدريب المعلمين المحليين ، والذي ينفذ حالياً في « زنجبار » ، ويمكن لهذا المنهج أن يعمم على جميع مدارس « تنزانيا » وكذلك على الدول الناطقة بالسواحيلية .
- ٥ - القيام بحملة واسعة النطاق لتبصير المسلمين بأمر دينهم وتبنيهم لما يحاك ضدّهم من مؤامرات ودسائس ، ويمكن أن يتم تنفيذ هذا البرنامج محلياً بالتعاون مع « اتحاد الطلبة المسلمين » وكذلك بالاستعانة بأجهزة الفيديو ، والجدير بالذكر أن « تنزانيا » لا تملك محطة تلفزيونية وبالتالي فإن الفيديو له رواج كبير في تلك البقاع .



النشاط الإذاعي

توجد عدة إذاعات موجهة لشرق « أفريقيا » وذلك لنشر الدين المسيحي .
ومن بين تلك الإذاعات إذاعة (راديو عبر العالم) ، والمحطة الرئيسية موجودة
في « سويسرا » ، والبرامج المسائية تبث على الموجات ٢٣١ و ٤١ ، متوسطة
المدى وقصيرة المدى ، وتبث البرامج الصباحية على الموجة القصيرة ٦٠ وتسمع
بوضوح في « تنزانيا » .

وفيما يلي البرنامج الأسبوعي للمحطة مع الفترة الزمنية التي يستغرقها
البرنامج :

اليوم	البرنامج	الفترة بالدقائق
الأحد	١ - دعونا نشكر الله	١٥
	٢ - أناشيد دينية	١٥
	٣ - أخبار الكنيسة	١٥
الاثنين	١ - برنامج النساء	١٥
	٢ - وجهة نظر المستمع	١٥
الثلاثاء	١ - رسالة للجميع	١٥
	٢ - أخبار جيدة	١٥
الأربعاء	١ - رسالة للجميع	١٥
	٢ - حياتنا	١٥
الجمعة	١ - تقرير الجمعة	٣٠
السبت	١ - ساعة كرنفال	١٥
	٢ - الشباب اليوم	٣٠

النشاط الاجتماعي

اهتم القساوسة الكاثوليك بالعمل عن قرب ومباشرة مع المزارعين ، وذلك حتى يتمكنوا من الاحتكاك بالعنصر المنتج والفاعل في المجتمع التنزاني بغرض التأثير على من حوله والمتعاملين معه . وقد قدموا خدمات كبيرة للمزارعين بغرض تحسين مستوى إنتاجية الطعام . وفي عام ١٩٨٢ انعقد مؤتمر عام للقساوسة الكاثوليك تحت عنوان (الكنيسة ترفع مستوى الإنسان في « تنزانيا ») وتم في هذا المؤتمر إقرار الخطة العامة المتعلقة بالتنمية والتي تم تطبيقها في الفترة ما بين ١٩٨٣ - ١٩٨٥ وبلغت ميزانيتها حوالي ٢٤٦,٢٨٧,٢٢٠ شلن تنزاني وتم تحديد مجالات العمل وأولوياته حيث كان التعليم الزراعي على رأس قائمة المشاريع التي تم تنفيذها .

الجمعيات التنصيرية

١ - بلغ عدد الهيئات الكاثوليكية العاملة في « تنزانيا » حتى عام ١٩٧٦ أربعاً وعشرين هيئة كنسية تدير ٤٥١ داراً من دور العبادة الخاصة بهم ، وعدد القساوسة العاملين مع هذه الهيئات من التنزانيين ٤٨٧ قسا ، وعدد الراهبات التنزانيات ٢٣٥٩ والأجنبيات ٥٥٠٣ (انظر الملحق رقم ١ في ملاحق الكتاب) .

٢ - الهيئات التنصيرية الأخرى بلغت حوالي عشر هيئات تدير حوالي ٢١٧٧ دار عبادة ، وعدد القساوسة العاملين في هذه الجمعيات من المواطنين ٣٨٠ ومن الأجانب ٤١ والمنصرين ٢٢٤٥ ، وعدد المستشفيات التي تملكها هذه الهيئات بلغ ١٥ مستشفى موزعة على مختلف أنحاء « تنزانيا » ، كما أن عدد العيادات والمستوصفات بلغ ٥٨ عيادة ومستوصفاً ، وهذه الجمعيات والهيئات ذات جنسيات مختلفة من « أوروبا » و« أمريكا » (انظر الملحق رقم ٢) .

ملاحق إحصائية

ملحق رقم (١) الهيكل التنظيمي الديني / عددية الرومان أو الكاثوليك

المصدر : الدليل الكاثوليكي لشرق أفريقيا ١٩٧٦/٧٠

أحيات	الراجعات محلات	عدد القساوسة أجنبية	عدد تزييون	عدد الأبرشيات	النسبة المئوية للكاثوليكين	العدد	الهيئة التبشيرية
٧١٠	١٠٤	٣٧	٤٤	٢٤	٧٧,٥	٢٩٤.١٩٠	سموانجا
٤١٠	٣١١	٥٤	٧٠	٤٢	٦٨,٣	٣.٢٢٠.٠٠٠	سوخيا
٤٠٣(٤٠٠)	٤٧٠(٥٥٧)	٣٤(١٨)	٧٢(٩٠)	٣٠(٣٣)	٥٣,٤	٥٨٩.٠٧١	سوش
١١٧	١١٩	٣٦	٢٣	٢٢	٥١,٠١	١٧٥.٤٧٩	ماهنسي
٣٠٠	٢٤٧	٥٠	٢٤	٢٨	٥٠,٠٤	٤٠٢.٥٧٦	ارنجسا
٧٣	٩٢	٣١	١٧	١٤	٤٠,٤	٢٧٤.٩١٤	رولنجسي
٢٥٠	١٦٣	١٦	٧٩	٢٠(٢١)	٤٠,٠	٥٥٠.٠٠٠	بوكوبا
٣٥١(٢٩٢)	٧٢(١٥٠)	٣٤(٣٨)	١٩(٢٦)	٢٤(٢٤)	٣٦,٠	٣١٥.١٤٩	نجومي
١٥٩	١٨٢	٣٧	٣٦	٢٩	٢٨,٥	٦٥٧.٢٢٦	مورفوروز زوزبار
٣١٢	٣٩	٢٨	٦	١٨	١٩,٠	٥٥٠.٠٠٠	موسوما
						٧٠٨.٤٢٢	نودوما
						٤٦٥.٠٨٦	كفوما
٢٤٤(١١٣)	٥٠	٣٨(٣٤)	٤(٧)	١٤	١٤,٠		موبولو
١٩٠	٤١	١٦	٨	١٥	١٣,٣		تابورا
٤٦١	١٠٨	٣٩	٣٧	٢٢(٢٣)	١٢,١	٦٥٠.٠٠٠	سينيدا
٢٤٢	١٩	١٦	٥	١١	١١,٢	٤٦٠.٠٠٠	سامي
٣٠	٢٥	١٢	٥	١١	١١,٢	١٥٠.٠٠٠	ناشيطوي
						٣٤٩.٠٠٠	موانزا
٤٣٠	٨٧	٥٢	٣٣	٢٦	١٠,٢	١.٢٧٠.٠٠٠	أرونسا
٣٠	١٣	٢١	٢	١٢(١٥)	٥,٦	٣٢٠.٠٠٠	دار السلام
٣٤	٦٥	٣٣	١٠	٢٢	٨,٩	٧٧٠.٠٠٠	ميا
٣٢٠	٤٤	٣٨	١٠	١٩	٨,١	٨٠٣.٨٨٦	موانزا
٢٢٠	٩٦	٥٥	١٨	٢٥	٧,٠	٨٠٦.٥٠٠	تاغا
١٧		٣٠	٨	١٣	٦,١	٨٥٠.٠٠٠	سمبانجا
٢٥٠	١٢	٣٠	٨	٢٠	٥,٨,٥٠	٧٤٣.٠٠٠	

Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

ملحق رقم (٣)
الأبرشيات وافشيات الكنسية : عدد المسيحيين والقساوسة وعدد المراقب الكنسية في تنزانيا

الجنسية	المسؤوليات	البيانات	المسئولين	عدد البشرون	عدد القساوسة أجانب	عدد تربويون	عدد دور المبادة	عدد المسيحيين	المقر الرئيسي	الأبرشية
ألمانيا	—	١٦	٥	١,٠٢٣	٥	١٠٤	٤٠٥	٣٣٤,٧٠٧	مدش	الأبرشية الشمالية
السويد/أمريكا	١٤	—	—	٥٩	٤	٣٠	٢٧٩	٦٤,٣٠٩	سبيجيا	الجنة الكنسية المركزية
السويد	٩	—	٢	—	٤	٦٩	٢٦٦	٩٩,١٩٧	لكوبا	الجنة الكنسية شمال غرب
النرويج	—	—	٦٦	٣	١٣	١٢	٦٠	٩,١٨٧	كهرومي	جنة موبولو
السويد/ألمانيا	١٨	—	٤	٧٨٣*	١٠	٥٦	٧٥٨	١٨٩,٤٤١	دار السلام	الجنة الجنوبية
ألمانيا	٢	—	—	٤٩	٣	٢٢	٣٦	٢٦٨,٣٥	لوروتو	جنة الساحل الشرقي
ألمانيا	—	—	٣	٥٧	٤	٣٤	٢١٧	٤٩,٤٣٨	أروشا	جنة الشمال الشرقي
ألمانيا الشرقية	—	٦	—	١٢٥	٨	٢٧	١٣٠	٣٧,٤٧٠	باري	جنة أروشا الاقليمية
لايبرج	—	٣	١	٨٤	٠	٢٦	٨٤	٤٣,٤٨٠	افاكرا	جنة الدانجا كبلد موزو

المصدر : كاتيليا ، ١٩٧٦ ، كاتيليا - تنزانيا - يرأس الابرشية في حين يكون للجنة رئيس
١ - تقوم الفشيات الكنسية بتحديد الفياكل للهيئات والأبرشيات وعلاقات بعضها ببعض .

ملحق رقم (٣) روابط الجمعيات الكاثوليكية في تنزانيا

مجموع الأعضاء المسيحين	الرئاسة	الرابطة
_____	أرنجا دار السلام مدش دار السلام	جمعية الانجيل في تنزانيا شركة شرق أفريقيا للنشر جمعية تنزانيا الوطنية (١١ فرعاً) جمعية تنزانيا الوطنية (٦ فروع)
٥٠,٠٠٠ ١,٥٠٠	موسوما دار السلام دار السلام	الأعضاء الاستشاريون : كنائس الأيام السبعة بتنزانيا اتحاد الكنائس التنزاني تجمع تنزانيا من أجل الرب كنائس أخرى غير أعضاء في الرابطة :
٣٥٠	موانزا دار السلام متوارا	بعثة أفريقيا للأراضي الداخلية البعثات المسيحية/ الجزء البريطاني البعثات المسيحية / الجزء الألماني
٧٣	موروتورو بمبا	جمعية ايليم التبشيرية كنائس الأصدقاء
١٠٨	باباي	زمالة نشر الإنجيل
٥,٠٠٠	تدكيو/دار السلام	بعثة الرابطة المقدسة
١١,٣٢٧	بوتوني	الرابطة الاجتماعية لكنائس تنجانيقا
٨,٠٠٠	دار السلام	الكنيسة الأورثوذكسية الاغريقية
	دار السلام	كنيسة يسوع بعثة الكنيسة المسيحية لشرق أفريقيا

ملحق رقم (٤)

هيئة الراهبات في تنزانيا ١٩٧٦

العدد التقريبي	الرئاسة	اسم الجمعية
٢٠٠	سبموانقا	أخوات القديسة مريم/ملكة أفريقيا
٢٨٠	تاورا	بنات العذراء مريم
٣٠	بوكوبا	أخوات سيريسيا
٢١٨	موسوما	
٢٠٠	ارنجيا	
٥٠٠	مورفورو	
٨٤	موشا	
٣٥٠	انماكرا	
٢٤	ميا	
٥١	نزامذا	
١٩٦	دودوما	
٤٣	مندش	
١٢	موش	
—	لميني	
٣	ماساس	
٣٠	بوكوبا	
—	بوكوبا	
١٥٠	لدشدتو	
٢٥٠١		المجموع

ملحق رقم (٥)
المعاهد الدينية في تنزانيا يونيو ١٩٧٥
(١٩٧٤)

الاخوة		القساوسة		الجمعيات الدينية
أجنبي	محلي	أجنبي	محلي	
—	٥٨ (٥٥)	—	٢ (٢)	بندكتيناس هانجا (تنزانيا)
(١٦) ٣٩	—	(٥٣) ٥٠	—	بندكتيناس (ألمانيا)
(٤٥) ٤٣	—	(٤٩) ٤٦	—	بندكتيناس يرامبيو (ألمانيا)
(١٤) ١٦	—	—	٢٣ (٢٢)	بندكتيناس أرمبا (ألمانيا)
—	—	(٥) ٥	—	كراميليانز (هولندا)
(٩) ١١	٣ (٣)	—	—	اخوان المعهد المسيحي (كندا)
(١٤) ١٤	—	(٦٤) ٦٣	١	كونسول (إيطاليا)
(٣١) ٣١	٢٢ (٢٣)	(٦٣) ٦٢	٢ (١)	ماهنجي (سويسرا)
(٣) ٤	—	(١٩) ١٩	—	منوبا (إيطاليا)
(٣) ٤	—	(٤٣) ٣٤	٥ (٥)	كليمنجارو (هولندا)
(١٠) ٩	—	(٢٨) ٢٦	—	موروقورو (هولندا)
—	—	(٧) ١٠	—	اكزويت (الهند)
(٢) ٤	—	(٦٠) ٦٠	—	ماريكندل (أمريكا)
(٧) ٣	—	—	—	جوند دير
(٢) ٢	(١)	(٢٤) ٢١	٤ (٤)	بالتينس (أيرلندا)
(٧) ٧	—	(٢٢) ٢٢	—	باشونيتس (إيطاليا)
(١) ١	—	(٦) ٧	—	الدم الغالي (إيطاليا)
(٣) ٢	—	(٢٨) ٢٣	—	الروزمارينت (إيطاليا)
(٩) ٨	—	(٢٢) ٢٤	—	السلفاتورين (أمريكا)
—	٤٠ (٢٢)	—	—	إخوة قلب مريم
(٣٥) ٣٧	—	(٢٦٤) ٢٦٣	—	الاخوة البيض (هولندا)
				فرنسا- بلجيكا- كندا
(٢٣٤) ٢٣٥	(١٠٤) ١٢٣	(٧٧٩) ٧٥٨	١٤ (١٢)	المجموع

Created with


download the free trial online at nitropdf.com/professional

تابع ملحق رقم (٥)
المعهد الدينية في تنزانيا يونيو ١٩٧٥
(١٩٧٤)

الاخوة		القساوسة		الجمعيات الدينية
أجنبي	محلي	أجنبي	محلي	
—	—	١	—	الجمعة السويسرية التبشيرية
—	—	(٢)	—	بعثة الجمعية الافريقية
—	—	(٣) ٢	—	أبناء عمسى
—	—	(٣) ١	—	إخوة المدارس المسيحية
(١) ١	—	—	—	الفرانسييسكين
—	—	(١) ١	—	إخوة القلب (موش)
—	(٩) ٩	—	—	اباء قيرونا
—	(٣) ٣	—	—	
—	(١١) ١٠	(١١) ٩	—	المجموع
(٢٣٥) ٢٣٦	(١١٧) ١٣٣	(٧٩٠) ٧٦٧	(١٢) ١٤	المجموع الكلى

المصدر : الهيئات الدينية - رابطة تنزانيا - دار السلام .

ملحق رقم (٦)

السنة التي أنشئت فيها	العدد	نسبة أغلبية الأعضاء	الجمعية التبشيرية
—	—	—	عبي دم المسيح
مدش (١٩٦٠)	—	انجلترا	إخوة الاعتقاد
بوفي (١٨٨٨)	٨٧	ألمانيا	إخوة لندكتاين - نادانا
—	—	ألمانيا	إخوة لندكتاين برامبو
نجدمسي (١٩٧٠)	—	إيطاليا	إخوة كالدوليس
يوكوبا (١٩٦٠)	١٣	إيطاليا	إخوة كانديسيان
موانزا (١٩٦٠)	١٢	هولندا	جمعية البر : القديس شارلس/بورميو
لهرنجا (١٩٢٢)	٨٥	إيطاليا	إخوة كونسولانا
—	—	—	بنات القديسة يدير
(١٩٢٢)	٦١	سويسرا	الهداية الالهية
—	٣	—	إخوات فالمي
مدرقورو (١٩٥٠)	—	—	فيلس دي مارس
—	—	—	الجمعية الفرنسية للمساعدة الاجتماعية
١٩٦٠	٥	سويسرا	الاخوات الفرانسيسيات/ماوا
ماوا	—	سويسرا	الاخوات الفرانسيسيات للشهيد
—	١٣	—	القديس جورج
—	٤	هولندا	الاخوات الفرانسيسيات/فيميل
مدش (١٩٥٠)	٢	هولندا	اخوات قريل/فيميل
—	—	—	اخوات الأسرة المقدسة
موشا (١٩٦٥)	—	ألمانيا	اخوات الروح القدس
موروقورو (١٩٦٢)	—	هولندا	معهد يسوع المسيح
دودوما (١٩٦٥)	١٧	ايطاليا	اخوات اقربا
—	٤	—	سيدات شويتات
موانزا/موسومو (١٩٥٩)	١٤	أمريكا	اخوات ماريكندل
ميولو (١٩٥٠)	٢٩	ايرلندا	بعثة ماري الطيبة التبشيرية
دودوما (١٩٣٥)	١١	ايطاليا	اخوات الرحمة (دودوما)

٣ - عدد المعاهد الدينية التنصيرية العاملة في « تنزانيا » بلغت في يونيو ١٩٧٥م ٢٢ معهدا ، وعدد القساوسة العاملين في هذه المعاهد من التنزانيين بلغ ١٢ قسا ومن الأجانب ٧٧٩ قسا ، ومن الإخوة ١٠٤ من التنزانيين و٢٣٤ من الأجانب (انظر الملحق رقم ٥) .

ومن كل ماسبق يتضح لنا حجم المخطط والعمل الفعلي الذي تقوم به الكنائس من مختلف جنسياتها وأقطارها ، وهي متعاونة فيما بينها رغم اختلاف معتقداتها . فهلا تحرك المسلمون تحركا واعيا لانقاذ إخوانهم المسلمين في تلك البلاد قبل فوات الأوان ؟ ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد .



انتشار الاسلام في بقية الدول الأفريقية

جزر القمر

تقع « جزر القمر » في الجنوب الشرقي من القارة الأفريقية ويبلغ عدد سكانها أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة . وقد دخلها الإسلام على أيدي التجار المسلمين القادمين من الخليج وجنوب الجزيرة العربية بحكم موقعها كمر تجاري . وقد قال عنها « ياقوت » في « معجم البلدان » (مادة سقطري) : « إنها جزيرة عظيمة كبيرة فيها عدة قرى ومدن وهي إلى « بحر العرب » أقرب من بر « الهند » والسالك إلى بلاد الزنج يمر عليها » .

ويشكل المسلمون أغلبية السكان ، واللغة العربية هي اللغة الرسمية ، أما لغتها الدارجة فهي السواحيلية .

إفريقيا الوسطى

ونظرا لموقع دولة « إفريقيا الوسطى » في قلب القارة الأفريقية ، فقد كانت ممرا للقوافل والجيوش والمسافرين من وإلى مختلف الاتجاهات في « أفريقيا » ، وبهذه الطريقة عرفت « أفريقيا الوسطى » الإسلام ودخلت فيه .

ويقدر عدد سكان « أفريقيا الوسطى » بمليون ونصف المليون نسمة ، وأغليبتهم تدين بالإسلام .

ومن أهم صادراتها الماس ، وبعض الإنتاج الزراعي كالقطن والبن والكافو ، وكانت تحت الاستعمار الفرنسي منذ العام ١٩٤٥ م ، إلى أن تحررت منه عام ١٩٦٠ م .

تشاد

وتعتبر « تشاد » دولة إسلامية لأن المسلمين يشكلون الأغلبية الساحقة من عدد السكان الذي يقارب أربعة ملايين نسمة .

وقد دخل الإسلام « تشاد » عبر عدة مسالك « كالسودان » و « ليبيا » و « النيجر » و « أفريقيا الجنوبية » التي تناخمتها من مختلف الجهات .

وعرفت « تشاد » عددا من الممالك الإسلامية التي جاهدت في سبيل نشر الإسلام فيما حولها ، إلى أن غزاها الاستعمار الفرنسي عام ١٩٠٩ م ، وفي العام ١٩٦٠ استعادت « تشاد » استقلالها لتدخل في دوامة حرب أهلية تغذيها جهات أجنبية عديدة .

والمحصول الرئيسي فيها هو القطن ، وهي بلاد فقيرة يسيطر الجفاف على مناطقها الشمالية بحكم اتصالها بالصحراء الكبرى .

النيجر

و « النيجر » بلد أفريقي إسلامي خالص ، عدد سكانها حوالي أربعة ملايين ونصف المليون نسمة جميعهم مسلمون ، وقد دخل الإسلام إليها على أيدي المغاربة في القرنين الخامس والسادس الهجريين .

والزراعة هي مهنة ٩٥٪ من السكان ، إلى جانب ثروة حيوانية كبيرة ، كما يوجد فيها كثير من المعادن كالفصدير وركائز الالغرام التي تحتوي على ٦٥٪ من التنجستين ، والحديد الذي يقدر الاحتياطي المؤكد منه بمائتي مليون طن ، كما اكتشف اليورانيوم في « النيجر » عام ١٩٦٠ م ، ويقدر احتياطيه بعشرين ألف طن .

الكاميرون

وفي « الكاميرون » التي يبلغ عدد سكانها سبعة ملايين ونصف المليون نسمة ، يشكل المسلمون حوالي ربع هذا العدد ، بينما نصف السكان وثنيون ، وقد دخلها الإسلام في القرن الثالث عشر الهجري ، وبالتحديد منذ العام ١٨٠٥م ، على أيدي أبناء شعب « الساو » الذي كانت تحكمه مملكة « برنو » ، وخلال فترة قصيرة أصبح للإسلام وجود واضح في « الكاميرون » يتمثل في كثير من المساجد ، وفي العلماء ، وفي الجهود التي بذلها أهل « الكاميرون » لنشر الإسلام فيما حولهم وخاصة في مملكة « سكوتو » المجاورة .

وقد استولى الاستعمار البرتغالي على جنوب « الكاميرون » في القرن السادس عشر الميلادي ، ثم تلاه الاستعماران الفرنسي والألماني في القرن التاسع عشر الميلادي ، وإثر الحرب العالمية الأولى تقاسمت « بريطانيا » و« فرنسا » هذا البلد الذي ظل يكافح في سبيل استقلاله عبر « اتحاد الشعب الكاميروني » ، الذي قاد كفاحاً عنيفاً ومتواصلاً إلى أن انتزعت « الكاميرون » استقلالها عام ١٩٥٧م من « فرنسا » ، ثم ضم جزء مما يسمى « الكاميرون البريطاني » ، إثر استفتاء شعبي ، إلى « الكاميرون » التي أصبحت تعرف باسم جمهورية « الكاميرون » المتحدة عام ١٩٦١م .

والزراعة هي مهنة ٨٥٪ من السكان ، أما الآخرون فهم يدو رُحّل يعنون بتربية الماشية ، وفي « الكاميرون » معدن البوكسيت ، الذي تصدر منه كميات كبيرة ، كما يوجد الذهب والقصدير بكميات قليلة .

نيجيريا

و« نيجيريا » هي أكثر دول « أفريقيا » سكانا ، حيث يتلغون أكثر من ثمانين مليون نسمة يعيشون في مساحة تقارب مليون كيلو متر مربع .



وقد دخل الإسلام « نيجيريا » ، باديء الأمر ، على أيدي المغاربة في القرن السابع الهجري ، ثم أخذ ينتشر انتشارا سريعا بين القبائل المتكلمة بلغة « الهوسا » التي أصبحت تكتب بالحروف العربية ، في القرن التاسع الهجري ، وانعكست تأثيرات الإسلام على الحياة العامة باتخاذ أنظمة قضائية ومالية قائمة على أساس الشريعة الإسلامية ..

وقامت في « نيجيريا » إذ ذاك سبع إمارات هي : « كانو » ، « رانو » ، « زاريا » ، « دورا » ، « جوير » ، « كسينا » ، « زامفارا » ، وقد أخذ كل من هذه الإمارات في نشر الإسلام في المناطق المحيطة بها .

وفي القرن الثالث عشر الهجري (أواخر القرن الثامن عشر الميلادي) قام أحد فقهاء شعب الفلاني المسلم المقيم على شاطئ نهر جامبيا ، وهو الشيخ « عثمان دان فوديو » ليعلم الجهاد في سبيل الإسلام ، وليأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويصد عدوان القبائل الوثنية ، وقد أسفر هذا الجهاد عن قيام دولة امتدت ما بين نهري « بنوي » و« النيجر » ، كان الحكم فيها إسلاميا خالصا ، فطبقت الشريعة ، وبنيت المساجد والمكتبات ودور العلم ، واستمر ذلك قرابة مائة عام اتجه انتشار الإسلام خلالها إلى المناطق الشمالية من « نيجيريا » .

والواقع أن الانتشار الواسع والسريع للإسلام في مختلف المناطق التي تتألف منها « نيجيريا » كان سمة مميزة لتاريخ الإسلام في تلك المناطق .

ويشكل الوثنيون ١٥٪ من عدد السكان ، وهم لا يزالون على فطرتهم ومعتقداتهم التقليدية ، أما الجزء الآخر فيشكل المسلمون معظمه ، حيث أن جميع المناطق الشمالية النيجيرية مسلمة ، بينما استطاع « التنصير » أن يمارس نشاطه لدى قبائل « الأيو » و« اليوروبا » ، والانتشار الإسلامي اليوم ضعيف هناك .

« ونيجيريا » هي إحدى الدول المنتجة للبتروال الذي يحقق نصف إجمالي الدخل الوطني في البلاد ، وهي ثالث دولة بتروولية في « أفريقيا » (بعد

« ليبيا » و« الجزائر » ، ولديها احتياطي من الفحم يقدر بثلاثمائة وستين مليون طن ولكنه من نوعية رديئة جداً .

ويعمل أكثر من ثمانين في المائة من السكان بالزراعة والصناعات الزراعية .

بينين

وتطل « بينين » على خليج « غينيا » بامتداد مائة وخمسة وعشرين كيلو متراً ، وكانت تسمى سابقاً « داهومي » .

وقد دخل الإسلام « بينين » على أيدي رجال القبائل المغربية القادمة من الشمال أيام « دولة المرابطين » ، وعدد سكانها اليوم ثلاثة ملايين نسمة ونيف ، أكثرتهم من الوثنيين ، بينما يتقاسم الإسلام والمسيحية نسبة ثلاثين في المائة منهم بمقادير متقاربة .

ويقوم اقتصاد « بينين » على الزراعة ، ويشكل زيت النخيل تسعين في المائة من صادرات البلاد .

وكانت « بينين » مستعمرة فرنسية ، وأعلنت استقلالها عام ١٩٦٠ م .

توغو

وتقع « توغو » على امتداد خمسة وستين كيلو متراً على خليج « غينيا » ، وعدد سكانها أكثر من مليوني نسمة .

وكان دخول الإسلام إلى « توغو » عبر الموجات الإسلامية التي امتدت إلى غربي « أفريقيا » قادمة من الشمال ، ونظراً لأن شمال « توغو » كان جزءاً من الممالك الإسلامية التي قامت في « السودان » فإن أغلبية سكان الشمال هم من المسلمين ، وبوجه عام يعتبر ثلاثة أرباع السكان من الوثنيين ، ولا توجد احصائيات دقيقة لعدد المسلمين في هذه البلاد^(١) .

(١) المراد هنا « بالسودان » هو « السودان » القديم التاريخي ، وليس « السودان » الحالي العربي

الذي عاصمته « الخرطوم » . Created with



ويقوم اقتصاد « توغو » على الزراعة ، ثم الثروة الحيوانية ، كما اكتشف فيها الفوسفات منذ زمن قصير ، وهو الآن يغطي ٤٥٪ من صادراتها ، كما يوجد فيها الحديد الخام بمقادير تقارب ألف مليون طن لم تستغل بعد .

سيراليون

و« سيراليون » هي إحدى الدول الصغيرة في غرب « أفريقيا » ، عدد سكانها حوالي ثلاثة ملايين نسمة ، وقد كانت في مراحل عديدة من تاريخها جزءا من الممالك الإسلامية التي قامت في الغرب الأفريقي ، ويتألف السكان من خمس عشرة مجموعة من الشعوب منها « الماندي » في الشمال و« التمنة » في الجنوب ، وهؤلاء جميعا مسلمون .

وقد دخلها الإسلام كباقي الأقطار الأفريقية المجاورة عن طريق الشمال وليس هناك إحصائيات دقيقة لعدد المسلمين فيها بينما يتركز المسيحيون في مدينة « فريتاون » - العاصمة - حيث يبلغ عددهم فيها أكثر من ثلاثمائة ألف نسمة .

والزراعة هي المهنة الأولى لمعظم السكان ، إلى جانب استغلال الثروة السمكية ، ويستخرج البوكسيت ، والكروم والتيانوم من مناجمها ، كما توجد فيها رواسب حديدية لا تعرف كمياتها .

ساحل العاج

وتطل « ساحل العاج » على خليج غينيا ، وعدد سكانها حوالي سبعة ملايين نسمة ، يشكل المسلمون ربعهم ، ويعتبرون أكبر مجموعة موحدة من السكان ، أما المسيحيون فتبلغ نسبتهم ١٢٪ من مجموع السكان والباقيون على وثنتيهم وتقاليدهم القديمة .

وكان شمال « ساحل العاج » جزءا من ممالك إسلامية قامت في غربي



« السودان » ، واستولى عليها الاستعمار الفرنسي في مطلع هذا القرن ، واستقلت عنه عام ١٩٦٠ م .

وكما هو الشأن في أقطار غربي « أفريقيا » ، وصل الإسلام إلى « ساحل العاج » عن طريق الموجات الإسلامية القادمة من « المغرب » و« شنقيط » (موريتانيا) .

والزراعة مهنة ٨٥٪ من السكان ، وتعتبر « ساحل العاج » ثالث دولة في العالم في إنتاج الكاكاو والخامسة في إنتاج الموز والأناناس ، وفيها رواسب معدنية هامة مثل المنجنيز والحديد والبوكسيت والنحاس والكروميت والتيانوم والقصدير والذهب والماس .

بوركينافاسو

وفي أقصى « أفريقيا » ، تقع جمهورية « فولتا العليا » « بوركينافاسو » التي تحيط بها « مالي » من الشمال والغرب ، و« بينين » من الجنوب الشرقي و« النيجر » من الشمال الشرقي و« ساحل العاج » و« توجو » و« غانا » من الجنوب .

وهي جمهورية إسلامية ، إذا أخذنا في الاعتبار أن نسبة ٦٥٪ من سكانها البالغ عددهم ستة ملايين نسمة ونيف هم من المسلمين ، أما الآخرون منهم فيتوزعون بين الوثنية ، وهم أغلبية نسبة الـ ٣٥٪ الباقية ، والمسيحية التي أخفقت البعثات التنصيرية المدعومة من الاستعمار الفرنسي في زيادة عدد معتنقيها ، في الوقت الذي يتزايد فيه عدد المسلمين بصورة مُطْرَدَة تضاعف معها خلال السنوات العشرين الفائتة .

ولقد دخل الإسلام هذه البلاد من الشمال والجنوب ، عبر الدول الإسلامية التي قامت في بلاد « المغرب » و« موريتانيا » ، وكانت جزءا من دولتين إسلاميتين كبيرتين قامتا في « مالي » و« سونغاي » .

ويشتهر أهالي « فولتا العليا » المسلمون بتمسكهم بدينهم ، وقد أنشأوا كثيرا من المساجد ودور العلم والجمعيات الإسلامية ، وإن كانوا ما زالوا في حاجة إلى كثير من الدعم والمساعدة لمقاومة البعثات الصليبية الاستعمارية ، وازدياد انتشار الإسلام بينهم .

عاصمتها « واغادوغو » ، ومساحتها (٢٧٤,٢٠٠) كيلومتر مربع ، والزراعة هي المهنة الرئيسية للسكان وأهم منتجاتها القطن والفول السوداني والذرة ، وتنشط تربية الماشية في سهولها الجنوبية التي تكثر فيها الأمطار ، بينما تكاد تنعدم في الشمال المتصل بالصحراء الكبرى .

كانت مستعمرة فرنسية ثم استقلت عام ١٩٦٠م ، وأكثر من نصف أهلها من قبائل « الموشى » الإسلامية التي يعتقد أنها نزحت من شرقي « أفريقيا » في القرن الميلادي الحادي عشر .

مالي

وإذا ذكر الإسلام في غرب « أفريقيا » كانت دولة « مالي » في مقدمة الدول الإسلامية الأفريقية التي كان لها في خدمة الإسلام والدعوة إليه تاريخ عريق ..

وليس أدل على ذلك من أن هذه البلاد كانت تعرف منذ عام ٢٨٩٣م باسم « السودان الفرنسي »^(١) ، أي منذ أن حط عليها الاستعمار أثقاله ، ولم تكد تتحرر منه في عام ١٩٥٨م حتى ألغت هذا الاسم المصطنع ، واستعادت اسمها التاريخي العريق الذي عرفت به في الماضي وهو « مالي » التي كانت مملكة إسلامية عظيمة لها صفحات مشرقات في تاريخ الإسلام في « أفريقيا » .

(١) كانت « مالي » تعرف باسم « مملكة مالي » أو « مملكة السودان » و« مملكة التكرور » في

القديم ، قبل الاستعمار الفرنسي

وتعتبر « مالي » إحدى أكبر الدول الأفريقية من حيث مساحتها التي تبلغ (١,٢٠٤,٠٢١) كيلومتر مربع، ولكن عدد سكانها لا يتجاوز ستة ملايين وثلاثمائة ألف نسمة .

تحدها شمالا « الجزائر » وغربا « موريتانيا » و« السنغال » وجنوبا « غينيا » و« سيراليون » و« ليبيريا » و« ساحل العاج » ومن الشرق « النيجر » و« فولتا العليا » ..

دخلها الإسلام في القرن الرابع الهجري ، فدخلت فيه قبائل كاملة ، استمدت من الدعوة روح الجهاد فمضت تدعو إلى سبيل الله غربا وجنوبا ، فقامت فيها دول قوية امتد نفوذها أحيانا من « وادي النيل » حتى وادي « النيجر » شرقا بغرب ، وكانت من أغنى دول « أفريقيا » لمركزها التجاري الهام ، وصلاتها الاقتصادية مع الدول الإسلامية في شرقها وشمالها ، وقد تفاوت نفوذ مملكة « مالي » على ما جاورها في أحقاب متعددة من التاريخ ، كما شابهتها في ذلك مملكة « السونغاي » التي قامت في نهاية القرن الهجري الثامن والتي قام أحد ملوكها « محمد الأول » - ويدعى باللغة المحلية « اسكيا »^(١) - بجهود موفقة في المناطق الوثنية من مملكته فنشر فيها الإسلام .

وباختصار فإن تاريخ « مالي » منذ أن دخلها الإسلام وحتى استيلاء الاستعمار الفرنسي عليها ، يمثل حقبة هامة من تاريخ الإسلام في « أفريقيا » ، تضافرت خلاله جهود ملوك المسلمين وأمرائهم في غرب « أفريقيا » وشرقها وشمالها لخدمة الإسلام ونشر الدعوة في ربوعها .

يشكل المسلمون اليوم نسبة ٨٢٪ من إجمالي عدد السكان في « مالي » ، وهناك أقلية مسيحية ، والمهنة الرئيسية هي الزراعة التي تنتشر على ضفتي نهر « النيجر » الذي يمر بها عبر ألف وخمسمائة كيلو متر ، وأهم محاصيلها القطن ، وفيها ثروة حيوانية كبيرة .

(١) « اسكيا » لقب ملوك « السونغاي » مثل لقب « كسرى » و« قيصر » .

السنغال

وفي أقصى الغرب الأفريقي ، على شواطئ « الأطلسي » ، تقوم دولة « السنغال » التي يحتفظ لها تاريخ الإسلام في « أفريقيا » بصفحات كثيرة ..

فقد دخلها الإسلام منذ القرن الأول الهجري ، عن طريق « المغرب » وملوكه ودعاته ، ثم انضمت ، عدة مرات ، إلى الدول الإسلامية التي قامت في شمالها وشرقها ، فكانت اقليما إسلاميا متميزا بسرعة استجابته للإسلام ، ثم بتحوله للجهاد في سبيله مع المجاهدين^(١) .

عدد سكانها خمسة ملايين نسمة ، أغليبتهم الساحقة من المسلمين . وقد استقلت عن « فرنسا » عام ١٩٦٠م ، والزراعة هي أساس الاقتصاد السنغالي حيث يعمل بها ثلاثة أرباع السكان ، وأهم محاصيلها الفول السوداني والذرة ، وتعتبر في مقدمة دول غرب « أفريقيا » من الناحية الصناعية فهي تنتج الصناعات الزراعية والأسمت والفوسفات والنسيج وبعض الصناعات الكيماوية .

غامبيا

ولدى جوار « السنغال » جنوبا توجد دولة « غامبيا » التي تعد بين أصغر الدول الأفريقية سواء من حيث المساحة أو عدد السكان ..

مساحتها حوالي أحد عشر ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها نصف مليون نسمة ، ٨٥٪ منهم مسلمون .

تحيط بها « السنغال » من جهاتها الشمالية والشرقية والجنوبية ، وتطل على

(١) يرى البعض أن الإسلام دخل إلى « السنغال » في نهاية القرن الثالث الهجري ، حيث كانت

« المحيط الأطلسي » ، وآخر من استعمرها هم البريطانيون (عام ١٩٢١ م) بعد أن تعاقب عليها البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون ، وقد جلا البريطانيون عنها ونالت استقلالها عام ١٩٦٣ م ، أما سبب تكالب الاستعماريين عليها فلأنهم جعلوا منها قاعدة لتجارة الرقيق ، كما اجتذبتهم مناجم الذهب فيها ، ثم اتخذ منها البريطانيون قاعدة لإزعاج الاستعمار الفرنسي في غرب « أفريقيا » في سياق الصراع التقليدي بين الاستعماريين في كل مكان .

غينيا

وفي غرب « أفريقيا » توجد « غينيا » التي تقع « السنغال » شمالها و« غينيا بيساو » شمالها الغربي و« مالي » شمالها الشرقي و« ساحل العاج » شرقها و« سيراليون » و« ليبيريا » جنوبها ، ويمتد ساحلها على « المحيط الأطلسي » ثلاثمائة كيلومتر .

أكثر من سبعين في المائة من سكانها البالغ عددهم خمسة ملايين نسمة ونيف من المسلمين ، وأكثر من تبقى من الوثنيين .

وقد دخل الإسلام « غينيا » منذ أيام الجهاد في سبيل نشر الدعوة على أيدي بعض القبائل السودانية التي أتت من الشرق والقبائل المغربية التي أتت من الشمال^(١) ؛ وهذا يفسر تنوع الأصول العرقية في « غينيا » باعتبارها معبرا اتخذه كثير من الشعوب في تحركاتهم غربا وشمالا وجنوبا .

يعمل معظم السكان في الزراعة وتربية الماشية ، وأهم منتجاتها الأرز والفواكه والبن والأناناس والموز ، ومعظم هذا الإنتاج يصدر إلى الخارج . فيها ثروات معدنية عديدة أهمها : الماس ، والبوكسيت ، والحديد ، وقد بدىء باستثمارها بعد الاستقلال ..

(١) القبائل السودانية من « السودان » الغربي القديم .

اتخذها البرتغاليون والهولنديون والفرنسيون والبريطانيون قاعدة لاختطاف الرقيق ونقله إلى القارة الأميركية ، في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم انفرد بها الفرنسيون ، مستعمرين ، إلى أن استقلت عنهم عام ١٩٥٨ م .

غينيا بيساو

وما بين « السنغال » و« غينيا » تقع « غينيا بيساو » التي لا تزيد مساحتها عن مائتين وخمسين ألف كيلومتر مربع تقريبا ، وعدد سكانها حوالي ثمانمائة ألف نسمة ، ٥٥٪ منهم مسلمون .

وقد دخلها الإسلام في نفس الحقب التاريخية التي دخل فيها دول غربي « أفريقيا » ، ثم وضع البرتغاليون أيديهم عليها زمنا طويلا ، ولم ينحسر ظلهم عنها إلا في العام ١٩٧٤ م .

اقتصادها زراعي ، أهم منتجاتها الأرز والبقول السوداني والذرة البيضاء ..

ليبيريا

وإلى جنوب « غينيا » وشرق « سيراليون » وغرب « ساحل العاج » تقع دولة « ليبيريا » التي تعتبر أقدم جمهورية مستقلة في « أفريقيا » ، فقد استقلت عام ١٨٤٧ م وتألف سكانها من الأفريقيين الذين عادوا من « أمريكا » ، وأطلقوا اسم « الحرية » على هذه البلاد ، وسموا عاصمتها « مونروفيا » على اسم الرئيس الأميركي الذي يَسَّر لهم العودة .

مساحتها (١١٢,٦٠٠) كيلومتر مربع ، وتنتج الأرز والخضار والقطن والمطاط والتبغ والبن ، ولها أسطول تجاري كبير يرفع علمها وإن كان - في الحقيقة - مملوكا لكثير من الدول الأجنبية ..

عدد سكانها ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة ، منهم نسبة ٣٠٪ من

المسلمين ، والباقيون ^{with} وثنيون ومسيحيون .

غانا

وفي الجنوب الغربي من « أفريقيا » توجد « غانا » بين « فولتا العليا » شمالاً و« ساحل العاج » غرباً و« توجو » شرقاً وخليج « غينيا » ، المطل على « الأطلسي » جنوباً .

تنتج الكاكاو الذي يشكل نصف الدخل الوطني فيها إضافة إلى خشب « الماهوجني » وفيها مناجم للذهب والماس والمنجنيز والبركسيت ، وقد اكتشف فيها البترول مؤخراً ..

وعدد سكانها تسعة ملايين ونصف المليون ، فيهم أقليات عربية وأوربية وآسيوية ، أما السكان الوطنيون ، فينحدرون من قبائل « اشانتي » ، و« فانتى » ، و« أوايوى » ، ومعظم قبيلة « اشانتي » من المسلمين الذين يشكلون نسبة ٣٠٪ من مجموع السكان .

غينيا الاستوائية

وبين « الكاميرون » شمالاً ، و« المحيط الأطلسي » غرباً و« الجابون » جنوباً وشرقاً ، تقع دولة « غينيا » الاستوائية التي تبلغ مساحتها (٢٨,٠٥١ كيلو متراً مربعاً) وعدد سكانها حوالي ثلاثمائة ألف نسمة .

كانت مستعمرة برتغالية ثم إسبانية ، وفي سنة ١٩٦٨م نالت استقلالها . حوالي ثلث سكانها مسلمون ، فقد دخلها الإسلام في القرن الثاني عشر الميلادي عن طريق الدعاة والتجار القادمين من نيجيريا ، ويلي الإسلام فيها الوثنية ثم المسيحية على المذهب الكاثوليكي . إنتاجها الأساسي هو البن والكاكاو والخشب .



الجابون

وتقع « الجابون » بين « غينيا » الاستوائية و « الكاميرون » و « الكونغو » ، وتطل على « المحيط الأطلسي » . مساحتها (٢٦٧,٦٦٧) كيلومترا مربعا ، وعدد سكانها حوالي المليون .

وقد دخلها الإسلام منذ عام ٤٩٣ هـ على أيدي « المرابطين » الذين أرسل أميرهم « يوسف بن تاشفين » الدعوة إلى هذه البلاد للدعوة إلى دين الله فلقوا استجابة سريعة .

وقد كان لجهود « عبد الله بن ياسين » وتلميذه « أبي بكر بن عمر » القائد الأول « للمرابطين » وابن عم « يوسف بن تاشفين » ، أثر ملحوظ في نشر الإسلام في « الجابون » وما يحيط بها ، حيث توغلت الدعوة في بلاد « غانا » و « النيجر » وغيرها وأنشئت المساجد والمدارس وانتشر الإسلام هناك بشكل واسع .

ولكن تجار الرقيق من المستعمرين البرتغاليين سيطروا على البلاد بوحشية وقسوة ، وساقوا من أهل « أفريقيا » الغربية الوسطى نصف مليون شخص كبلوا بالحديد ونقلوا إلى « أمريكا » لبيعوا فيها .

وفي القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي) استولى الفرنسيون على « الجابون » وضموها إلى « الكونغو » ومارسوا الأساليب الاستعمارية الصليبية المعتادة في محاربة الإسلام ، ومحاولة نشر المسيحية ، ولكن هذه المحاولات لم تثمر كثيرا لأن نسبة المسلمين اليوم في « الجابون » هي ٤٥٪ من مجموع السكان ، ويليهم المسيحيون ٣٥٪ ثم الوثنيون ٢٠٪ .

ولابد لنا من أن نسجل هنا ، أن رئيس جمهورية « الجابون » « البرت برنار بونجو » كان مسيحيا ، وفي العام ١٣٩٣ هـ ١٩٧٣ م اعتنق الإسلام بملء رغبته واختياره ، بعد أن درته ^{Created with} مستفيضة اقتنع معها أنه دين الحق ، ودخلت

معها فيه أسرته كلها ومعظم أفراد قبيلته « بونجوي » . وقد أدى الرئيس « عمر بونجو » فريضة الحج وقام بالعمرة عدة مرات وكانت له جهود مشكورة في مجال الدعوة إلى التضامن الإسلامي .

يعتبر تصدير الخشب عماد الاقتصاد في « الجابون » حيث يبلغ متوسط الانتاج مليون طن سنويا ، وفيها موارد معدنية أهمها الأورانيوم والمنجنيز والبتروال الخام والغاز الطبيعي .

و« الجابون » عضو في منظمة الدول المصدرة للبتروال (أوبك) ..

جزر غربي أفريقيا

وقبل أن نتقل إلى مناطق أخرى من « أفريقيا » ، نستعرض الوجود الإسلامي في الجزر الأفريقية المتناثرة غربي القارة .

ففي جزر « الرأس الأخضر » حوالي ستائة مسلم ..

وفي جزر « كناريا » سبعون ألف مسلم ..

وفي جزر « ماديرا » ثلاثون ألف مسلم ..

وفي جزر « أنوبون » ثلاثون ألف مسلم ..

وفي جزر « أمور » ستائة ألف مسلم ..

وفي جزر « سائومي » و« برونسيب » ستة عشر ألف مسلم ..

وفي جزر « سيشل » خمسمائة مسلم من أصل تسعة وخمسين ألف

نسمة هم عدد سكانها .

وقد دخل الإسلام إلى هذه الجزر في حقب متفاوتة ، ومن خلال انتشاره

على السواحل الأفريقية الغربية المواجهة لهذه الجزر ..

الكونغو برازافيل

وعلى أحد شواطئ نهر « الكونغو » تقع « الكونغو برازافيل » التي تبلغ



مساحتها (٣٤٢,٠٠٠) كيلومتر مربع ، وعدد سكانها مليون واربعمئة ألف نسمة تقريبا .

كانت مستعمرة برتغالية في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي ، ثم استولى عليها الفرنسيون في القرن التاسع عشر ، ونالت استقلالها عام ١٩٦٠ م .. وهي دولة فقيرة تنتج الموز والبن والكافور والفول السوداني وقصب السكر والتبغ ..

عدد المسلمين فيها حوالي سبعين ألفا ولكن لهم نشاطا ملحوظا في خدمة دين الله ، وفيها عدد من المدارس الإسلامية منها : « مدرسة المركز الإسلامي » ، « مدرسة الهلال » ، « المدرسة الإسلامية الكونغولية » ..

زائير

وفي شرق « الكونغو برازافيل » وشمالها وجنوبها تقوم دولة « زائير » التي تعتبر أكبر الأقطار الأفريقية بعد « السودان » ، فمساحتها (٢,٣٤٥,٤٠٩) كيلومترات مربعة ، وعدد سكانها حوالي ستة وعشرين مليون نسمة ، يشكل المسلمون منهم نسبة ١٠٪ أي أن عددهم يناهز مليونين وستمئة ألف نسمة .

ويقوم الاقتصاد الزائيري على دعامين : الأولى هي الزراعة التي يعمل فيها ثلاثة أرباع السكان فينتجون الكافور والبن والمطاط والقطن والسكر وزيت جوز الهند والشاي والموز وخشب الأبنوس الذي يوجد في مساحات شاسعة ، أما الدعامة الثانية فهي المعادن التي يصدر كل إنتاجها منها للخارج وأهمها : النحاس والزنك والذهب والكوبالت والماس .

دخل الإسلام « زائير » منذ مائة عام ونيف عبر تجار من « نيجيريا » و« مالي » و« السنغال » و« غينيا » ، وكذلك عن طريق « زنجبار » التي امتد نفوذها داخل « أفريقيا » ، وساهم المصريون أيضا في دخول الإسلام إلى « زائير » عن طريق « بحر الغزال » .



وإلى أقل من ثمانين سنة خلت قام حكم إسلامي في شرق «زائير» من أشهر رجاله الأمير «حامد المرجبي» ، ثم تكالبت عليه القوى الاستعمارية البريطانية والبلجيكية حتى أخرجته إلى «زنجبار» حيث مات فيها ، وشدد البلجيكيون الضغط على «زائير» حتى بسطوا سلطانهم عليها فأصبحت تعرف باسم «الكونغو البلجيكي» .

وحين قاوم المسلمون هذا الاستعمار قابله البلجيكيون بقسوة متناهية ، فقتلوا آلاف من المسلمين ، وهدموا مدارسهم ومساجدهم ، وقضوا على إماراتهم التي كانت في بعض المناطق ، وظل البلجيكيون يقاومون الإسلام والمسلمين في «زائير» حتى آخر يوم لهم فيها ، في الوقت الذي دعموا فيه البعثات «التنصيرية» وقد آتت هذه السياسة الصليبية نتائجها إلى اليوم ، وبعد أن استقل «الكونغو البلجيكي» وأصبح يعرف باسم «زائير» ، لم تنته الحملات على المسلمين ، ومحاولة تشويه صورتهم وتاريخهم وواقعهم ، حيث لا تزال مدرجة في مناهج المدارس ، ولكن هذا لم يمنع المسلمين من المقاومة حتى اضطرت حكومة «زائير» للاعتراف بالدين الإسلامي رسمياً . وإن عمدت في الوقت نفسه إلى إبعاد المسلمين من أهالي «مالي» و«نيجيريا» و«السنغال» الذين كانوا يقيمون هناك ، رغبة في تقليل عدد المسلمين وإضعاف شوكتهم .

رغم ذلك كله ، فللمسلمين في «زائير» وجود واضح يتمثل في الشرق والشمال الشرقي وإقليم «شابا» المسلم بكامله ، وهم كلية إسلامية وجمعيات إسلامية ، وهم يبذلون ما وسعهم الجهد لمقاومة الحملات الصليبية التي يدل عليها وجود أكثر من خمسة عشر ألف قسيس في مدينة «كينشاسا» عاصمة «زائير» .. فتأمل ! ..

رواندا

وفي « أفريقيا » الاستوائية تقوم دولة « رواندا » التي لا تزيد مساحتها عن سبعة وعشرين ألف كيلومتر مربع تقريبا ، وعدد سكانها خمسة ملايين ونصف المليون ، يشكل المسلمون نسبة ٦٪ منهم ، أي حوالي ربع مليون نسمة .. اقتصادها زراعي ، تنتج البن والقطن والتبغ ، وفيها مناجم للذهب والحديد ، وتعتبر من أكثر أقطار « أفريقيا » كثافة سكانية بسبب ضيق مساحتها .

دخلها الإسلام بواسطة التجار المسلمين وخاصة العمانيين ، كما ساهم دعاة من « السنغال » و « مالي » و « غينيا » في نشر الإسلام فيها ، ولكن الاستعمار الألماني الذي سيطر على « رواندا » مدة عشرين سنة قاومهم بعنف ، وحين تلاه الاستعمار البلجيكي لم يكن أقل عنفا من سلفه ، ولكن المسلمين قاوموا - وما زالوا - وأنشأوا عدة مساجد ، وأقاموا أحياء إسلامية خالصة ، وخاصة في مدينة « رواماكانا » القريبة من العاصمة « كيجالي » ..

بوروندي

وفي جنوب « رواندا » ، « بأفريقيا » الاستوائية ، تقوم دولة « بوروندي » التي تماثل « رواندا » في المساحة ، وتقل عنها في عدد السكان (٣,٩٠٠,٠٠٠) نسمة ، ومن هؤلاء نسبة ٢٥٪ من المسلمين ، بينما يشكل المسيحيون نسبة ٦٥٪ .

تنتج « بوروندي » البن والقطن والموز والبطاطا والفاصوليا ، وفيها النحاس والقصدير والذهب والرصاص .

وقد دخل الإسلام هذه البلاد عن طريق المواقع الإسلامية التي كانت قائمة في المناطق الأفريقية الشمالية ، ونشب صراع متصل بينهم وبين الغزاة

البرتغاليين الذين لم يلبثوا هناك طويلا ، وإن ظلت المطامع الاستعمارية على حالها ، إلى أن عقد مؤتمر برلين ١٨٨٥م حيث اتفقت كل من « فرنسا » و« إنجلترا » و« إيطاليا » و« ألمانيا » على اقتسام شرقي « أفريقيا » ، فكانت « رواندا » و« بوروندي » من نصيب الاستعمار الألماني .

وكما هو الشأن دائما ، شدد المستعمرون الألمان النكير على المسلمين في « بوروندي » وعملوا بشتى الوسائل على قطع اتصالهم بالمسلمين في المناطق المجاورة .

وحين آلت « بوروندي » إلى « بلجيكا » ، إثر هزيمة « ألمانيا » في الحرب العالمية الأولى ، كانت أشد نكيرا على المسلمين من « ألمانيا » لدرجة أنها منعت المسلمين من الإقامة في مناطق واحدة ، رغبة في تشتيت شملهم ، ومنعهم من إقامة المساجد والمدارس ، وتوسعت في إنشاء المدارس « التنصيرية » التي رفض المسلمون - بطبيعة الحال - إرسال أبنائهم إليها ، مما فرض عليهم الجهل والامية ، وأنشأ المسلمون جمعية إسلامية رغم رفض السلطة الاستعمارية البلجيكية الترخيص لها ، وبدأوا في بناء المساجد متحدين مستعمرهم الذين تغاضبوا عن ذلك مكرهين ولكنهم ظلوا يشددون الخناق على المسلمين بشتى السبل ..

وفي العام ١٩٦٢م استقلت « بوروندي » ، وكانت بادىء الأمر ملكية ثم تحولت إلى جمهورية عام ١٩٦٦م ، فاعترف النظام منذ ذلك الحين بالدين الإسلامي والمسلمين الـ « بوروندي » ين ، فنشطوا في إقامة المساجد ، رغم فقرهم ، في الوقت الذي كانت تنشط فيه البعثات التنصيرية المدعومة من دول أوربية عديدة في بناء الكنائس والمدارس والمستشفيات ..

وهناك قصة ، ذات مغزى ، تروى عن مدرسة « الجمعية العربية الإسلامية » .. فلقد اختلف - ضع خطا أحمر عريضا تحت كلمة « اختلف » - أعضاء الهيئة المشرفة على هذه المدرسة ، فوضعت الحكومة يدها

عليها ، وباتت تعين المدرء والمدرسين ، فعينت مديراً مسيحياً للمدرسة الإسلامية ، وأضافت عدداً من المدرسات المسيحيات للمدرسة الإسلامية نفسها ، وأبدل اسمها إلى « المدرسة الحكومية » بعد أن كان اسمها - للتذكير - المدرسة الإسلامية ..

على أية حال ، فالمسلمون في « بوروندي » يكافحون من أجل الدفاع عن دينهم ووجودهم ، ولكن الضغط الواقع عليهم كبير لا سيما إذا علمنا أن المقدرات الاقتصادية والتعليمية والثقافية هي في أيدي غير المسلمين .

أوغندا

وتحاذي « أوغندا » بحدودها الشمالية جمهورية « السودان » ، ومساحتها (٢٣٦,٨٦١) كيلومتراً مربعاً ، وعدد سكانها أحد عشر مليون نسمة ، منهم نسبة ٤٠٪ من المسلمين أي ما يزيد عن أربعة ملايين نسمة ، ويتقاسم الوثنيون والمسيحيون نسبة ٣٠٪ من السكان لكل منهما ..

تعتبر « أوغندا » خامس دولة في العالم في إنتاج البن ويليه القطن وقصب السكر والشاي ، وفيها مناجم للنحاس والقصدير ومصانع للأسمنت .

دخل الإسلام « أوغندا » على أيدي الـ « مصر » بين عام (١٨٦٤ م) ، حين أرسل « الخديوي إسماعيل باشا » بعثة عسكرية لاكتشاف منابع نهر النيل ، وكان لوجود هذه البعثة في « أوغندا » أثره في بدء انتشار الإسلام فيها ، ثم أرسل « إسماعيل باشا » بعثة للدعوة الإسلامية هناك فلقبت ترحيباً عظيماً وتكاثر عدد المسلمين لدرجة أن ملك قبائل « أورنيون » - واسمه « كباريجا » - رفع العلم المصري ، كما رحب ملوك القبائل الأخرى بالمبعوثين « القادمين من الشمال » وطلبوا من الخديوي المصري أن يسطر رعايته على « أوغندا » وأن يرسل إليهم عدداً من علماء المسلمين لتبصير الأوغنديين المسلمين بدينهم الجديد وإدخال الآخرين فيه .



وقد لبي « الخديوي إسماعيل » الطلب ، وبعث بعدد من العلماء الذين كانت لجهودهم آثار طيبة ، ولأسباب سياسية تتعلق برغبة « إسماعيل باشا » في موازنة النفوذ الفرنسي بالنفوذ الإنجليزي على أثر افتتاح « قناة السويس » - ولم يكن الإنجليز قد احتلوا « مصر » بعد - بعث « إسماعيل » ضابطا إنجليزيا يدعى « بيكر » لاستكمال أسباب بسط النفوذ المصري على « أوغندا » ، بناء على طلب أهلها ، ولكن « بيكر » - ومن بعده « جوردون باشا » - عملا لحساب دولتهما ، فأطلق « بيكر » على « أوغندا » اسم « المديرية الاستوائية » ، وهو إجراء شكلي هدفه عدم إثارة انتباه « إسماعيل » ، في الوقت الذي عمل فيه « بيكر » و« جوردون » على منع وصول النفوذ المصري ، وفي الحقيقة : الدين الإسلامي ، إلى تلك البقاع ، لدرجة أن « جوردون » أرسل بعثة مسيحية إلى أحد ملوك القبائل الأوغندية ، ويدعى « موتيسا » ، لإقناعه بالارتداد عن الإسلام واعتماد النصرانية ..

ورغم الجهود الاستعمارية المستميتة ، انتشر الإسلام في « أوغندا » انتشارا كبيرا ، لا سيما بعد أن استقر كثير من الجنود الـ « مصر » بين فيها ، وتزوجوا أوغنديات ، ولا يزال كثير من الأوغنديين المسلمين يفاخرون ، اليوم ، بأنهم ينحدرون من أصلاب جند « إسماعيل باشا » ..

وبعد أن احتل الإنجليز « مصر » عام ١٨٨٢م ، ووقوع ثورة « السودان » المعروفة التي قام بها « المهدي » ، أعلنت « بريطانيا » ضم « أوغندا » إلى « ممتلكات التاج البريطاني » ، وأتت بعشرات من البعثات « التنصيرية » الكاثوليكية والبروتستانتية لمحاولة نشر المسيحية في « أوغندا » ومقاومة الإسلام ، وجرت مناورات ومؤامرات كثيرة لإقامة الحوائل ما بين « أوغندا » والأقطار الإسلامية المجاورة ، لا يتسع لها المجال هنا ، ولكن المسلمين الهنود الذين وفدوا إلى « أوغندا » ، إضافة إلى الجنود المصريين والتجار والعمال القادمين من بلاد إسلامية عديدة ، قاوموا الحملات الصليبية بقوة ، فزاد انتشار الإسلام حتى أن أهالي شمال أوغندا « كلهم » ، تقريبا ، قد دخلوا في الإسلام

دفعة واحدة ..

واليوم ، يشكل المسلمون أغلبية السكان بالنسبة لكل من الوثنية والمسيحية على حدة ، ولهم مدارسهم ومساجدهم وجمعياتهم ..

والحديث عن انتشار الإسلام في « أوغندا » بالذات ، بسرعة مذهشة ، حديث طويل وفيه كثير من المفاجئ والإيجابيات ، وما زال المجال متاحا لمزيد من الإنجازات في هذا الشأن ، لا سيما بعد أن استقلت « أوغندا » عام ١٩٦٠ م .

الصومال

وفي شرقي « أفريقيا » ، على طرف القرن الأفريقي المطل على « المحيط الهندي » تقع دولة « الصومال » المتاخمة « للحبشة » و « كينيا » ..

مساحتها (٦٣٧,٦٦٠) كيلومتر مربع ، وسكانها ثلاثة ملايين ونصف المليون نسمة جميعهم مسلمون ..

وهي عضو في جامعة الدول العربية ، واستقلت عام ١٩٦٠ م بعد أن كانت مقسمة بين ثلاث دول استعمارية هي : « بريطانيا » و « إيطاليا » و « فرنسا » ، وبعد أن ترك الانجليز - كالعادة - مشكلة إقليم « أوجادين » الصومالي الذي تسيطر عليه « الحبشة » ، والذي كان ولا يزال سببا في كثير من الاضطرابات والنزاعات بين الدولتين ، أما « فرنسا » فقد جلت عن « الصومال الفرنسي » الذي أصبح دولة قائمة بذاتها هي « جيبوتي » .

والاقتصاد « الصومالي » يعتمد على الزراعة بشكل رئيسي ، ثم على تربية المواشي . وأهم الصادرات الموز والجلود والملح والقطن ، والصوف ، وفيها ثروات معدنية قليلة أهمها الأورانيوم .

لقد كان انتشار الإسلام في « الصومال » نتيجة لانتشاره السريع والمبكر

في شرق القارة الأفريقية ، وهذا - كما هو معلوم - راجع إلى الصلات التقليدية العريقة بين « شبه الجزيرة العربية » وشرق « أفريقيا » ، وقد كان للصوماليين دور مرموق في نشر الإسلام في « الحبشة » ، إضافة إلى ما قام به الدعاة والتجار ، كما شهدت « الصومال » هجرات عديدة متوالية من مختلف أنحاء شبه الجزيرة بحيث يعود معظم السكان إلى أصول عربية ، كانت السبب في انتساب هذه الدولة الإسلامية إلى « الجامعة العربية » .

وقامت في « الصومال » ، على امتداد تاريخها الإسلامي ، دول وإمارات عديدة أخذت على عاتقها الجهاد في سبيل دين الله ، فأوصلت هذا الدين إلى ما جاورها من المناطق ، وخاصة على الشريط الساحلي الشرقي « لأفريقيا » ، وفيها ظهر المجاهد الكبير « أحمد بن إبراهيم » ، الملقب « بالأشول » ، الذي اجتاح مساحات شاسعة من « الحبشة » وظل يجاهد طوال خمسة عشر عاما ، وقد ترك هذا الجهاد آثاره إلى اليوم فيما نراه من انتشار كثيف للإسلام في « الحبشة » .

ولعل من الطريف أن نشير ، بهذه المناسبة ، إلى أن البرتغاليين الذين نزلوا في الشاطئ الأفريقي الشرقي عبروا عن دهشتهم حينما رأوا الناس في هذه البقعة من « أفريقيا » يعيشون كما يعيش الناس في « المغرب » الأقصى . ومعنى هذا الكلام أن الطابع الإسلامي قد أعطى سماته المميزة للمسلمين ، سواء كانوا في الشمال أو في الجنوب الشرقي ، وهذا القول ينسحب - بطبيعة الحال - على أي بلد إسلامي في أي مكان من الدنيا .

جيبوتي

أما دولة « جيبوتي » ، وهي أيضا عضو في « جامعة الدول العربية » ، فهي الإقليم « الصومالي الشمالي » الذي يعرف باسم « عفاروعيسى » وتقع على الخليج الذي يصل مضيق « باب المندب » بـ « عدن » ..

مساحتها (٢٢,٠٠٠) كيلومتر مربع ، وعدد سكانها مائة وخمسة وعشرون ألف نسمة ، وقد حصلت على استقلالها عام ١٩٧٧م ، وكانت قبلا تحت الاستعمار الفرنسي .

وأغلب سكانها من البدو ، وصادراتها الرئيسية هي الجلود ..
وتاريخ الإسلام فيها ، وانتشاره في هذه البقعة من « أفريقيا » ، هو نفسه كما عرضناه عند الإشارة إلى « الصومال » ..

كينيا

وما بين « الصومال » شمالا و« تنزانيا » جنوبا ، توجد « كينيا » مطلة على « المحيط الهندي » عبر مساحة (٥٢٨,٦٠٠) كيلومتر مربع ..
عدد سكانها (١٣,٨٠٠,٠٠٠) نسمة ، نسبة المسلمين فيهم ٣٥٪ ، أي ما يعادل (٤,٨٣٠,٠٠٠) نسمة ، وهناك من يقول أن نسبة المسلمين هي ٥٧٪ أي ما يعادل (٧,٨٦٦,٠٠٠) نسمة ، وفي جميع الأحوال فإن المسلمين هم الأغلبية الساحقة بين أتباع الديانات السماوية في « كينيا » ، فالكاثوليك يقدر عددهم بمليون نسمة والبروتستانت ستائة ألف ، والانجليكانيون ستون ألفا ، وهناك عدد ضئيل من أتباع « الكويكرز » ، أما باقي السكان فهم ما يزالون على الوثنية ..

الزراعة هي عماد الاقتصاد الكيني ، فهي تنتج القمح والذرة والبن وقصب السكر وجوز الهند ، والشاي ، وفيها ثروة خشبية ، وأخرى معدنية (الفضة والذهب والنحاس) .

ووفقا لما سبقت الإشارة إليه حول انتشار الإسلام على الساحل الأفريقي الشرقي فإن الإسلام قد دخلها عبر الدعاة والتجار والمهاجرين القادمين من « شبه الجزيرة العربية » والأقطار الأفريقية المجاورة ، ولذا فإن معظم سكان المناطق الساحلية هم من المسلمين ، بينما يقل عددهم كلما توغلنا في الداخل ..



وللمسلمين في « كينيا » وجود قوي وواضح ، ولهم أكثر من سبعين جمعية إسلامية لمختلف الأغراض يضمها « المجلس الأعلى لمسلمي « كينيا » » ، ومحاكم إسلامية للأحوال الشخصية يرأسها قضاة مسلمون .

ولا بد من الإشارة إلى أن المسلمين هناك يعملون بوسائلهم الخاصة ، وهي محدودة ، في الوقت الذي تتلقى فيه البعثات « التبشيرية » الأموال من الدول الغربية مما يجعلها تتوسع في إنشاء المدارس والمستشفيات .

ولقد بدأت تظهر في « كينيا » ظواهر تدعو للتقدير من حيث اتجاه الجمعيات والجاليات الإسلامية إلى توحيد جهودها ، ولكن الطريق ما زال طويلاً ..

توجد في « كينيا » أعداد من القاديانيين والبهائيين الذين يتلقون الدعم من الصليبيين واليهود على السواء ، لدرجة أنهم أنشأوا ما يسمى « الجمعية الأفريقية الإسلامية اليهودية » في مدينة « ممباسا » ، والاسم وحده يوحي بمضمون وأهداف هذه الجمعية العجيبة ..

أنجولا

وفي « أنجولا » المطلة على شاطئ « الأطلسي » الجنوبي يعيش مائة ألف مسلم تقريباً من أصل السكان البالغ عددهم (٥,٦٧٠,٠٠٠) نسمة والذين يعيشون على أرض مساحتها (١,٢٤٦,٧٠٠) كيلومتر مربع ..

ومع أن « أنجولا » غنية بالمعادن ، وأهمها البترول والحديد الخام والماس ، وأن إنتاجها الزراعي يتمثل في البن والذرة وقصب السكر والقطن ، فإنها لا تزال تعيش ، في بعض مناطقها ، حالة مروعة من التخلف حيث لا تزال قبائل عديدة مثل « أوفيم بوندو » و« بوشمان » تتخذ من الأقواس والسهام وسيلة لاصطياد ما تقتات به .

ونظراً لوجود أعداد كبيرة من الأوربيين ، بسبب اعتدال المناخ في



المرتفعات الساحلية ، فإن هناك مسيحيين أكثر من المسلمين في «أنجولا» ، وإن كانوا جميعاً أقل من الوثنيين الذين يشكلون الغالبية الساحقة ..

وقد بقيت «أنجولا» ، إلى وقت قريب ، قاعدة للتسلل السوفيتي في القارة الأفريقية ، وكان فيها قوات مسلحة كوية ساعدت على قيام النظام اليساري المتطرف فيها . وقد بدأ هذا المد بالانحسار بعد قيام البرسترويكا السوفياتية وبعد استقلال ناميبيا ، وانسحاب القوات الكوبية من «أنجولا» .

زامبيا

وفي «زامبيا» يعيش مائة وعشرون ألف مسلم من أصل (٥,١٤٠,٠٠٠) نسمة هم مجموع شعبها ..

و«زامبيا» كانت تعرف سابقاً باسم «روديسيا الشمالية» وهي بلد ذات سهول فسيحة ، يعتمد اقتصادها على التعدين (النحاس ، الرصاص ، الكوبالت ، الفحم الحجري ، الفضة ، الزنك) إضافة إلى الزراعة التي تنتج منها الفول السوداني والذرة والخضار والفواكه .

ومعظم شعب «زامبيا» ما يزال على وثنيته ، ويتألف من سبعين قبيلة ، والمسلمون الذين يعيشون فيها نزحوا إليها من بعض الأقطار المجاورة ومن «باكستان» و«الهند» ، ولهم - على قلتهم - عدة جمعيات ، إحداها «جمعية النساء المسلمات» ، وبعض الكتاتيب التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية ، وفيها مسجدان أحدهما للمسلمين القادمين من شبه الجزيرة الهندية ، وآخر للأفريقيين ، مما يطرح تساؤلاً له أهميته : لم لا يكون المسجدان للمسلمين جميعاً في «زامبيا» ؟ ..

إنها حالة تعتبر - في نظري - غير طبيعية ، وغير معقولة ، ولها ما يشبهها في كثير من أقطار «أفريقيا» المسلمة ..



مالاوي

« مالاوي » هي إحدى دول « أفريقيا » الصغيرة التي يوجد فيها عدد كبير من المسلمين ..

كانت تدعى ، أيام الاستعمار البريطاني « نياسا لاند » - نسبة إلى بحيرة « نياسا » التي يبلغ طولها ٥٨٠ كيلومترا على امتداد حدودها الشرقية ..

مساحتها (١١٨,٤٨٤) كيلومترا مربعا ، وعدد سكانها (٥,٣١٠,٠٠٠) نسمة ، واقتصادها يقوم على إنتاج وتصدير الشاي والبقول السوداني والتبغ ..

عدد المسلمين فيها (١,٧٥٠,٠٠٠) ، أي ما يعادل نسبة ٣٥٪ من مجموع السكان ، وأكثرية النسبة الأخرى من السكان ما تزال على وثنياتها ، وأكبرها قبيلة « تومبوكا » التي تقوم في الشمال ..

وقد دخل الإسلام « مالاوي » بواسطة الدعاة والتجار الذين قدموا إليها من « تنزانيا » ، بوجه خاص ، في القرن الهجري الرابع ، ثم من « عمان » أيام السيطرة العمانية على بعض سواحل « أفريقيا » الشرقية في أواسط القرن الهجري الثالث عشر .

استعمرها البرتغاليون ، ثم الانجليز عام (١٨٥٩ م) الذين دخلوا في معارك دامية مع المسلمين استمرت أكثر من عامين ، طبق الانجليز بعدها سياسة العنف والاضطهاد ضد المسلمين التي استمرت طوال وجودهم في البلاد وحتى استقلت عام (١٩٦٣ م) .

موزامبيق

وتتد « موزامبيق » على مساحة (٦٨٤,٩٦١) كيلومترا مربعا ، جنوبي بحيرة « نياسا » وعدد سكانها عشرة ملايين نسمة ، منهم ٢٥٪ مسلمون ، أي ما يعادل مليونين ونصف المليون ..



كانت تسمى « أفريقيا » الشرقية البرتغالية « إثر استيلاء البرتغاليين عليها في أواخر القرن الميلادي الخامس عشر ، ولم يخرجوا منها إلا عام ١٩٧٥ م ، إثر اضطرابات عنيفة ، استمرت سنوات عديدة .

سبعون في المائة من السكان يعملون في الزراعة ، حيث ينتجون الذرة وجوز الهند والشاي وقصب السكر ..

وللمسلمين في « موزامبيق » تاريخ عريق ، منذ وصول الدعاة والتجار والنازحين المسلمين من مناطق أفريقية أخرى منذ القرن الهجري الرابع ، فأسسوا مدينة « سفالة » - التي ذكرها « ابن بطوطة » - وكثيرا من المساجد والمدارس ، وكانت المناطق الإسلامية من « موزامبيق » تابعة ، ذلك الحين ، لـ « مملكة الزنج » التي كانت عاصمتها « كلوة » وكان لها جهاد طويل في نشر الإسلام في ذلك القطاع من « أفريقيا » ..

كذلك كانت « موزامبيق » هي المعبر الذي دخل منه الإسلام إلى « مالاوي » ، ويعترف الغربيون بأن الإسلام قد انتشر بسرعة كبيرة في « موزامبيق » مع بدايات القرن الميلادي الحالي رغم المقاومة العنيفة التي أبداه المستعمرون البرتغاليون .

حال المسلمين في « موزامبيق » لا تدعو إلى الارتياح ، فإن سنوات الاستعمار الصليبي الطويلة قد أحدثت أثرها في تفشي الجهل والفقر بينهم ، لدرجة أنه لا توجد لهم جمعيات أو مؤسسات إسلامية ذات شأن .

مدغشقر

وتعتبر « مدغشقر » خامس جزيرة في العالم من حيث مساحتها البالغة (٥٩٤,١٨٠) كيلومترا مربعا ، ويفصلها مضيق « موزامبيق » عن الساحل الأفريقي ..

وتعرف « مدغشقر » أيضا ، باسم « مالاياش » نسبة إلى كبرى قبائلها



التي تحمل هذا الاسم ..

يقوم اقتصادها على إنتاج الأرز ، الغذاء الرئيسي للسكان ، ثم البن وقصب السكر والفول السوداني والموز ، وفيها مناجم للذهب والنحاس والرصاص والنيكل والفوسفات ..

عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، منهم أكثر من مليونين من المسلمين ، فهم يزيدون قليلا عن عدد المسيحيين ، ويشكلون جميعا نصف عدد السكان ، والآخرون لا يزالون على الوثنية ..

وقد دخلها الإسلام قبيل القرن الهجري السابع ، عن طريق المسلمين القادمين إليها من « جزر القمر » ، دعاة وتجارا ، فأسلمت قبيلة « الهوفا » الحاكمة ، بأكملها ، وذكر الرحالة الإيطالي « ماركو بولو » أنه وجد أن حكام الجزيرة جميعا ، وهم أربعة ، من المسلمين ، وأن اللغة العربية هي السائدة فيها ..

وفي أوائل القرن الميلادي السادس عشر حاول البرتغاليون الاستيلاء على الجزيرة ، ولكن المسلمين قاوموهم مقاومة عنيفة ، فكررُوا المحاولة مرة أخرى ، ولجأوا إلى الخديعة والغدر إلى أن تمكنوا من احتلال الجزيرة وبدأوا يطبقون فيها الوسائل الاستعمارية المعروفة في اضطهاد المسلمين ومقاومة انتشار الإسلام ، حتى ضعفت شوكة المسلمين واضطربت عقيدتهم لدرجة أن بعضهم كان يدرج تارة مع النصارى وأخرى مع الوثنيين ، وانحدر حال اللغة العربية مع انحدار حال الإسلام هناك . وعملت بعثات النصارى على تنصير عدد كبير من المسلمين مستغلة عوامل الجوع والفقر والحاجة .. وعدم التعليم .

وخلف الفرنسيون البرتغاليين في استعمار الجزيرة ، عام ١٨٨١م ، وشرعوا في تطبيق وسائلهم المعروفة في اضطهاد المسلمين ومحاربة اللغة العربية ، حتى أن المسلمين قاموا بعدة ثورات ، أكبرها عام ١٩٤٨م ، ورغم هذا كله فاللغة العربية لا تزال تستخدم في « مدغشقر » ، ولا يزيد عدد الذين يتكلمون



الفرنسية عن ٢٠٪ من السكان ، واللغة المحلية في « مدغشقر » تكتب بالحروف العربية ، وفي « تاناناريف » - العاصمة - عدد ملحوظ من المساجد التي بناها المسلمون رغم إرادة المستعمر الذي حرصوا على مجابهته طوال مدة وجوده في الجزيرة وحتى رحيله عنها .

إن المسلمين في « مدغشقر » في حاجة إلى الكثير ..

إنهم في حاجة إلى من يأخذ بأيديهم إلى دينهم ، ويبعد التشوهات والأضاليل التي ساهم الاستعمار في اصطناعها ، وإلى جمع كلمتهم وتوحيد جهودهم بما يعود عليهم وعلى دينهم في الجزيرة بالخير ..

جزر ريونيون

وعلى مسافة تسعمائة كيلومتر شرقي « مدغشقر » تقع جزر « ريونيون » التي تبلغ مساحتها (٢,٥١٦) كيلومترا مربعا ، وعدد سكانها (٤٧٦,٧٠٠) نسمة ..

اقتصادها زراعي مرتبط كلياً بـ « فرنسا » التي تستعمرها ، وفيها بركان « فورنيز » الذي لا يزال نائرا ..

عدد المسلمين فيها ثمانون ألفا ونيف ، وهم بحال حسنة ، ففهم الكثير من رجال الأعمال ، وعندهم تمسك جيد بتعاليم الإسلام ، وحرص على الدعوة الإسلامية . وقد زرتهم أكثر من مرة مع الأخ الدكتور « عبد الله نصيف » ، أمين « رابطة العالم الإسلامي » ، وكذلك مع الدكتور « حسن رفة » ، جراح القلب المشهور ، عندما كنا نقوم بزيارات للمسلمين في منطقة « موريشوس » .

موريشوس

أما جزيرة « موريشوس » ، فتقع على مسافة سبعمائة وخمسين كيلومترا شرقي « مدغشقر » ، ومساحتها (١,٨٦٥) كيلومترا مربعا .. وعدد سكانها (٨٨١,٠٠٠) نسمة .

اقتصادها زراعي وأهم منتجاتها قصب السكر ..

دخلها المسلمون في القرن الهجري الرابع ، وبدأوا في نشر دينهم فيها ، واستولى عليها البرتغاليون في القرن الهجري العاشر ، ثم زاحمهم فيها الهولنديون ، وأخيرا وضع الفرنسيون أيديهم عليها ، فأصبحت وكرا للقراصنة الفرنسيين في المحيط الهندي إلى أن هزم « بونابرت » عام (١٨١٤ م) فآلت إلى « بريطانيا » التي سيطرت عليها حتى عام (١٩٦٨ م) حيث نالت استقلالها ..

يقدر عدد المسلمين في « موريشوس » بمائة وخمسين ألف نسمة ، ولهم عدة مساجد وجمعيات إسلامية منها : « الدائرة الإسلامية » و« اتحاد الطلبة المسلمين » و« البعثة الإسلامية » ، ولهم نشاط ملحوظ في مجال التعليم لدرجة أن شؤونه تكاد تكون محصورة في أيديهم ، حيث يدرس في كليتهم ومدارسهم المسلمون وغير المسلمين ، وهذه دلالة طيبة تستحق أن نفخر بها ، ولكن هذه المدارس تفتقر إلى العدد الكافي من مدرسي اللغة العربية ..

وخلال زيارة قمت بها لـ « موريشوس » ، منذ وقت قريب ، التقيت بكثير من أبناء الجالية الإسلامية ، وتحدثت إليهم ، وناقشتهم ، فسرني أن وجدتهم متمسكين بدينهم ، عاملين على خدمته والدفاع عنه .

ومن توفيق الله تعالى أن أمكن تقديم المساعدة لسكان الجزيرة عن طريق جمعية خيرية تدعى « جمعية أصدقاء القلب » حيث أجرى الجراح السعودي الشهير الدكتور « حسان رفة » عمليات جراحية متكاملة ، مما كان له أطيـب

الأثر في نفوس الناس هناك

Created with nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

ناميبيا

وفي جنوب غرب « أفريقيا » تقوم بلاد « ناميبيا » التي تبلغ مساحتها (٨٢٤,٢٦٩) كيلومترا مربعا وعدد سكانها تسعمائة ألف نسمة ..

تعتبر أكثر أقطار « أفريقيا » جفافا، واقتصادها يعتمد على إنتاج اللحوم البقرية وبعض مشتقات الألبان ..

عدد المسلمين فيها لا يتجاوز نسبة ٤٪ من مجموع سكانها ، أي (٣,٦٠٠) نسمة ..

بوتسوانا

وتقع « بوتسوانا » في جنوب « أفريقيا » الوسطى ، ومساحتها (٥٧٥,٠٠٠) كيلومتر مربع ، وهي مساحة تساوي مساحة « فرنسا » - تقريبا - وفيها صحراء « كالاهاري » الشهيرة ..

يقوم اقتصادها على تربية المواشي ، وإنتاج الماس والنحاس والنيكل .. عدد سكانها ثلاثمائة وستون ألف نسمة ، نسبة المسلمين منهم ٥٪ أي (٣١,٥٠٠) نسمة .

زيمبابوي

و« زيمبابوي » التي كانت تسمى « روديسيا » قد شغلت العالم خلال العقدين الأخيرين من الزمن بعد محاولة الأقلية البيضاء الاستئثار بشؤونها ، فأعلنوا استقلالها عن « بريطانيا » من جانب واحد ، مما أدى إلى فرض مقاطعه دولية عليها لم تخرقها سوى دولة « جنوب أفريقيا » ..

مساحتها حوالي أربعمائة ألف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها (٦,٥٠٠,٠٠٠) نسمة ، كانت تسيطر عليهم أقلية أوربية لا تتجاوز نسبتها



٥٠٪ .. ولكن الوضع تغير اليوم وأصبحت الأثرية الأفريقية ذات شأن في الحكم .

عدد المسلمين فيها قليل جدا ، وفي حدود سبعين ألف مسلم ، ولكنهم جالية نشيطة ومتعاونة وتعمل في كثير من القطاعات الاقتصادية المثمرة كما يقدمون خدمات جادة للإسلام ولأبناء المسلمين .

وقد تعاوننا معهم ، والحمد لله ، في بناء مركز تعليمي وتدريري وبعض المدارس ، عن طريق جمعية إسلامية اسمها « مجلس العلماء بزمبابوي » يشرف عليها الشيخ « موسى منده » وهو رجل نشيط وفعال كما تساهم جمعيات إسلامية أخرى في دعمهم مثل جمعية « مسار » في « أمريكا » و« لجنة مسلمي أفريقيا » ويمول « البنك الإسلامي » بعض مشاريعهم التعليمية .
ويقومون ببرامج واعية ومنتزنة وحكيمة للدعوة الإسلامية .

جنوب أفريقيا

وتطل دولة « جنوب أفريقيا » على « المحيط الهندي » من الشرق ، و« الأطلسي » من الغرب ، ومساحتها (١,١١٧,٨٥٤) كيلومترا مربعا .
وقد وجد فيها الأوربيون ، المدعومون من الاستعمار الهولندي ، ملاذا سكنوا إليه بسبب اعتدال مناخها خلافا لمعظم المناطق الأفريقية المجاورة ، وهي قاعدة عدوانية للاستعمار الغربي ، ولها أوثق الصلات مع الإسرائيليين ، لدرجة يمكن معها القول أنها تقوم في « أفريقيا » بنفس الدور الذي تقوم به إسرائيل في « آسيا » .

المسلمون في « جنوب أفريقيا » أقلية ضئيلة جدا بالنسبة لعدد السكان البالغ ستة وعشرين مليون نسمة ولكنها أقلية نشيطة وفعالة ، فهم لا يتجاوزون نصف مليون نسمة .

وفي قلب « جنوب أفريقيا » شمالا بشرق ، تقوم دولة صغيرة تدعى « سوازيلاند » لا تتجاوز مساحتها (١٧,٤٠٠) كيلومتر مربع .
عدد سكانها (٥٢٨,٠٠٠) نسمة منهم حوالي ثلاثين ألفا من المسلمين .
والى جنوب « سوازيلاند » في قلب « جنوب أفريقيا » أيضا ، تقوم دولة مغلقة صغيرة هي « ليزوتو » التي تبلغ مساحتها (٣٠,٣٤٠) كيلومترا .
عدد سكانها (١,١٨٠,٠٠٠) نسمة منهم خمسون ألفا من المسلمين .



تقرير البروفيسور كرافورد

قبل أن نغادر « جنوب أفريقيا » دعونا نستعرض معا ذلك التقرير الذي أعده البروفيسور « كرافورد » من جامعة « بريتوريا » وهو أستاذ نصراني كان قد أعد ذلك التقرير بعد ضجة قامت هناك استنكر فيها المسلمون هجوم الكنيسة الهولندية في « جنوب أفريقيا » على الإسلام وادعاءاتها بأن الدين الإسلامي دين مزيف .

ويهمنا أن نلقي الضوء هنا على هذا التقرير الذي يوضح إلى حد كبير شعور الكنائس العالمية تجاه الحركة الإسلامية والقلق الذي يشعرون به من انتشار الإسلام في تلك البلاد كما أنهم يوضحون هنا الفشل الذي تلقاه حملات التنصير. رغم ما يبذل من إمكانات مادية وما يقدم من إغراءات . وتبقى هناك حقيقة لا بد من الاعتراف بها هي أن كثرة هذه الحملات وتكثيفها أدى - وقد يؤدي في المستقبل لا قدر الله - إلى تنصير أعداد أكبر من المسلمين لأن هذه الهجمات وهذه الحملات يقابلها ضعف كبير من جانب المسلمين وترد ملحوظ في العلاقات العربية الأفريقية ، وهذا هو مبعث الخطر الحقيقي في هذه القضية .

ونلاحظ من خلال هذا التقرير أيضا أنهم يجمعون في جميع الدوائر الكنسية على أن الإسلام بالنسبة لهم هو العائق الرئيسي في طريق تنفيذ مخططاتهم ، ولهذا فلا بد في رأيهم من القضاء على الحركة الإسلامية هناك .

في الوقت نفسه ، نلاحظ أن هذا التقرير يوضح أن هناك كثيرا من المعتقدات النصرانية غير المقبولة لدى الأفارقة وغير المنطقية ، وأنهم يتنازلون عن كثير من المبادئ وينحدرون إلى مرحلة فيها الكثير من السذاجة والغفلة فقط ليحاولوا أن يرضوا رغبات السكان المحليين .

ونلاحظ أنهم أيضا يلقبون الضوء هنا على علامات « العهد الجديد » ، الكتاب المقدس الذي يقدمونه للناس وأن فيه الكثير من التخبط حول طريقة الدعوة ووضع « المسيح » عليه السلام .

أعظم تحدّ للنصرانية

ولنبداً أولاً بإلقاء نظرة على هذا التقرير الذي أعده « كرافورد » حيث يقول في بداية تقريره : « إن الإسلام الذي يبلغ عدد أتباعه ألف مليون نسمة هو ذلك الدين العالمي الذي يشكل أعظم تحدّ للنصرانية في النصف الثاني من القرن العشرين ، إذا استعرضنا نقاط التماس الواسعة الانتشار بين الدينين في القارات الست » .

« صحيح أن الخطر المتزايد للإلحاد والماركسية في القرن العشرين يشكل تحدياً ضخماً لكل من الإسلام والمسيحية إلا أن ذلك ليس مانبخته هنا . »

فمنذ الحرب العالمية الثانية استقر الإسلام في « أوروبا الغربية » بواسطة التجار من الأقطار الإسلامية وعن طريق الهجرة من المستعمرات السابقة فهناك مثلاً ١,٧ مليون مسلم في « ألمانيا » الغربية ومليونان في « فرنسا » ومليون في « بريطانيا » و٣٠٠ ألف في « هولندا » ، و٣٥٠ ألفاً في « بلجيكا » ، وفي كل من « بلجيكا » و« فرنسا » هناك ما يعادل ضعفين ونصف المسلمين في مقابل البروتستانت . كذلك هناك جاليات مسلمة في معظم الأقطار الأوربية الغربية .

« ومراكز تجمع الإسلام العظمى في العالم هي « أندونيسيا » (١٢٥ مليون) ، شمال « أفريقيا » (٨١ مليون) ، « باكستان » (٨٠ مليون) ، « الهند » (٦٥ مليون) ، - بل أكثر من مائة مليون - البلاد العربية (٤٠ مليون) ، « تركيا » (٤٠ مليون) ، « إيران » (٣٠ مليون) ، « الصين » (٥٠ مليون) ، « روسيا » (٣٠ مليون) ، وفي « أفريقيا » جنوب الصحراء



هناك (٧٤ مليون) مسلم ينتشرون في العديد من الأقطار ، كما أن « الولايات المتحدة » و « كندا » و « النمسا » تضم أقليات مسلمة^(١) .

١ - منذ أزمة النفط عام ١٩٧١م والثورة الإيرانية ، لعب المسلمون دورا أكثر إيجابية في السياسة الدولية ؛ فأقطار مثل « مصر » و « ليبيا » و « السعودية » و « إيران » تعتبر رائدة في هذا المجال ، وهذا يؤدي إلى مزيد من الحماس والعمل والإيجابية ، التي حدثت في كثير من البلاد ذات الأقليات المسلمة .

٢ - إن دولارات النفط أدت إلى بعث إسلامي عام في كافة أنحاء العالم . ففي عام ٧٣ أنشأت دول النفط بنكا يهدف إلى مساعدة البلاد النامية ودعم الإسلام ، وكانت النتيجة تقديم المعونات للأقليات الإسلامية في بلاد تم إنشاء مساجد فيها أو مراكز إسلامية لنشر الإسلام . ومن خلال ذلك تم تأمين مورد مالي كبير لهؤلاء في كافة أنحاء العالم .

٣ - هناك مبالغ كبيرة من المال تضخ في « أفريقيا » . « فجامعة الأزهر » في « القاهرة » التي تتلقى البلايين من الأموال - وحيث يتعلم آلاف الطلاب الأفارقة - هذه الجامعة تعتبر ذات أهمية . وإلى جانبها هناك معاهد أخرى تتلقى العون المالي وتستقطب الطلاب الأفارقة : « مدرسة البيضاء العليا » في « ليبيا » ، و « جامعة المدينة » في « السعودية » حيث تنتشر عقيدة إسلامية جديدة يعترّم المستولون جعلها مقبولة دوليا . فالناس مدعوون جميعا لعبادة الله ، وهكذا تستبعد جميع الفوارق بسبب الجنس أو الطبقة . لا بد من التركيز الخاص على « أفريقيا » التي ينظر إليها على أنها أرض الإسلام التقليدية . ولا بد أن نتوقع خلال العقود الأخيرة سياسة توسع

(١) يلاحظ أن هذه الإحصاءات قديمة ولا تعبر عن الواقع في عام ١٩٨٩م

إسلامي إيجابي في « أفريقيا »^(١) .

وهكذا نلاحظ أن هذا التقرير يحاول أن يجعل من النشاط الإسلامي صورة قائمة ، ويصوره على أنه لا يعدو أن يكون غزوا بالدولارات العربية أو ما سماه بدولارات النفط التي تحاول أن تعد بعثا إسلاميا جديدا ، ولا يذكر أي شيء عن المعونات التي تقدمها الدول العربية والإسلامية للأقليات الإسلامية في بعض المناطق في « أفريقيا » أو لبعض الدول الأفريقية بل على العكس من ذلك يصور المساجد على أنها مراكز لنشر النفوذ العربي هناك .

ونلاحظ أن التقرير يتحدث أيضا باقتضاب عن انتشار الإسلام في « أفريقيا » عن طريق ما سماه بالحملة العسكرية ويغفل ذلك الدور النبيل الذي قام به المسلمون ، وكانوا قدوة حسنة أدت إلى التفاف الناس حولهم في « أفريقيا » حين دخلوا إلى أنحائها المختلفة كتجار ودعاة وقدموا صورا مشرقة للإسلام ومع ذلك نلاحظ هنا أنه يتحدث عن انتشار الإسلام وكأنه يتحدث عن حملات استعمارية وتوسعية ، فهو يقول :

انتشار الإسلام في « أفريقيا »

١ - شمال « أفريقيا » :

جاء الإسلام إلى « أفريقيا » على يد الحملات العسكرية^(٢) التي بدأت في عام ٦٤٠ بعد الميلاد ، بدأت بـ « مصر » التي استولى عليها المسلمون من البيزنطيين ثم انتشر عبر الخليج على الساحل الغربي لشمال « أفريقيا » إلى أن

(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات ، « وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية » - « دولة الكويت » .

(٢) ما سماه حملات عسكرية كانت جيوشا لتحرير الشعوب من نير الطغاة حتى أولئك الذين يتمون إلى نفس العقيدة ، ومن هنا كان ترحيب الشعوب بالتحرير الإسلامي الذي لم يحمل أحدا بقوة السلاح على اعتناق الإسلام بل إن الشعوب التي اعتنقت الإسلام من خلال التجار المسلمين كانت أكثر عدداً من تلك التي دخلتها جيوشهم .

بلغ « المحيط الأطلسي » في عام ٦٨١ بعد الميلاد . فأسلم « البربر » بالتدريج وشاركوا في الجيوش الإسلامية وغلبت الكنيسة في شمال « أفريقيا » . وخلال ألف عام من ميلاد المسيح أصبح انتشار الإسلام في المنطقة كلها أمرا واقعا .

« إن استعمار بلاد شمال « أفريقيا » على يد الأقطار الغربية لم يؤثر على وضع الإسلام ، فبعد أن انتشرت حمى توسع إسلامي جديد لوحظت روح عدوانية سائدة في هذه الأقطار ، وهذه أرقام السكان حسب إحصاء عام ١٩٧٨ م : « المغرب » ١٨,٥ مليون ، « الجزائر » ١٨ مليون ، « تونس » ٦ مليون ، « ليبيا » ٣,٦ مليون ، « مصر » ٣٩ مليون . »

« في هذه البلاد هناك عدد ضئيل من النصارى الذين يجتمعون في البيوت ويبلغون مئات قليلة من الأشخاص فحسب . »

« وفي « ليبيا » لا يوجد أي مواطن ليبي نصراني ، وهناك جاليتان من الأقباط تتألفان من المهاجرين الـ « مصر »يين ، و « الكنيسة القبطية » في « مصر » تتألف من ٣ إلى ٥ مليون عضو بالإضافة إلى ١٠٠ ألف عضو ينتمون إلى الكنيسة البروتستانتية . »

فشمال « أفريقيا » يعتبر ساحة صعبة على التبشير ، لأن المسيحية فيها لا وجود لها ويجري اضطهاد النصارى وتصفيتهم من قبل أقربائهم وأفراد قبيلتهم وعشيرتهم ، ومعظم هؤلاء هم من الأسر التي تحولت إلى المسيحية عن طريق الزواج ثم بعد ذلك يتحولون مرة أخرى إلى الإسلام . وتستخدم الإذاعات هنا لنشر رسالة « المسيح » .

٢ - غرب « أفريقيا » :

انتشر الإسلام في أنحاء « أفريقيا » منذ القرن العاشر - وخاصة نحو الجنوب والغرب الأفريقي - عن طريق الغزو والتجار والرحالة والعلماء والمبشرين (الدعاة) ؛ فقبائل « البربر » التي نقلت تجارة الذهب عبر الصحراء إلى

شعوب غرب « أفريقيا » تعرضوا للتبشير على يد هؤلاء الدعاة المسلمين وحملوا الإسلام إلى غرب « أفريقيا » .

« في عام ١٠٦١م قامت مدينة « تمبكتو » وأصبحت مركزا إسلاميا مهما انطلق منه العلماء لنشر الإسلام . وبهذه الطريقة تأثرت بلاد منها « غانا » و« مالي » بالإسلام وأصبح للإسلام جذور قوية في المراكز التجارية الكبيرة . وعاش السود والتجار المسلمون جنبا إلى جنب وحضروا إلى مساجد واحدة . وأصبح الإسلام الدين الرسمي في « مالي » و« سانغاي » وأصبحت « تمبكتو » و« غينيا » مراكز تعليم هامة .

« وبهذه الطريقة أصبح للإسلام كثير من الأتباع وخاصة في المناطق الشمالية لغرب « أفريقيا » وهكذا أصبحت بلاد « كموريتانيا » و« السنغال » و« غينيا » و« مالي » و« النيجر » ذات أكثرية ساحقة من المسلمين ، ولا تزال تدور معركة في غرب « أفريقيا » بين الدينين العظمين لكسب المهتدين .

٣ - شرق « أفريقيا » ووسطها

« كانت هناك تجارة نشطة بين الساحل الشرقي لأفريقيا والجزيرة العربية وأقطار الخليج الفارسي « والهند » و« الصين » حتى قبل انتشار الإسلام . ومنذ عام ٦٩٢ بعد « المسيح » استقرت أعداد صغيرة من المسلمين وأسرههم على الساحل الشرقي .

« وهكذا بدأت حياة مدن على طرق التجارة أمثال « مالندي » و« ممباسا » و« زنجبار » و« كلوة » . وهذه أسماء عدد قليل من مئات المراكز التي استقر بها المسلمون ، وهذا هو أصل الثقافة السواحلية التي انتشرت على طول الساحل الشرقي من « مقديشو » في الشمال إلى موزمبيق في الجنوب ، وهي مزيج من الثقافة الإسلامية وثقافة « البانتو » في شرق « أفريقيا » ، يضاف إليها قدر أقل من تأثير ثقافات « الهند » وبلاد الخليج الفارسي . وهذا هو السبب

الذي جعل السواحيلية ثقافة إسلامية محددة تتخللها نكهة أفريقية وتشمل العديد من طرق الحياة الإسلامية .

« عندما قدم البرتغاليون في عام ١٤٩٨م تمكنوا من فتح العديد من الموانئ الإسلامية وبدأوا حملة منافسة مع الإسلام بالنسبة لتحويل القبائل . وفي النصف الثاني من القرن السابع عشر انتقم العرب واستولوا على موانئ الشمال ، وكان على البرتغاليين الانسحاب إلى « موزمبيق » التي ظلت مستعمرة لهم .

وعندما استعمرت « بريطانيا » أقطار شرق « أفريقيا » في القرن التاسع عشر تشاركها « ألمانيا » و « فرنسا » ، كان الإسلام عميق الجذور ولم يستطع النصارى زحزحته أبدا ، فإلى الشمال كان هناك الشعب الصومالي الذي اعتنق الإسلام وأصبح قوة إسلامية ، وفي الجنوب تم كسب « اليوستان » إلى الإسلام وقد عاشوا مبعثرين في « تنزانيا » و « موزمبيق » و « ملاوي » .

« وقد تلقت الثقافة السواحيلية ضربة كبرى عندما بدأت القبائل غير المسلمة تدخل إلى المنطقة منذ عام ١٥٠٠م . وهذه هي الطريقة التي استقرت بها قبائل مثل « الماسكي » و « الهيو » و « الايكوبو » وغيرها في المنطقة .

« وبعد استعمار شرق « أفريقيا » تقلصت عملية الأسلمة بشكل كبير ونشط المبشرون النصارى بين القبائل غير المسلمة ، وهكذا استقرت المسيحية في شرق « أفريقيا » وبقية السواحيلية في المدن الكبرى فحسب وفي « كينيا » و « تنزانيا » و « أوغندا » وأصبحت أغلبية القبائل السوداء مسيحية والعمل بينها مستمر .

« وفي « أوغندا » ينتشر الإسلام بسرعة وفي « موزمبيق » و « ملاوي » فإن قبائل « الهيو » هم أتباع الإسلام ، والسودان بلد عربي يعترف بالإسلام كدين رسمي للدولة ، والقبائل السوداء في الجنوب تتعرض لضغط هائل من قبل الشماليين لاعتناق الإسلام ، وقد أدى ذلك إلى نشوب حرب أهلية تعطل

التبشير المسيحي في السودان

« الصومال » أيضا بلد مسلم يعتبر مخالفا للقانون كل من ينشر أي دين آخر ، و « أثيوبيا » أظهرت مقاومة لعدة قرون وظلت الكنيسة الأثيوبية على قيد الحياة بالرغم من إحاطة المسلمين بها . وهناك اليوم ما يزيد على ٦٥٪ من المسلمين على أقل تقدير .

« وفي وسط « أفريقيا » كان انتشار الإسلام متوقفا تماما ، ففي « زائير » هناك جالية إسلامية صغيرة جدا قوامها ٢٠٠ ألف مسلم ، وفي « أنجولا » و « زامبيا » و « زيمبابوي » و « بتسوانا » لم يكن هناك أي مسلمين بين السكان الأصليين إلى عهد الاستقلال ؛ إلا أن هناك ما يشير إلى أنه بعد الاستقلال جرت محاولات محددة لنشر الإسلام في هذه المنطقة . تقول « الصنداي ميل » في « هراري » عدد ٥ مايو ٨٥ أنه بينما كان الإسلام معترفا به بين الجالية الهندية فحسب بدأ يظهر مسلمون سود وزيمبابويون الآن .

« بعد الاستقلال أبدت « زيمبابوي » مزيدا من التسامح تجاه أقطار شمال « أفريقيا » ، ومنذ ذلك الحين والدعوة إلى الإسلام تجري بحماس متزايد ، فتم بناء مساجد في مختلف المراكز وخاصة « كوي كوي » التي تعتبر المركز الرئيسي للتعليم الإسلامي ، ففيها أربعة مساجد .

« وفي « ملاوي » تجري محاولات لإيصال الإسلام لشعب « الشيو » ويجري توزيع آلاف النسخ من القرآن والكتب الأخرى بلغة « الشيشوا » كما ذكرت « صحيفة العالم الإسلامي » (عدد ١٠ مايو ١٩٨٣ م) ، وهناك أيضا قبائل لا تعترف بالإسلام إلا جزئيا ، ففي « آكوندي » في جنوب « تنزانيا » و « شمال » « موزمبيق » يدعون أنفسهم مسلمين إلا أنهم لا يزالون متمسكين بكافة عاداتهم التقليدية ويتقبلون نوعا سطحيا جدا من الإسلام .^(١)

(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية » - دولة الكويت .

محاولة عرقلة الدعوة بالتبشير

ويدي البروفسور كرافورد في تقريره أيضا سعادة غامرة من أن النشاط التبشيري المسيحي في القرن التاسع عشر قد عمل بصورة خاصة في غرب « أفريقيا » وجنوب الصحراء على عرقلة انتشار الإسلام ، ويعرب عن سعادته بصفة خاصة لأن النشاط التبشيري قد عرقل النشاط الإسلامي ، فنراه يقول : « إن النشاط التبشيري المسيحي في القرن التاسع عشر الذي انتشر من غرب « أفريقيا » عبر القارة إلى جنوب الصحراء قد عرقل كثيرا انتشار الإسلام . فتم تنصير المزيد من القبائل المحلية على عكس المهتدين إلى الإسلام ، ولا يزال الصراع مستمرا لكسب قلوب الناس . »

« وبلاد النفط تنفق الكثير من المال لنشر الإسلام . في مايو ١٩٨٥ م قام « معمر القذافي » حاكم « ليبيا » بتوجيه نداء إلى المسلمين أثناء زيارته لـ « رواندا » للقيام بحرب مقدسة ضد النصارى ، وقال إن النصرانية غريبة على سكان « أفريقيا » وقال بأنها دين استعماري ولا يزال الصراع مستمرا لكسب قلوب الناس^(١) .

ثم بعد أن يستعرض التقرير في القسم الثاني منه موضوع انتشار الإسلام في « جنوب أفريقيا » بصورة خاصة ، ويقسم حديثه عن الإسلام في هذه المنطقة إلى قسمين : الإسلام ووضعه بين الملونين ، والإسلام بين الهنود ؛ ثم يتحدث عن المسلمين السود في « جنوب أفريقيا » وطريقة التعامل بين المسلمين والنصارى في هذه المنطقة في الجزء الأول - يحاول أن يشرح الفترة التي ظهر فيها الإسلام في « جنوب أفريقيا » في عام ١٦٦٧ وكيف أنه دخل إلى هذه المنطقة مع السجناء السياسيين الذين أرسلوا إلى مدينة « الكاب » : « ظهر الإسلام في « جنوب أفريقيا » عندما جلب سجناء سياسيون إلى البلاد منذ

عام ١٦٦٧ وذلك في مدينة « الكاب » من المستعمرات الهولندية في الشرق ؛ وكان هناك سجين مهم هو « الشيخ يوسف » وصل إلى « جنوب أفريقيا » عام ١٦٩٤ من جنوب « البتنام » ، وكان بصحبته لدى وصوله ١٢ داعية إسلاميا وصلوا إلى مدينة الكاب وهو يعتبر مؤسس الإسلام في « جنوب أفريقيا » . فقد كان هو وغيره من رجال الدين مسؤولين عن نشر الإسلام وتنظيم الجاليات الإسلامية . وهكذا كبرت الجالية من ٨٧٣٠ مسلما عام ١٨٤٣م إلى ٩٣٢٥٦ عام ١٩٦٠م وحسب إحصاء عام ١٩٨٠م زاد العدد إلى ١٦٣,٠٠٠ مسلم .

« إن نمو الإسلام بين الملونين أكبر من زيادة السكان أنفسهم وهذا يشمل المهتدين والمتزوجين ، فحوالي ٥٠٪ من المسلمين في « جنوب أفريقيا » أصلهم من الجاليات الملونة .

وقد أنشئ أول مسجد في مدينة « الكاب » عام ١٨٥٠ ثم زاد عدد المساجد حتى بلغ أكثر من ٢٥ مسجدا . والمسلمون في « الكاب » ينتمون بشكل رئيسي إلى المذهب الشافعي السني المحافظ . وتقدر نسبة المسلمين الملونين بـ ٦,٣٪^(١) .

الإسلام ينتشر رغم كل شيء

ثم يتحدث التقرير عن الإسلام بين الهنود ، وأن مرد ذلك إلى أن عملية جلب العمال من « الهند » لمزارع قصب السكر كانت هي السبب الرئيسي ؛ لأن بين هؤلاء العمال كان هناك مجموعة من المسلمين فيقول : « منذ عام ١٨٦٠ بدأ جلب العمال من « الهند » للعمل في مزارع قصب السكر ، وبين

هؤلاء كان عدد ضئيل من المسلمين . ومنذ عام ١٨٦٩ جاء عدد متزايد من المسلمين من « الهند » للعمل كتجار ؛ وكانوا يتحدثون الكجراتية والأوردية والمارثية ويشيرون إلى أنفسهم بلقب عرب . وقد زاد عددهم بسرعة فارتفع من ٧٨٧٨٧ عام ١٨٥١ إلى ١٢٥٩٨٧ عام ١٩٧٩م ثم زاد عددهم إلى أن بلغ ١٥٤,٠٠٠ حسب إحصاء عام ١٩٨٠ وكانت نسبة زيادتهم أقل من نسبة زيادة السكان المحليين من الهنود و٨٠٪ من الآسيويين مسلمون . ومعظم المسلمين الهنود هم أتباع المذهب الحنفي .

« وبين عامي ١٨٧٣ و ١٨٧٨ قامت « بريطانيا » بتحرير ٥٠ عبدا في البحر وقد جاء هؤلاء إلى « دربان » ومعظمهم ينتمون إلى قبيلة « ماكوا » في شمال « موزمبيق » . ولما تم إرسالهم إلى « ناتال » عبر « زنجبار » فقد أطلق عليهم لقب « الشعب الزنجباري » . وقد شكل المسلمون في وسط المجموعة جالية خاصة بهم وانضموا إلى المسلمين الهنود . وفعلا وضعوا في نفس قائمة المهاجرين الهنود . وبعد خمس سنوات من العمل بموجب عقد خاص بذلك سمح لهم بالاستقرار في « ناتال » وقد أدى اتصالهم الوثيق بالهنود إلى تصنيفهم بأنهم هنود آخرون ، ثم سمح لهم بالعيش في « دربان » . وقد بلغ عددهم في عام (١٩٨٠) ٩٠٠ شخص وهم يتلقون دائما مساندة المسلمين الهنود . وقد أنشئ لهم مسجد خاص بهم في منطقة « شاتس ورث » .^(١)

« بعد هذا يلقي التقرير ضوعا كبيرا على قضية انتشار الإسلام بين السود على وجه الخصوص وأن مراكز الدعوة الحديثة التي قامت هناك في « دربان » أو في « جوهانسبرج » وحركة الشباب المسلم كان لها أثر كبير جدا حيث يقول : « بذل الإسلام جهودا كبيرة منذ عام ١٩٦٠ للانتشار بين السود ، واستخدمت المنظمات التالية لهذا الغرض : « مركز الدعوة الإسلامية في دربان » ، « جمعية الدعوة الإسلامية في جوهانسبرج » ، و « حركة الشباب

المسلم . فهؤلاء يركزون جهودهم على الأشخاص الأكثر وعيا وخاصة الشباب في المدن .

« ومنذ عام ١٩٧٦ على وجه التحديد من الواضح أن الإسلام يحقق نجاحا بين الشباب السود . فالناس يتمسكون بالإسلام على اعتبار أنه سلاحهم في جهادهم المقدس ضد التفرقة العنصرية ، وكثير من الزعماء الذين يدعون إلى الثورة في « جنوب أفريقيا » هم مسلمون راديكاليون . وبينهم البعض الذين لهم صلات « بإيران » التي توجه الدعوة للزعماء المسلمين على نفقة « إيران » للاحتفال بذكرى « الجمهورية الإسلامية » وهناك يتم التأثير عليهم لنشر روح الثورة الإيرانية في صراعهم ضد التمييز العنصري . »

« كذلك إن بعض الزعماء المسلمين يجري تدريبهم على النشاطات الثورية في « ليبيا » بغية تغذية الثورة في « جنوب أفريقيا » . وهؤلاء القادة الراديكاليون يعملون على الاتصال بالشباب السود ويقدمون الإسلام لهم على اعتبار أنه دين المضطهدين ، على النقيض من النصرانية التي هي دين المستبدين . ويستخدم نفس الأسلوب بين الملونين في « الكاب » . »

« كذلك تجرى مراجعة الترجمة بلغة « الزولو » للقرآن ، وكذلك ترجمة العديد من الكتب والنشرات إلى لغات السود . كما يجري توفير الأموال للأعمال الخيرية بين السود . ولا يزال من السابق لأوانه أن نحدد ماهية هذه الهجمة على الجاليات السوداء . ففي عام ١٩٧٠ كان عدد المسلمين السود ٨٨٩٦ ، ومنذ ذلك الحين ظل هذا العدد مستقرا حسب إحصاء عام ١٩٨٠ ، إلا أنه يتوقع أن يمارس الزعماء المسلمون الراديكاليون نفوذا متزايدا في « جنوب أفريقيا » في عام ٨٥ حيث تم إكمال بناء أول مسجد في « سويتو » - منطقة السود -^(١) .



هدنة .. ضد التفرقة العنصرية

ونلاحظ أن « كرافورد » في تقريره يلقي الضوء أيضا على أن المسلمين والنصارى عملوا جنبا إلى جنب في قضية الصراع ضد التفرقة العنصرية ؛ فيقول بهذا الخصوص : « إن المسلمين والنصارى يعملون جنبا إلى جنب في الصراع ضد التفرقة العنصرية في إطار المؤتمر العالمي للأديان ، فرع « جنوب أفريقيا » . فكل من رئيس الفرع ، وهو نصراني ، ونائبه ، وهو مسلم ، حضرا اجتماع « المجلس الهولندي للكنائس » الذي عقد في « اميرزفورت » في نوفمبر ١٩٨٥ ؛ وقد تم طلب الدعم في برنامج الكنائس العالمي للكنائس من خلال المقررات لمحاربة العنصرية والصندوق الخاص الذي يساعد حركات التحرير . كما تمت الدعوة إلى مقاطعة « جنوب أفريقيا » وعدم الاستثمار فيها على كل المستويات . وقد أقر الاجتماع المذكور المبدأ القائل بأن نظام التفرقة العنصرية لا سبيل إلى تغييره إلا بالإحاطة به عن طريق العنف ، وليس هناك إلا ٢٠٠٠ مسلم أبيض في « جنوب أفريقيا » وهناك منطقة في « جوهانسبرج » بين المسلمين البيض ^(١) .

ونلاحظ أن البروفسور « كرافورد » يجعل إنشاء « المجلس الإسلامي » في « جنوب أفريقيا » وسيلة كبيرة لاستقطاب المسلمين هناك واستقطاب الناس ، ويعزو نجاح عملية انتشار الإسلام إلى حركة الشباب المسلم ودور العلماء حيث يقول : « في عام ١٩٧٥م تم إنشاء « المجلس الإسلامي » لـ « جنوب أفريقيا » بقصد استقطاب المنظمات الإسلامية ، وحتى يكون ناطقا باسم المسلمين لمصلحة الإسلام ومن أجل العمل على تحقيق العدالة الاجتماعية . والملاحظ أن « حركة الشباب المسلم » الأكثر تطرفا تتمتع بنفوذ كبير ، بينما العلماء التقليديون لهم نفوذ أقل . وتستخدم لذلك عدة وسائل إعلامية لصالح الإسلام مثل مجلة « مسلم دايجست » وصحيفة « مسلم نيوز » و « القلم »

وهي صحيفة « حركة الشباب المسلم » .

إن الإسلام يمثل ١,٢٪ من مجموع السكان في « جنوب أفريقيا » وله ٣٢٨,٠٠٠ من الأتباع هناك . ولكنه بفضل المشاركة الفعالة في الصراع الاجتماعي والسياسي ، وتبعاً للدعوة الواسعة إلى الإصلاح ، فإن هذا الدين يلعب دوراً أكبر مما ينتظر في مثل هذا العدد الصغير من المسلمين^(١) .

ثم نأتي إلى صلب هذا التقرير الذي يحاول إلقاء الضوء على أسباب انتشار الإسلام والإقبال عليه في « جنوب أفريقيا » وهو لب الموضوع حيث يقول :

« أسباب انتشار الإسلام والإقبال عليه في « جنوب أفريقيا »

« إن انتشار الإسلام في « أفريقيا » خلال عهد الاستعمار وما حدث من وعي وصحوة إسلامية جديدة بعد الاستقلال يمكن عزوه إلى عدد من العوامل ، وسوف نذكر قليلاً منها تحت ثلاثة عناوين هي عوامل ثقافية ودينية ، عوامل سياسية واقتصادية ، وعوامل أخلاقية .

١ - العوامل الثقافية والدينية :

« لقد ظل الإسلام لسنوات عديدة متسامحاً جداً تجاه تراث الشعوب الأفريقية وثقافتها . وكان بإمكان الناس هناك اعتناق الإسلام من غير أن يتركوا الجوانب الاجتماعية لثقافتهم القبلية . وهناك العديد من الجوانب الثقافية التي كان بالإمكان الإبقاء عليها كتعدد الزوجات ، والختان وذبح الحيوانات .. إلخ . وأما الجوانب الأخرى كالسحر والشعوذة وعبادة الأسلاف فهي مناقضة للإسلام ولكن عملية الابتعاد عنها كانت بالتدريج . »

« أما المسيحية فقد ظلت دائماً غير متسامحة تجاه جوانب الثقافة التقليدية

بل ظلت تسير جنبا إلى جنب مع عملية القضاء على التفرغ والقضاء على القبلية . فكانت النتيجة أن الإسلام كان أكثر تقبلا كدين . كما لقي جانب التوحيد الإسلامي شيئا من الترحيب في جوانب معينة حيث التقى مع الاعتقاد بالإله الواحد الخالق في الأديان التقليدية . وقد قدم المسلمون الله في « أفريقيا » على أنه إله الأفارقة .

« كما أن حملة الإسلام كانوا أناسا قريين جدا من الأفريقيين ، فقد عاشوا تجارا بين الناس تعلموا لغتهم وتزوجوا منهم ودعوا إلى دين لهذه الدنيا لا يوجد فيه أي فصل بين الجوانب الروحية والديوية . وهذا يلتقي مع الحياة التقليدية وتصور العالم مع السود الذين لم يفصلوا بين الدين والحياة اليومية . وعلى النقيض من ذلك فإن المبشرين البيض ، الذين حملوا المسيحية ، كان ينظر إليهم غالبا على أنهم غرباء وأن المسيحية هي دين الرجل الأبيض . وقد أحس السود كذلك أن النصرى لا يطبقون دينهم على الحياة اليومية . »

« وإذا كان الإسلام يحرم السحر والشعوذة فإن الرجال الصوفيين (المقدسين) فعلا كانوا قد استبدلوا هذه الأعمال عن طريق القيام بدور الأطباء الذين يحمون من الشرور ، فمثلا كانت آيات من القرآن تباع وتلبس كقلادة للحماية من الشرور والأمراض ومنها ما يزيد الخصوبة ويطيل الحياة .

وهكذا أصبح الإسلام محبوبا لدى الإنسان العادي ؛ فالطرق الصوفية وال دراويش وفروا الحاجات العاطفية للسود الذين أرادوا أن يعبروا عن معتقداتهم بالرقص والنشوة ، كما أن الولاء والطاعة التي يبدونها المسلمون عند أدائهم لواجباتهم الدينية كالصلاة والصوم والزكاة والحج ، إلى جانب التعبير عن عقيدتهم ، كل ذلك استقطب الناس إليهم ... فهذه الواجبات هي أيضا سهلة التنفيذ ولا يطلب من الناس الخضوع للكثير من التدريب حتى يصبحوا مسلمين . وهناك أيضا شعائر واضحة وسهلة وعملية كمراسم الدفن ، والأضحية وطرق التطهير وغيرها . »

Created with



nitroPDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

« ولنشر الإسلام لا يلزم دعاة مؤهلون من الخارج إذ يمكن القيام بذلك على يد الناس العاديين أثناء قيامهم بعملهم الروتيني اليومي . والزعماء الدينيون يتم اختيارهم من بين زعماء الجاليات وهم بذلك موضع ترحيب من الناس أكثر من غيرهم . وهم لا يتسلمون المرتبات وهذا لا يصبح عبئا ماليا على الجاليات . كل هذا على النقيض من الكنائس المسيحية التي تقصر التبشير على مبشرين مؤهلين محلفين يتلقون الأموال . والإسلام يظهر وحده تناسقا في اللباس والمساجد والكتب وأشكال الحياة . »

« فالمسلمون يشعرون ، بفضل ذلك ، أنهم في وطنهم أينما كانوا بين الجاليات المسلمة الأخرى ، فإنهم يؤلفون أمة واحدة تستعلي على كافة حواجز الجنس واللون . أما النصرانية فلها عدة أقسام للمجتمعات العرقية المختلفة (مختلف الكنائس) . »

« لقد قدم الإسلام نفسه على اعتبار أنه الدين الذي خلف النصرانية ، وأنه يدعو إلى الوحي الأخير المتمثل في القرآن ، ويزعم أنه دين عقلي سهل يشتمل على تعاليم اليهودية والنصرانية ولكنه يصحح هذه التعاليم ويكملها . وهكذا فالإسلام يدعي أنه ينشيء دين التوحيد الذي جاء به « إبراهيم » والذي انخرقت عنه المسيحية «^(١) .

٢ - العوامل السياسية والاقتصادية :

ولا شك أن الجزء الخاص بالتقرير الذي يركز على العوامل السياسية والاقتصادية التي عززت انتشار الإسلام ، يعترف صراحة بأن الإسلام لم يرتبط بالاستعمار بأي شكل من الأشكال ، على عكس عمليات التنصير أو التبشير ، كما يسمونها ، التي قدمت نفسها كشريك في الصراع مع الاستعمار ،

(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف

مع أن الإسلام قدم نفسه كشريك في الصراع ضد الاستعمار وارتبط بقضايا النضال ضد التفرقة العنصرية كما سبق أن ذكرنا . يقول « البروفسور كرافورد » بهذا الصدد : « الإسلام ليس مرتبطا بالاستعمار بينما هذا هو شأن المسيحية ، بل إن الإسلام يقدم نفسه كشريك في الصراع ضد الاستعمار . والإسلام في « جنوب أفريقيا » يرتبط بالنضال ضد التفرقة العنصرية ، « فحركة الشباب المسلم » و« اتحاد الطلبة المسلمين » يساندون الصراع الثوري لتحقيق حكم الأغلبية السوداء . »

« وفي هذا الصدد فإنهم يأملون أن ينالوا دعم الشعوب السوداء . وقد نظم « مؤتمر العالم الإسلامي » أسبوعا للتضامن مع شعوب « جنوب أفريقيا » الذين يناضلون من أجل الحرية والاستقلال والحقوق المتساوية وهكذا يأمل الإسلام أن يركب موجة العواطف المشبوبة ضد الرجل الأبيض وموجة الحرية والمبادئ في « جنوب أفريقيا » . »

والثورة في « إيران » ، بقيادة « آية الله خميني » ضد النفوذ الغربي والرأسمالي الأمريكي في بلاده ، قد سيطرت على خيال الناس ، كذلك « معمر القذافي » في « ليبيا » يستقطب اهتمام الناس في العالم الثالث في صراعهم ضد « أمريكا » القوية .. وقد أدى هذا بالدول الأفريقية إلى احترام البلاد المسلمة على اعتبار أنها شريكها في النضال ضد الاستعمار الغربي الجديد والاستغلال الرأسمالي .^(١)

ويعترف صراحة في تقريره أيضا بأن الإسلام يركز على الأخوة والمساواة بل ركز على ذلك في عملية انتشاره في « جنوب أفريقيا » . فنراه هنا يقول صراحة : « والإسلام يركز بشكل كبير على الأخوة والمساواة التي تتخطى الحواجز السياسية والثقافية ، وهو يُعرض على اعتبار أنه قوة جامعة موحدة مضادة للتمييز العنصري لبعض الكنائس المسيحية ، ويزعم الإسلام أن المسيحية

والشيوعية في « أفريقيا » فشلا في تحقيق انسجام بين الأجناس بينما يستطيع الإسلام أن يفعل هذا .

« والإسلام لا يفرق بين الدين والسياسة فهو دين شامل له توجيهات للناس في كافة المجالات ، وهذا جذاب لشعوب « أفريقيا » الذين يعتبرون أن وجود الإنسان كله هو من الدين ، وهم يكتنون احتراما كبيرا للعلاقات الإنسانية والتضامن بين القبائل . وقد جاء الإسلام في الأصل إلى « أفريقيا » على يد التجار . ومن ثم يُنظر إليه على أنه دين يعزز الرفاهية ويرتفع بالناس . كما أن مستوى الأخلاق العالي يؤدي إلى الفوز والرخاء بين الجاليات المسلمة .

« والمسلمون يعين بعضهم بعضا بالمال في مجال الاقتصاد . ولقد بدأت « جمعية الوقف الإسلامي المركزية » في عام ١٩٥٨ م على أساس إعانة المسلمين . وفي تقريرها السنوي هناك تقارير مؤثرة عن مشروعات تتعلق بالأعمال الخيرية : مشروعات من تعليم وصحة ومنح دراسية وبحوث .. إلخ وقد أعطى اهتماما كبيرا لتعليم الشباب ^(١)»

٣ - العوامل الأخلاقية :

ثم بعد ذلك يتحدث عن الإسلام كقوة إنسانية كبيرة في « أفريقيا » ، حيث إن العوامل الأخلاقية التي قام على أساسها الإسلام بالانتشار في « أفريقيا » وفي « جنوب أفريقيا » على وجه الخصوص ، حسب ما ذكره في التقرير ، صاحبها عملية إصلاح أخلاقي كبير وعملية تهذيب نفسي ارتفع بقيم الناس وحرص على كرامتهم وزرع في أنفسهم الثقة ، فيقول : « لقد كان الإسلام قوة إنسانية كبيرة في « أفريقيا » حولت الجاليات الإنسانية فاستبعدت عبادة الآباء إلى حد كبير ، ووقع إصلاح أخلاقي كبير إلى درجة أوقفت قتل الأولاد واختفت التضحية بالناس كقرايين كما اختفى أكل لحوم البشر . ومنع

الخمر واستخدام المخدرات في كثير من المجتمعات وتم التغلب عليها . والإسلام يقيم العدل ويطبقه في حياة الناس اليومية ، وقد أيقظ الإسلام شعورا بالقيمة والكرامة والثقة بالنفس عند أتباعه ، وقد كان هناك خواء كبير في هذا المجال بين شعوب « أفريقيا » مخيب للآمال .

« ويتميز الإسلام بقدرة فريدة على التكيف في المدن الكبيرة في « أفريقيا » ؛ فقد قامت فيها العديد من المباجد وحتى دور الدعوة الإسلامية للعالم بأسره ، ومن ثم فسوف نذكر بإيجاز التحديات التي يشكلها الإسلام للمسيحية في « أفريقيا » وعلى الأخص في « جنوب أفريقيا » وسيكون هذا هو الإطار الذي سنستخدمه لدراسة التحديات التي يشكلها الإسلام اليوم »^(١)

توصيات كرافورد

ثم نأتي للجزء المهم الآخر وهو عن التوصيات التي يضعها « كرافورد » لمواجهة الحركة الإسلامية وتحليله للتحديات الحاضرة بالنسبة للإنجيل وللانتشار المسيحي فيقول :

« ١ - التحديات بالنسبة للشهادة وتفسير الإنجيل »

« لقد ظل هذا الأمر يشكل التحدي الأساسي الذي يمارسه الإسلام تجاه كل نصراني . يقول العالم المسيحي « كراج » بأنه توجد شبهات كثيرة في الإسلام تجاه تعاليم المسيحية الأساسية ، ولهذا فلا بد أن يكون الهدف الثاني من الحوار هو تفسير وشرح التعاليم المسيحية للمسلمين الذين تلقوها بشكل مشوه من القرآن . ثم ينطبق الحوار كذلك على تفسير طبيعة الكتب المقدسة وتعاليمها التي تختلف كثيرا عن القرآن . بعد ذلك يبحث مكانة « عيسى المسيح » ومهمته بالنسبة للتثليث التي يسيء فهمها المسلمون ويعتبرونها كفرا

فلا بد من شرح ذلك ، كما لا بد من شرح خطيئة الإنسان وموت « عيسى » من أجل التكفير عن الذنوب وأخيرا لا بد من بيان طبيعة شخصية الكنيسة على اعتبار أنها « جسد المسيح » .

« وبعد أن كانت العلاقات بين النصارى والمسلمين في السابق علاقات مواجهة أصبح التركيز الآن على الحوار . ومثل هذا الحوار يجب أن لا يسيء إلى الإنجيل ، فمثلا ربما يرى البعض تفادي مناقشة التثليث في سبيل تعزيز الحوار . فمثل هذا يجب أن لا يحدث على الإطلاق ، كما أن الحوار يجب ألا يحل محل الدعوة بالإنجيل ، بل لا بد أن يكون واسطة تتحقق عن طريقها دعوته . والمسلمون يجب ألا يغرر بهم بهذا الخصوص بل لا بد أن يفهموا بوضوح أن النصارى يريدون أن يكسبهم للنصرانية . فمن أجل نشر الكلمة ، على النصارى أن يصادقوا جيرانهم المسلمين والأسر المسلمة ، وأن يتحدثوا معهم ؛ وهذه صداقة يجب أن تهتبل الفرصة لإزالة الشبهات حول الكتاب المقدس و« المسيح » ، وعلى النصارى أن يتصرفوا دائما بكرامة وثقة وحب حتى يكسبوا المسلمين . »

« ٢ - الدعوة إلى تنصير المسلمين سراً »

« والحوار أيضا يمكن أن يتخذ شكلا منظما مع المسلمين . فقد يؤدي هذا في الغالب إلى المواجهة وإلى زيادة العداة . لذلك فالاتصال الشخصي لنشر الإنجيل بطرق ودية هو طريق أفضل وعلى أعضاء الكنيسة أن يدرّبوا بهذا الخصوص . والسؤال الذي يطرح نفسه هنا : هل من الأفضل أن ندع المسلمين المنتصرين يعيشون كنصارى مجهولين بين المجتمعات المسلمة أم لا؟^(١) إذ يمكنهم أن يستمروا في أداء الشعائر الإسلامية والذهاب إلى

(١) هذا هو نفس أسلوب اليهود في « المدينة » في صدر الدعوة الإسلامية .. الأسلوب الذي كشفه القرآن الكريم حين قرروا أن يظهروا الإيمان أمام المسلمين ويختلطوا بهم على هذا الأساس ثم يعودوا إلى إنكاره ، بدعوى أنه ^{created with} تين لهم خلاف أو بطلان ما اعتقدوه ليفتنوا المسلمين =

المساجد . لكن من المشكوك فيه أن مثل هؤلاء الأشخاص الذين يعدون ويعتزلون عن الكلمة والتبشير المسيحي يمكنهم أن يواجهوا هذا الموقف ، فيمكن أن يكون وضعاً مؤقتاً فقط حتى يأتي الوقت الذي يوجد فيه عدد كاف من النصارى (عندها تؤلف جالياتنا النصرانية في نفس المنطقة) (١) .

٣ - توجيه المبشرين للاقتداء بسلوك الدعاة

ويعترف البروفيسور أيضاً بأن العقبة الأساسية التي تحول دون المنصرين ونجاح تنصير المسلمين هي سلوك الدعاة المسيحيين من ناحية ، وشعور المسلمين بأن النصارى يفصلون بين الدين والحياة اليومية ، في وقت يعتبر الإسلام أن حياة الإنسان وحدة متكاملة ولا يفصل بين الدين والدولة . ولهذا فهم يرون أنه : « من أعظم العقبات التي تعترض قبول المسلمين للإنجيل أسلوب الحياة والمثال السيء لكثير من النصارى . فالمسلمون يتهمون النصارى بأنهم يفصلون بين الدين والحياة اليومية ، وهذا يشكل تحدياً للنصارى ، فعليهم أن يطبقوا تعاليم الإنجيل في شؤونهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية . »



= ويشككهم في دينهم : « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون » آل عمران / ٧٢ .

(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية » - دولة الكويت

Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

التفرقة العنصرية والاستعمار .. جنباً إلى جنب

ويتابع كرافورد توصياته قائلاً :

« إن الأسلوب البارد يؤدي إلى جعل مبدأ (الله محبة) غير موثوق ولا مقبول . كذلك فالتفرق والتشردم والصراع بين النصارى يجعل المبدأ القائل بوحدة الكنيسة ، على اعتبار أنها جسد المسيح ، مبدأ لا قيمة له . كما أن العنصرين : الظلم الاجتماعي والتفرقة العنصرية واضطهاد الناس ، كل ذلك يتعارض مع عدالة الله ورحمته . والإسلام الذي يركز على الوحدة والأخوة والمساواة يتحدى النصارى بتطبيق مبادئهم بهذا الشأن . فالمسلمون يزدحون بنشر الاتهامات بأن النصارى يؤكدون العنصرية والتفرقة ويعززون ويررون التفرقة العنصرية . وعندما يقوم النصارى بإساءة معاملة أناس من جنس مختلف فإن ذلك يسمح بانتشار دعاية بأن الأخوة لا توجد إلا بين المسلمين . وإذا كان النصارى مستعدين لمساعدة المسلمين بالإعانات المادية في أوقات الأزمات فهذا دليل على اهتمام الله بالناس عند الحاجة . »

« وهكذا فهناك مجالات وحاجات اجتماعية ومظاهر ظلم يمكن فيها للمسلمين والنصارى أن يدرسوا التعاون مع بعضهم بعضاً . فالإسلام إذا يتحدى النصارى أن يتخلقوا بأخلاق مبادئهم وأن يظهروا العدل والرحمة في جميع المواقف وهذا يعني ببساطة أن يطبقوا الإنجيل في حياتهم اليومية »^(١) .



(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية » - دولة الكويت .

التفرقة العنصرية .. أضعفت التصير

« ثم من ناحية أخرى يشيرون إلى أن آثار الحروب الصليبية واستعمار « أوربا » للكثير من الأقطار الإسلامية ، وما ارتكب هناك من مظالم وأخطاء ، نفرت المسلمين منهم وساهمت في عدم قبولهم لفكرة التصير ، وبصورة خاصة في « جنوب أفريقيا » عملت قضية التفرقة العنصرية وتأييد الغرب لها على تنفير المسلمين ، وخاصة السود منهم ، لأنهم يرون أن الإسلام حارب معهم التفرقة العنصرية جنبا إلى جنب ، وأن الإسلام قدم نفسه على أنه ضد التفرقة العنصرية . أما الغربيون فقد وسعت التفرقة العنصرية الفجوة بينهم وبين الناس في « جنوب أفريقيا » . ومظالم التفرقة العنصرية أحدثت غربة كبيرة ومرارة عظيمة في نفوس هؤلاء الناس ، ومن جهة أخرى عمل كثير من المسلمين على التقرب للأفارقة بصورة أوثق وطرق أسلم وشاركوهم حياتهم وتفهموا أوضاعهم بصورة ، لو تمت في مكان آخر في « أفريقيا » ، لكان لها آثار إيجابية كبيرة جدا . »

« ونرى ، من ناحية أخرى ، أن بعضهم ينظر إلى التعاون بين الكنائس على أنه ضرورة لتقوية العمل التبشيري بين المسلمين ، لأن عملية تضافر الجهود عملية هامة جدا فهم يذكرون مثلا أنه : « لما كان العمل التبشيري بين المسلمين يعتبر صعبا للغاية فلا بد من تضافر الجهود بين الكنائس لإنجاحه ، ولا بد أيضا من عمل جهود مشتركة بين أسرة الكنيسة الهولندية ، وأن يتم بناء الهيكل الضروري لهذا التعاون ، ثم تتعاون الكنائس الأخرى معها مع تلك التي تعمل في صفوف المسلمين ، والتي تركز نشاطاتها التبشيرية بينهم ، فهذا من شأنه أن يساعد كثيرا . »

« وفي مدينة « الكاب » مثلا هناك تعاون وثيق بين « الكنيسة الهولندية التبشيرية » و« كنيسة التحدي مدى الحياة » التي أنشئت في عام ١٩٧٦م على يد « م . جيرهارد نيس » بغية العمل التبشيري بين المسلمين . و« التحدي

مدى الحياة « حريصة على تزويد الكنائس بالمعلومات المتوفرة والمطبوعات التي تحثها على مزيد من التبشير بين المسلمين . »

التصير تمهيد للاستعمار

« وعلى الكنائس أن تعلم أن إنشاء كنائس مستقلة للسود في « جنوب أفريقيا » يعتبر عقبة ضد انتشار الإسلام فيها ، إذ أن انتشار الكنائس يؤدي بالآلاف من أتباع الديانات التقليدية أن ينجذبوا وأن يُخطفوا بعيدا عن تأثير الإسلام المحتمل . »

« ومنذ أمد طويل يثار التساؤل التالي : هل سيتمكن الإسلام أم المسيحية في النهاية من كسب الشعوب التي تنتمي للكنائس التقليدية ؟ والظاهر الآن أن الأغلبية العظمى منهم سوف تبتلعها في النهاية الكنائس المستقلة للسود . » لذلك لا بد من توجيه مزيد من الاهتمام لتدعيم وإعداد هذه الكنائس حتى لا يعود أعضاؤها مرة أخرى إلى طرائقهم الوثنية وينتهي بهم المطاف إلى الإسلام^(١) .

من المواجهة إلى الحوار

« وفي الوقت نفسه نجدهم يتحدثون عن عملية العلاقة بين المسلمين والنصارى ، ويدعون فيها إلى أهمية الانتقال من المواجهة إلى الحوار لكسب المسلمين ، وحتى عن طريق امتداح الإسلام حيث يقول : « لاحظنا كيف تحول التركيز من المواجهة إلى الحوار . وهذا هو الحال بالنسبة للروم الكاثوليك والبروتستانت وعلاقتهم بالإسلام . إن قرار « الفاتيكان » رقم (٢) قد غير علاقات الروم الكاثوليك تغييرا جذريا ووثيقة « نوسترا إيتات » عام ١٩٦٥م تمتدح الإسلام الذي يدعو إلى عبادة الله الواحد ، وتدعو الوثيقة إلى نسيان

(١) نفس المرجع .

مواجهات الماضي وإلى تحقيق مزيد من التفاهم بين الطرفين . وفي عام ١٩٦٩م قدمت الكنيسة الكاثوليكية أسسا لإجراء حوار عملي مع الإسلام ونفذت ذلك عمليا منذ ذلك الحين . كما عين الفاتيكان لجنة خاصة للعلاقات مع المسلمين ونظمت مؤتمرات معهم وطلب إلى النصارى والمسلمين التعاون في الصراع ضد الإلحاد في كافة أنحاء العالم .

« كذلك شجع العالم البروتستانتي التعاون ؛ فهذا « هنري نوسي » في كتاب « الحوار مع الإسلام » يدعو إلى علاقات تعاون أفضل بشأن قيم دينية مشتركة . كما صدرت دعوات أخرى منذ ذلك الحين في مجلة (العالم الإسلامي) التي تصدرها مؤسسة ندوة « هارتفود » في « كونكتيكت » بأمريكا » مما مهد الطريق إلى علاقات صحية .

« وفي عام ١٩٥٤م عقد مؤتمر دولي كبير بين النصارى والمسلمين في « بجمدون » ببلنجان ضم أناسا من « آسيا » و« أفريقيا » و« أوروبا » ، ولم يكن هدفه وحدة العقيدة بل وحدة الناس الذين يؤمنون بها وجرت محاولات لإيجاد قيم دينية مشتركة يمكن أن تشكل أساسا للتعاون ، وشكلت لجنة مستمرة لتعاون النصارى مع المسلمين لتعزيز ذلك . وقد نجم عن ذلك السماح للمسلمين في الحضور كمراقبين في اجتماع « مجلس الكنائس العالمية » في « إيفانزتون » خلال ١٩٥٤م . كما أدى ذلك إلى تشكيل مزيد من المنظمات التي تدعو إلى تعاون وثيق . وفي عام ١٩٥٦م اجتمع زعماء المسلمين والنصارى واتفقوا على أن الفريقين يصلون إلى رب واحد وقد نجم عن ذلك رد فعل نقدي في « دي هيربان » في أبريل ١٩٥٦م .

حوار المنافقين

تلا ذلك عدة محاولات في أنحاء العالم لتعزيز مزيد من التعاون والحوار . وقد تقرر في عام ١٩٥٥م إنشاء منظمة دائمة هي « الأخوة العالمية للمسلمين والنصارى » ، كما شكلت « منظمة مشروع الإسلام » في « أفريقيا » عام

Created with

١٩٥٩م ، وكانت تهدف إلى الابتعاد عن الخلاف والمواجهة وإيقاظ موقف من المحبة والتقارب مع النصارى . ونظمت دورات لإبلاغ النصارى عن الإسلام ومضمون القرآن ، ولم يكن الهدف هو التبشير برسالة جديدة بل تنوير الكنائس القائمة والمبشرين حول دعوتهم للمسلمين .

« وكان البرنامج يعتزم ضم أكبر عدد ممكن من الكنائس ، لذلك عين عدد من المستشارين في أنحاء « أفريقيا » لمساعدة الكنائس فقاموا بالسفر عبر القارة والتحدث إلى الأعضاء والتجمعات بشأن الاتصال بالمسلمين »^(١)

وهنا نلاحظ كيف أن الهدف الأساسي من كل ذلك كان هو تثقيف أولئك المبشرين والمنصرين عن الإسلام ، حتى يكونوا على فهم أكبر يمكنهم من إجراء الحوار بصورة أقوى وبإحراج الدعاة من المسلمين ، الذين لا يكونون قد أعدوا إعداداً حسناً . ولا شك أن الكثير من المنصرين يحاولون تجنب أولئك العلماء الذين تكون لديهم قدرة كبيرة في الحوار ، ولديهم فهم أوسع للإنجيل وما دخل عليه من تحريف ومن تغيير ، كذلك الحوار الذي أجراه السيد « أحمد ديدات » الداعية الإسلامي من « جنوب أفريقيا » ، والذي كان له دور كبير في إحراج عدد كبير منهم وفي تحجيمهم وفي فضح كثير من القضايا التي اشتمل عليها الإنجيل الحديث ، وأنه كلام غير كلام الله عز وجل ؛ وأن الله عز وجل لا يمكن أن يقول كلاماً كهذا ، حتى اعترفوا بذلك بأنفسهم كما رأينا في الحوار الذي تم مع القس « سواجارت » وأعقبه الفضيحة الكبرى التي مني بها هذا القس وما اكتشف من حياته الخاصة ، وما يتمتع به من كذب وخسة في حياته الخاصة التي حاول أن يظهر أمام الناس بمظهر مخالف لها حتى فضحه الله عز وجل . ونشر التليفزيون الأمريكي عشية إقامتنا في نيويورك صوراً كاملة « لسواجارت » وما يقوم به من علاقات جنسية رخيصة يحاول أن يتستر عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى فضحه بعد أن هاجم الإسلام وأساء إلى

شخصية الرسول ﷺ .

وشاهد الأمر هنا البروفسور « أحمد ديدات » وأمثاله من الذين يجيدون الحوار مع هؤلاء النصارى ، حتى حرصوا في الآونة الأخيرة على تجنبهم ، لأن مثل هذا الحوار في غير صالح عملية التنصير ، ولكننا من ناحية أخرى نلاحظ أنهم في الوقت الذي يقتربون فيه من الحوار يركزون على أهمية التنصير ، كما هو واضح في الفقرة التالية : « ولكن يمكن انتقادهم بأنهم ينشرون دراسة الإسلام أكثر مما يقومون بالتبشير بين المسلمين ، وهناك إغراء كبير على كل حال لتبخطي الحدود المرسومة في عملية التعريف بالعقائد الإسلامية ، وعلى النصارى أن لا يتحولوا أبدا عن مبدأ تنصير المسلمين . لا بد أن نقبل باستمرار وجود دور العبادة النصرانية والإسلامية في « جنوب أفريقيا » جنبا إلى جنب . »

« لذلك من الأمور الحيوية أن توجد عناية كافية لتعزيز العلاقات ، ولا خيار للنصراني من أن يتقبل المسلمين كجيران له على أن يظهر نحوهم الحب والرحمة . كما يجب قبول المسلمين كمواطنين ، لا بد من حماية حقهم في حرية الدين ، وحقوق المشاركة في الحكم ؛ ولا بد من إثبات حقهم في اقتصاد البلاد . ولا بد من السماح لهم ببناء مؤسساتهم والمبدأ الذي ينطبق هنا هو أن يحب الإنسان لأخيه ما يحبه لنفسه . »

« فالهدف إذا هو التعايش السلمي بين المسلمين والنصارى في وطنهم المشترك ، فعلى الفريقين أن يبذلا قصارى الجهود لتعزيز ذلك . وهذا لا يعني أبدا أن على النصارى أن يضحوا بالتبشير لتنصير المسلمين ودعوتهم « بالمسيح عيسى » . وكل منظمة في « جنوب أفريقيا » تعمل على خدمة جميع الكنائس في مهمتها التبشيرية وعلاقاتها مع المسلمين هي وحدها المنظمة الهادفة ^(١) .

(١) الإسلام في مواجهة الكنيسة في « أفريقيا » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف

لماذا تنصرون المسلمون؟؟

إنهم هنا يؤكدون على أن التعايش الذي يستهدفونه ليس إلا وهما ، وأن الجميع يجب أن لا يتحولوا - كما في هذا النص الذي نقلته هنا - أن لا يتحولوا أبداً عن مبدأ تنصير المسلمين ، الذي هو هدفهم وغايتهم النهائية . وأذكر هنا بهذه المناسبة الحوار الإسلامي الأوربي الذي تم برئاسة المرحوم معالي الشيخ « محمد الحركان » ، رحمه الله تعالى ، وكان لي شرف المساهمة فيه مع مجموعة كبيرة من العلماء منهم الشيخ « محمد بن جبير » والشيخ « راشد بن خنين » والشيخ الدكتور « معروف الدواليبي » والشيخ « فضل عقيل » والشيخ « عبد العزيز المسند » ومجموعة كبيرة من العلماء . وفي هذا الحوار الذي تم في « جنيف » وفي « ستراسبورج » وفي « روما » التقينا في « روما » بالبابا وكان في وقتها هو « البابا بولس السادس » .

وبعد إجراء الحوار معه ، والذي كان فيه وديعا لطيفا متفهما ، وكذلك الكرادلة الذين حضروا هذا النقاش ، وخاصة الكاردينال « بيفاردلي » ، توجهت إليه بسؤال ، قلت : إنه في حديثه تحدث عن الإسلام بصورة طيبة ، وقلت إذا كانت هذه هي نظرتكم عن الإسلام فلماذا يسعى المنصرون في « أفريقيا » إلى إخراج المسلمين من إسلامهم بدلا من تكاتف الجهود لدعوة الناس لعبادة الله ، والاستفادة من كل الجهود للدعوة ولتعليم الناس الذين لم يلتحقوا بأي دين ولا يعرفون لها حتى هذا الوقت . فكان من الأولى إذا أن لا يتوجه النصارى بجهودهم نحو تنصير المسلمين بل يوجهوا هذه الجهود إلى أولئك الناس وإلى تلك الفئات من غير أهل الديانات ، والذين لم يلتحقوا كما ذكرت بأي دين .

وكان جواب البابا دبلوماسيا إلى حد كبير ، حيث ذكر أن هذا ليس له علاقة بتوجهات الكنيسة ولا بتوجهات الفاتيكان ، ولكن هؤلاء مجموعة من المتطرفين ، المتطرفين في الدعوة الإسلامية وفي غيرها ، وأنا

يجب أن نفهم تصرفات هؤلاء في هذا الإطار فقط ، وأنها ليست عملية منظمة وليست دعوة من الفاتيكان لتنصير المسلمين .

ولكن حقيقة الأمر أن كل الجهود النصرانية وكل جهود المنصرين في كل مكان ، للأسف ، تبدأ أول ما تبدأ بعملية تنصير المسلمين ، وقُل أن تجد من هؤلاء من يرغب في التعاون فقط لإدخال أولئك الذين ليس لهم دين إلى الدين النصراني أو إلى الدين الإسلامي ، بل على العكس تجد أن كل جهودهم مركزة على تنصير أبناء المسلمين ، ونراهم ، كما يحدث اليوم في « أفريقيا » أو كما يحدث في « أندونيسيا » ، يعملون على تنصير أبناء المسلمين بالآلاف ، ويأخذون الأطفال صغاراً لينقلوهم إلى مدارس تبشيرية خارج بلادهم ليعودوا دعاة للنصرانية بين أبناء المسلمين .

ومن يتبع اليوم ما يجري في شرق « آسيا » ، وعلى وجه الخصوص في « أندونيسيا » ، يجد ما يؤكد أن حركة التنصير في العالم تستهدف ، أول ما تستهدف ، المسلمين في كل مكان في العالم ؛ ولهذا تركز بصورة خطيرة على « أندونيسيا » اليوم كما تركز على جوانب كثيرة في « أفريقيا » . ولا بد أن نتنبه لهذه المخاطر ولا بد من أن نفهمها في نفس إطارها الحقيقي حتى نعمل على التصدي لها وعلى حماية أبناء المسلمين وأوطان المسلمين من هذه الهجمات الشرسة .



الأقطار الأفريقية الشمالية

لقد تعمدت إبقاء الأقطار الأفريقية الشمالية ، فيما يلي « مصر » ، إلى نهاية هذا العرض لسببين : أولهما أنني تابعت ، من خلال ما سبق عرضه ، حركات انتشار الإسلام التاريخية ، قدر الإمكان ، في وسط « أفريقيا » وغربها وجنوبها ؛ وثانيهما أن أقطار شمالي « أفريقيا » ، من « ليبيا » حتى « موريتانيا » ، هي أقطار عربية ، وعلى أكثرها تقع مسؤولية المشاركة في الإجابة العملية على السؤال الذي جعلته عنوانا لهذا الكتاب وهو :

- « أفريقيا .. لماذا ؟ » ..

من ليبيا .. إلى موريتانيا !

عن طريق « ليبيا » سارت كتائب المجاهدين الأوائل مغرّبةً في طريقها إلى سواحل « الأطلسي » « بالمغرب الأقصى » . فعلى أثر فتح « مصر » على يدي « عمرو بن العاص » ، رضي الله عنه ، سار غربا حتى « برقة » ، وصالح أهلها ثم نزل في « طرابلس » - وكانت تدعى « أطرابلس » - سنة اثنتين وعشرين هجرية ، وفي ولاية « عبد الله ابن سعد بن أبي سرح » الذي خلف « عمرو بن العاص » كان يبعث بالسرايا لتصيب طرفا من « أفريقيا » كما ذكر « ابن عبد الحكم » في كتابه « فتوح مصر والمغرب » ، وفي أواخر خلافة « عثمان بن عفان » ، رضي الله عنه ، باتت « ليبيا » قاعدة للمسلمين ، ومنها يغذون حملاتهم نحو الغرب ، وقد تلا ذلك ، فيما بعد ، هجرة عدد من القبائل العربية التي كانت تسكن شبه الجزيرة إلى « ليبيا » و« تونس » ومنها قبيلة « سليم » من « قيس عيلان » ، « وبنو هلال » ، وهم أيضا من « بني سليم » ، فانتشروا في معظم أجزاء شمال « أفريقيا » فيما يلي « مصر » غربا ، وفي حوالي

القرن الخامس الهجري أصبح شمال « أفريقيا » عربي الطابع واللسان ، واختلط العرب فيه بالبربر ، وكونوا شعوبا جديدة تدين جميعها بالإسلام ..

وفي بداية القرن الثالث عشر الهجري ظهرت في « ليبيا » دعوة « محمد بن علي السنوسي » الذي انتقل من « الجزائر » إلى « برقة » وأقام فيها بعد أن شيد « الزاوية البيضاء » في الجبل الأخضر ، وكانت دعوته تهدف إلى إصلاح النفوس بالإسلام ، وأنشأ « الزوايا » في الواحات الواقعة بين « فزان » و « كاتم » ، لتكون مراكز للعبادة والدراسة والتهيؤ للجهاد ، وقد أدت هذه الزوايا إلى توطين كثير من البدو الرحل واستقرارهم في مجتمعات صغيرة متكاملة .

وفي العام ١٩١١م ، اعتدت « إيطاليا » على « ليبيا » ، فهب الليبيون بقيادة الشيخ « أحمد الشريف السنوسي » للمقاومة ، فأصدر الإيطاليون منشورا يتعهدون فيه بعدم التعرض للإسلام في « ليبيا » أو المساس به ، ولكن « أحمد الشريف السنوسي » أعلن : « نحن والصلح على طرفي نقيض ، ولا نقبل صلحا ثمنه تسليم البلاد للعدو » .

كانت « ليبيا » إذ ذاك تابعة للامبراطورية العثمانية ، التي كانت قد دخلت مرحلة « المرض » الذي جعل أوروبا تسميها « الرجل المريض » والذي انتهت بعده بسنوات قليلة إثر الحرب العالمية الأولى ، ولذا فقد انسحبت الحماية التركية من « ليبيا » ، وأبلغ ممثل الحكومة العثمانية الشيخ « أحمد السنوسي » أن الباب العالي يعهد بأمور « طرابلس » (يعني « ليبيا ») إليه ، ويترك له مسؤولية الدفاع عنها ، وهكذا اضطر الشعب الليبي لمواجهة القوات الإيطالية وحده ، فكان من ثم تاريخ طويل من الجهاد الذي استمر إلى نهاية الحرب العالمية الثانية حيث تولى البريطانيون أمرها مؤقتا إلى أن صدر قرار الأمم المتحدة باستقلالها (١٩٥١) .

مساحة « ليبيا » (١,٧٥٩,٥٤٤) كيلومترا مربعا إلا أن معظم هذه

المساحة صحراوي قاحل ، وعدد سكانها (٢,٦٣٠,٠٠٠) نسمة جميعهم مسلمون .. واقتصادها يقوم على البترول الذي يؤمن لها دخلا عاليا .

ويكاد يكون من أصعب الأمور علينا أن نستعرض تاريخ دخول الإسلام في شمال « أفريقيا » ، بدءا من « ليبيا » وانتهاء « بموريتانيا » ، كلا على حدة ، فلقد امتزج هذا التاريخ واتصل إثر فتح « مصر » ، وأشار إليه المؤرخون العرب « كابن الأثير » ، و« ابن عبد الحكم » ، و« البلاذري » ، على أنه كَلُّ واحد ، وكانوا يستخدمون تعبير « المغرب » في إشارتهم إلى انطلاق الفتوح غربي « مصر » ، لا سيما وأن الوضع الجغرافي والبشري في تلك البقاع ، كان في الربع الأول من القرن الأول للهجرة - زمن خلافة « عمر » و« عثمان » رضي الله عنهما - كان يختلف تماما - بطبيعة الحال - عما هو عليه اليوم ، فكانت رواية المؤرخين ، بالتالي ، تأخذ بتلك المناطق كوحدة جغرافية وبشرية واحدة ، فيتحدثون تارة عن « أطرابلس » و« غدامس » - وهما في « ليبيا » اليوم ، ويشيرون إلى « القيروان » - وهي في « تونس » اليوم - ويتحدثون عن « أفريقيا » وهم يعنون ما يعرف اليوم « بتونس » و« ليبيا » .

قادة كبار وفتوحات كبرى

لقد سار دخول الإسلام إلى « أفريقيا » شمالا بخطى متواصلة منذ أواخر خلافة « عمر بن الخطاب » ، واستمرت أيام خلافة « عثمان » رضي الله عنهما ، وأخذ بها « معاوية » ومن تلاه من خلفاء الأمويين حتى عهد « عمر بن عبد العزيز » .

وكان الفتح في بادئ الأمر ، بطيئا ، لا سيما بعد أن رفض « عمر بن الخطاب » ، رضي الله عنه ، أن يأذن « لعمر بن العاص » بالتوسع في الفتح غربي « مصر » ، فاكتفى « عمرو » بإرسال السرايا في غزوات خاطفة ، كما سبقت الإشارة ، واستمر خلفه « عبد الله بن سعد بن أبي سرح » في هذه السياسة

ويستأذنه فوافق « عثمان » بعد أن شاور الناس ونادى بهم للخروج إلى « أفريقيا » .

وهكذا استمر الفتح غربا ، يقاتل الروم طورا ، ويصطدم بالبربر طورا آخر ، ويجابه ملوكا وأمراء منهم « الأمير كسيلة » البرنسي ؛ أسلم وكان من رجال القائد الفاتح « أبي المهاجر » ، أهانه « عقبة بن نافع » الذي عامل « أبا المهاجر » معاملة سيئة .. ثار « كسيلة » وفي إحدى المعارك بين جيشه الكثيف وبين « عقبة » استشهد هذا القائد العظيم كما استشهد معه « أبو المهاجر » .. وقد هزمه « زهير البلوي » ، رضي الله عنه ، فقتل « كسيلة » في المعركة الفاصلة .

وقد لمع عدد من أسماء قادة المهاجرين منهم « العبادلة » الذين عرفت إحدى الغزوات الأولى بهم لوجود « عبد الله بن عمر » ، و « عبد الله بن عمرو » ، و « عبد الله بن الزبير » ، و « عبد الله بن عباس » ..

واشتهر أيضا « معاوية بن حديج » الذي كان « عبد الملك بن مروان » ، أحد كبار خلفاء بني أمية في « دمشق » ، في عداد جيشه ، ولم يكن ولي الخلافة بعد ، وإنما كان خلفاء الأمويين يحرصون على إرسال أبنائهم للجهاد استكمالا لتربيتهم ، وكان « ابن حديج » أول من أنشأ « القيروان »^(١) في « أفريقيا » ، وكان في جيشه عدد من المهاجرين والأنصار ، ويقول « ابن عبد الحكم » في « فتوح مصر والمغرب » أن « معاوية بن حديج » غزا « أفريقيا » ثلاث مرات .. الأولى سنة أربع وثلاثين والثانية سنة أربعين والثالثة سنة خمسين للهجرة .

وكانت تواريخ تعاقب الولاة على « أفريقيا » (« تونس ») و « المغرب » كالتالي :

- ١ - ولاية « عقبة » الأولى : ٤٩ - ٥٥
- ٢ - ولاية « دينار أبي المهاجر » : ٥٥ - ٦٢
وقد أسلم « كسيلة » على يديه وتبعه نفر كبير من قومه .
- ٣ - الولاية الثانية « لعقبة بن نافع » : ٦٢ - ٦٤
ويختلف المؤرخون في المدى الذي بلغه « عقبة بن نافع » في فتوحه ، فقالوا إنه وصل إلى ساحل « المحيط الأطلسي » ودفع جواده إلى الماء وقال كلمته المشهورة : « والله لولا هذا البحر لمضيت مجاهدا في سبيل الله » . وقد استشهد « عقبة » أثناء عودته على يد « كسيلة » كما تقدم .
- ٤ - ولاية « زهير بن قيس » : ٦٩ - ٧١
وهو الذي قضى على « كسيلة » (ينطق كُسيَلة أو كُسيَلة)
- ٥ - « حسان بن النعمان » : ٧٦ - ٨٥
وهو الذي قضى على الكاهنة .
- ٦ - « موسى بن نصير » : ٨٥

وكان أول قائد إسلامي حقق الفتح الدائم والنهائي هو « عقبة بن نافع الفهري » الذي كان يربط في « برقة » منذ فتحها ، وانطلق سنة ست وأربعين متجها نحو الغرب ، فأنشأ « القيروان » الذي أصبح مدينة ما زالت قائمة إلى اليوم في « تونس » - بدل « القيروان » الذي أنشأه « معاوية بن حديج » ، كقاعدة تنطلق منها الجيوش مثلما كان الشأن في « الكوفة » و« البصرة » « بالعراق » .

والتاريخ يسجل لوالي « أفريقية » « موسى بن نصير » ، عام ٨٥ هـ ، أنه هو الذي فتح « المغرب » بعد مقاومة عنيفة من ملوك البربر وقادتهم ، ذلك أن هؤلاء يتصفون بنفس صفات العرب الأوائل من حيث سهولة التنقل والارتحال بالنسبة إليهم ، وإباؤهم للخضوع ، فكان أن احتاج فتح « أفريقيا » الشمالية فيما يلي « مصر » غربا ، إلى وقت طويل تعاقب فيه كثير من

الخلفاء ، منذ أواخر خلافة « عمر بن الخطاب » وحتى خلافة « الوليد بن عبد الملك » ..

عرب ووبر ؟ كلا ، بل مسلمون !

وعلى أي حال ، فقد استقر الأمر للإسلام والمسلمين في شمال « أفريقيا » من « مصر » إلى شواطئ « الأطلسي » ، فأقبل البربر على الإسلام طائعين يدخلون فيه أفواجا ، وامتزجوا مع القبائل العربية والمجاهدين والعلماء والتجار والصناع الذين أتوا إلى تلك البقاع بأعداد كبيرة ، ولم يلبث البربر أن أصبحوا بدورهم دعاة ومجاهدين في سبيل الله ، فشاركوا بنصيب كبير في فتح « الأندلس » ، وكانت لهم جهودهم في خدمة الإسلام والمسلمين ، وبات « المغرب الكبير » يمتد من « ليبيا » إلى شواطئ « الأطلسي » ، وكان لأهالي هذه الأصقاع ، وبخاصة « المغرب » و « موريتانيا » دور هام في نشر الإسلام غربي « أفريقيا » ووسطها على النحو الذي أشرنا إليه عند استعراض حال المسلمين في تلك المناطق .

.. مسلمون فقط

بقي أن نذكر أن جميع سكان « تونس » و « الجزائر » و « المغرب » و « موريتانيا » مسلمون باستثناء أقلية يهودية ذهب أكثرها إلى « فلسطين » المحتلة ، وبقي منها عدد قليل . وفيما يلي بيان عن هذه الدول من حيث المساحة وعدد السكان :

« تونس » :

المساحة : ١٦٤,١٥٠ كيلومترا مربعا .

السكان : ٥,٧٧٠,٠٠٠ نسمة .



nitro PDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

« الجزائر » :

- المساحة : ٢,٣٨١,٧٤٥ كيلومترا مربعا .
- السكان : ١٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة .

« المغرب » :

- المساحة : ٦٥٩,٩٧٠ كيلومترا مربعا .
- السكان : ١٧,٨٠٠,٠٠٠ نسمة .

موريتانيا :

- المساحة : ١,٠٩٧,٢٠٠ كيلومترا مربعا .
- السكان : ١,٤٨٠,٠٠٠ نسمة .

وهكذا أحصينا تسعا وخمسين دولة أفريقية (بما فيها الجزر الصغيرة) ، واستعرضنا أحوال المسلمين فيها قدر الحاجة التي اقتضاها منهاج الكتاب ، ووفق الهدف الذي أرمي إليه من ورائه ، بأكثر ما يمكن من الإيجاز والموضوعية والتركيز .

على أنه لا بد من الإشارة إلى أن إحصائيات السكان ، وأعداد المسلمين في الدول الأفريقية المختلفة ، ليست كلها دقيقة تماما ، والسبب في ذلك هو عدم وجود أرقام ثابتة في هذا الشأن ، واختلاف السنوات التي تعود إليها تلك الإحصائيات في كل دولة ، وتضارب المصادر المختلفة ، باللغات العربية وغير العربية ، في بعض الأرقام - حتى بالنسبة للمساحة - فاخترت منها أقربها تاريخيا وحرصت على موضوعية الاختيار قدر ما استطعت .

وليس هذا حالي وحدي ، فكل من كتب عن « أفريقيا » أشار إلى هذه الحقيقة ، وأبدى افتقاره إلى الأرقام الدقيقة ، لا سيما وأن مناهج الدراسات التي وضعت عن « أفريقيا » ، قد اختلفت باختلاف الاتجاهات والأهواء ..

ففي حين تعتمد المصادر الصليبية إلى الإقلال من عدد المسلمين في « أفريقيا » ، يستثني آخرون الأقطار العربية الخالصة من هذا الإحصاء ، ولو عن حسن نية ، وفي تقديري أن « أفريقيا » هي « أفريقيا » ، بسودها وبيضاها ، وبالمتكلمين بالعربية وغير العربية من عشرات اللغات الأفريقية والمحلية والأوربية ، ولا يمكن لأية نظرة شمولية تهدف إلى عرض واقع « أفريقيا » ، أن تغفل أي جزء منها لأي سبب كان ..

شاهد من غير أهله !

وفي كتاب موضوعي إلى حد بعيد ، ألفه فنان مونتني (Vincent Monteil) بعنوان الإسلام الأسود (L' Islam Noir) ويعني به « الإسلام في « أفريقيا » » أبدى المؤلف نفس ما أشرت إليه من صعوبة الحصول على أرقام دقيقة عن « أفريقيا » ، وييدي أسفه لأن معظم المعلومات مستقاة من « الأجانب » ومن رجال الإرساليات « التنصيرية » بالذات ، ويسجل دهشته من أن هؤلاء يقللون عدد المسلمين في « أفريقيا » بنسبة خمسين في المائة « بخفة وبدون تدقيق » .

وبعد أن يوازن المؤلف بين الأرقام المتوفرة لديه ، ويعرض اختلافها وتناقضها يصل إلى حقيقة قاطعة لا يمكن لأحد إنكارها وهي :

« إن الإسلام في « أفريقيا » يتقدم ويزدهر ، وأنه يعيش منذ سنوات في حيوية واندفاع كبيرين ، ويشهد على ذلك رجال الإرساليات المسيحية أنفسهم . » (وتلك هي عبارات المؤلف الفرنسي بالحرف الواحد) .

- ويروي المؤلف أن « الأب كوك » أحد أعضاء الإرساليات « التنصيرية » في « أفريقيا » قال له :

- لا توجد في « أفريقيا » جماعة واحدة غير قابلة لتسرب الإسلام إليها ، وإن الإقبال على الإسلام يستمر ، ليس فقط في أوساط الوثنيين ، بل -

- وأيضا - في الأوساط التي سبق لها اعتناق المسيحية . «

ويروي المؤلف حقائق جديدة بالتقدير ، فيقول أن الإسلام في « السنغال » هو دين ٩٢٪ من السكان ، مما يترك حيزا ضيقا جدا للأديان الأخرى ، وأنه عرف شخصا قرى أفريقية دخلت في الإسلام بكامل أبنائها ، وأن بعض هذه القرى بالذات كانت تكن عداً شديدا للإسلام ، لدرجة أنها كانت تحرق الكرسي الذي يجلس عليه المسافر إذا كان مسلما ، ثم تحولت كلها ، في السبعينات وأوائل الثمانينات ، إلى الإسلام ..

ويقول أن قبائل « البابرا » في « مالي » كانت تعتبر « حصنا حصينا للوثنية » فاستعصت على الإرساليات « التنصيرية » وها هي الآن بدأت تدخل في الإسلام تباعا .

ويتحدث المؤلف عن حادثة وقعت في « بينين » (داهومي) رواها له مراسل مجلة « لوموند » وهي أن إحدى القرى الوثنية هناك اشتركت في بناء كنيسة بإشراف إحدى البعثات « التنصيرية » ولكن القرية ذاتها تحولت إلى الإسلام منذ ثلاث سنوات ..

ويضيف :

« لم يكن تقدم الإسلام في « توجو » بأقل منه في الدول المجاورة ؛ فمنذ عام ١٩٢٤م تضاعف عدد سكان « توجو » ثلاث مرات ، أما عدد المسلمين فقد تضاعف ست مرات ، ويعود تشييد أول مسجد في « توجو » إلى عام ١٨٢٠م في مدينة « سوكوندي » التي لا تزال تعتبر إلى اليوم عاصمة الإسلام في البلاد .

ويشرح المؤلف بعد ذلك الغاية التي استهدفها من إطلاق اسم « الإسلام الأسود » على كتابه فيقول أن بعض الأفارقة ، من المسلمين والمسيحيين على السواء ، احتجوا على هذا الاسم وطلبوا تغييره ، ولكنه تمسك به لسببين :

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الأول هو أن الكتاب قد ظهر في الطبعة الأولى بنفس الاسم ولا يجوز تغييره في الطبعة الثانية ؛ والثاني أنه أراد أن يحدد معالم حديثه في الأقطار الأفريقية السوداء ، فلم يتناول شمال « أفريقيا » العربي ذا الألوان المتعددة ، ويقول أن أحد العلماء المسلمين الأفريقيين - وهو الشيخ « أمادو هباني با » - قال بلهجة قاطعة :

« - لا وجود للإسلام الأسود .. فليس للإسلام في « أفريقيا » لون أكثر مما للماء لون ، وهذا يفسر نجاح الإسلام ، فهو قابل للتكيف مع الأرض التي ينبت فيها . »

تلك شهادة من باحث منصف ، شجب المحاولات التي بذلت للإقلال من شأن الإسلام في « أفريقيا » ، أو مجافاة الواقع في الإحصائيات ، ويؤكد جازماً أن الإسلام هو الدين السماوي الأول في « أفريقيا » ، وأن أية إحصائيات تنشر في هذا الصدد يجب أن تأخذ هذه الحقيقة في تقديرها ، وأنه إذا كان عدد سكان « أفريقيا » هو أربعمائة مليون نسمة ، فإن تسعين مليوناً منهم هم من المسلمين دون أن يدخل في هذا الرقم مسلمو « أفريقيا » الشمالية الذين يزيدون كثيراً عن تسعين مليوناً ، فكيفما كان منهاج الإحصائيات وغاياتها فإنها لا يمكن - قطعا - أن تخفي الحقيقة مهما حاولت .

خلاصة

وأود ، أخيرا لا آخرا ، أن أستنبط مما أوردته في هذا الفصل جملة حقائق عليها بنيت منهاج الكتاب كله ، مستندا - كما مر - إلى الحقائق التاريخية ، والإحصائيات المتوفرة والوقائع .

هذه الحقائق هي :

* إن العلاقات القائمة بين العرب و « أفريقيا » هي قديمة وعريقة ، ولا تماثلها علاقات أية أمة في العالم تبادلت هذه العلاقات مع أي بلد أفريقي .

* إن العرب قد أحدثوا في « أفريقيا » علامات وتغييرات ، أخذت أصلها من العروبة ، وقالبها من « أفريقيا » ، فظهرت في القارة بقلب عربي وجسم أفريقي .

* إن العرب هم الأمة الوحيدة التي استمرت علاقاتها مع « أفريقيا » وازدادت توثقا ومتانة .

فلقد مر على « أفريقيا » أقوام كثيرون منهم الرومان ، في الزمن القديم ، والبريطانيون والفرنسيون والهولنديون والألمان والأسبان والبرتغاليون والبلجيكيون والطلليان في الزمن الحديث ، ولكن هؤلاء جميعا كانوا غزاة ومستعمرين ومستغلين ، قاومهم الأفريقيون بضراوة ، ولم ينسجموا معهم قط .

ففي الزمن القديم جاء العرب إلى « أفريقيا » ليقضوا على كل أثر للرومان في القارة ، وفي الزمن الحديث كان للعرب ، قدر إمكانهم ، جهود في مساعدة بعض الأقطار الأفريقية على التحرر ، انطلاقا من عراقه الصلات التاريخية ، وكان

« أفريقيا » عاما ، إلى أن تحررت القارة بأكملها عدا الجيوب الأوربية التي ما زالت باقية .

ولقد لاحظنا أن أول ما عنت به الدول الأفريقية ، بعد تحررها ، هو التخلص من كل أثر للاستعمار ، فاستعاد بعضها أسماءه التاريخية القديمة ، وألغى معظم الأسماء التي أطلقها الاستعماريون الأوربيون على الدول والمدن والمناطق ، وأحى اللغات المحلية ، وتوسع في استخدام اللغة العربية ، وعنى بتعميق الوجود الإسلامي ، حتى بالنسبة لبعض الدول التي يعتبر المسلمون فيها أقلية .

وسبب ذلك ، في اعتقادي ، أن الأفريقيين لم يشعروا بحساسيات تجاه علاقاتهم العربية والإسلامية ، مثلما هو الشأن في علاقاتهم بالغرباء الأوربيين ، وأن العكس هو الصحيح ، لأن التحرر من ربة المستعمر قد أفسح في المجال أمام الأفريقيين للتعبير عن تمسكهم بصلاتهم بالإسلام والمسلمين ، والعرب والعروبة .

التنصير في خدمة الاستعمار

والعرب ، بعد هذا ، هم الأمة الوحيدة التي بقيت تأثيراتها في القارة الأفريقية في مختلف أدوار التاريخ الأفريقي قديمه وحديثه ، وهذا دليل على عمق تلك التأثيرات من جهة ، وسلامتها من جهة أخرى ، وملاءمتها للإحساس الأفريقي العام من جهة ثالثة ، ففي حين أن تأثيرات الرومان قد تلاشت أو كادت ، ولم تعد - اليوم - أكثر من آثار سياحية ، فإن تأثيرات المستعمرين الأوربيين كانت نابعة من منطلقات أنانية خالصة ، فالأوربي جاء « أفريقيا » غازيا ، قاهرا ، ظلما ، سالبا ، مستغلا ، بنى بعض الأحياء الجميلة لصالحه هو ، وأقام مشروعات تعدينية وزراعية وصناعية لحسابه هو ، وحرص على إبقاء حالة التخلف والجهل والمرض لدى السواد الأعظم من الأفريقيين ، مما يحضرنى معه PDF

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

لا « مستعمرين » فهم لم يعمروا شيئا لصالح أهل البلاد ، واتخذوا من الإرساليات « التنصيرية » نوعا من وسائل السيطرة فمن عجب أن يوجهوا كل تلك العناية لنشر المسيحية في « أفريقيا » ، بينما يهملونها في بلادهم ذاتها ، ونجد بينهم من يجاهر ويفاخر ، بإنكارها واستنكارها .

إن بين أيدينا أكثر من تجربة نموذجية ، تبين لنا الأهداف الاستغلالية الكامنة وراء التحركات الأوربية في « أفريقيا » ..

لقد تضافرت قوى معظم دول « أوروبا الغربية » لدعم الحركة الانفصالية في « نيجيريا » (التي تعتبر أكبر دولة إسلامية في « أفريقيا ») عندما أنشئ ما سمي بدولة « بيافرا » ، وبذلت جهود هائلة شاركت فيها « ألمانيا الغربية » و « بريطانيا » و « أمريكا » و « الفاتيكان » لدعم « بيافرا » وفصلها عن الوطن الأم ، ولكن هذه المؤامرة - التي استمرت سنوات - لم تنجح ، وعادت إلى « نيجيريا » وحدتها .

ونفس القول ينطبق على محاولة فصل إقليم « كاتانجا » عن « الكونغو » ، بواسطة العميل الشهير « تشومبي » والتي انتهت كذلك بالفشل .

وكان الهدف من المؤامرة الأولى هو إقامة دويلة « مسيحية » تناوى « نيجيريا » التي تعتبر مسلمة ، لإيجاد خراج جديد في الجسم الأفريقي إضافة لما هو موجود فيه عبر « جنوب أفريقيا » وسواها ..

وكان الهدف من المؤامرة الثانية هو السيطرة على مناجم النحاس في « كاتانجا » لصالح الاحتكارات الصناعية الأوربية الكبرى ..

وفي الحالتين ، كليهما ، لم يكن للمصلحة الأفريقية الخاصة أدنى اعتبار في تقدير المتآمرين ، وإن اختلفت الحجج والمعاذير .

بُناة .. لا غُزاة

والعرب لم يدخلوا غزاة أبدا ..

فهم قد جاؤوها ، قبل الإسلام ، تجارا ، و جاؤوها بعد الإسلام محررين .. فمعظم المعارك التي خاضها المسلمون الذين قدموا من « شبه الجزيرة العربية » ، إنما كانت مع المحتلين الرومان ، ولم تكن مع أهالي البلاد الذين قاتل بعضهم - كما سبقت الإشارة - إلى جانب المسلمين ، وحين استتب الأمر للمسلمين لم يكرهوا أحدا على الدخول في دينهم ، وإنما عاملوا الناس وفق ما أمرهم به هذا الدين ، فلا غرابة إذن في أن يدخل أهالي « أفريقيا » الشمالية في الإسلام طائعين غير مكرهين .

وحتى المعارك التي نشبت بين المسلمين وبعض البربر في أجزاء من « أفريقيا » الشمالية ، لا يمكن - في رأيي - اعتبارها حروبا استعمارية ، فالعرب المسلمون قد قاتلوا العرب غير المسلمين في بلادهم نفسها ، وكان لهذا القتال أسبابه ، فلا تنتقص المعارك التي خاضها المسلمون مع بعض البربر من الأهداف النبيلة التي جاء المسلمون إلى شمال « أفريقيا » من أجلها ، والدليل على ذلك أن البربر قد دخلوا بعد ذلك في الإسلام ، وحفظ لهم تاريخه كثيرا من الأجداد والمكرمات والبطولات ، في الدعوة إلى دين الله وخدمة الإسلام والمسلمين في القارة الأفريقية .

العلاقة بين العرب و« أفريقيا » ، إذن ، هي علاقة عضوية : تاريخية وجغرافية وبشرية وحضارية وثقافية ، وفوق هذا كله : علاقة دينية ، يعتبر بعضها مما أمر به الإسلام من حيث التواد والتراحم والتواصل والتعاون والتضامن ، ف« أفريقيا » منا ونحن منها ، وهي لنا ونحن لها ، وأكثر من ثلثي الوطن العربي - بالمعنى المجرد - موجود في « أفريقيا » ، وهو يمارس عروبوته وأفريقيته بمثل البساطة التي بها يتنفس ويأكل ويشرب ويعيش ، وتلك حقائق ، إن أنكرها أحد ، فإنها تستنكر هذه الأفكار في الحال ، وهي ليست كلاما



يرسل في الهواء ، وإنما هي واقع ملموس ، يفرض علينا - نحن العرب - واجبات ، وعلى « أفريقيا » واجبات ، ويستدعي لنا حقوقا ، ولأفريقيا حقوقا ، فالصلات أقوى من أن يستطيع أحد إضعافها ، والشائج أمتن من أن ينال أحد منها ، فالطريق واحد ، والمصير واحد ، وواجبنا ، عربا وأفريقيين ، يقتضينا أن نعي هذه الحقيقة ونعمل بموجبها ، لا سيما وأن عدونا مشترك ..

وليس صدفة أن مارس الاستعمار ضد العرب نفس الأساليب التي استخدمها ضد الأفريقيين ، ولا أن تتطابق الأهداف الاستعمارية في البلاد العربية مع مثيلاتها في القارة الأفريقية ...

وإذا قلنا « الاستعمار » فإننا نعني الكلمة بأوسع معانيها ..

- الاستعمار التقليدي .
- والاستعمار الجديد .
- والاستعمار المستحدث .

أما الاستعمار التقليدي ، فأمره معروف ، وأما الاستعمار الجديد فهو نفسه الاستعمار التقليدي بثوب جديد ، فقد خرج من بلادنا العربية والأفريقية من الباب ليحاول العودة من النافذة ..

وأما الاستعمار المستحدث فهو الأدوات الطيبة التي تستخدم كمخالب القط لالتقاط الكستناء من النار .

وإنها لـ « كستناء » دسمة ، ولذيذة ، ومغرية ، في قارة عذراء مثل « أفريقيا » ، وفي عالم أصبح هاجسه الأكبر هو البحث عن ، والاستيلاء على ، المواد الأولية بعد أن نضبت مناجمه أو كادت ، وأصبحت حضارته كلها مهددة

وهكذا وجد ما سمّيته « الاستعمار المستحدث » والممثل في « إسرائيل » و« جنوب أفريقيا » وما مائلها من أدوات باعت نفسها للشيطان ، منذ أن وجدت ، ووضعت نفسها في خدمة الشر والتسلط والعدوان ..

وختاما لهذه الخلاصة لا بد من الإشارة إلى القضية التي سبقت إثارتها في أول هذا الفصل وهي قضية تشويه صورة العرب والمسلمين في أذهان الناشئة من أبناء « أفريقيا » .. وكذلك في أوساط المثقفين ثقافة غربية .. بحيث يضعون بين أيديهم كتباً ونشرات عن « أفريقيا » كلها تشويه للتاريخ العربي والإسلامي هناك .. ومن واجبنا أن نعمل على تصحيح الصورة .. وإيضاح الحقيقة والاقتراب أكثر وأكثر من هؤلاء الأشقاء .. ومد الجسور المختلفة معهم وإعادة ذلك التاريخ المشرق للعلاقات العربية الأفريقية بصورة عملية وفاعلة .



ملحق إحصائي

المسلمون في « أفريقيا » (*)

(*) يتضمن هذا الجدول عرضا إجماليا لعدد المسلمين في « أفريقيا » حسبها ورد في مختلف المصادر .
وأود أن أذكر أن هذه الأرقام ، كما سبق أن أشرت ، ليست دقيقة وتعود إلى سنوات مختلفة .
على أنني راعيت ، عند اختلاف الأرقام المتعلقة بعدد المسلمين في بلد أفريقي ما ، أن آخذ بالرقم الأقل تحاشيا للوقوع في المبالغة التي تتناقض مع الموضوعية التي التزمتم بها في الكتاب .
ومع هذا فيمكن اعتبار الأرقام الواردة في هذا الجدول تقريبية تعطي فكرة عامة عن عدد المسلمين في « أفريقيا » .

عدد المسلمين	إجمالي عدد السكان	العاصمة	اسم البلد	مسلسل
١٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٦,٠٠٠,٠٠٠	أديس أبابا	اثيوبيا	١
٢٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	بانجي	« أفريقيا » الوسطى	٢
٢,٨٠٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	أسمره	ارتيريا	٣
٤,٤٠٠,٠٠٠	١١,٠٠٠,٠٠٠	كمبالا	أوغندا	٤
٣٠,٠٠٠	—	—	جزر ريونيون	٥
١٠٠,٠٠٠	١٢,٠٠٠,٠٠٠	لوندا	أنجولا	٦
٣١,٥٠٠	٣,٦٠٠,٠٠٠	غابورون	بوتسوانا	٧
٩٧٥,٠٠٠	٣,٩٠٠,٠٠٠	بوجمبورا	بوروندي	٨
٦٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	بورتونوفو	بينين	٩
٢,٧٠٠,٠٠٠	٤,٠٠٠,٠٠٠	نجامينا	تشاد	١٠
٦,٥٠٠,٠٠٠	١٣,٠٠٠,٠٠٠	دار السلام	تنزانيا	١١
١٩٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	لومي	توجو	١٢

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

تابع الملحق الإحصائي
المسلمون في « أفريقيا »

عدد المسلمين	إجمالي عدد السكان	العاصمة	اسم البلد	مسلسل
٥,٧٧٠,٠٠٠	٥,٧٧٠,٠٠٠	تونس	تونس	١٣
٤٥٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	ليبرفيل	جابون	١٤
٤٠٠,٠٠٠	٥٠٠,٠٠٠	بانجول	جامبيا	١٥
١٧,٠٠٠,٠٠٠	١٧,٠٠٠,٠٠٠	الجزائر	الجزائر	١٦
٥٠٠,٠٠٠	٢٦,٠٠٠,٠٠٠	بريتوريا	جنوب أفريقيا	١٧
١٢٥,٠٠٠	١٢٥,٠٠٠	جيوتي	جيوتي	١٨
٦٠٠	٢٥٠,٠٠٠	برايا	جزر الرأس الأخضر	١٩
٣٣٠,٠٠٠	٥,٥٠٠,٠٠٠	كيغالي	رواندا	٢٠
٨٠,٠٠٠	٤٧٦,٧٠٠	سان دنيز	ريثونيون	٢١
٢,٦٠٠,٠٠٠	٢٦,٠٠٠,٠٠٠	كشاسا	زائير	٢٢
٣٠,٠٠٠	٦,٥٠٠,٠٠٠	السبوري	زيمبابوي	٢٣
١٢٠,٠٠٠	٥,١٤٠,٠٠٠	لوساكا	زامبيا	٢٤
١,٧٥٠,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠	ايدجان	ساحل العاج	٢٥
١٦,٠٠٠	٧٥,٠٠٠	ساوتومي	جزر ساوتومي وبرنسيب	٢٦
٤,٦٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	داكار	السنغال	٢٧
١٢,٠٠٠,٠٠٠	١٦,٠٠٠,٠٠٠	الخرطوم	السودان	٢٨
٢,٠٥٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	فريتاون	سيراليون	٢٩
٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠	فيكتوريا	جزر سيشل	٣٠
١٠٠	٥,٠٠٠	جيمستاون	جزر سانت هيلانة	٣١
٣,٠٠٠	١,٥٢٨,٠٠٠	مبابان	سوازيلاند	٣٢
٢,٥٠٠,٠٠٠	٣,٥٠٠,٠٠٠	مقديشيو	الصومال	٣٣
٢,٨٥٠,٠٠٠	٩,٥٠٠,٠٠٠	أكرا	غانا	٣٤
٢,٥٠٠,٠٠٠	٥,٠٠٠,٠٠٠	كوناكري	غينيا	٣٥

Created with

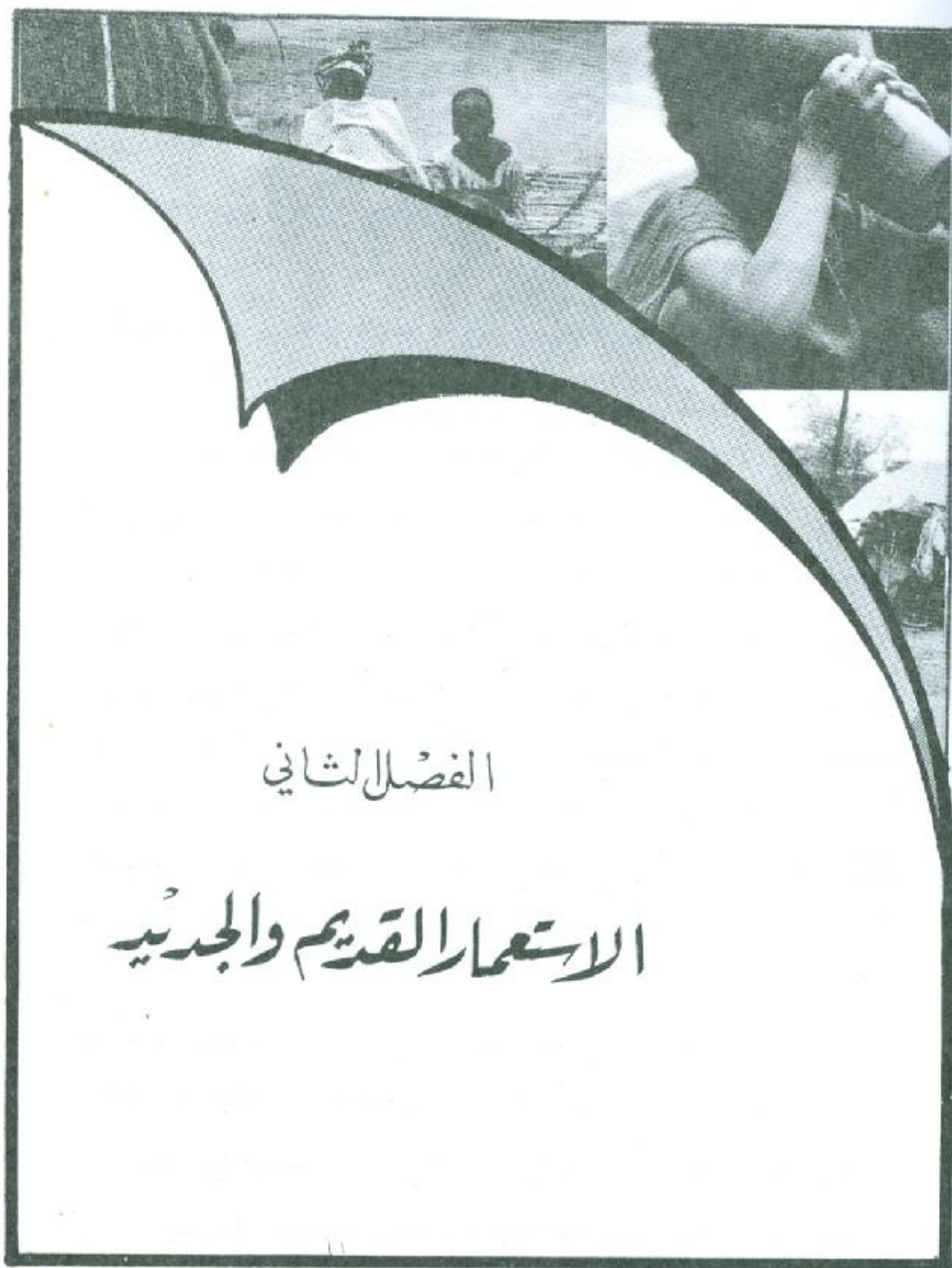

download the free trial online at nitropdf.com/professional

المسلمون في « أفريقيا » (تابع)

عدد المسلمين	إجمالي عدد السكان	العاصمة	اسم البلد	مسلسل
١٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠	سانتا إيزابيل	غينيا الاستوائية	٣٦
٦٠٠,٠٠٠	٨٠٠,٠٠٠	مادينا ديوي	غينيا بيساو	٣٧
٣,٩٠٠,٠٠٠	٦,٠٠٠,٠٠٠	اواغدوغو	بور كينا فاسو	٣٨
٢٠٠,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	موروني	جزر القمر	٣٩
١,٨٧٥,٠٠٠	٧,٥٠٠,٠٠٠	ياواندا	الكاميرون	٤٠
٧٠,٠٠٠	١,٤٠٠,٠٠٠	برازفيل	الكونغو	٤١
٤,٨٣٠,٠٠٠	١٣,٨٠٠,٠٠٠	نيروبي	كينيا	٤٢
٢,٦٣٠,٠٠٠	٢,٦٣٠,٠٠٠	طرابلس الغرب	ليبيا	٤٣
١,٠٥٠,٠٠٠	١,٥٠٠,٠٠٠	مونروفا	ليبيريا	٤٤
٥٠,٠٠٠	١,١٨٠,٠٠٠	مازيرو	ليزوتو	٤٥
٧٠,٠٠٠			جزر كناريا	٤٦
٣,٧٨٠,٠٠٠	٦,٣٠٠,٠٠٠	ياماكو	مالي	٤٧
٤٠,٠٠٠,٠٠٠	٤٥,٠٠٠,٠٠٠	القاهرة	مصر	٤٨
٣٠,٠٠٠			جزر ماديرا	٤٩
			مدغشقر	٥٠
٢,٠٠٠,٠٠٠	٨,٠٠٠,٠٠٠	ناناناريف	(مالاجاش)	
١٥٠,٠٠٠	٨٨١,٠٠٠	بورت لويس	موريشيوس	٥١
١٧,٨٠٠,٠٠٠	١٧,٨٠٠,٠٠٠	الرباط	المغرب	٥٢
١,٤٨٠,٠٠٠	١,٤٨٠,٠٠٠	نواكشوط	موريتانيا	٥٣
١,٧٥٠,٠٠٠	٥,٣١٠,٠٠٠	بلانتير	مالاوي	٥٤
٢,٥٠٠,٠٠٠	١٠,٠٠٠,٠٠٠	مابوتو	موزمبيق	٥٥
٣,٦٠٠	٩٠٠,٠٠٠	ويندهول	ناميبيا	٥٦
٤,٥٠٠,٠٠٠	٤,٥٠٠,٠٠٠	نيامي	النيجر	٥٧
٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٧٣,٠٠٠,٠٠٠	لاغوس	نيجيريا	٥٨
٢٠٧,٢١٢,٢٠٠	المجموع			

Created with


download the free trial online at nitropdf.com/professional



الفصل الثاني

الاستعمار القديم والحديث

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

المسيحية والصليبية

يهمني كثيراً - بادىء ذي بدء - أن أفرق بوضوح بين المسيحية ،
والصليبية كما أراها وأفهمها ..

فنحن نحترم المسيحية ، ونؤمن بنبيها « يسوع الناصري » عليه السلام ،
كما أمرنا الإسلام .

ونحن ننزه المسيحية عن كل ما ألصق بها ، من قبل الصليبية ، من
صفات ، ظاهرها الرحمة وباطنها الظلم ، وما اتخذ من وسائل تنكرها
المسيحية و« المسيح » ، وما أنزل بها الله يوماً من سلطان ..

فالمسيحية بمعناها الصافي النبيل ، وكما ذكرها الله تعالى في القرآن
الكريم ، هي جزء من إيماننا كمسلمين ، ولا سبيل إلى الجدل في هذه
الحقيقة أبداً .. وهي المسيحية التي هي دين « المسيح » عليه السلام ، قبل
أن يدخله التحريف .. وقد جاء الإسلام ليكون الدين الخاتم ، والرسول ،
ﷺ ، هو خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام جميعاً .. وقد جاء الإسلام
بالحنيفية السمحاء. وأصبح دين الله الذي نسخ كل ما قبله وجعل الدين كله
لله .

أما الصليبية فهي - في تصوري - شيء آخر ، يختلف تماماً عن
المسيحية ، ويفترق عنها ، بل ويعتبر سبباً في حقها ، وانتقاصاً من نبلها ..

ففي حين تدعو المسيحية إلى الرحمة ، تدعو الصليبية إلى الظلم ..

وفي حين تنادي المسيحية بالمحبة ، تنادي الصليبية بالكراهية ..

وفي حين تؤمن المسيحية بالتسامح ، تؤمن الصليبية بالتعصب ..

وفي حين تؤمن المسيحية على السلام ، تقوم الصليبية على العدوان ..

والصليبية تعبير لم نبتكره نحن ، وإنما ابتكره الذين تاجروا به واتخذوا منه شعارا للمسيحية ، والمسيحية منه براء .

وإذا كان الصليبيون يصرون على اعتبار الصليبية والمسيحية شيئا واحدا ، فإننا - نحن - نصر على التمييز بينهما بوضوح ، والتفريق بينهما بغير لبس . . . وليس مجاننا ، هنا ، أن نعرض لجذور العلاقات السماوية والتاريخية القائمة بين الإسلام والمسيحية ، ولا أن نستعرض مدى ما نكّن للدين الذي أنزله الله تعالى على نبيه « عيسى ابن مريم » ، عليه السلام ، من تقدير وتوقير ، فذاك حديث طويل لا يتسع له المقام ، فضلا عن أنه معروف ومستقر في ضمير كل مسلم ، ولو كرهت الصليبية . . .

الشعار الاستعماري

الصليبية ، هي - بكل اختصار - الشعار الذي تحفّى وراءه الاستعماريون الطامعون في « أوربا » ، ليلهبوا المشاعر ويشيروا النفوس ، ويستغلوا البسطاء والأبرياء ، ليزجوا بهم في نيران حروبهم الاستعمارية اللاهبة التي بدأت واستمرت منذ أكثر من ألف عام . . . ولا تزال .

الصليبية حركة استعمارية لا شك فيها ، اتخذت من الدين المسيحي ستارا - لتفرض هيمنتها على الآخرين باسم « المسيح » ، و« المسيح » قد برىء منها إلى الله .

وعلى الرغم من أن الظروف والأيدي قد تغيرت ، بالنسبة للصليبية ، بتغير التاريخ والزمن ، فإن أهدافها ووسائلها لم تتغير .

فإذا كنا قد رأينا سلسلة الحروب الصليبية التي قاسى منها العالم الإسلامي طوال مائتي سنة تقريبا ، واستهدفت ديار المسلمين في « مصر » وبلاد « الشام » ، وانتهت - جميعها - إلى الفشل ، فإننا عدنا لنرى هذه الحروب بأشكال أخرى ، وفي مواقع أخرى ، مع الاحتفاظ بنفس الشعار السابق ،

ولنفس الأهداف . . .
حدث ذلك في نفس الأقطار الإسلامية التي شهدت الحروب الصليبية الأولى ، ثم حدث ولمدى طويل وقائم إلى الآن في القارة الأفريقية . . .

الإسلام .. عدو الاستعمار الدائم

فالإرساليات التنصيرية هي صنو ملازم للحملات الاستعمارية العسكرية التي تسبقها حيناً ، وترافقها حيناً ، وتسبقها حيناً . . . ولكن لا بد منها في جميع الأحوال . . .

ومع الإرساليات أموال طائلة لا تنضب . . . تدرج - فيما نحسب - تحت بند الحملات العسكرية لأنها جزء منها ، ومتمم لها .

والمعادلة - في ذلك - سهلة ، وبسيطة ، وواضحة . . .

فمنذ أن نازل الاستعمار الأوربي المسلمين ، منذ العقود الأولى لظهور الإسلام ، وهذا الدين يمثل عقبة كأداء في وجهه .

وهذه العقبة لاتزال حتى الآن لغزا لم يستطع الاستعمار ، قط ، أن يفهمه . . . ففي جميع بقاع العالم التي شهدت موجات استعمارية ، كان المسلمون هم القوة الأولى التي تجابهها وتقاومها . . .

ولقد اكتسب الاستعمار خبرة بهذا الشأن ، جعلته لا يخدع بما يراه - في ظواهر الأمور - من عوامل التفرقة والتباعد بين المسلمين ، فهو يعلم - وإن كان لا يفهم - أنه إذا جد الجد واستحر القتال ، نبذ المسلمون خلافاتهم ، وهبوا لمواجهته في صف واحد .

وفي هذا المعنى كتب كثير من الباحثين الاستعماريين ، واعترفوا بهذه الظاهرة التي عرفوا مواصفاتها وإن جهلوا أسبابها ، لأنهم لا يعرفون ديننا غير



الإسلام يجعل معتنقيه يهبون للتناصر والمؤازرة من أقصى العالم الإسلامي إلى أقصاه وكأنهم قلب رجل واحد .

ومن أجل هذا ، حاول الاستعمار بشتى الوسائل أن يجد حلا لهذا الوضع الذي كان يهدد مخططاته تهديدا فعليا . . ومازال .

وكان مما ابتكره - وهذا مجرد مثال - بدعة القاديانية التي تسقط فرض الجهاد عن المسلمين (...) وهذا هو بيت القصيد في البدعة كلها .

وعمل بعض المستشرقين ورجال الدعاية الاستعمارية عملهم في تشويه لإسلام والتشكيك فيه ، ومحاوله إفقاد المسلمين ثقتهم بأنفسهم ، وبث الفرقة والتنازع فيما بينهم . .

أي أن محاربة الإسلام ، والقضاء عليه إن أمكن ، كان حجر الأساس في أية خطة استعمارية عدوانية .

وفي جميع أقطار « آسيا » و« أفريقيا » كان المسلمون هم القوة الأكثر بروزا في مقارعة الاستعمار ومجاهته ، ففي حين استطاع الإنجليز - مثلا - أن يهادنوا الهندوس وباقي الأديان في شبه الجزيرة الهندية ، ظل المسلمون - وحدهم - يرفضون المهادنة ، ويأبون الخضوع للمستعمر طوال أربعمائة سنة ونيف . .

وفي البلاد العربية التي نزل بها الاستعمار فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية ، عانى الاستعمار الأمرين من فكرة الجهاد التي ترفع « الله أكبر » شعارا لها . .

وهل ننسى الرعب الذي اعترف به الإسرائيليون أيام حرب رمضان (١٣٩٣ هـ) حيث انقض عليهم جنود « مصر » وسورية وهم يهتفون « الله أكبر؟ » . .

الصلبية التصير .. معاً

هذه الظاهرة التي أفلقت الاستعمار وأخافته - ومازالت - قد وجد لها حلولا مؤقتة فيما يعتبره هذا الاستعمار مجابهة للدين بالدين ، ومواجهة للشعار بالشعار ..

ففى حين تقلص سلطان المسيحية على الحياة الأوربية ، وبات الإلحاد مذهباً علينا فى ظل حرية الاعتقاد ، ولايشكل أية مسؤولية على معتنقه الأوربي ، نراها - أوربا ذاتها - تتمسح بأذيال « يسوع » ، وتمسك بالصليب شعاراً لتحركاتها الاستعمارية . .

السبب هو أنها ظنت أن بوسعها أن تحارب الإسلام بالصلبية ، فتحد من انتشار الإسلام بتنشيط البعثات التنصيرية وتحاول - إن استطاعت وبكل دأب وإصرار - أن تخرج بعض المسلمين عن دينهم للتخلص من مناوأتهم ، وتحويلهم إلى أتباع مطيعين تحت شعار الصليبية والصليب .

وهذا هو - بالضبط - الأسلوب الذى مارسته أوربا الاستعمارية فى القارة الأفريقية منذ أن بدأت تحركاتها العدوانية على سواحل « أفريقيا » ، بادية الأمر ، ثم فى عمق « أفريقيا » فيما تلا ذلك من سنوات .

وكانت نتيجة ذلك سلسلة طويلة من المآسى الدامية ، التى تذكرها « أفريقيا » ، وتذكرها ، للاستعمار الأوربي ، بدءاً بالبرتغاليين وانتهاء بالإنجليز والفرنسيين . . . ومروراً بالألمان والهولنديين والبلجيكين وغيرهم .

فلنستعرض ، إذن ، القصة بإيجاز :

يعتبر البرتغاليون من أوائل الأوربيين الذين وضعوا أقدامهم فى « أفريقيا » غزاة ومستعمرين . .

ففى الفترة ما بين القرنين التاسع والخامس عشر الميلاديين ، كانت العلاقات الأفريقية العربية فى أوج ازدهارها ، نتيجة لعصور النهضة العربية التى بدأت

Created with



nitro professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

مع ظهور الإسلام ، وتصاعدت مع دوله المتعددة في المشرق والمغرب . .
 كان العرب يسيطرون سيطرة كاملة على البحر المتوسط و منافذه حتى لم
 يكن بوسع أي إفرنجي أن يضع فيه خشبة ، على حد تعبير « ابن خلدون » .
 وكانت شواطئ « أفريقيا » الشرقية كذلك ، تحت الإدارة العربية ، الأمر
 الذي انعكس بالانتعاش والازدهار على الأقطار الأفريقية ، الساحلية بوجه
 خاص ، والتي كانت - كما سبقت الإشارة أكثر من مرة - قد امتزجت كلياً
 بالعرب القادمين من الشرق ، سواء عن طريق الدعوة ، أو عن طريق الهجرة
 الجماعية ، بحيث لم يكن ممكناً التمييز بين « العربي » و « الأفريقي » - بالمعنى
 العنصري للكلمتين - وشاعت اللغة العربية ودخلت في عشرات من اللغات
 المحلية .

وفي الوقت الذي بدأ فيه البرتغاليون تحركاتهم ذات الطابع الاحتكاري
 الاستعماري تحولت تجارة العالم المعروف آنذاك إلى طريق بحري مباشر عن
 طريق « رأس الرجاء الصالح » ، لوصول بلاد « الهند » « بأوروبا » ، الأمر الذي
 تسبب في تدهور النشاط الاقتصادي في شرقي « أفريقيا » وبلاد « البحر
 المتوسط » ؛ فقد فقدت المنافذ البحرية التقليدية التي كانت معروفة حتى ذلك
 الحين قيمتها الاستراتيجية ، فضاء الازدهار ، وانكمش النشاط العمراني
 والاقتصادي .

وزاد في تأثير هذا الوضع على « أفريقيا » ، أن الإمبراطورية العثمانية التي
 كان الوطن العربي جزءاً منها قد بدأت الدخول في مرحلة الانحلال مع بدايات
 القرن التاسع عشر ، وقد قابل ذلك نشاط استعماري أوروبي واسع ، ساهمت
 فيه دول أوربية عديدة .

المعمرون .. والمدمرون!

وهنا بدأت تظهر بوضوح الفوارق الجذرية بين الوجود العربي والوجود الأوربي في « أفريقيا » : ففي حين أن الوجود العربي كان وجود بناء وعمران وتحضر ، كان الوجود الأوربي وجود استنزاف وسلب ونهب فلم يعف حتى عن المتاجرة بالبشر من أجل الكسب المادي .

وقد أشار الى ذلك البحار البرتغالي « فاسكو داجاما »^(١) وسواه من الرحالة البرتغاليين فأبدوا ، فيما كتبوه وقالوه ، دهشتهم مما رأوا (في أواخر القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر) في « أفريقيا » من مدن عامرة ، وحضارات متقدمة ، وتجارة مزدهرة ، فكتب الرحالة البرتغالي ، « دورات باربوسا » يقول :

« ما أن وصلت المراكب الصغيرة التي كان يقودها « فاسكو دا جاما » إلى « سفالة » حتى فوجئت مفاجأة لم تكن تتوقعها ؛ فقد لقي البحارة البرتغاليون ما لم يكن في حسابهم حين خرجوا يضربون في البحر . . لقوا مرافئ تطن كخلايا النحل ، ومدناً ساحلية عامرة بالناس وفرحوا حين وجدوا بين البحارة العرب رجالا عبروا المحيط مرات عديدة ويعرفون من أجل ذلك دقائق مرافئه ، وسجلوا هذه الدقائق في خرائط متقنة لا تقل فائدة عما كانوا يعملونه هم من خرائط في « أوربا » ، ورأى البرتغاليون على هذه السواحل مدناً أهلة بالسكان لا تقل نشاطا عن مدنهم في « البرتغال » ورأوا تجارة بحرية نافعة في الذهب والحديد والعاج والخرز وجلود السلحفاة والأقمشة القطنية . . ووجدوا عالما تجاريا أوسع من عالمهم الذي جاؤوا منه وأكثر ثراء من بلادهم ، وحتى السفن التي وجدها البرتغاليون كانت أكبر من سفنهم وأضخم حجما ، حتى لقد عجب سكان الساحل من أين أتى البرتغاليون وكل البلاد عندهم معروفة . »

(١) لم يتمكن « فاسكو داجاما » من القيام برحلته البحرية التاريخية التي اكتشف بها « رأس الرجاء الصالح » إلا بعد أن استعان بعدد من البحارة العرب الذين كانوا أكثر خبرة من البحارة

محاولة تمزيق الجبهة الإسلامية !

ولم يجد البرتغاليون ، الذين استمر وجودهم في « أفريقيا » زمنا طويلا في مساحات متفاوتة ، كبير عناء في معرفة السبب الكامن وراء ذلك الازدهار ، وهو الإسلام دين الدنيا والآخرة معا ، فبدأوا في تطبيق السياسة التي عرفت بها « أوروبا » الاستعمارية كلها بعد ذلك ، وهي محاربة الإسلام بكافة الطرق ، واضطهاد شعوبه ، وقمع ثوراته ، ودعم التنصير المستمر وراء قناع الصليبية .

والواقع أن العمل على منع قيام قوة عربية إسلامية متماسكة ، وبخاصة على امتداد شواطئ البحر المتوسط من أقصى الشرق إلى أقصى « المغرب » ، قد بات منذ ذلك الحين سياسة أوروبية ثابتة لا تزال متبعة إلى يومنا هذا .

وهذه حقيقة نراها ، الآن ، في تحركات الدول الغربية ، وفي قيام « إسرائيل » ، ورأيها في الماضي منذ بدء عصر النهضة الأوروبية وتحقيق أوروبا للتفوق العسكري والمادي . .

ولقد فسر المؤرخ « دوريو » ذلك فقال بكل صراحة معلقا على تماسك العالم الإسلامي في ذلك الحين :

« كان من شأن ذلك أن تألفت جبهة متماسكة لا يمكن اختراقها ، امتدت من « إيران » حتى « المحيط الأطلسي » ، جبهة سببت قلقا لا مزيد عليه « لأوروبا » ، وإذا كانت « إنجلترا » تعارض وتقاوم السلطان السياسي والعسكري لـ « مصر » فإن « فرنسا » ، برغم تأييدها الظاهر « محمد علي » ، لم تنس أنها كانت مهد الحملات الصليبية ضد الإسلام ، وأنه لزاما عليها أن تستمر في أداء هذه الرسالة ، فتقوم برفع الصليب الأول فوق أراضي أفريقيا الإسلامية ، ولم يكن غزو « فرنسا » « للجزائر » إلا مقدمة لحركة واسعة كانت ترمي إلى تطويق الإسلام الأفريقي من الشمال ومن الجنوب وحجسه بين فكي كإشة رهية . . هذا الإسلام الذي غزا « أفريقيا » من « البحر الأبيض المتوسط » إلى « الكونغو » ، والذي انتشر على سطح

القارة الأفريقية على وجه التقريب . «

ثم يقول :

« لقد كان لزاما على الغرب أن يحاصر الإسلام من كل جانب ، وأن يقضي على الجهود التي يبذلها الإسلام أمام غزو « أوروبا » المسيحية « لأفريقيا » . «

وبنفس الصراحة عبّر قائدان أوريان من قادة الحرب العالمية الأولى عن النظرة نفسها ، فقال الجنرال الإنجليزي « النبي » حين دخل القدس :

« الآن انتهت الحروب الصليبية . . »

وقال الجنرال الفرنسي « جورو » حين دخل « دمشق » ووقف أمام قبر « صلاح الدين الأيوبي » :

« لقد عدنا يا صلاح الدين . . »



تنصير .. استرقاق .. استعمار !

ومنذ بداية الاستعمار الأوربي الذي شاركت فيه كل من « البرتغال » و« أسبانيا » و« إنجلترا » و« فرنسا » و« ألمانيا » و« إيطاليا » و« هولندا » و« بلجيكا » ، بدأ المستعمرون في تنفيذ خطط متشابهة تقوم أول ماتقوم على محاربة المسلمين وإضعاف شوكتهم ، ونهب ثرواتهم ، وتمزيق دولهم ، وتشويه دينهم وتثبيت أقدام الأفاقين الأوربيين كملك وإقطاعيين ، حتى أن الحكومة الفرنسية كانت تجبر الفرنسيين على امتلاك الأراضي بالقوة في « مراکش » وهو ما اعترف به القائد الفرنسي « ليوتي » وهو قائد الحملات الفرنسية لاحتلال « المغرب » بل وشمال « أفريقيا » ، وكان كذلك هو الحاكم الفرنسي العام بـ « المغرب » فيما بعد ، حين قال :

إن « فرنسا » قد اضطرت إلى دفع بعض الفرنسيين إلى احتلال الأراضي بالقوة لتملكها وإدارتها لصالحهم ، ضارين بعدم شرعية هذه الملكية عرض الحائط .

ومع الحملات العسكرية ، كانت البعثات التنصيرية تنتشر في « أفريقيا » ، تستوي في ذلك دول « أوربا » الكاثوليكية كـ « فرنسا » و« إيطاليا » و« البرتغال » و« أسبانيا » أو الدول البروتستانتية كـ « إنجلترا » و« ألمانيا » .

أما « مارتن لوثر كنج » - واضع البروتستانتية - فقد كان يجاهر بعذائه الشديد للإسلام والمسلمين ، وكانت آراؤه ومواقفه في ذلك لا تقل تعصبا عن مواقف ابائنا و« رسلنا » أو كرادلة « فرنسا » الكاثوليكين ، فمن الطبيعي أن يحمل هذا الحمد أتباع مذهبه .

وهكذا سحب كل مستعمر ، حسب مذهبه ، مايلزم حملاته من بعثات تنصيرية كانت تلقى الدعم المادي والعسكري منه ، فقام نشاط البرتغاليين على الشواطئ الغربية الشرقية الأفريقية ، ووقعت سلسلة طويلة من الأحداث التي أشرنا إلى بعضها في صفحات سابقة ، وكان أهم غاياتها محاربة المسلمين ونشر الصليبية .

عشرات ملايين الضحايا .. للبيع !!

ومما يدلنا على عدم جدية الدول الاستعمارية في تسترها وراء الصليبية ، وادعائها العمل على نشر الديانة المسيحية ، أن البرتغاليين قد توقفوا تماما عن نشاطهم التنصيري عندما ظهرت تجارة الرقيق فأزاحوا الصليبية جانبا وانصرفوا إلى خطف الأفريقيين وتكبيلمهم بالحديد ، وبيعهم في أسواق العالم الجديد^(١) .

وكانت « لشبونة » سوقا كبيرا للرقيق يمد العالم الجديد كله بحاجته منه . ونجد أن عدد العبيد الذين بيعوا في سوق « لشبونة » سنة ١٥٣٩ عشرة آلاف عبد ، لذلك فإن مراكز أوربية هامة مثل « أمستردام » و« ليفربول » وغيرها بنيت على عظام الرقيق الأفريقي .

« بلغ عدد ماوصل بين سنة (١٦٨٠ - ١٧٨٦) إلى الممتلكات البريطانية من الرقيق مايقرب من مليونين ونصف مليون . وإذا علمنا أن ما يصل حيا قد لا يمثل النصف الموسوق ، وإذا علمنا أن ماوصل المستعمرات الأوربية كلها في قرن واحد قدر بأربعين مليون أفريقي ، أدركنا أن المستعمر قد استنزف ما يقرب من ثمانين مليون أو يزيد من أبناء « أفريقيا » في هذا الميدان ، وربما وصل الرقم إلى مائة مليون . »

(١) راجع تفاصيل هامة وخطية جدا عند « دولان موسيني » : « تاريخ الحضارات العام » ،

وقد صرح وزير المستعمرات البريطانية اللورد دارتهوت ردا على أصوات
المنادين بالحد من هذه التجارة البشرية :

« إننا لا نسمح بأي حال بعرقلة هذا النشاط الذي ثبت أنه عظيم الفائدة
لشعبنا » ؛ وهكذا التقى التبشير والاسترقاق والاستعمار في هدف واحد وهو
هدم الكيان الأفريقي واستنزافه^(١) .

ولعل من حقنا أن نتساءل وبكل براءة :

إذا كانت « أوروبا » قد احتلت « أفريقيا » بدعوى نشر المسيحية ، فإلى
أي من تعاليم « المسيح » استندت حين راحت تسوق الأفريقيين كالأغنام
لتبيعهم كعبيد في « أمريكا » و« أوروبا » ؟

إن الإجابة على هذا التساؤل توضح وحدها أن المسيحية الصافية النقية كما
أنزلها الله تعال على « عيسى ابن مريم » هي براء مما ارتكبه المستعمرون
الأوروبيون من مذابح ومظالم وتخريب في القارة الأفريقية وفي غيرها .

نهب ثروات أفريقيا

و حين مدت « بلجيكا » مخالبها الاستعمارية إلى « أفريقيا » ، كان في خيالها
على وجه التحديد أن تستولي على كل ماتستطيع الاستيلاء عليه من العاج ،
ودخلت من أجل ذلك في صراع مع الإنجليز والهولنديين أسفر عن استقرارها
في « الكونغو » الذي بات يعرف إذ ذاك باسم « الكونغو البلجيكي » .
وانفردت الدولة البلجيكية بتجارة العاج ، التي كانت في أواخر القرن التاسع
عشر إحدى التجارات الرائجة .

ثم مدت « بلجيكا » بصرها إلى مناجم النحاس في إقليم « كاتانجا » ،
فذهب الجيولوجي « جول كورنيه » يحاول أن يحصل من رؤساء القبائل على

موافقتهم على استغلال تلك المناجم مقابل أثمان تافهة ، ولكن « إنجلترا » تصدت له ، ونشب نزاع مسلح بين الدولتين انتهى إلى التفاهم على تقاسم مناطق النفوذ كالعادة .

رحلة أكاذيب ضد الإسلام !

وهكذا مضى الاستعمار الأوربي في نشاط محموم ، يحاول نهب كل ما يستطيع نهبه من ثروات « أفريقيا » ، ويحاول - في نفس الوقت - إيجاد الركائز التي تتيح له البقاء في « أفريقيا » أطول مدة ممكنة ، فراح يتوسع في الاحتلال شرقا وشمالا وجنوبا ، وراح يعمل على هدم معالم الحضارة الإسلامية في « أفريقيا » وعلى اصطناع العملاء والأعوان ، ونشر الصليبية ، بطرق مختلفة ، وإدخال مفاهيم الثقافة الأوربية على عقول أبناء النخبة من سادة القبائل ورؤسائها ، وهي ثقافة تتناقض - في واقع الحال - مع ثقافة « أفريقيا » الوطنية . كما عمد إلى استعلاء الأفريقيين على العرب - وكان كلا منهم شيء مختلف ومتناقض مع الآخر - وعلى تحريضهم عليهم ، وعلى بث الفرقة بين الطرفين ، وفي ذلك كتب « دنستاي واي » يقول :

« إن الاثنى عشر قرنا من الصلات بين « أفريقيا » جنوب الصحراء ، وعرب « الشرق الأوسط » كانت غير متكافئة ، لقد اخترق العرب « أفريقيا » واستعبدوا سكانها وفرضوا دينهم على الأفارقة وثقفوهم به ، وحتى الآن لم يقم الأفارقة باختراق مضاد للمنطقة العربية ، والنتيجة النهائية هي كراهية متبادلة بين العرب والأفارقة » .

وما أحسب أن هناك كذبا وافتراء واجترأ على الحق أكثر من هذا القول الباطل في جملته وتفصيله ، ولا حقا وغيفا وسخطا على العلاقات العربية - الأفريقية الوثيقة أكثر من هذا الحقد والغيفظ والسخط ، فما أبعد الفارق - لدرجة لا مقارنة معها - بين الوجود العربي الحضاري ، والوجود الأوربي

إن الوجود العربي الحضاري قد قام على التفاعل والتبادل والتعاون ، وقام الاستعمار الأوربي على السلب والنهب والعدوان .

إن « أوروبا » ، القارة الصناعية ، مدينة « لأفريقيا » إلى الأبد ، بما سلبت من خيراتها وخاماتها وثرواتها ، لتشغل بها مصانعها ، وتقيم أسواقها ، وتنشط تجارتها ، فلقد قامت العلاقات الأوربية - الأفريقية ، على أساس دائرة مغلقة لا بداية لها ولا نهاية . . « فأوروبا » تستورد - أو بالأصح تسرق - الخامات من « أفريقيا » بأثمان بخسة ، ثم تعيد تصدير جانب منها إلى « أفريقيا » ذاتها كمنتجات مصنعة ، والفارق بين ثمن المادة الخام والمادة المصنعة جسيم ، بل غير معقول .

والأوروبيون أنفسهم يقولون إن أفريقيا تحتوي على ٩٠٪ من احتياطي الكروم العالمي ، وإن ٣٠٪ مما يستخدمه العالم من هذا المعدن مأخوذ من « أفريقيا » ..

وفي « غانا » احتياطيات ضخمة من المنجنيز ، وفي كثير من أقطار « أفريقيا » مخزونات ضخمة من الكوبالت ، وخاصة في « زائير » ، و« أفريقيا » منتج رئيسي لمركزات النحاس (Blister copper) ودرجة نقاوتها ٩٩.٤٪ والنحاس الميكروكهربائي (Electroytic copper) ، وفي « جنوب أفريقيا » ٣٥٪ من احتياطي اليورانيوم في العالم ، وتنتج « أفريقيا » ٢٥٪ من معدن البريليم ، و ٨٠٪ من معدن التتالوم ، ونصف الإنتاج العالمي من الذهب ، و ٤٠٪ من البلاتين ، و ٩٣٪ من ماس الزينة ، و ٩٨٪ من ماس الصناعة ، وعلاوة على ذلك كله - وهو غيظ من فيض - البترول الذي ينتجه عدد غير قليل من الأقطار الأفريقية ..

إن تجارة جميع تلك المعادن التي لا حضارة بدونها هي في أيدي الأوربيين بالذات (أو الأوربيين على أية حال) ، فهم يحتكرون استخراجها

وتصنيعها وتسويقها ، فإذا كانت العلاقة بين العرب والأفريقيين غير متكافئة كما يزعم « دنستاي واي » فهل هي - ياترى - متكافئة بين الأفريقيين والأوروبيين؟ ..

وإذا كانت « أفريقيا » الثرية بكل تلك المعادن الثمينة والنادرة تحصل على مقابل عادل لثرواتها ، فلماذا إذن يسيطر الفقر والتخلف على الأقطار الأفريقية بعد أكثر من مائتي سنة من الاستعمار الأوربي ؟

اغتصبوا كنوز الأرض .. والأرض !

لقد حسب الأوروبيون أنهم مقيمون في « أفريقيا » إلى الأبد ، فعملوا على انتزاع الأراضي من أصحابها الأفريقيين وتحويلهم إلى عمال زراعيين في أملاكهم تحت سيطرة الملاك الأوروبيين الغاصبين ، وبديهي أن عشرات الآلاف من الأفريقيين الذين كبلهم الأوروبيون بالحديد وساقوهم - وهم الأحرار - لبيعوا عبيدا في أسواق القارة الأمريكية ، قد آلت ممتلكاتهم وأراضيهم إلى الأوروبيين ، فهل هناك تعاون حضاري ، كما تفهم أوروبا ، أكثر من هذا التعاون ؟ ..

وهل هناك مجال لأدنى مقارنة بين روح الوجود العربي وطبيعته وبين روح الاستعمار الأوربي وطبيعته ؟

تقسيم الكنز !

لقد بلغ من تكالب الدول الاستعمارية على نهب خيرات « أفريقيا » ، وسلب ثرواتها ، أن خشيت هذه الدول أن تنشب المعارك فيما بينها . وقد حدث ذلك فعلا مرات عديدة ، وأن يصرفها ذلك عن تنفيذ تطلعاتها في استعمار - أو استخرا ب - القارة الأفريقية . الأمر الذي دعاها إلى التنا دي لعقد مؤتمر « برلين » عام ١٨٨٤/١٨٨٥ م ، للتفاهم على تقسيم مناطق النفوذ في « أفريقيا » منعا للاحتكاك والخلاف ..

وبكل بساطة ، جلس المؤتمرون الذين يمثلون الدول الأوربية الاستعمارية يقسمون ، على الخارطة ، الأرض والناس ، ويساومون ويراوغون لكي يحظى كل منهم بأوفى نصيب ، دون أن يقيموا أدنى حساب للقيم الأخلاقية (...) ودون أن يفكروا - على ما يبدو - أنهم يقتسمون ما لا يملكون ، وأن « أفريقيا » هي لأهلها الأفريقيين .

وجاءت نتائج مؤتمر « برلين » سريعا ، حيث راحت كل دولة تمارس نشاطها الاستعماري في المناطق المخصصة لها ، مع محاولة التوسع هنا أو هناك حتى في المناطق التي لم تخصص لها ..

وكان أخيب استعمار قام بممارساته الاستعمارية بصورة تنافي كل أخلاق ، وكل مبادئ خيرة ، وكل رحمة وإنسانية ، هو الاستعمار البريطاني الجائع الذي لا يشبع أبدا ، والذي قيل عنه - ذات يوم - أن الشمس لا تغرب عن مستعمراته ..

وكانت « بريطانيا » قد أنزلت قواتها « بمصر » قبل مؤتمر « برلين » بعامين (١٨٨٢م) وبدأت في التحايل على إكساب هذا الاحتلال نوعا من الشرعية ، وساعدها على ذلك ضعف الدولة العثمانية وتراخيها ، وجذور السياسة الاستقلالية التي أرسى « محمد علي باشا » أسسها ، فخلا الجو لـ « بريطانيا »

كفي تجعل من « مصر » إحدى قواعد انطلاقها في استكمال الاستيلاء على القارة الأفريقية . .

وبحكم الخبرة البريطانية العريقة في الاحتلال والاستعمار ، كانت الأساليب التي اتبعتها في « أفريقيا » تتسم بكثير من الخبث والنظرة البعيدة للأمور . . مثال ذلك أن « بريطانيا » لاحظت أن الإسلام يتركز في المناطق الشمالية في « نيجيريا » بينما بقيت أغلبية سكان المناطق الجنوبية على وثنيها ، فعمدت سلطة الاحتلال البريطاني إلى منع أهالي الشمال من الانتقال إلى الجنوب ، خوفا من تسرب الإسلام إليه ، وفي نفس الوقت أطلقت البعثات التنصيرية في الشمال والجنوب معا تحاول أن تحقق عن طريقها ما تهدف إليه من إضعاف للإسلام ، عدوها الأكبر في « أفريقيا » و« الهند » و« الشرق الأقصى » ، ولكن مسلمي الشمال النيجيري ثاروا لهذا الإجراء ، الأمر الذي اضطر السلطة البريطانية إلى التوقف ، مؤقتا ، عن إرسال البعثات التنصيرية إلى الشمال ، لتعود إلى إرسالها مجددا عام (١٩٢٧م) بعد أن هدأت الأمور نسبيا .

الاعيب مكشوفة !

وقد يطرح ، هنا ، تساؤل :

- كيف كان الأفريقيون أنفسهم يستقبلون قساوسة التنصير وبعثاتهم ؟ . . .

الواقع أن الأفريقيين ، في أنحاء كثيرة من القارة ، قد وقفوا موقفا سلبيا ، وأحيانا عدائيا ، من بعض البعثات التنصيرية ، وقتلوا أعضاء بعض هذه البعثات كما حدث في « الكونغو » وغيرها .

ومع أن البعثات التنصيرية كانت تتخذ من إنشاء المدارس والمستوصفات وسيلة تتسلل بها لنشر أفكارها ، فإن كثيرا من الأفريقيين قد أدركوا ، يفطرت الأهداف الكامنة وراء ذلك ، فكتب في ذلك أحد رجال تلك

Created with



nitro professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

البعثات يقول :

« إننا لا نستطيع أن نخفي عن أنفسنا ، ولا عن غيرنا ، أن كثيرين ممن يمثلون الجماعات الأفريقية قد أظهروا امتعاضا شديدا من التبشير ، وأخبرونا بأن الصلة بين الكنائس والتبشير وبين التعليم يجب أن تنتهي بسرعة ، وكان هؤلاء إذا تكلموا في شؤون التعليم قالوا : مدارسكم ومدارسنا ، أي أنهم يحددون بذلك الفارق بين المدارس التي تديرها السلطات الأفريقية المحلية ومدارس الإرساليات ، ومنهم من يقتل المبشرين . »

وكانت « الولايات المتحدة » ، وهي تخطو خطواتها الأولى نحو الانفتاح على العالم ، تسهم في إرسال البعثات التنصيرية وفي دعم مختلف هذه البعثات . في « أفريقيا » ، وحين وقعت الأزمة الاقتصادية المعروفة (١٩٢٩ - ١٩٣٣م) توقفت عن إرسال المساعدات المالية ، مما جعل حركة التنصير تركد بعض الوقت ، لتعود إلى حالها من النشاط بعد أن اجتازت « أمريكا » الأزمة .

أي أنك ترى أن القوى الغربية كلها قد تكاتفت لمحاربة الإسلام ، والهيمنة على « أفريقيا » ، إذ لا يمكن بأية حال أن تجد مبررا منطقيا لهذه الحماسة التي يبذلها الغربيون لنشر الصليبية في « أفريقيا » بالذات ، بينما هم يهملونها ، ويكادون يحاربونها ، في بلادهم . .

وكان « السودان » إحدى مناطق التخريب الاستعماري الذي لا تزال هذه الدولة تعاني من آثاره حتى الآن . .

لقد طبقت « بريطانيا » ضد « السودان » خطة مزدوجة تشبه خطتها في « نيجيريا » ، فعملت على إضعاف الصلات بين شطري « وادي النيل » . . « السودان » و« مصر » ، وهي صلات تاريخية قديمة كما نعلم ، وفي نفس الوقت إضعاف الصلات بين شمال « السودان » وجنوبه ، وإطلاق العنان للإرساليات كي تعمل بحرية في الجنوب الذي كان معظمه وثنيا . .

وأدلى امبراطور « الحبشة » « هيلاسيلاسي » ، الذي كان معروفا بعذائه



الشديد للإسلام ، بدلوه ، فراح - وهو الأرثوذكسي الفقير - يساعد البعثات التنصيرية الكاثوليكية والبروتستانتية في جنوب « السودان » تنفيذًا لنفس الأهداف التي تعمل السياسة البريطانية لها ، إضافة إلى ما كان يمارسه في « الحبشة » نفسها من أعمال عدائية ضد المسلمين الأحباش ..



إسرائيل الأفريقية .. دولة جنوب أفريقيا !

كانت قمة الإنجازات البريطانية في مجال استهداف السيطرة على القارة الأفريقية ، إنشاء دولة « جنوب أفريقيا » التي تتحكم فيها الأقلية الأوربية بالأكثرية الأفريقية ، مشابهة في ذلك لجارتها « روديسيا » ، التي وضع فيها الأوربيون خلاصة قدراتهم المالية والفنية والتكنولوجية ليجعلوا منها دولة أوربية في أقصى الجنوب الأفريقي ..

قاعدة عسكرية - استعمارية

وباتت « جنوب أفريقيا » قاعدة بالغة الأهمية بالنسبة للحكومة البريطانية .. منها ينطلق التخطيط الاستعماري الهادف إلى السيطرة على القارة وفيها تتجمع خيوط التآمر ضد الأقطار الأفريقية ..

وكان الأساس الذي قام عليه كيان « جنوب أفريقيا » هو التوسع في التسليح وإنشاء قوات عصرية ضاربة تفوق ما هو موجود لدى الدول الأفريقية الأخرى ، وهو - بالضبط - نفس الأسلوب الذي اتبع بعد ذلك عند إنشاء « إسرائيل » ، على يد « بريطانيا » أيضا .

إن دولة « جنوب أفريقيا » تشكل - اليوم - تهديدا كبيرا وجديا ضد كل الدول الأفريقية الوطنية . ونحب أن نسجل في هذا المجال أننا لا نصدق - قط - ما يقال عن فرض المقاطعة الدولية ضد « جنوب أفريقيا » - تنفيذا لمقررات « الأمم المتحدة » التي تعتبرها دولة عنصرية - ، فالعلاقات بين « جنوب أفريقيا » و « أوروبا الغربية » و « الولايات المتحدة » أشد ما تكون نشاطا ، وهي لم تتوقف على الإطلاق رغم ما يعلنه قادة الدول الغربية حول مقاطعة هذه الدولة العنصرية . وما زالت « جنوب أفريقيا » - مثل « إسرائيل »

تماما - تتلقى الإمدادات العسكرية الحديثة والمتفوقة ، وما زالت بعد هذا ، تتحدى مشاعر الأفريقيين ، أهل البلاد الشرعيين ، وتقوم بدورها المرسوم في العدوان على الأقطار الأفريقية الأخرى بشتى الحجج ومختلف الأعذار ، تماما كما تفعل « إسرائيل » في « آسيا » ..

تعاون تام .. مع إسرائيل !

والعلاقات القائمة بين « جنوب أفريقيا » و« إسرائيل » علاقات معروفة ومعلنة ، وهما تبادلان الخبرات والمعلومات والمساعدات ولا تكتمان - آسيويًا وأفريقيًا - موقفهما المعادي لشعوب القارتين ، وتمثيلهما دور القاعدة الاستعمارية التي تقوم « بالأعمال القذرة » نيابة عن المعسكر الغربي .

ويطول بنا المجال لو مضمينا نستعرض التاريخ الاستعماري في القارة الأفريقية ؛ فكل الدول الاستعمارية سواء ، ولكل منها تاريخها الأسود المتمثل في القمع والقهر والتسلط والعدوان ، تستوي في ذلك « بريطانيا » و« فرنسا » و« إيطاليا » و« بلجيكا » و« ألمانيا » و« أسبانيا » و« البرتغال » . وما أشرنا إليه من نماذج الممارسات الاستعمارية كافٍ جداً ، في اعتقادي ، لإعطاء الفكرة المطلوبة عن الآثار التخريبية المدمرة التي أحدثها الاستعمار في « أفريقيا » ، والتي تتناقض - على طول الخط - مع الآثار الحضارية والإنسانية والأخلاقية التي أحدثها الوجود العربي في « أفريقيا » ، فالعلاقات الأفريقية - العربية هي موضوعنا الأساسي ، وما الحديث عن الدور الاستعماري في القارة سوى لمحات عن الخلفية ، التي لا بد منها ، لإبراز الاختلافات الجذرية بين وجود ووجود : وجود استعماري عدواني ووجود إنساني أخوي .



كفاح الأفريقيين ضد الاستعمار

لابد لنا من أن نسجل - من واقع الحال - أن حصول أكثر الدول الأفريقية على استقلالها وحريتها لم يكن - حقيقة - بقوة قرارات « الأمم المتحدة » ، مع احترامنا لهذه الهيئة الدولية ، وإنما هو نتيجة كفاح طويل ، وجهاد مستمر ، خاضه الأفارقة ضد جميع أنواع الاستعمار التي ابتلوا بها ، وهو كفاح مرير اتخذ الساحة الأفريقية كلها ميدانا له ، فقاوم القوة العسكرية وتصدى للإرساليات التنصيرية ، وجابه التخريب الثقافي الذي حاولت الدول الاستعمارية أن تقوم به . وعن هذا التخريب الثقافي لنا كلمة صغيرة ..

محاولة التخريب الثقافي !

لقد كان من بين مامارس الاستعمار من أساليب للسيطرة الكاملة على الإنسان الأفريقي جسدا وروحا ، أن طبقت الدول الاستعمارية خطة ثقافية منظمة تقوم على أساسين :

- الأول : قطع أو إضعاف الصلات ما بين الأفارقة ، وتراثهم الوطني .
 - الثاني : نشر الثقافة الأوربية لاسيما في أوساط النخبة الأفريقية التي يفترض أن تكون في عداد المثقفين المؤهلين للحكم والإدارة .
- وكان الهدف من قطع الصلات بالتراث الوطني الأفريقي ، هو قطع الصلات الروحية الثقافية ما بين « أفريقيا » وتراثها العربي ، الذي هو جزء لا يتجزأ من مجموع التراث الوطني الأفريقي .

أما الهدف من نشر الثقافة الأوربية - لاتينية أو أنجلوساكسونية - فهو إيجاد تعاطف فكري تلقائي بين المثقفين الأفريقيين والدول الأوربية التي تثقفوا



فشل التصير والتملك والتغريب!

ولكن الهدف بأساسيه معا لم يتحقق على النحو الذي كانت الدول الاستعمارية ترجوه . . صحيح أن بين الأفارقة اليوم حكاما ومسؤولين ممن نالوا قسطا عاليا من الثقافة الأوربية ، ولا يخفون تعاطفهم مع مستعمرهم السابقين . إلا أن أولئك المثقفين أنفسهم ، ومعهم سائر المثقفين الأفريقيين ، ردوا على الخطة الاستعمارية بنظرية وطنية محلية أطلق عليها اسم النجريتية^(١) - أي الزنجية - وهي نظرية ثقافية تدعو إلى النهل من ينابيع الثقافة الزنجية الأفريقية ودعمها ونشرها وتعميقها ، ونبذ كل ماعداها .

وقد حققت هذه النظرية أيام الاستعمار خطوات إيجابية هامة أوقفت سيل الثقافة الأوربية الغريب ، وأوجدت في الحياة الثقافية الأفريقية مفاهيم جديدة وعطاءات غنية أثرت حتى على الأدب الأوربي نفسه ، كما هو الشأن بالنسبة لرئيس « السنغال » السابق « ليوبولد سنجور » الذي يعتبر الآن في مقدمة شعراء اللغة الفرنسية ، حتى في « فرنسا » نفسها ، ولكن معظم مواضيعه كانت « نجرية » .

على أن سلبيات هذه النظرية ظهرت بوضوح بعد خروج المستعمرين الأوربيين من أغلب أقطار « أفريقيا » ، إذ طبعت ثقافة كل بلد أفريقي بطابع محلي صرف يتعارض مع التطلع الأفريقي نحو التعاون والوحدة ، وهكذا أعلن الرئيس الغيني المرحوم « أحمد سيكوتوري » أن من الضروري وقف هذه الفكرة ، والنظر إلى الثقافة الأفريقية بصورة شمولية ، لأنها إذا كانت قد عملت على توحيد المشاعر الأفريقية أيام الاستعمار ، فإنها سوف تصبح عامل تقسيم وتفرقة إذا استمرت بعد الاستقلال .

(١) النجريتية حركة ثقافية ظهرت في « باريس » على يدي كل من ١ - « ليون دوناس »
٢ - « إين سيسير » ٣ - « ل . س . سانجور » . وظهرت كرد على العنصرية التي تعرض لها
طلاب مفكرون سود في « فرنسا » وكدفاع عن الثقافة والحضارة الأفريقية .

وتفسير هذا الكلام أن أسلوب التفرقة بين أبناء الأمة الواحدة ، الذي التزمه الاستعمار ومازال ، قد جعل الاستعمار يروج للنجيرية إثر خروجه من « أفريقيا » ، بعد أن كان يقاومها بعنف أيام وجوده فيها ؛ ذلك أن من أولى نتائج النظرة المحلية الضيقة أن تقطع - أو تحاول أن تقطع - الصلات بين « أفريقيا » ، كقارة كاملة وبين تراثها الإنساني : دينيا وحضاريا وثقافيا ، وهذا ينال التراث العربي بالذات دون سواه ، وبذلك يتحقق للاستعمار حلمه الذي ما فتىء يعمل من أجله ، وهو تمزيق « أفريقيا » إلى عرب وغير عرب ، وإلى فصل الفعاليات الأفريقية ذات الجذور العربية عن أضواها العريقة ، والانغلاق - من ثم - على نظريات محلية ضيقة تركز الانقسام ، وتعمق أسباب الخلاف والاختلاف ، وتحول دون قيام وحدة أفريقية ، أو حتى تعاون أفريقي بناء .

الحاجة إلى إعادة البناء !

وهكذا نرى مدى حساسية الفصل الطائش بين العربية والأفريقية ، ومدى ما يمكن للاستعمار أن يجني من نتائج هذا الفصل ، ونفهم - بالتالي - أن المعركة التي كان سلاحها ، قبالا ، المدفع والبندقية ، قد باتت سلاحها اليوم الفكرة والكلمة ، وأن خطط الاستعمار الجديدة تسعى إلى تخريب النفوس بعد أن باتت متعذرا عليه تخريب الأجسام ، وأن عملا واعيا وأصيلا يجب أن يبدأ من التعليم ، واحتضان هذه الآلاف من الطلاب المتعطشين للعلم ، وأن لا نقصر تعليمنا على النواحي الدينية ، والوعظ والإرشاد ، فهولاء في أمس الحاجة إلى تعليم عصري يستفيدون منه في حياتهم وينافسون به أقرانهم ، ويحتلون به مكانة اجتماعية تؤهلهم لكي يكونوا من صناع القرار في بلادهم .

وهم في أمس الحاجة إلى جامعات ومعاهد عصرية تتيح لهم فرص التعليم الواسع ، وتربطهم في الوقت نفسه بالقرآن ولغة القرآن ، وتبث فيهم الروح الإسلامية الصحيحة ، وت

Created with



nitro professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

والبرامج الموجودة ، فهي ، في رأبي ، قاصرة وضعيفة ولا تحقق الأهداف التي يتطلعون إليها ولا تغريهم بالانصراف عن برامج التنصير التي انتشرت في أنحاء « أفريقيا » ، واتخذت التعليم العصري سلاحا لها . فإذا ظللنا على هذه البرامج السقيمة الضعيفة ، فأخشى ما أخشاه أن ننسحب من القارة بكاملها بعد وقت غير بعيد ، وتبدل هويتها ، ويضيع هذا الشعب الأفريقي المسلم ، لأن الهجمات متوالية عليه ورأس الحربة في ذلك التعليم والاقتصاد ، ونحن لا نولي هذه البرامج الأهمية الكافية في الوقت الحاضر ولا نخطط لها ، وهنا تكمن الخطورة في المرحلة القادمة .



خلاصة

وأخيراً . . .

فهذه امحات خاطفة تشكل نقطة ، أو أقل من نقطة ، من بحر واقع الوجود الاستعماري في « أفريقيا » ، بعد أن عرضنا لواقع الوجود الإسلامي ، ومنه يستطيع أي منصف أن يرى الفارق الجسيم ، الذي لا تجوز معه أية مقارنة بين الدور الذي اضطلع به الإسلام والدور الذي قام به الاستعمار . . .

ففي حين أن الوجود الإسلامي قد أعطى « أفريقيا » شيئاً كثيراً تعتر به ويشكل الآن أساس حياة غالبية أهلها ، فإن الوجود الاستعماري قد أخذ من « أفريقيا » شيئاً كثيراً دون أن يقدم لها مقابله شيئاً يذكر . . .

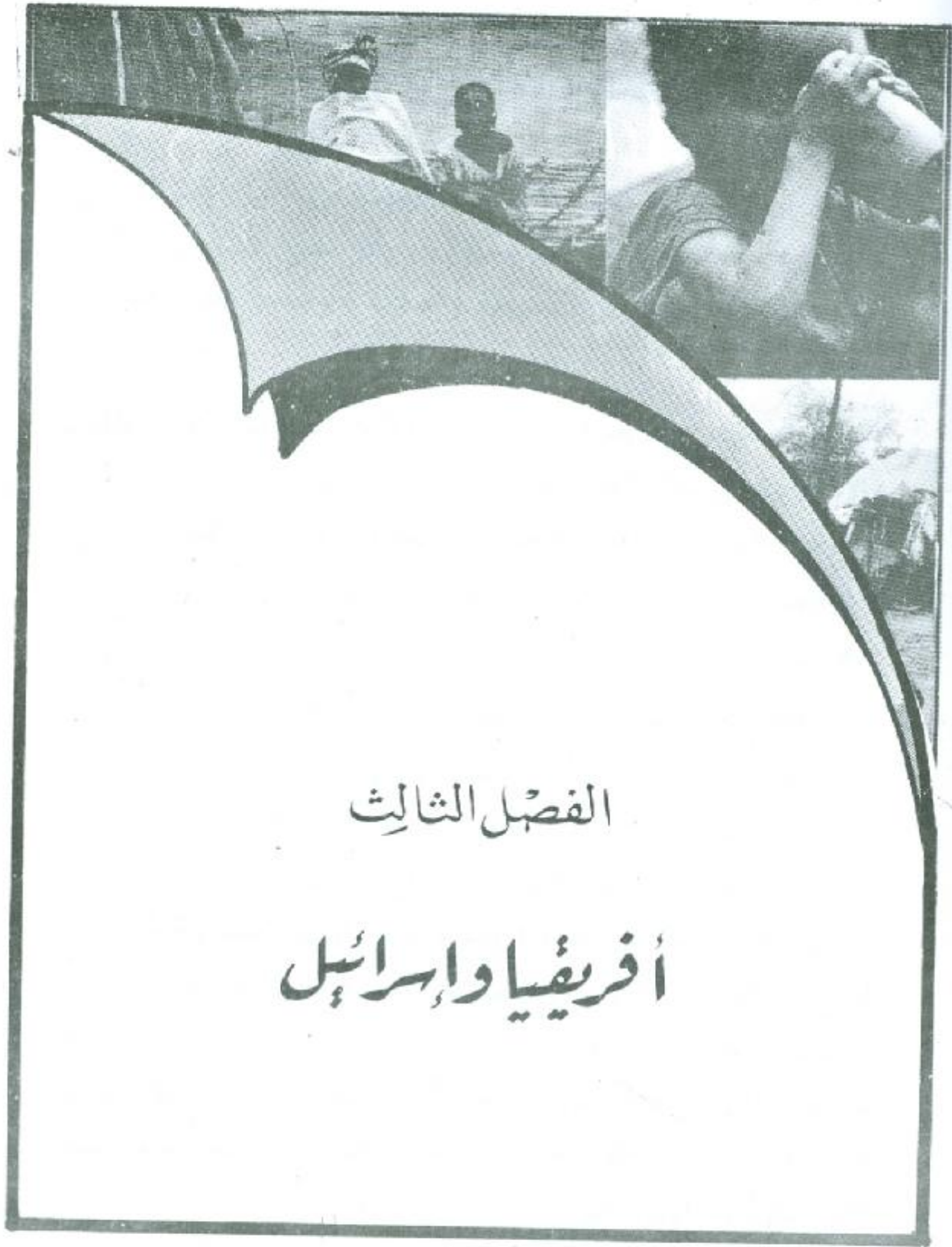
ويكذب من يزعم أن الوجود الاستعماري كانت له آثار حضارية ذات شأن ، فالآثار الحضارية قد أوجدها الاستعماريون لأنفسهم ، وكل جهد بذله الاستعماريون إنما كان لحسابهم ولمصلحتهم ، فتاجروا بكل شيء أفريقي حتى البشر ، بدعوى تفوق العنصر الأبيض والإنسان الأوربي ، وضربوا حول مئات الملايين من الأفريقيين أسواراً عالية حالت بينهم وبين اللحاق بحضارة العصر ، وخلقوا للأفريقيين عشرات من المشكلات التي يواجهونها اليوم ، بإيمان وصبر وأمل ، رغم المحاولات التي يبذلها الاستعماريون للعودة إلى « أفريقيا » بثتى الوسائل ، والاستمرار في نهب ثرواتها وخيراتها . . .

وفي مقدمة تلك الوسائل كانت جنوب « أفريقيا » الآسيوية المسماة : « إسرائيل » . . .

ولكن دوراً جديداً مطلوباً منا أن نؤديه . . . وجهاداً صادقاً يجب أن نبدأه . . . لا بد أن ندرك أن « أفريقيا » في أمس الحاجة لنا اليوم ، ويجب

أن لا نترك أهلها ، وخصوصاً أولئك الأشقاء المسلمين ، نهياً وعرضة لكل هذه الغزوات الاستعمارية المختلفة الأشكال والألوان . . ومن العار أن نقف موقف المتفرج ، والله من وراء القصد .





الفصل الثالث

أفريقيا وإسرائيل

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

القواعد الاستعمارية الدائمة

لعل من الضروري ونحن نتقل إلى الحديث عن الدور الإسرائيلي في « أفريقيا » ، أن نضع النقاط على الحروف ، وأن نسمي الأشياء بأسمائها ، كما فعلنا عندما ميزنا بين المسيحية والصلبية وأوضحنا الفارق الجسيم بينهما .

عند الحديث عن « إسرائيل » ، نبدأ - أولاً - بأن نستبعد كل الدعايات والادعاءات التي تملأ الأجواء حول « شعب الله المختار » و« الدولة العبرية » و« أرض الميعاد » وعن الحقوق التاريخية المزعومة للعبرانيين في « فلسطين » ، وعن كل ما قام عليه كيان « إسرائيل » منذ أن نادى بإنشائها « هرتزل » وحتى اليوم ..

إن كل تلك الشعارات والادعاءات التي ساقت ثلاثة ملايين يهودي إلى « إسرائيل » ليعيشوا على (أرض الميعاد) ، وجاءت بهم من بقاع عديدة من العالم ، ليست سوى ستار يخفي حقيقة الوجود الإسرائيلي في القارة الآسيوية ، وفي قلب العالم الإسلامي ليفصل - لأول مرة في التاريخ - بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، وليقيم قاعدة أوربية استعمارية متقدمة ، تدافع عن المصالح الأوربية كما تفهمها الدوائر الاستعمارية ، وتؤدي دوراً مرسوماً في استنزاف الجهد والاهتمام والأرواح والأموال العربية لمجابهتها ومواجهتها . هذا بالنسبة لليهود طبعاً ، أما بالنسبة للمسيحيين ، فقد كانت المرة الأولى عندما دخلوا القدس ٩٦ سنة وأخذوا من فلسطين وما حولها أكثر مما أخذته اليهود اليوم .

فما من منطلق يبرر حتى لمبتدع فكرة الدولة العبرية نفسه أن يلقي بثلاثة ملايين غريب في مكانه ويعيشون فيه من آلاف السنين ، ليعيشوا

وسط بحر من الكراهية المتقدة الطاغية التي تصارحهم بها شعوب المنطقة العربية ، فبلغ التضخم الاقتصادي درجة الانهيار الكلي (٤٠٠٪) وهي أعلى نسبة في العالم وفي التاريخ ، وتعتمد على سواها ، « أمريكا » و « أوروبا » ، في كل شيء : من الرغبة إلى الصاروخ ..

ذاك ليس من منطق الأشياء ولا من طبائعها ، ولم يسبق له مثيل في التاريخ ، ويتحدى كل علوم الاقتصاد والأجناس والسياسة ..

ومع هذا فإن « إسرائيل » مازالت باقية .. فلماذا ؟ ..

جذور الخصومة التاريخية

هنا نعود إلى جذور الخصومة التاريخية التي ابتدعتها الأوربيون الاستعماريون منذ أيام الحروب الصليبية الأولى ، والتي ذاقت معنى وجود دول عربية إسلامية قوية على امتداد شواطئ « البحر المتوسط » ، والتي منيت بالهزائم سبع مرات ، بعدد الموجات الصليبية ، والتي كانت - إزاء الدول الإسلامية في المنطقة - دولاً من الدرجة الثالثة أو الرابعة ، تعتمد على القرصنة وتعيش من الفترات الذي تتلقاه من تلك الدول الإسلامية : مواد غذائية ، وثقافة وعلماء ، وتحضراً ، حتى باتت مقاومة وجود مثل هذه الدول في حوض « البحر المتوسط » سياسة أوربية ثابتة ، أخذتها على عاتقها الدول الاستعمارية بشكل خاص ، وتبنتها بشكل أخص « بريطانيا » و « فرنسا » ، اللتان كانتا أكثر احتكاكاً بالعرب والمسلمين من سواهما ..

فكما أنشأ الاستعمار دولة « جنوب أفريقيا » في القارة الأفريقية ، أنشأ الدولة العبرية في « فلسطين » موطن « المسجد الأقصى » ، ومسرى رسول الله ﷺ .

إصرار بريطاني

وإذا كان لابد من إيجاد مبررات ومغالطات تفسر أسباب قيام هذه الدولة فقد كانت شعارات « الوطن القومي اليهودي » و« أرض الميعاد » و« هيكل سليمان » ، وغيرها ، مبررات مناسبة في نظر رجال الاستعمار ، ومن المهازل التي تثبت هذا القول أنه في الوقت الذي تخلى فيه الصهيونيون أنفسهم عن فكرة إقامة دولة عبرية في « فلسطين » ، ضغط عليهم رجال الحكومة البريطانية ، وفي مقدمتهم « ونستون تشرشل » الذي كان يفاخر بأنه صهيوني القلب والقالب ، ونصحهم بالاستمرار في مشروعهم ، ونههم عن القبول بإقامة وطنهم المزعوم في « أوغندا » بعد أن قبلوا بذلك ، وشدد على ضرورة تمسكهم « بفلسطين » ووعدهم بالدعم والمساعدة ، ولم يقصر - والحق يقال - في تنفيذ هذا الوعد . .

المفارقة الأوروبية - اليهودية العجيبة

ومرة ثانية نجد صورة أخرى من صور التناقض الغريب في الممارسة السياسية ، ففي حين أن اليهود كانوا - وما زالوا محترقين في « أوروبا » طوال مئات من السنين التي سلفت ، ومضطهدين في جميع بلاد « أوروبا » بلا استثناء ، فإنهم يحظون اليوم بالدعم الكامل والمطلق من المعسكر الأوربي الغربي وحليفته الكبرى « أمريكا » . .

إن اليهود لم ينعموا بالعيش بسلام في أي بلد من بلاد العالم إلا في البلاد الإسلامية . ومنذ ظهور الإسلام ، وفي الوقت الذي كان الأوربيون يطردون فيه اليهود ويشردونهم ويحرقونهم ويصادرون أموالهم وممتلكاتهم ، كان اليهود الآخرون يعيشون في الوطن العربي كله ، من « المغرب » إلى « العراق » ، في طمأنينة وسلام ، يمارسون طقوسهم بحرية ، ويعملون ويكسبون بحرية ،

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

في أي بلد عربي ، بينما يذكر آلاف وقائع الظلم والكبت والاضطهاد التي عانوا منها في « أوروبا » ، كما يذكر كثيراً من الوقائع التي خان فيها اليهود أمانة البلاد العربية التي آوئهم فتأمروا عليها ، وارتكبوا جرائم فظيعة في وحشيتها ، ومع هذا أحيلوا إلى القضاء العادل ليقول كلمته فيهم ، ولم يعمد أحد إلى التنكيل بهم كما كان يحدث في « أوروبا » دائماً .

هذا التناقض ما بين مشاعر الكراهية التي كانت « أوروبا » و « أمريكا » - وما زالت - تكنها لليهود ، والعون غير المحدود الذي تقدمه لهم اليوم ، يشير إلى أن هذا الحلف ما تم إلا لأن « أوروبا » تخشى من خطر أعظم ، وهو خطر قيام دول إسلامية قوية على حوض « المتوسط » . .

فوق هذا ، فإن أسطورة التقدم التكنولوجي التي يفاخر بها اليهود وأسيادهم معاً ، ليست سوى أكذوبة يفسرها الدعم الكامل لقدرة « إسرائيل » التكنولوجية ، ووضع أسرار التكنولوجيا العصرية بين أيدي الإسرائيليين ، وتقديم السلاح المتطور ، وتعويض خسائر « إسرائيل » واحتضانها بصورة لم يسبق لها مثيل . .

إن النظرة التي يتصور بها الغربيون « إسرائيل » هي أنها واحة حضارية أوربية متقدمة ، وسط صحراء « عربية » من التخلف والتأخر والجهل .
ورواسب الصليبية التي تكن للإسلام كراهية حاقدة لا نعرف - أو لعلنا نعرف - سببها ، لها دورها هي الأخرى في حماية « إسرائيل » وإقامتها ، ودعمها على ذلك النحو الذي لا يصدق العقل . .

من هنا ترى المقارنة الصحيحة التي أوردتها من قبل ، وهي أن « إسرائيل » هي دولة « جنوب أفريقيا » في « آسيا » ، وأن « جنوب أفريقيا » هي دولة « إسرائيل » في « أفريقيا » ، فالتشابه ، بل التطابق ، شامل تماماً في الحالتين ، وهما - كلتاهما - تدرجان تحت بند الممارسات الاستعمارية التي مازالت « أوروبا » تمارسها ، وهو ما أطلقنا عليه تعبير « الاستعمار

المستحدث .

هذا تمهيد لم يكن منه بد لكي نفهم سر التحركات الإسرائيلية في « أفريقيا » ، وكأنها دولة حقيقية وليست شيئاً مصطنعاً ليس له من مقومات الدولة الطبيعية شيء .

إن إصرار الاستعمار على انتهاب ثروات القارة الأفريقية ، قد جعله يعمد إلى مختلف السبل للعودة إليها بعد أن طرد منها ، ولكن ببراقع جديدة ، منها الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية ، ومنها النشاطات التي تقوم بها دولة « جنوب أفريقيا » لحساب الرأسمالية الأوربية الاستعمارية ، ومنها التحركات التي تقوم بها « إسرائيل » .

سوق إسرائيلية - أوربية في أفريقيا

والواقع أن اهتمام الإسرائيليين بالقارة الأفريقية قد بدأ منذ زمن بعيد ، وقبل ظهور دولتهم المصطنعة في « فلسطين » .. فقد كانوا أعواناً للأوربيين في إيجاد المبررات والأعذار لاحتلال بعض الأقطار الأفريقية ، كما كانوا ذيولاً لهم في أقطار أفريقية أخرى - بعد الاحتلال - كرجال أعمال وجواسيس ومخبرين ..

والحقيقة التي كشفت قبل أكثر من عشرين عاماً ، أن الجانب الأكبر من المساعدات المالية التي تلقتها « إسرائيل » من « أوروبا » و « الولايات المتحدة » كان يذهب إلى « أفريقيا » لوضعه في الاستثمارات الاقتصادية المتنوعة ، ويضاف إلى ذلك أن المقاطعة العربية « لإسرائيل » قد أحبطت أهم التطلعات التي كان الإسرائيليون يحلمون بها ، وهو أن تصبح البلاد العربية سوقاً لبضائعهم ، فحاولت « إسرائيل » الخروج من طوق المقاطعة العربية بتصدير إنتاجها إلى « أوروبا » ، ولكن الموافقة على هذا من قبل « السوق الأوربية المشتركة » . كان سببه سياسياً أكثر منه اقتصادياً ، «السوق الأوربية المشتركة»

محاكمة بأنظمة معينة غايتها مصلحة دول السوق بالدرجة الأولى ، ومنع المزاخمة الأجنبية ، ولكن نظراً لأن « إسرائيل » هي الابن المدلل للاستعمار ، فقد استثنيت من بعض أنظمة السوق ، وسمح لها بتصدير شيء من إنتاجها ، ولكن ذلك لم يكن كافياً بالنسبة « لإسرائيل » ، وهكذا اتجهت بأنظارها إلى « أفريقيا » كقارة مستوردة ، بعد أن اعتبرتها « إسرائيل » ، قبلاً ، ساحة استثمارية . .

ولكن الأمر ، كذلك ، لم يكن سهلاً ، إذ حذفت من لائحة زبائن « إسرائيل » ، أولاً ، دول الشمال الأفريقي المشتركة في « جامعة الدول العربية » ، ثم حذفت كثير من الدول ذات الارتباطات الإسلامية والعربية القوية ، ولكن هذا لم يمنع « إسرائيل » من أن تجد مجالات أخرى لتصرف بضائعها في دول أفريقية أخرى . .

وسارت « إسرائيل » في علاقاتها الأفريقية على خطة يبدو فيها الخبث الإسرائيلي المعهود ، فمع أنها لم تصوت قط في « الأمم المتحدة » إلى جانب منح أية دولة أفريقية استقلالها - لأن ذلك مسألة « مبدئية » بالنسبة « لإسرائيل » - فإنها كانت تسارع ، منذ العام ١٩٥٥ م ، إلى الاعتراف بكل دولة أفريقية تستقل ، وتبادر إلى تبادل التمثيل الدبلوماسي معها ، وإلى تطوير علاقاته الاقتصادية بها ، وفي كل مرة يحدث فيها فتور في العلاقات بين بعض الدول العربية وبعض الدول الأفريقية ، كانت « إسرائيل » تسارع إلى محاولة ملء الفراغ وتقديم خدماتها .

ولم يكن الأمر يخلو من « الهدايا » الودية إلى بعض المسؤولين المتعاطفين مع « إسرائيل » ، كالجواهرات والذهب والأثاث الفاخر - التي كانت تصل إلى بيت « المسؤول » مع تحية رقيقة من السفير الإسرائيلي .

وفي البلاد التي لم تجد « إسرائيل » صعوبة في التعامل معها ، « كإثيوبيا

فلسطين ، فلبنان ، إسرائيل » سارت في الشوط إلى آخر مدى ، إذ

أقامت مؤسسات مشتركة اقتصادية وصناعية ، وتعاونت عسكرياً في مجال التدريب والخدمات المعلوماتية ، وكان كثير من الضباط الأفريقيين يتلقون تدريبات ودورات عسكرية في « إسرائيل » ، ومن الطريف أن الرئيس الأوغندي السابق « عيدي أمين » كان - هو نفسه - قد أجرى دورة في المظلات « بإسرائيل » ، فتعرف عن كثب على حقيقة الكيان الإسرائيلي ، وحين انقلب عليه بعد استلامه الحكم في « أوغندا » ، كشف كثيراً من المخازي الإسرائيلية التي وقف عليها بنفسه خلال وجوده في « فلسطين » المحتلة ، وكانت له وقفة صلبة ضد « إسرائيل » أيام « حرب رمضان » عام ١٣٩٣ هـ .

لقد قام التسلل الإسرائيلي في « أفريقيا » على استغلال الظروف الصعبة التي واجهتها الدول الأفريقية المستقلة حديثاً .. وعمل كذلك على بث الخلافات ونشر الضغائن .

فالاستعمار الذي جثم على الأقطار الأفريقية لم يجشم نفسه عناء تطويرها والأخذ بيدها في مجال العلم والزراعة والصناعة ، بل - على العكس - كان يحرص إلى درجة الاستماتة على إبقاء الشعوب المتأخرة على تأخرها وجهلها .

تمثيل الاستعمار الجديد !

وهنا جاءت « إسرائيل » ، الفقيرة المثقلة بالديون ، التي تعيش على المساعدات ، وعرضت خدماتها على تلك الدول الأفريقية بغير شروط ظاهرة ..

وكان طبيعياً أن يقبل بعض تلك الدول هذه الخدمات ، فهي في حاجة إلى الكثير في جميع مجالات الحياة ، وهكذا شاركت « إسرائيل » في إنشاء مشروعات زراعية وصناعية ومؤسسات تجارية ، إضافة إلى التدريب المهني والعسكري ، ولم يكن بوسع أية دولة فعلت « إسرائيل » إسرائيل فيها ذلك أن ترفض فتح أسواقها للمنتجات الإسرائيلية ، وتصدير المواد الخام إليها ..

وخلال ذلك ، كان الاستعمار القديم المتمثل في « بريطانيا » و« فرنسا » ، يدعم هذا التسلسل الإسرائيلي ويدلل العقبات التي تقوم في وجهه ، حتى على مستوى رؤساء الدول والحكومات الأوربية ، الذين كانوا يتصلون بالرؤساء الأفريقيين ويتوسطون للصديق الإسرائيلي كي يتحرك ويعمل بحرية في القارة .

مثال ذلك أن « فرنسا » التي كانت تحتل الجزء الشمالي الشرقي من « الصومال » - الذي يعرف الآن باسم « جيبوتي » - قد عقدت عام ١٩٥٦ م ، اتفاقية مع « إسرائيل » تمنحها فيها عدة امتيازات لإدارة ميناء « مصوع » وما يتبع ذلك من منشآت ومصانع .

وقد شرح نائب إسرائيلي يدعى « ماشير فلمر » الدور الإسرائيلي في « أفريقيا » ، وخلفياته السياسية المرتبطة بالسياسة الاستعمارية الأوربية التي لم تغير عقليتها قط ، فقال :

« إن مهمة « إسرائيل » هي القيام بعمل الاستعمار الفرنسي من وجهة سياسية واقتصادية وعسكرية دون أن تظهر « فرنسا » على المسرح كدولة استعمارية ، وأن تقدم « فرنسا » لحكومة « إسرائيل » التسهيلات والوسائل والأموال ، التي تقدمها « إسرائيل » بدورها إلى الحكومات الأفريقية باسمها ، وخاصة الحكومات الموالية للغرب والتي لا تستطيع أن تجاهر بموالمتها هذه ، أو تبدي للعيان استمرار علاقاتها القوية مع « فرنسا » وغيرها .

هنا يتضح الدور الاستعماري الذي تلعبه الدول الأوربية ، والدور الذي تلعبه « إسرائيل » ، فهي أفقر وأعجز من أن تأخذ على عاتقها مهمة تقديم المساعدات ، وهي التي تعيش على المساعدات ، فتأتي الدول الأخرى وتزودها بالأموال والخبرات والمعدات لتبدو بالمظهر الذي تحاول الظهور به ، كدولة صديقة « لأفريقيا » ، لا غاية لها سوى مساعدة الأقطار الأفريقية المستقلة حديثاً ، ولم يكن لدى هذه الأقطار ما يمنعها من قبول تلك المساعدة ، فهي

(أولاً) في حاجة إليها ، وهي (ثانياً) لا تشعر بحساسية تجاه الدولة العبرية الصغيرة التي كانت ، إذ ذاك ، في طور تدعي معه أنها ضعيفة ، ومسكينة ، لا حول لها ولا طول ، وهي (ثالثاً) لا تخشى شيئاً من هذا التسلل الإسرائيلي كما تخشى الدول الاستعمارية التي خبرتها ، وهي (رابعاً) لا تدري أن « إسرائيل » ليست أكثر من وسيط بينها وبين الاستعمار الجديد الذي عاد بشوب جديد عن طريق التسلل الاقتصادي غير المباشر ، وهي (خامساً) لا تكاد تدري شيئاً عن خلفيات الوجود الإسرائيلي العدواني ، وما تمثله « إسرائيل » كرأس حربة للاستعمار .



الصراع السياسي العربي - الإسرائيلي في أفريقيا

انتشرت رؤوس الأموال والمشروعات والمؤسسات ذات الوجه الإسرائيلي في كثير من البلدان الأفريقية ومنها : « مالي » و« غانا » و« غينيا » و« الكونغو » و« ليبيريا » و« جيبوتي » و« الصومال » و« إثيوبيا » و« تنجانيقا » و« نيجيريا » و« روديسيا » الشمالية والجنوبية و« الجابون » و« النيجر » و« بينين » (داهومي) و« فولتا العليا » وغيرها من البلدان التي استقلت أو كانت على وشك الحصول على استقلالها .

واستطاعت « إسرائيل » بذلك أن تتخطى أسوار العزلة الخانقة التي فرضتها الدول العربية عليها ، وأن تنطلق في رحاب القارة الأفريقية تسرح وتمرح ، وتصول وتجول من غير حسيب ولا رقيب .

مد .. وجزر !

وعندما كانت « إسرائيل » تلعب بورقة رغبتها في التفاوض المباشر مع العرب ، كان كثير من الدول الأفريقية يؤيد هذا الاتجاه - كما تؤيده « أمريكا » وكافة الدول المؤيدة « لإسرائيل » - وصوتت تلك الدول إلى جانب « إسرائيل » كما أيدت انتخاب « إسرائيل » في بعض المراكز التنفيذية في « الأمم المتحدة » والوكالات المنبثقة عنها كممثل للمجموعة « الأفرو - آسيوية » .

ومع أن العدوان الإسرائيلي في حزيران ١٩٦٧ م ، قد كشف جانباً من الأفتعة التي كانت « إسرائيل » تستر بها ، وأسقط كثيراً من الحجج التي كانت تتاجر بها ، إلا أنه لم يحدث تغييراً يذكر في موقف معظم الدول الأفريقية لدرجة أن « الصومال » تقدمت بمشروع قرار يشجب العدوان الإسرائيلي على « مصر » بصفتها دولة عربية ، إلى « منظمة الوحدة الأفريقية » ، ولكن القرار

سقط ، واستبدلت به المنظمة بياناً عائماً يعبر عن « قلق » الدول الأفريقية لإزاء الموقف في الشرق الأوسط وتعاطفها مع « مصر » ، والتزامها بالسعي لحل المشكلة في نطاق قرارات « الأمم المتحدة » .

ولكن الموقف الأفريقي العام تبدل بعض الشيء في مؤتمر القمة الأفريقي الذي عقد في « كينشاسا » ، سبتمبر ١٩٦٧م ، حين ندد باحتلال جزء من « مصر » من قبل « إسرائيل » ، ولعل الاتصالات الشخصية المباشرة خلال هذا المؤتمر هي التي أدت إلى هذا التنديد .

وحين نتحدث عن « إسرائيل » ، فلا يمكن أن يكون هذا الحديث عن دعايتها الصاخبة التي نعرفها ، بكل ما فيها من كذب وتزوير واختلاق وبهتان .

لقد نشطت الدعاية الصهيونية في القارة الأفريقية جنباً إلى جنب مع التحركات الاقتصادية والسياسية فاستطاعت أن تجتذب الرأي العام ، وأن تستقطب عطف وتأييد بعض الدول الأفريقية . .

فمع أن « إسرائيل » ليست « دولة » أفريقية ، وأن تسع دول عربية أعضاء في « منظمة الوحدة الأفريقية » ، فإن اثنتي عشرة دولة أفريقية اتخذت موقفاً مضاداً للعرب لدى التصويت في « الأمم المتحدة » مقابل خمس دول (أفريقية) فقط كانت تقف مع الجانب العربي . .

وتكرر هذا الموقف مرات عديدة في « الأمم المتحدة » بحيث كانت أغلبية الدول الأفريقية تقف إلى جانب « إسرائيل » ، وأقليتها تقف إلى جانب العرب ، وبعضها يمتنع ، أساساً ، عن التصويت . .

وكانت « إسرائيل » تتخذ من مكافحة « العنصرية » وشجبتها وسيلة رئيسية من وسائل مادتها الدعائية . .

وهذه النغمة تروق كثيراً للدول الأفريقية التي اكتوت بنار العنصرية ، مع أن التطبيق الفعلي للسياسة الإسرائيلية ، وخلفيات هذا الموقف ، تختلف كثيراً

فمن جانب ، تحرص « إسرائيل » في دعايتها على تجنب العنصرية لأنها - هي نفسها - دولة عنصرية قامت على التعصب المقيت ، فكأنما هي تحاول أن تدفع عن نفسها صفة العنصرية التي تُلْفُها من الرأس إلى القدم . .

وهي ، من جانب آخر ، لا تخسر شيئاً إذا ما لاكت بعض العبارات الحماسية التي تتمشى مع مشاعر الأفريقيين ، رغم أن سياستها التطبيقية تختلف عن ذلك تماماً . .

تضاف إلى ذلك النغمة الدائمة التي تضرب الدعاية الإسرائيلية عليها ، بالحديث عن تخلف العرب الحضاري ، وعجزهم عن مجاراة ركب التطور والخطوات الحضارية التي قطعتها « إسرائيل » ذاتها . .

وبطبيعة الحال ، كانت الهزائم العربية ، والخلافات العربية ، والمشكلات العربية ، تقدم - جميعها - مادة دسمة للدعاية الإسرائيلية التي كانت تجيد استغلالها أكبر استغلال .

تفوق عربي على إسرائيل !

على أن الرؤية الأفريقية لواقع الوجود الإسرائيلي ، وحقائق الصراع العربي - الإسرائيلي قد بدأت في التغير شيئاً فشيئاً ضد « إسرائيل » . .

فلقد صاحب التمهيد لحرب رمضان (١٣٩٣هـ) كثير من التقارب العربي وتجميد المنازعات والخصومات . .

وحين اجتمع « مؤتمر قمة الوحدة الأفريقية » في « أديس أبابا » - يونيو ١٩٧١م - كان في جملة مقرراته دعوة « إسرائيل » إلى الانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧م ، كشرط مسبق للدخول في تسوية « لمشكلة الشرق الأوسط » ..

ثم قامت « لجنة الحكماء » التي تألفت من خمسة من الرؤساء الأفريقيين



بمساع للتوفيق بين « القاهرة » و « إسرائيل » ، فكانت اتصالات هؤلاء الرؤساء مع المسؤولين المصريين والإسرائيليين تكشف جانباً من حقائق الأمور ، فتبين « للجنة الحكماء » أن الجانب الإسرائيلي هو الجانب المتعنت ، وهو الجانب الرافض للتسوية ، فبدأ الموقف في التحول وأصبحت الدول الأفريقية أكثر إدراكاً لأبعاد الوجود الإسرائيلي وتحركاته وغاياته ..

وظهرت نتائج هذا التحول في « الأمم المتحدة » ، حيث بدأت الدول الأفريقية التي اعتادت التصويت إلى جانب « إسرائيل » في التصويت ضدها مثل : « غينيا » و « أوغندا » و « تشاد » و « الكونغو » و « النيجر » و « مالي » و « بوروندي » و « توجو » و « زائير » ..

وكما نعلم ، فخلال حرب رمضان (١٣٩٣هـ) ، قطعت أكثر من أربعين دولة أفريقية علاقاته الدبلوماسية مع « إسرائيل » ، وكانت « غينيا » قد قطعتها منذ عدوان ١٩٦٧ م ، فظهرت إذ ذاك صورة من صور التفاهم الأفريقي - العربي ، فقد أجمع الطرفان ، كلاهما ، على الوقوف في مواضعهما الطبيعية ، وبدأ في السير بخطوات معقولة على طريق التعاون والتفاهم والتضامن ..

ومع أن قرار قطع العلاقات الدبلوماسية هذا قد شكل ضربة موجعة « لإسرائيل » ، إلا أن وجودها الاقتصادي والعسكري والدعائي مازال على حاله ، رغم أن قطع العلاقات قد أوجد صعوبات ملحوظة أمام التحرك الإسرائيلي .

فقد ذكرت جريدة « دافار » الإسرائيلية أن قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى « أفريقيا » قد بلغت مائة مليون دولار ، سنويا ، وهو رقم يجعلنا نتوقف أمامه طويلاً من حيث دلالاته بالنسبة للاقتصاد الإسرائيلي ، والمدى الذي تعمل فيه « إسرائيل » في القارة الأفريقية .

تعاون إسرائيل وجنوب أفريقيا !

وظهرت مؤشرات أخرى تدل على محاولات « إسرائيل » الدائبة لاستعادة مواقعها الدبلوماسية في « أفريقيا » ..

منها التعاون الوثيق الذي تم بين السلطات الكينية والإسرائيليين في عملية مطار « عنتيبي » .

ومنها أن ثلاثاً عشرة دولة أفريقية امتنعت عن التصويت على مشروع القرار بإدانة الصهيونية كحركة عنصرية الذي اتخذته الأمم المتحدة (نوفمبر ١٩٧٥ م) بينما عارضت القرار خمس دول أفريقية هي : « الجابون » ، « كينيا » ، « ساحل العاج » ، « مالاوي » ، و « أفريقيا الوسطى » .

كما أن التعاون بين « إسرائيل » ودولة « جنوب أفريقيا » قد سار خطوات واسعة جدا ، رغم قرار « الأمم المتحدة » بمقاطعة « جنوب أفريقيا » .

وبين الحين والآخر تنشر الوكالات أنباء عن ذلك التعاون الذي يتمثل في معظم المجالات ، وخاصة المجال العسكري ، حيث تعتبر « جنوب أفريقيا » من أوائل زبائن « إسرائيل » في شراء جانب من إنتاجها من المعدات العسكرية كالزوارق المسطحة والصواريخ .. فضلا عن التعاون النووي .

ومن الطريف أن تبلغ العلاقات الإسرائيلية - الجنوب أفريقية هذا الحد في الوقت الذي كانت فيه خلال السبعينات متوترة ومضطربة ..

ذلك أن عددا من زعماء الأقلية البيضاء في « جنوب أفريقيا » كانوا من المتعاونين مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية ، والإسرائيليون لا يفتخرون ذلك لأحد قط ، ولهم في ذلك شواهد كثيرة .

كما أن أولئك الزعماء الجنوب - أفريقيين طردوا أعدادا كبيرة من أفراد



الجمالية اليهودية ، وأعلنوا العداء للسافر لما يسمى بـ « السامية » وهو أيضا أمر لا تغتفره « إسرائيل » ..

ولكن « شيلوك » اليهودي تجاهل تلك الوقائع هذه المرة ، في غمرة بحثه المحموم عن جهات خارجية يتعاون معها ، ومد يده إلى « جنوب أفريقيا » التي كانت تعاني ، مثل « إسرائيل » ، من العزلة ، وهكذا سمحت حكومة « جنوب أفريقيا » ليهود « جنوب أفريقيا » بتقديم عون مالي للمنظمات الإسرائيلية ، يصل إلى عشرين مليون دولار سنويا ، وقد ذكر « جوليوس فينشتين » رئيس الاتحاد الصهيوني في « جنوب أفريقيا » ، مفاخرا ، أن معدل ما يرسله الصهيونيون الجنوب - أفريقيون إلى « إسرائيل » يفوق ما يرسله الصهيونيون إليها في « أمريكا » ذاتها ...

وفوق هذا ، سهلت حكومة « جنوب أفريقيا » لأكثر من ألفي يهودي ، سنويا ، الهجرة إلى « إسرائيل » ، وهو أحد المطالب الهامة التي تحرص « إسرائيل » كثيرا عليها .

وقد بلغت قيمة الصادرات الإسرائيلية إلى « جنوب أفريقيا » عام ١٩٨١ م ، أكثر من (١٢٥) مليون دولار ..

عودة إسرائيل إلى الساحة الأفريقية

ومن جهة أخرى يستمر التحرك الإسرائيلي في نشاطاته ؛ فهناك آلاف من الخبراء الإسرائيليين يعملون الآن « بأفريقيا » في مجالات عديدة أهمها المجال الزراعي ، وهم يتناولون رواتبهم من دولة « إسرائيل » وليس من الدول التي يعملون فيها ..

وتصدر « إسرائيل » الأسلحة إلى عدد كبير من الدول الأفريقية إضافة إلى دولة « جنوب أفريقيا » ..

وحصلت ، مؤخرا ، إحدى الشركات الإسرائيلية على عطاء بقيمة خمسمائة



مليون دولار لإنشاء وإصلاح بعض الطرق في إحدى الدول الأفريقية ..
 ومنذ قرارات قطع العلاقات الدبلوماسية بين معظم الدول الأفريقية
 و« إسرائيل »^(١) ، والأخيرة تبذل جهودا كبيرة لإلغاء تلك القرارات ،
 ومحاوله تعويض انعكاسات هذه القرارات بالتوسع في العلاقات الاقتصادية ،
 و« الثقافية » ، وإثبات الوجود الإسرائيلي في « أفريقيا » بسبل شتى ، فرفعت
 درجة تمثيلها الدبلوماسي مع « جنوب أفريقيا » إلى درجة سفارة ، وفي نفس
 الوقت تحايلت في التظاهر بالبراءة وحسن النية تجاه الدول الأفريقية الأخرى
 التي تقف موقفا عدائيا من الأقلية البيضاء الحاكمة في « جنوب أفريقيا » ..
 وحققت « إسرائيل » خطوة على طريق العودة الدبلوماسية إلى « أفريقيا » ،
 عندما اتخذت حكومة « زائير » قرارا باستئناف العلاقات معها ، في الرابع عشر
 من مايو ١٩٨٢ م .

وقد أحدث هذا القرار ردود فعل قوية في العالم العربي فوصفه متحدث
 باسم « منظمة التحرير الفلسطينية » بأنه « طعنة مسددة إلى ظهر حركات
 التحرر في « ناميبيا » و« جنوب أفريقيا » و« فلسطين » ، وانتهاك لقرار
 « مؤتمر قمة منظمة الوحدة الأفريقية » المتخذة في مارس ١٩٧٧ م .

وأعلنت حكومة « المملكة العربية السعودية » قطع علاقاتها الدبلوماسية مع
 « زائير » ، وطالبت « جامعة الدول العربية » أعضاءها بالاحتذاء بالخطوة
 السعودية ، في الوقت الذي أعلنت فيه حكومة « الولايات المتحدة الأمريكية »
 عن ارتياحها لقرار « زائير » ووصفه رئيس وزراء « إسرائيل » بأنه « قرار
 شجاع وذكي » ، وقبل دعوة لزيارة « زائير » ، وعلقت جريدة « اكسبرس »
 الفرنسية على القرار بأنه يتيح « لإسرائيل » الفرصة للخروج من عزلتها الأفريقية
 ويمثل بادرة مشجعة لبقية الدول الأفريقية ، بما فيها من احتمالات عودة العلاقات

(١) الدول الأفريقية التي لم تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع « إسرائيل » هي « ملاوي »
 و« ليزوتو » و« سوازيلاند » و« موزمبيق » .

الدبلوماسية بين « إسرائيل » ودول أخرى ، مما يرتبط ارتباطا وثيقا بالسياسة الفرنسية في « أفريقيا » في ظل « مهندس الفرانكوفونية » الرئيس « فرانسوا ميتران » .

و« الفرانكوفونية » تعبير يطلق على مجموعة الدول الناطقة باللغة الفرنسية والمرتبطة « بفرنسا » بعلاقات ثقافية نتيجة للغة المشتركة بينها .

الضعف العربي .. والدعم الأوروبي

والواقع أن قرار « زائير » ذاك كان نتيجة جهود بذها الرئيس الفرنسي « فرانسوا ميتران » إثر زيارته « لإسرائيل » ، فقد أخذ « ميتران » على عاتقه إقناع « زائير » باستئناف علاقاتها الدبلوماسية مع « إسرائيل » ، ونفذ ذلك بالفعل ، مستخدما النفوذ الفرنسي الكبير في « زائير » ، بحكم العلاقات الاقتصادية والعسكرية القائمة بين الطرفين ، « ففرنسا » استثمرات اقتصادية كبيرة ، كما أنها تستورد ثلث حاجتها من النحاس الخام من « زائير » ، وتستخدم « فرنسا » قواتها العسكرية وثقلها السياسي في حماية نظام « موبوتو » - رئيس « زائير » - من الانهيار تجاه نشاطات « جبهة التحرير الوطني الكونغولية » .

إن وقفة متأملة تجاه هذه المبادرة الفرنسية ، تجعلنا ندرك ما حرصنا على توكيده في مواقع عديدة من هذا الكتاب ، وهو أن « الاستعمار » - بمختلف صورته وألوانه - لا يتورع عن الإقدام على أية خطوة معادية للإسلام والمسلمين في أى مكان ، وأن « فرنسا » قد تغاضت عن كل مصالحها في العالم العربي ، والمستوى المتميز الذي يعاملها به العرب ، وأقدمت على تلك الخطوة بإقناع - أو إجبار - « زائير » على استئناف علاقاتها الدبلوماسية مع « إسرائيل » ..

ووقفة أخرى أمام الأسلوب الذي تتبعه « إسرائيل » في توسعة نشاطاتها في « أفريقيا » ، تدلنا على مدى خطورة التسلسل الإسرائيلي ، ليس ضد العرب



والمسلمين فقط ، ولكن ضد « أفريقيا » نفسها ، وهو الأمر الذي يستدعي منا إجراء دراسات شاملة وتطبيق إجراءات وممارسات واسعة لوقف ذلك التسلل الإسرائيلي ، وحماية القارة الأفريقية من أخطاره التي يبدو أن كثيرا من أقطار « أفريقيا » لا يأخذها بالجدية الكافية ، إذا لم نقل إنه لا توجه اليها الاهتمام اللازم .

لقد استغلت « إسرائيل » عددا من السلبيات العربية ، والأوضاع الأفريقية ، لتثبيت أقدامها في أوسع رقعة ممكنة من « أفريقيا » ، وتحقيق مطامعها البعيدة في جعل « أفريقيا » سوقا « لإسرائيل » ومجالا حيويا لها .. من تلك السلبيات ، الخلافات العربية الإقليمية ، التي يتركز بعضها في القارة الأفريقية نفسها (شمال « أفريقيا » العربي) ..

إن وجود مشكلات ، لا أعتقد أن لها مبررا معقولا ، بين بعض دول « أفريقيا » الشمالية العربية ، يضعف الموقف العربي العام في القارة الأفريقية ، من جهة ، ويستنزف الجهود والأموال والقوى التي كان يمكن أن توجه لمواجهة التسلل - بل التوسع - الإسرائيلي ..

ولا يغيب عنا ، بطبيعة الحال ، الدور الذي تلعبه الجهات الأجنبية (من شرقية وغربية) في إيجاد الخلافات وتأريث نيرانها كلما مالت إلى الخمود ، ولكننا نتمنى أن ترى الدول العربية في « أفريقيا » أين تكمن مصالحها الحقيقية ، وأن تتغلب على خلافاتها تلك ، وتوجه جهودها - من ثم - لمواجهة الأعداء المشتركين الذين يهددون القارة الأفريقية مثلما يهددون العالم العربي ، بل الإسلامي ، بأسره ..

ولا أريد التوسع في بحث هذا الموضوع ، فهو معروف للجميع ، كما أن مضاعفاته وسلبياته تصيب الجميع بالضرر ، وإنني لأثق أن مسؤولي الدول العربية في « أفريقيا » يدركون تلك الأخطاء والمضاعفات ، ويبقى عليهم أن يتخذوا الخطوة التي لا بد منها للقضاء على كافة المشكلات - الجانبية في

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

نظري - التي تعوق وحدة الصف العربي في شمال « أفريقيا » ، مثلما تعوقها في الشرق العربي .. ولعل هذه الإجماعة كافية للدلالة على ما أردت أن أقول ..

ولسنا نعني « المشرق العربي » من المسؤولية كذلك ، فإن أي ضعف يعتري الموقف في أية منطقة من بلاد العرب ، ينعكس - تلقائيا وسلبيا - على الموقف العربي العام ، وهو - بالذات - نقطة الضعف الكبرى في المواجهة العربية - الإسرائيلية ، وهذا حديث طويل يعرفه ويتألم له كل مسلم وكل عربي .. وليس هنا مجال التوسع في بحثه ، فهذه الإجماعة ، كذلك ، كافية للدلالة على ما يمكن أن يقال في هذا الشأن ..



كامب ديفيد .. فتح أبواب أفريقيا أمام إسرائيل

عامل آخر ، تاجرت به « إسرائيل » ، وبررت به محاولاتها المستميتة للعودة إلى القارة الأفريقية ، ووضعت بين أيدي الدول الأفريقية التي أعادت أو رغبت في إعادة - العلاقات مع « إسرائيل » ، التبرير اللازم وهي اتفاقية كامب ديفيد التي أخرجت نصوصها كبرى الدول العربية - « جمهورية مصر العربية » - من حلبة الصراع العربي - الإسرائيلي ، فقالت « إسرائيل » ومعها الدول الأفريقية المتعاطفة معها ، إن مبررات قطع العلاقات مع « إسرائيل » قد سقطت بمجرد توقيع اتفاقية « كامب ديفيد » ، فالدولة الأفريقية التي كانت « إسرائيل » تحتل شطرا من أراضيها ، « مصر » ، قد أنهت حالة الحرب مع « إسرائيل » ، وجلت « إسرائيل » عن أراضيها ، وعقدت معاهدة صلح وتبادلت معها السفراء ، فما الذي يبرر إذن للدول الأفريقية الأخرى استمرار القطيعة مع « إسرائيل » مادامت الدولة التي قطعت « أفريقيا » علاقاتها مع الدولة العبرية من أجلها قد دخلت مع « إسرائيل » في مرحلة سلام ؟ ..

إنني أتحدث هنا عن « شكليات الأمور » كما تعلنها « إسرائيل » ، ولا أتحدث عن الواقع الذي أعقب اتفاقية « كامب ديفيد » ، والذي يؤكد أن حالة السلام المزعومة بين « مصر » و« إسرائيل » هي أبعد ماتكون عن الواقع ، لاسيما بعد الموقف التاريخي الصلب الذي وقفه الرئيس المصري « حسني مبارك » ، وهو موقف يذكر له فيشكر ، لأنه يدل علي أن السلام بين النقيضين ، « مصر » العربية المسلمة و« إسرائيل » الصهيونية المعتدية ، هو مجرد سراب ، وأن الثقة مازالت بعيدة ، بل مستحيلة ، بين الجانبين .. ونحن نعلم أن « إسرائيل » تعلم هذه الحقيقة ، وهي تتعامل مع « مصر »



من هذا المنطلق ، وهو الأمر الذي برر الموقف المصري الصلب من المطامع الإسرائيلية المتعنتة ..

فهناك ، مشكلة « طابا » التي أوجدتها « إسرائيل » رغم اتفاقية كامب ديفيد والتي كشفت عن سوء النوايا الإسرائيلية ، وقد صدر قرار « هيئة التحكيم الدولية » ليؤكد حق « مصر » في « طابا » وليفصح نوايا « إسرائيل » .

وهناك أن « إسرائيل » حشدت على الحدود الـ « مصر »ية - ستة ألوية من قواتها ، عندما قامت باعتدائها على لبنان عام ١٤٠٢ هـ (١٩٨٢ م) تحسبا من إجراء مصري عسكري تجاه العدوان الإسرائيلي ..

وهناك ، أن كل محاولات التطبيع التي كانت « إسرائيل » تحلم بها ، بين الشعب العربي المصري المسلم وبين الإسرائيليين قد أخفقت . ولقد شككت « إسرائيل » ، علنيا ورسميا ، من أن أعداد الإسرائيليين الذين يزورون « مصر » ، ضمن مخطط التطبيع ، يفوق بما لا يقاس أعداد المصريين الذين يزورون الأرض الفلسطينية المحتلة ، وأن السفير الإسرائيلي يعاني من الوحدة والعزلة وهو في مقره في القاهرة ، وهو المقر الذي لم يعثر عليه إلا بشق النفس بعد أن رفض « المصريون » تأجير أو بيع عماراتهم لتكون مقرا للسفارة الإسرائيلية ، وأن الشعب المصري - العربي المسلم - لا يترك مناسبة دون أن يعبر فيها عن كراهيته « لإسرائيل » ومماثلة في المنطقة من عدوان ، وليس عهدنا بعيدا بالتظاهرة الوطنية التي قام بها « المصريون » بمناسبة معرض الكتاب الدولي الذي عزلت فيه « إسرائيل » عزلا مهينا ، والذي كان فرصة أعلن فيها الرأي العام المصري رفضه « لإسرائيل » ، رغم اتفاقية « كامب ديفيد » .. ومازالت « مصر » حتى آخر معرض دولي للكتاب شهدته « القاهرة » في يناير ١٩٨٩ تعتذر عن عدم قبول اشتراك « إسرائيل » لأسباب أمنية .

الصورة الحقيقية للعلاقات بين « مصر » و « إسرائيل » ، ليست - عمليا -



في صالح « إسرائيل » ، ولا في صالح من يتاجرون « بكامب ديفيد » لتبرير استئناف العلاقات بين « إسرائيل » والدول الأفريقية التي لاتزال في حالة قطيعة .. فهل وجدت هذه الصورة من يشرحها ويبينها لإخواننا وأصدقائنا في « أفريقيا » ؟ ..

تعاظم الوجود الإسرائيلي في أفريقيا .

إن في جعبتنا الكثير مما يقال ، ويجب أن يقال ، ومما يعمل ، ويجب أن يعمل ، لوضع العلاقات الأفريقية - الإسرائيلية في موضعها الصحيح ..

ولعل أقل ذلك أن نذكر أن الإسرائيليين يمارسون نوعا من السيطرة والتدخل في شؤون بعض الدول الأفريقية ، وهما سيطرة وتدخل لايكادان يلفتان الانتباه ، لأن « إسرائيل » ليست أكثر من دويلة صغيرة مفلسة ، ولا تشكل - بالنسبة للدول الأفريقية - الحساسيات التي تشكلها الدول الكبرى ، والتي يحاط تحركها عادة ، سواء كانت شرقية أم غربية ، بدعايات مضادة تتخذ أحيانا أصداء عالمية ..

ولأن « إسرائيل » كذلك ، فلا شيء يمنع رئيس دولة « ساحل العاج » ، « فليكس هوفويت بواني » ، من أن يعمل في مزارعه الخاصة عدد من الخبراء الإسرائيليين ، مع مايستتبع ذلك من توسع في غير مزارع الرئيس .

كذلك لا شيء يمنع السفاح الإسرائيلي « شارون » من زيارة « زائير » وتوقيع اتفاقية عسكرية تضمنت خطة خمسية لإعادة تنظيم الكتيبة الزائيرية المسماة « كامينولا » المتمركزة في إقليم « شابا » ، على أيدي الخبراء العسكريين الإسرائيليين ، وتقديم المشورة لحماية نظام الرئيس « موبوتو » ..

والواقع أن الأرقام التي نتحدث عن التغلغل الإسرائيلي في « أفريقيا » تسترعي الانتباه والاهتمام ، لأنها تزيد كثيرا على القدرة المالية والاقتصادية « لإسرائيل » مما يطرح عدة تساؤلات ينبغي علينا أن نضع لها إجابات

واضحة ، وأهمها :

١ - كيف يستقيم الانهيار الاقتصادي الإسرائيلي مع النفقات التي تتكبدها « إسرائيل » ضمن مخططها المحموم للتسلل والتغلغل في القارة الأفريقية ؟ ..

٢ - ماهي الأهداف التي ترمي إليها « إسرائيل » من اهتمامها البالغ بإيجاد موطىء قدم في كل أرض أفريقية يمكنها الوصول إليها ، وهل هي في صالح « أفريقيا » ؟

٣ - ماهي الأضرار التي تصيب العرب من جراء هذه الممارسات الإسرائيلية في القارة الأفريقية ؟ ..

٤ - ماهو واجبنا ، مسلمين وعربا ، للوقوف أمام التوجه الإسرائيلي نحو القارة الأفريقية ؟ ..

٥ - ماهي محصلة ذلك كله ، على ضوء الصراع العربي الإسرائيلي من جهة ، وعلى ضوء التطلعات التي تهدف إليها القارة الأفريقية في سعيها نحو التطور والتنمية والاستقلال والوحدة ؟ ..

تقول الأرقام ، علاوة على ماذكرته من مؤشرات التسلل ، أو التغلغل ، الإسرائيلي ، أن هناك ألفي خبير إسرائيلي يعملون في « نيجيريا » وحدها .. وفي « الجابون » تنشط الأسلحة الإسرائيلية ، وخاصة في مجال بيع زوارق خفر السواحل ، وهي صناعة إسرائيلية ، لهذه الدولة الأفريقية .

وفي « كينيا » يوجد أحد مراكز التجسس الإسرائيلية التابعة « للموساد » حيث تتجمع المعلومات الواردة من أعوان الموساد في بعض الدول الأفريقية .

وفي « زامبيا » يوجد عدد كبير من الخبراء الزراعيين الإسرائيليين ..

وفي « إسرائيل » يدرس كل عام بضع مئات من الطلبة الأفريقيين في المعاهد والجامعات الإسرائيلية ، عبر المنح الدراسية التي تقدمها الدولة الصهيونية لبعض

والمبادلات التجارية قائمة على قدم وساق بين « إسرائيل » ودولة « جنوب أفريقيا » إضافة إلى التبرعات السنوية التي يقدمها يهود الدولة الأفريقية العنصرية حسبما ذكرنا من قبل ..

والقول نفسه يتكرر ، من حيث الوجود الإسرائيلي المتستر تحت صفة « الخبراء » و« المديرين » و« المستشارين » في « أفريقيا الوسطي » و« توجو » و« تشاد » ..

مَنْ يَمُولُ هَذَا التَّمَدُّدَ ؟

فمن أين تمول « إسرائيل » نفقات ذلك الانتشار مع ما اعترفت به ، رسميا وعلنيا ، من وصول اقتصادها إلى درجة الانهيار ؟ ..

الجواب هو ما سبقت الإشارة إليه ، من أن « إسرائيل » لاتكاد - عمليا - تدفع شيئا من التكاليف التي تطلبها هذه النشاطات ، فهناك عدد من الدول الأوروبية التي تتكفل بذلك ، علما بأن بعض هذه الدول غير متصلة اتصالا مباشرا بالصراع العربي الإسرائيلي ..

فبالإضافة إلى « الولايات المتحدة » ، التي لاتحتاج علاقاتها ومعونتها « إسرائيل » إلى أي تنويه ، تساهم « ألمانيا » و« السويد » و« بريطانيا » و« فرنسا » في دعم التغلغل الإسرائيلي . ومن الطريف أن « ألمانيا » و« السويد » و« بريطانيا » ، وهي دول بروتستانتية ، تبرر دعمها « إسرائيل » بأنه انسجام مع ما يعتقد به البروتستانت في كتبهم الدينية من « أحقية » اليهود في إقامة « مملكة داود » في « فلسطين » ، فإذا كان هذا هو التعليل الذي تذرع به دول بروتستانتية ، فما هو عذر « فرنسا » الكاثوليكية في اتخاذ نفس الموقف ؟ ..

واقع الحال ، حسبما ذكرنا في مواقع عديدة ، أن « إسرائيل » هي رأس الحربة التي تتسلح بها الدول الأوروبية التي لاتريد أن تخرج من « أفريقيا » حتى

بعد طردها منها ، فهي قد طردت من باب الاستقلال وتحاول العودة من نافذة « إسرائيل » ..

ذلك أن « أفريقيا » تكاد تكون المورد الأخير للمواد الخام في العالم ، بعد أن استهلك معظم ما كان موجودا منها في قارات أخرى ، أو حيل بين « أوروبا » وبين نهب تلك المواد خارج « أفريقيا » ، ولقد بذلت دول غربية عديدة جهوداً واضحة لإغلاق « أفريقيا » في وجه سواها ، والاستثمار بالثروات الطبيعية الأفريقية ، لدرجة أن وزير الخارجية الأمريكية الأسبق - « هنري كسينجر » - قد ابتدع تعبيراً غير مألوف أراد إطلاقه على « أفريقيا » وهو تعبير « العالم الرابع » الذي يعتبر إهانة للقارة الأفريقية كلها ، والذي يذكرنا بالتصنيف العنصري الذي نادى به « هتلر » والذي وضع الأفريقيين في آخر مرتبة بين سكان الكرة الأرضية ، وكان هدف « كسينجر » من هذا التعبير محاولة خبيثة - ورخيصة - للإيقاع بين دول العالم الثالث التي تتعاطف مع بعضها بعضاً بحكم ظروفها المتشابهة ، وبين « أفريقيا » ، بصفتها « عالماً رابعاً » ، مما يبعد شعوبها ودولها عن وحدة الموقف الذي تحاول دول العالم الثالث أن تعرب عنه في مختلف المناسبات ..

« إسرائيل » - إذن - لا تتكلف شيئاً من نفقات ما يسمى « مساعدات » فنية وتكنولوجية تقدمها لبعض الدول الأفريقية ، فبعض الدول الغربية جاهزة لتغطية تلك النفقات باعتبارها استثماراً تجارياً واستعمارياً ليس « لإسرائيل » فيه سوى دور الوسيط والعميل ..

ولابد لنا من الإشارة إلى أن الدول الغربية الطامعة في « أفريقيا » تبني علاقاتها غالباً مع حكام وزعماء بعض الدول الأفريقية التي تملك ثروات طبيعية ضخمة ، وهي علاقات شخصية مباشرة يفيد منها « الحاكم » وبطانته بشكل خاص ، كما هو الشأن لدى « موبوتو » رئيس « زائير » الذي تقدر ثروته الشخصية بثلاثة مليارات دولار ، بينما يعاني شعبه من الفقر والجوع والتخلف ؛ و« بوكاسا » الذي كان امبراطور « أفريقيا الوسطى » ، والذي



تكلف احتفاله بتنصيبه « امبراطورا » عدة عشرات من ملايين الدولارات ، قبل أن يسقطه الفرنسيون (ويستقبلوه في بلادهم في نفس الوقت) ويضعوا سواه على سدة الرئاسة ..

وعلى أية حال لا بد لنا من أن نشير إلى أن هناك غير قليل من الدول الأفريقية وزعمائها الذين وقفوا وقفة صارمة في وجه التغلغل الإسرائيلي ، وخلفياته الاستعمارية ، ورفضوا ، بمقادير مختلفة من الصلابة ، السماح « لإسرائيل » بالعودة إلى « أفريقيا » بعد المقاطعة الجماعية التي قامت بها الدول الأفريقية على اثر « حرب رمضان » ..



سيظلون غرباء !

إن أهداف « إسرائيل » من التمسك المستميت بالتغلغل في « أفريقيا » ، وقد ذكرنا منها أسبابا عديدة ، نضيف إليها أسبابا أخرى كان لها نموذج هام أيام حكم « هيلاسيلاسي » امبراطور « إثيوبيا » المخلوع والراحل .. فلقد التقت الآراء والمواقف الإسرائيلية مع آراء ومواقف « هيلاسيلاسي » الذي كان شديد العداء للإسلام والمسلمين ، وبخاصة أن أغلبية الشعب الإثيوبي هي ، كما نعلم ، مسلمة .

وإذا كان التعاون ما بين « إسرائيل » و « إثيوبيا » يعتبر مسيئا للعرب والمسلمين ، فقد فتح « هيلاسيلاسي » أبواب « إثيوبيا » للإسرائيليين ، في محاولة لإثبات أن « البحر الأحمر » ليس بحرا عربيا وإسلاميا ، في غمرة إنكار « هيلاسيلاسي » أن « إثيوبيا » ، شاء أم أبى ، دولة إسلامية الشعب (وإن كانت غير إسلامية النظام) ، ومن هنا وجد الإسرائيليون مجالا رحبا ليسرحوا في « إثيوبيا » كما يشاؤون ..

ولئن حاولت « إسرائيل » الادعاء بأنها تريد التعاون مع الدول الإفريقية للأخذ بيدها في طريق التطور ، فإن هذا الزعم لا يختلف في شيء عما كانت تدعيه الدول الاستعمارية ، مع أن الحقيقة تقول - بكل بساطة - أن « إسرائيل » تحاول أن تطبق الأسلوب الاستعماري التقليدي بطرق ملتوية ؛ فهي من جهة تحاول ترويج بضائعها في « أفريقيا » ، باعتبارها سوقا استهلاكية ، ومن جهة ثانية تحاول الحصول على المواد الخام لتشغيل صناعتها التي يقف صقل الماس على رأسها ، و « أفريقيا » هي المورد الأول للماس في العالم ..

وإذا استطاع أحد أن يقول أن الاستعمار الذي جثم على « أفريقيا » بضع

مئات من السنين قد أفاد القارة الأفريقية في شيء ، جاز له أن يدعي أن الوجود الإسرائيلي في « أفريقيا » هو في مصلحة الدول الأفريقية ..

ذلك أن « الغرباء » إنما يضعون مصلحتهم الذاتية قبل كل شيء ، كما يقيمون علاقاتهم على أساس حسابات تجارية أولا وأخيرا ..

لا يوجد أي قاسم مشترك بينهم وبين أفريقيا !

والأوروبيون غرباء عن « أفريقيا » مثلما الإسرائيليون غرباء كذلك ..

وكما أنه ليس هناك صلة ما بين « أوروبا » و « أفريقيا » ، غير صلة التسلط الاستعماري الاستغلالي ، فلا صلة كذلك بين « أفريقيا » و « إسرائيل » غير صلة التسلسل التجاري الاستغلالي الذي يحاول التخفيف من آثار العزلة الخانقة التي تعاني منها « إسرائيل » : سياسيا واقتصاديا وبشريا ..

ولو أننا أجرينا مقارنة حساسية بين العلاقات العربية الأفريقية والعلاقات الإسرائيلية الأفريقية لتبين لنا أن كل ماجتته « أفريقيا » من الوجود الإسرائيلي ، الغريب والمريب ، لا يكاد يعد أكثر من نقطة في بحر ، مما تحققه العلاقات العربية الأفريقية الخالية من كل مطمع مادي أو تجاري أو تسلطي ..

فالوجود الإسرائيلي في « أفريقيا » ، هو - إذن - وجود استغلالي يحاول أن يعيد سيرة الوجود الاستعماري بأسلوب جديد ..

وإذا كانت « الولايات المتحدة الأمريكية » ، مع مالديها من آلة حرب ضخمة وصواريخ عابرة للقارات وقواعد عسكرية منتشرة في مناطق كثيرة من العالم تمد مجالها الأمني شرقا وغربا وشمالا وجنوبا في جميع القارات ، فإن من حقنا وواجبنا أن نعتبر التغلغل الإسرائيلي في « أفريقيا » مهددا لمجالنا الأمني ، مع العلم بأن المسافة ما بين « الولايات المتحدة » و « فيتنام » تبلغ آلاف الأميال ، والمسافة بينها وبين « الشرق الأوسط » تمتد آلاف أخرى من الأميال ،

ومثلها المسافة ما بين « الولايات المتحدة » و « أوروبا الغربية » ..

ولقد بلغ من اقتناع الأمريكيين بهذه النظرية أنهم تورطوا في حرب دامية خاسرة في « فيتنام » استمرت سنوات عديدة ، وأغاروا على كمبوديا ، ، ويدعمون « إسرائيل » في « الشرق الأوسط » ، وينشرون الصواريخ في « أوروبا الغربية » ، فهل يكثر علينا ، نحن جيران « أفريقيا » في « آسيا » ، وسكان « أفريقيا » في القارة ذاتها ، أن نستشعر الخطر من الوجود الإسرائيلي وهو الموجه - أولاً وآخراً - ضدنا ، والذي هو جزء من معركتنا المستمرة مع الصهيونية ؟ ..

بالمنطق ذاته ، بل بأقوى وأصدق منه ، نستطيع القول أن مواجهتنا « لإسرائيل » على الأرض الأفريقية هي من أولى وأهم موجبات أمننا الوطني في جميع ديار العرب ، آسيا وأفريقيا ..

حتمية المواجهة في أفريقيا

أقول إن منطلقنا أقوى وأصدق ، لأن « إسرائيل » - بخلاف وضع « الولايات المتحدة » تجاه « الاتحاد السوفيتي » - مزروعة عنوة واقتداراً في قلب ديارنا ، وصراعنا معها هو صراع الحياة أو الموت ، ومواجهتنا لها في أي مكان من العالم هي جزء من ذلك الصراع ، وكل موقع تكسبه « إسرائيل » في أي مكان هو خسارة لنا ، فالقضية بالنسبة لنا ليست شرفاً نبرر به ممارساتنا الاستراتيجية والتكتيكية على السواء ، وإنما هي قضية أن نكون أو لا نكون في بلادنا وأراضينا .

فمواجهتنا « لإسرائيل » في « أفريقيا » مثل مواجهتنا لها في « الشرق الأوسط » أو في أي مكان آخر ، وهي مواجهة فرضتها ظروف العدوان الإسرائيلي المتواصل والمتمثل في وجود « إسرائيل » نفسها ، فلا خيار لنا في الأمر ، ونحن نخوض المعركة من هذه المنطلقات ..

وفي تقديري ، أن المجالات المفتوحة أمامنا لمواجهة « إسرائيل » في « أفريقيا » واسعة بغير حدود ، وإيجابيات موقفنا أكثر - بكثير جدا - من سلبياته ..

من تلك الإيجابيات ، وجود تسع دول عربية تزيد مساحاتها عن ثلث « أفريقيا » بأسرها ، وعدد سكانها ، مجتمعة ، حوالي ثلث إجمالي عدد سكان « أفريقيا » ..

ودين الله ، ديننا ، هو - كما أثبتنا - دين الأكثرية في « أفريقيا » ، فالمسلمون ، عربا وغير عرب ، هم عضدنا وسندنا في المواجهة ، حتى ولو كان هناك من الحكام الأفريقيين من يماليء « إسرائيل » ، لأسباب أو لأخرى ، علما بأن معظمهم قد وقف معنا وقفة تاريخية في « حرب رمضان » ، حسرت المد الإسرائيلي بصورة عنيفة ، تحاول « إسرائيل » التخلص من ذيولها هذه الأيام ..

يضاف إلى ذلك ما أشرت إليه في مواقع كثيرة ، وهو أن الصلات القائمة ما بيننا وبين « أفريقيا » لا تدانها أية علاقات قائمة بين « أفريقيا » وأية بلاد أخرى ، وهو ما سنعود إليه بالبحث تفصيلا بعد قليل .

فنحن ، حين نتصدى لإسرائيل في « أفريقيا » ، إنما نفعل ذلك من أجل المصلحة المشتركة التي تجمع بيننا وبين « أفريقيا » ، فنحمي « أفريقيا » ونحمي أنفسنا ونحقق ذاتنا التاريخية والحضارية والإنسانية في معزل عن قوى الشر الاستعمارية والصهيونية والشيوعية ..

إنه ليس سرا أن القصور الإعلامي العربي المزمع ، مسؤول إلى حد كبير عن انتشار التضليل الصهيوني في بعض بلاد « أفريقيا » ..

ولقد أثبتت اجتماعات مؤتمرات « منظمة الوحدة الأفريقية » ، و« لجنة الحكماء الأفريقيين » ، وتياراتها الواسعة الرأي العام السياسي في « أفريقيا » أن صورة

خلفيات الصراع العربي الإسرائيلي ليست واضحة كما يجب في أذهان مثقفي « أفريقيا » وزعمائها ، ولقد لمسنا ذلك من تعاطف بعض الدول الأفريقية مع « إسرائيل » في « الأمم المتحدة » وفي « منظمة الوحدة الأفريقية » ، وإن « إسرائيل » هي التي فضحت نفسها بنفسها و« ساعدتنا » على إيضاح صورتها الحقيقية باعترائها على العرب عام ١٩٦٧م ، وخلال « حرب رمضان » ١٣٩٣هـ ، وعلى أثر اجتماعات لجنة الحكماء بالمسؤولين الإسرائيليين ، ولولا ذلك لوجدت « إسرائيل » مجالا واسعا للعريضة في الشرق الأوسط و« أفريقيا » ، والتسلل هنا وهناك من الأقطار الأفريقية ..

إن هناك جملة واجبات تتحتم علينا في مواجهة التغلغل الإسرائيلي في « أفريقيا » ، وهي واجبات اقتصادية وسياسية وتكنولوجية وإعلامية قمنا ببعضها وحققنا بها نجاحات جيدة ، وقصرنا في بعض آخر مما ألحق بنا أضرارا ملحوظة .

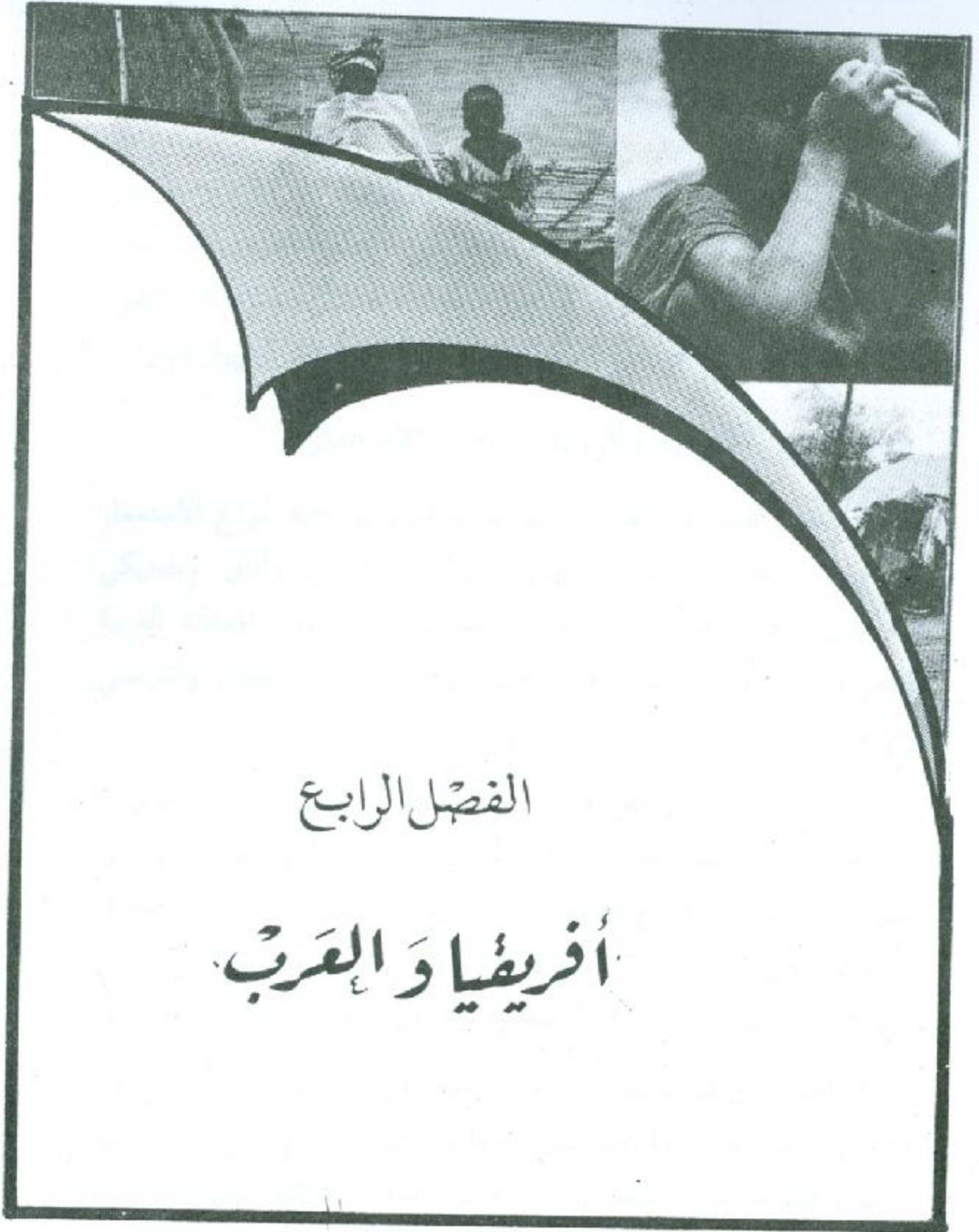


خلاصة

وخلاصة القول أن التحرك في « أفريقيا » هو مسألة حيوية جداً بالنسبة « لإسرائيل » ، كما هو الشأن لدى أية « دولة » أخرى ليس لها مجال حيوي تتحرك ضمن نطاقه ، وخاصة تجاه المقاطعة العربية التي تعتبر من أمضى الأسلحة التي يستخدمها العرب في صراعهم مع الدولة الصهيونية .

وإن هذا التحرك نقطة بالغة الأهمية ، لا يمكن لنا أن نتناساها أو نغفل عنها ، وإن « أفريقيا » - شئنا أم أيينا - هي ميدان رئيسي لمعركتنا المستمرة مع العدو الصهيوني ، علما بأننا نملك من الإمكانيات ، والخلفيات ، والقدرات ، ما يجعلنا قادرين على مجابهة التحرك الصهيوني ، وأن فرص النجاح والانتصار في هذا الميدان كثيرة جداً ، فلا يتطلب الأمر أكثر من مبادرات عربية إيجابية تجابه التوسع الإسرائيلي ، خاصة وأنا إذ نقوم بتلك المبادرات فلصالح إخواننا وأصدقائنا الأفريقيين بالدرجة الأولى ، بينما تتقاضى « إسرائيل » - كأبي تاجر جشع - ثمن كل جهد تقوم به في « أفريقيا » ، مادامت تجد الميدان واسعاً أمامها للتحرك والاستغلال .





الفصل الرابع

أفريقيا والعرب

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

تطور العلاقات العربية الأفريقية

ما من شك في أن تطور العلاقات « الأفريقية - العربية » - بالمعنى المجرد للتعبير - كان يخضع ، بالدرجة الأولى ، لتطور الظروف والأحوال في « البلاد العربية » و« أفريقيا » على السواء ، فكان حجم التطور يتصاعد مع تصاعد القدرات العربية وتطور ظروف البلاد العربية نفسها ..

العرب وأفريقيا .. تحت الاستعمار

ففي حين كانت « أفريقيا » كلها تقريبا تحت نير جميع أنواع الاستعمار الأوربي : بريطاني وفرنسي وإيطالي وبرتغالي وأسباني وألماني وبلجيكي وهولندي كانت جميع الدول العربية كذلك - باستثناء « المملكة العربية السعودية » و« اليمن الشمالي » - تحت نير الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي ..

ولقد سبقت الدول العربية - والكلام هنا عن دول المشرق العربي - « أفريقيا » في الحصول على استقلالها ، ولكن ظروف كل دولة ، لم تكن تسمح لها بالتحرك خارج نطاقها الخاص ، وكان أقصى تحرك استطاعته في الأربعينات هو إنشاء « جامعة الدول العربية » التي لم تكن تضم إذ ذاك سوى سبع دول ، منها دولة عربية إفريقية واحدة هي « مصر » .

أما أقطار « أفريقيا الشمالية » ، من « مصر » إلى شواطئ « الأطلسي » ، فكانت جميعها تحت ربة الاستعمار البريطاني والفرنسي والإيطالي ، وكل منها مشغول بصراعه مع المستعمر ، بينما كانت الدول الأفريقية تعاني مثل ذلك وأكثر .

لم تكن الظروف تسمح لأية دولة ، أو منطقة ، بالاهتمام الجدي بشؤون

غيرها ، حتى ولو كان مجاورا لها ، ناهيك بأن يمتد نشاطها - إذا افترض وجوده - لمساعدة سواها ..

كانت الدول العربية - باستثناء ما ذكرنا - ومعها الدول الأفريقية ، تعاني الأمرين من ويلات الاستعمار .

كانت دولا ضعيفة ، فقيرة ، يسيطر الجهل على أغليبتها ، بل إنها كانت دولا بالاسم فما كانت تحمل من مقومات الدولة شيئا يذكر ..

مقدرات البلاد كانت في أيدي « المندوب السامي الاستعماري » وأعوانه ، وحتى الوزارات التي أنشئت ، كانت خاضعة كلية للمستشارين التابعين للاستعمار ، وكانت أنظمة الحكم والديساتير والحياة البرلمانية والسياسية معرضة باستمرار لأهواء المستعمر ، بل كانت حدود البلاد نفسها تابعة لنفس المنطق ، فمرة تندمج مناطق ضمن إطار معين ، وتارة تجزأ المناطق إلى دول ..

في نفس الوقت كان الاستعمار البريطاني يضع بذور الدولة الصهيونية في الأرض الفلسطينية ، مع ما تسبب فيه ذلك من اضطرابات متواصلة بدأت مع نهاية الحرب العالمية الأولى ، واستمرت إلى اليوم ..

فلم يكن هناك مجال إذن للبحث في أي وجه من وجوه التعاون بين المشرق العربي والقارة الأفريقية بأقطارها العربية وغير العربية ..

ومع بدء استقلال الدول وخروج المستعمر من بعضها ، بدأ التحرك التلقائي نحو التعاون والتضامن ، وتصاعد الصراع إلى درجة بالغة العنف ما بين الدول التي لم تستقل بعد ، وبين مستعمرها .

الثورة الجزائرية وأهميتها !

ولعل أعظم تجربة نموذجية في ذلك الصراع الدموي هي تجربة الثورة الجزائرية التي تعتبر إحدى الثورات القليلة في التاريخ التي حققت أهدافها

كاملة ، وأعطت كلمة « الثورة » مفهوماً نبيلاً يختلف - تماماً - عن المفاهيم الأخرى التي طرحتها تحركات و انقلابات انتحلت لنفسها اسم « ثورة » .. كانت ثورة « الجزائر » ، البلد العربي الأفريقي ، تجربة إنسانية ضخمة ، قدمت لكل الشعوب المستعبدة دفقا غنياً من الأمل والتفاؤل والعزيمة ، وكانت تجربة خصبة « لأفريقيا » كلها ، أعطتها الكثير من التجارب التطبيقية للحروب الثورية الحقيقية ..

ولعل ثورة « الجزائر » أول بادرة تاريخية استقطبت - حقاً وفعلاً - مشاعر القارتين الأفريقية والآسيوية معا ، وبوجه أخص : العالم العربي والقارة الأفريقية ، فلقد كانت آثارها تنعكس - بصورة تلقائية - على « أفريقيا » بأكملها ، وعلى العالم العربي المشرقي كله ..

كانت ثورة تجمعت فيها خلاصة واقع « أفريقيا » وتطلعاتها في آن واحد ، فما كان بوسع القارة أن تقف في معزل عنها ، ولا أن تتأخر عن الإسهام في سبيل إنجاحها بأي شيء ..

وفي يقيني أن « ثورة الجزائر » كانت نقطة تحول كبرى في تاريخ « أفريقيا » ، ولو لم تنته إلى ما انتهت إليه من الانتصار ، فمن المؤكد استناداً إلى واقع الأحوال ، أن الأوضاع في « أفريقيا » كانت ستختلف تماماً عما هي اليوم ..

السبب في ذلك أن « الجزائر » - بالذات - كان لها وضع خاص يختلف عن أوضاع جميع أقطار « أفريقيا » الأخرى ..

« فالجزائر » ، دون سائر المستعمرات الفرنسية ، اعتبرت « فرنسا » جزءاً من أرضها ، وعاملتها كما تعامل أية منطقة فرنسية في « أوروبا » ، ورفضت أي بحث فيما عدا ذلك ، واستخدمت السلاح لفرض ما اعتبرت أنه أمر واقع ..

ففي حين تساهلت « فرنسا » ، مكرهة ، فيما يخص « تونس » و « المغرب » ، فإنها تشددت إلى درجة حماقة فيما يخص « الجزائر » ..

ولم يكن « لفرنسا » أي فضل في تساهلها ذاك ، لأن ثورة الشعب التونسي ، بقيادة « بورقيبة » وثورة الشعب المغربي بقيادة المرحوم « الملك محمد الخامس » ، كانتا حادثين ولاهبتين بصورة أجبرت « فرنسا » على تقديم بعض التنازلات التي انتهت إلى استقلال البلدين ، إلا أن « ثورة الجزائر » كانت شيئا آخر ..

ولو أخذنا في الاعتبار مقاييس القوة التي كانت تضع « فرنسا » في خانة الدول العظمى ، والشراسة الدموية التي كان يديها الاستعمار الفرنسي تجاه مستعمراته وواقع الشعب الجزائري الذي أنكرت عليه « فرنسا » انتماءه العربي ، ودينه الإسلامي ، وجذوره الأفريقية .. لو أخذنا ذلك في الاعتبار لقلنا في الحال أنه كان مستحيلا تماما على أية ثورة جزائرية أن تنتصر ، لانعدام فرص الانتصار ، وانعدام التكافؤ بين القوتين المتصارعتين : شعب « الجزائر » و« فرنسا » الاستعمارية ..

ولكن « ثورة الجزائر » ، مع هذا ، أو رغم هذا ، انتصرت ، وكان انتصارها كاملا ساحقا ..

وكانت هناك أسباب كثيرة لهذا الانتصار ، منها وحدة صف الشعب الجزائري بقيادة جبهة التحرير الجزائرية ، ووضوح الرؤية وضوحا كاملا لدى الشعب الجزائري وقيادته ، وتبلور أهداف الثورة في نقاط لا مساومة عليها ، وفوق هذا : الدعم الذي تلقتة هذه الثورة من إخوانها وأشقائها في « أفريقيا » والعالم العربي ..

ثورة عربية - أفريقية

كان الهدف يبدو بعيدا بعيدا ، ولكن خطى الثورة كانت تتجه إليه بقوة وثبات على بعده وطول مسافته ..

وشيئا فشيئا راحت « أفريقيا » ، و« البلاد العربية » ، تعي أبعاد المعنى



العظيم الذي تمثله « الثورة الجزائرية » ..
 وراح كل بلد ، وأكاد أقول كل فرد ، يسهم في هذه الثورة بشكل أو
 بآخر .. روى لي أحد الأصدقاء أنه كان في إحدى البلاد العربية الشرقية ،
 وجاءه صديق يحمل في يده دفتر إيصالات ويطلب منه أن يتبرع لثورة
 « الجزائر » ..

قال له الرجل :

- قدرتي محدودة ، ولا أستطيع أن أتبرع بشيء كثير ..
 فأجابه :

- قرش واحد يكفي ..

وتساءل الرجل بدهشة :

- قرش واحد !؟

فقال له بثقة :

- يَا أستاذ .. سنظل نتبرع .. ولو بالقروش .. إلى أن تنتصر « الجزائر » ..
 وقد حدث مرة أن تلقت حكومة « المملكة العربية السعودية » طلبا عاجلا
 من « الثورة الجزائرية » لإمدادها بأنواع معينة من الأسلحة والذخائر ..
 ولم تكن الأسلحة والذخائر المطلوبة متوفرة إلا لدى الجيش العربي
 السعودي ، وفي حدود حاجته ..

وصدرت الأوامر في الحال ، بسحب الأسلحة والذخائر من مخازن
 ومستودعات الجيش العربي السعودي ، وشحنها للثورة الجزائرية ، دون إقامة
 أي اعتبار لمخاطر حرمان هذا الجيش من تلك الأسلحة ..

وقد مثلت « المغرب » و« تونس » و« ليبيا » عمقا استراتيجيا للثورة
 الجزائرية أخفقت « فرنسا » إخفاقا تاما في قطع طريقه ، ولقد رأيت بنفسي
 في « ليبيا » أراضي شاسعة مُسَوَّرة ومهجورة قيل لي إنها كانت تضم بعضا
 من ثواب « الجزائر » الذين كانوا يتدربون فيها ، ويعالجون جرحاهم ،

ويشكلون الاحتياطي المتجدد للثورة ..

وأكد لا أستثنى أي بلد عربي من الإسهام في ثورة « الجزائر » بشكل أو بآخر إلى أن تحقق النصر ، وخرجت « فرنسا » « مرغمة » من « الجزائر » بعد أن كانت تصر على أنها أرض فرنسية ، واستعادت « الجزائر » المسلمة عربيتها ، وأفريقيتها ، واستقلالها الوطني ..

ومع هذا الاستقلال الذي انتزع بالدماء بدأت شمس الحرية تشرق على « أفريقيا » كلها ..

كانت « ثورة الجزائر » درسا تاريخيا للطرفين كليهما ..

الاستعمار الذي « اقتنع » أخيرا أنه لا يستطيع البقاء في بلد ما بدون إرادة أهله مهما استخدم من وسائل القمع ..

والشعوب الأفريقية التي ثبت لها أن بإمكانها أن تنتزع استقلالها من مستعمرها كما فعلت « الجزائر » ..

وهكذا كانت فترة الستينات ، التي انتصرت « الثورة الجزائرية » في العام الأول منها ، هي بداية فترة استقلال معظم أقطار « أفريقيا » ، التي استكملت استقلالها في السبعينات ، فبات أغلبها ، الآن ، خاليا من الاحتلال الاستعماري العسكري ..

.. وعربية إسلامية

وقد يكون مفيدا أن نسجل ، استكمالا للبحث ، الدور الذي اضطلع به الإسلام في تحقيق انتصار « ثورة الجزائر » ..

فإضافة إلى مبدأ « الجهاد » و« الاستشهاد » الذي ألهم عزائم الثوار والمقاتلين ، كان القرآن الكريم ، بلسانه العربي ، هو الذي حفظ للجزائر عربيتها ..

لقد حارب الاستعمار اللغة العربية حربا شديدة ، فمنع تدريسها في المدارس واقتصر التعليم على اللغة الفرنسية وحدها ، ومنع - بالتالي - استخدام اللغة العربية في الدوائر الرسمية والحياة العامة ، وكان في تقدير السلطات الفرنسية أن مائة وثلاثين عاما ونيفا من هذه الإجراءات كقيلة بقطع صلة « الجزائر » بواقعها وانتائها الطبيعي ، وتبرير إلحاقها « بفرنسا » كقطعة منها ، ولكن تدارس الجزائريين للقرآن الكريم ، وقراءتهم له ، وترديدهم بعض آياته في صلواتهم ، كل ذلك كان عاملا حاسما في الإبقاء على الروح الإسلامية وعلى اللغة العربية حية متقدة في نفوس الجزائريين ، حتى باتت قراءة القرآن الكريم وتدارسه ضربا من الجهاد مارسه الجزائريون رغم القمع الاستعماري ، وهم يستلهمون من كتاب الله معانيه الخيرة ، ويحفظون لغتهم في صدورهم وقلوبهم وعقولهم ، مما أحبط أهم عنصر من عناصر المخطط الفرنسي بإلغاء اللغة العربية و« فرنسة » « الجزائر » واعتبارها جزءا من الأرض الفرنسية ..

وكانت لاستعادة اللغة العربية لمكانتها في الحياة الجزائرية إنجازا تاريخيا ضخما حققته « الجزائر » بعد استقلالها ، وما زالت تعمل على استكمال أسبابه ولا يستطيع أحد أن يغفل الدلالة العميقة لما صرح به أحد كبار القادة الجزائريين بعد الاستقلال عندما قال وهو يركز على أهمية التعريب : « إننا لا نستطيع أن نفكر عربيا بلسان فرنسي » ، وكانت العربية تعني لدى الجزائريين « الإسلام » .

ويستحيل علينا أن نستعرض ثورات التحرر الأفريقية التاريخية ، دون أن نضع الثورة الجزائرية في المقدمة ، فهي - كما سبق القول - إحدى الثورات التاريخية النموذجية الحقيقية .

العرب يدعمون جميع حركات التحرير

وكما اهتم « العرب » بدعم ثورة « الجزائر » ، والعمل على مناصرتها وتأييدها كان اهتمامهم ودعمهم لجميع حركات التحرر الأفريقية الأصيلة ..

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

وقد يطرح ، هنا ، سؤال لا نجد حرجا في طرحه والإجابة عليه :
 - لو لم تكن « ثورة الجزائر » عربية ، أكانت تحظى من « العرب » بهذا
 التأييد ، وتلك الحماسة ؟ ..

وجوابي ، دون أدنى تردد هو :

- نعم ..

فإذا سئلت عن السبب في تأييد الثورات الأفريقية ، ومناصرة قضايا شعوبها .. أجبت أن ذلك كان يتم دون تمييز عرقي أو ديني أو لغوي ، وأن له مبرراته وموجباته القوية ، وإنطلاقا من مبدأ احترام حق الشعوب في الحرية والاستقلال ، وإن كان الأمر في حالة « الجزائر » يكتسب تعريزا خاصا ، هو وحدة الانتماء في إطارها الشامل : العروبة والإسلام والأفريقية .

ذلك أننا ونحن نولي علاقاتنا التاريخية العميقة بالقارة الأفريقية اهتماما ، قد اعتبرنا كل قضية كفاح ضد الاستعمار هي قضيتنا ، لا سيما في القارتين الآسيوية والأفريقية .

وإذ كانت أوضاع وظروف قضايا كل من القارتين مختلفة بصورة واضحة ، فقد كان طبيعيا أن تحظى القارة الأفريقية بنصيب أكبر من الاهتمام ، وقدرة أكثر من المتابعة ، وجانب أوسع من المشاركة والمناصرة .

ذلك أن انهيار كل نفوذ استعماري في أي بلد أفريقي ، يعتبر نقطة تسجّل في صالح الأفريقيين والعرب على السواء ، لأنها تُفقد المستعمر القدرة على الحركة ضد البلد الذي خرج منه وما جاوره من بلاد ، فقضية الحرية والحدّة لا تتجزأ ، وانعكاساتها تؤثر بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، على جميع الأقطار القريبة .



دعم رسمي على مستوى الجامعة العربية

نأخذ « كينيا » على سبيل المثال ..

فهي ليست قطرا عربيا ، كما أنها ليست بلدا إسلاميا خالصا ، فنسبة المسلمين فيها لا تزيد عن ثلث السكان إلا قليلا ، ومع هذا فقد حظيت قضيتها باهتمام « العرب » فاحتضنوها مثلما احتضنوا أية قضية أفريقية أخرى ..

ففي العام ١٩٥٣م ، تقدمت حكومة « المملكة العربية السعودية » بمذكرة إلى « جامعة الدول العربية » تقترح فيها إثارة موضوع الأحداث التي كانت تجري في « كينيا » ، إذ ذاك ، وتبني قضية الشعب الكيني في « الأمم المتحدة » والمحافل الدولية ، وقد أصدر مجلس الجامعة قرارا بهذا المعنى تضمن تأييد « الجامعة العربية » لقضية الشعب الكيني وتوجيه الدول العربية الأعضاء في « الأمم المتحدة » لإثارة القضية وتوكيد حق « كينيا » في الاستقلال والتحرر .

ومع بداية حصول الدول الأفريقية على استقلالها ، بدءا « بغانا » ١٩٥٧م ، أصدر مجلس « الجامعة العربية » قرارا بضرورة تدعيم العلاقات الأفريقية - العربية من كافة النواحي ، وخاصة المجالات الدولية ، والنظر في قضية الملونين الراغبين في الهجرة من « أمريكا » إلى « ليبيريا » (قرار رقم : ١٣٩٣ - تاريخ ١٧/١١/١٩٥٧م) ، وبحث المجلس قضية « الكاميرون » التي وصلت إلى المسامع العالمية نتيجة كفاح الحركة الوطنية في « الكاميرون » الذي كان تحت « الوصاية » الفرنسية البريطانية ، وحين تقرر عرض القضية على « الأمم المتحدة » في ٢٠ فبراير ١٩٥٩م لتقرير مستقبل الوصاية على « الكاميرون » ، اتخذ مجلس « جامعة الدول العربية » ، في أبريل ١٩٥٨م ، قرارا بتأييد استقلال « الكاميرون » وحق شعبها في كلتي المنطقتين المشمولتين بالوصايا الفرنسية والبريطانية في الاستقلال والوحدة ، وتكليف مندوبي الدول العربية في « الأمم المتحدة » باتخاذ موقف يتفق مع ذلك القرار .

وفي سبتمبر ١٩٥٨م ، اتخذ المجلس قرارا بإعادة توكيد الموقف السابق مع

Created with



nitroPDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

استنكار استخدام القوة المسلحة ضد شعب « الكاميرون » ، وحث « الأمم المتحدة » على إجراء استفتاء عادل ييدي فيه هذا الشعب موقفه بكل حرية ، وإعلان تضامن دول « الجامعة العربية » مع سائر الأقطار الأفريقية في سعيها لتحقيق رغبات الشعب الكاميروني في الحرية والوحدة .

وأيدت « الجامعة العربية » قرارات « مؤتمر مونروفا » ، الصادرة في أغسطس ١٩٥٩ م ، بتأييد كفاح شعب « الكاميرون » ودعت إلى توثيق روابط التعاون والكفاح المشترك بين دول « الجامعة » والدول الأفريقية .

وقد تكللت الجهود التي بذلتها الدول الأفريقية والعربية بالنجاح ، وأعلن استقلال « الكاميرون » في أول يناير ١٩٦٠ م ، وفي العام التالي انضم الشطر الجنوبي من « الكاميرون » (الذي كان تحت الوصاية البريطانية) إلى الوطن ، بينما صوت الشطر الشمالي إلى جانب الانضمام « لنيجيريا » ، وتحقق هدف حرية شعب « الكاميرون » في تقرير مصيره .

ولقد ظلت السياسة الثابتة « لجامعة الدول العربية » هي الوقوف إلى جانب الدول الأفريقية في كفاحها من أجل الاستقلال ، ثم تدعيم العلاقات مع تلك الدول بعد حصولها على استقلالها .

ففي العام ١٩٦٠ م وافق مجلس « الجامعة العربية » على قرار اللجنة السياسية بمساعدة استقلال الدول الأفريقية ودعمه تمثيلا مع سياسة دول الجامعة في تأييد كل ما يتعلق باستقلال شعوب العالم جميعا ، واتخذوا قرارا يتضمن :

- ١ - الترحيب بالدول الأفريقية التي استقلت حديثا .
- ٢ - تأييد تلك الدول في جهودها الرامية إلى دعم استقلالها ودرء الأخطار الخارجية عنها .
- ٣ - التعاون التام معها في الميادين الاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغيرها ، تحقيقا للمصالح العامة المشتركة وبذل مزيد من العناية لتأمين المنح الدولية لأبناء القارة الأفريقية وتبادل المدرسين والخبرات معهم .

٤ - توصية « اتحاد الغرف التجارية العربية » بإرسال بعثة اقتصادية من رجال الأعمال والصناعة والتجارة والزراعة لإجراء الاتصالات اللازمة في الدول الأفريقية ، بقصد التنسيق والتعاون فيما بين الدول الأفريقية والعربية .

وفي أغسطس ١٩٦٠ م ، أوصت اللجنة الدائمة للإعلام العربي بالعمل على توجيه عناية خاصة إلى الجاليات العربية في « أفريقيا » بحيث تعمل الدول العربية على تنظيم حقوق هذه الجاليات وتوعيتها حول دورها في الوقوف إلى جانب الحركات التحررية المضادة للاستعمار ، واستكمال التمثيل الدبلوماسي للدول العربية في « أفريقيا » والاعتراف الفوري بأية دولة أفريقية تستقل ، والاعتراف بجمهورية « تشاد » التي كانت قد نالت استقلالها حديثا .

وكما هو معروف ، فإن مشكلة « الكونغو » كانت إحدى المشكلات التي شغلت « أفريقيا » والعرب والعالم كثيرا ، بسبب محاولات الاستعمار للتدخل في شؤونها بعد استقلالها والاعتداء المسلح عليها .

وكانت الدول الأفريقية ودول « الجامعة العربية » تشعر بأن عودة الاستعمار إلى أي بلد أفريقي حصل على استقلاله يعتبر نكسة خطيرة لقضية حرية « أفريقيا » ، وأنه - لو حدث - لشكّل سابقة يمكن أن تتكرر ، كما أن الحركات الانفصالية التي تحركها وترعاها الدول الاستعمارية تتعارض مع المصالح الأساسية للدول الأفريقية ، ولهذا وقفت الدول العربية موقفا صلبا تجاه محاولة فصل إقليم « كاتانجا » عن الوطن الكونغولي الأم ، وأثارت القضية في المحافل الدولية ، وخاصة « الأمم المتحدة » ، إلى أن قرر « مجلس الأمن » إرسال قوات طوارئ دولية إلى « الكونغو » (يناير ١٩٦٣ م) ، وشاركت إحدى الدول العربية « مصر » في هذه القوات ، وقد واصلت الجامعة العربية الاهتمام بقضية « الكونغو » إلى أن انتهت تماما .

العلاقة مع منظمة الوحدة الأفريقية

حين تأسست « منظمة الوحدة الأفريقية » أعلنت « الجامعة العربية » تأييدها لقيام هذه المنظمة ، وتضامنها معها فيما يحقق مصالح الشعوب الأفريقية (١٨/٣/١٩٦٧ م) .

ويمكن القول إن جميع نشاطات « جامعة الدول العربية » ومواقفها ومقرراتها قد لحظت التعاون الأفريقي - العربي ، وأعطته أكبر نصيب من الاهتمام ، إدراكا من الدول العربية لأهمية هذا التعاون بما يعود على الطرفين بالخير ؛ فقد تضمنت قرارات « مؤتمر القمة العربية » الذي انعقد في « الجزائر » التأكيد على أهمية التعاون الأفريقي - العربي فاعتبرت ، إذ ذاك ، مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الأفريقية - العربية ، وعاد « مؤتمر القمة العربية » الذي انعقد في « الرباط » إلى تأكيد الحرص العربي على تنمية وتوثيق العلاقات العربية مع الدول الأفريقية .

ونتيجة لذلك المؤتمر أوفدت بعثة مؤلفة من وزراء خارجية « الإمارات العربية المتحدة » و« الجزائر » و« السودان » و« المملكة العربية السعودية » و« سوريا » و« لبنان » و« الكويت » و« مصر » و« موريتانيا » للقيام بزيارات شاملة للدول الأفريقية دعما للتعاون الأفريقي - العربي ، وتعريفا بمقررات « مؤتمر القمة العربية » بهذا الشأن .

وفي اجتماع مجلس « الجامعة العربية » عام ١٩٧٥ م ، تألفت لجنة من الأمين العام للجامعة ووزراء خارجية « الإمارات العربية المتحدة » و« تونس » و« المملكة العربية السعودية » و« سوريا » و« العراق » و« الصومال » و« الكويت » و« لبنان » و« ليبيا » و« المغرب » و« موريتانيا » و« فلسطين » ، لتنظيم شؤون التعاون الأفريقي - العربي ، والاجتماع إلى

« لجنة الاثني عشر » في « منظمة الوحدة الأفريقية » ، وتمت الموافقة على برنامج « المساعدات العاجلة » المقترح من قبل الأمين العام « للجامعة العربية » والموجه لصالح الدول الأفريقية التي ستحصل على استقلالها في ذلك العام . وباختصار : يمكن القول أن الدول العربية كانت أول مجموعة دولية تتخذ المبادرة في تأييد ودعم كل ما يتعلق بـ « أفريقيا » واستقلالها وتقديمها الاقتصادي ، مع العمل على تنفيذ القرارات بأسرع ما يمكن .

وخرج الاستعمار رغماً عنه !

ولقد قيل في معرض التشكيك بقيمة هذه المواقف إنه لا « الجامعة العربية » ، ولا « الأمم المتحدة » ، ولا « منظمة الوحدة الأفريقية » ، لها دور فعال فيما تحقق للدول الأفريقية من استقلال ، بحجة تزعم أنه وفقاً لنظرية نشوء الأمم والامبراطوريات وارتقائها واضمحلالها ، فقد وصلت الدول الاستعمارية (« فرنسا » ، « بريطانيا » ، « أسبانيا » ، « البرتغال » ، « إيطاليا » وغيرها) إلى مرحلة الاضمحلال التلقائي ، وأن التطور التاريخي كان يؤكد حتمية سقوط استعمار تلك الدول « لأفريقيا » ، فلم يكن دور « الجامعة العربية » ، مثلاً ، سوى دور « المذيع المهمل » ، بينما كان دور « الأمم المتحدة » و « منظمة الوحدة الأفريقية » هامشياً وثانويًا .

وبدون تردد نقول إن هذا الرأي مردود في جملته وتفصيله ، والدليل على ذلك أن قلة نادرة جداً من الدول الأفريقية ، وغير الأفريقية ، قد حصلت على استقلالها بسهولة ، وأن اهتمام الاستعمار كان موجهاً ، وهو يحاول يائساً أن يتمسك بوجوده في البلاد المستعمرة ، إلى إسدال أكبر كمية ممكنة من التعنيم السياسي والإعلامي على ما يدور في « أفريقيا » وعزل قضايا استقلال « أفريقيا » عن دائرة الاهتمام العالمي ، ومقاومة أي تدخل خارجي أيا كان نوعه ..

محاولات العودة بطرق مختلفة !

ويجدر بنا ألا ننسى أن اهتمام الدول العربية ، سواء عبر جامعتهم أو على انفراد ، كان ينعكس مباشرة - وبصورة حادة - على علاقاتها بالدول الاستعمارية ، فكان العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م على « مصر » أحد نتائج سياستها في تأييد ثورة « الجزائر » ، وكان قصف بعض مناطق « تونس » بصورة وحشية نتيجة أخرى لموقف مماثل ، بل إن الدول الاستعمارية كانت تكيّف علاقاتها مع الدول المناوئة لوجودها الاستعماري بمقدار تلك المناوئة ، ووفق المدى الذي تؤيد فيه استقلال الدول الأفريقية ..

ودليل آخر ..

أن خروج الاستعمار من « أفريقيا » قد تم بصعوبة وسبقته سلسلة طويلة من الاضطرابات والقلاقل والثورات ، وأن الدول الاستعمارية ، لا سيما « بريطانيا » و« فرنسا » ، لم تترك وسيلة من وسائل القمع الدموية إلا مارستها ، فهل يستقيم مع المنطق السليم أن تخرج الدول الاستعمارية ببساطة لأن نظرية نشوء الامبراطوريات وضمحلها « تُحتم ذلك » ؟ ..

ودليل ثالث ..

أن الاستعمار ، سواء كان قد اضمحل أم لا ، لم يكف عن التدخل في شؤون « أفريقيا » حتى بعد خروجه منها ، ولم يتورع حتى عن تجنيد المرتزقة الأوربيين لإثارة القلاقل في « أفريقيا » إلى اليوم ، فلو كان الاستعمار قد انتهى وضمحل ، فهل كان يصر على الإبقاء على وجوده في « أفريقيا » بأية صورة من الصور ؟ ..

ودليل رابع ..

أن « الولايات المتحدة الأمريكية » تعتبر اليوم وريثة الاستعمار الأوربي ، وخاصة البريطاني والفرنسي ، ولا يمكن - بأية حال - إضفاء صفة

الاضمحلال عليها ، وهي في أوج قوتها وبأسها ، فلو كان بوسعها - على قوتها - أن تحتل « أفريقيا » عسكريا كما كانت تفعل الدول الاستعمارية الأوربية ، فهل كانت تتأخر ؟ .. ولكنها تعلم أن عصر الاستعمار التقليدي قد ولى ، وأنها لا هي ولا غيرها ، قادرة على احتلال بلد بغير إرادة أهله ، وفي قضية « فيتنام » ، وحربها ، أبلغ برهان ..

والسوفييت هم ورثة امبراطوريات « أوربا الشرقية » و « القيصرية » ، وهم - كذلك - في أوج قوتهم ، رغم أنهم امبراطورية قديمة منذ أيام القيصرية ، فهل يتأخرون لحظة واحدة عن وضع أقدامهم في أية بقعة من « أفريقيا » لو كانوا واثقين من أن هذا ممكن ؟ ..

إنهم يعلمون أن هذا مستحيل ، بدليل ما واجهوه من تجربة مريرة في « أفغانستان » ، وهو بلد ملاصق لهم وقد استمر وجودهم هناك سنوات طويلة دون أن يتمكنوا من إخضاع أهلها لإرادتهم .

إننا لا ندعي أن موقف « جامعة الدول العربية » هو العامل الحاسم في استقلال « أفريقيا » ، كما لا نقول بأن هذا الفضل ينسحب على « الأمم المتحدة » أو « منظمة الوحدة الأفريقية » ، ولكننا نقول بأن هناك جملة عوامل ساعدت على استقلال « أفريقيا » ، أولها وأهمها كفاح شعوبها نفسها ، ثم جاءت مواقف « جامعة الدول العربية » وباقي المحافل الدولية لتدعم هذا الكفاح ماديا ومعنويا بصورة لم يطق - ولم يتمكن - الاستعمار معها أن يحافظ على وجوده في القارة ، فما كان عليه سوى أن يرحل مرغما ، بصرف النظر عما إذا كانت امبراطوريته قد أخذت في الاضمحلال أم لا .



الملك فيصل والعلاقات العربية الأفريقية

علاقات صادقة مخلصه متوازنة

لا شك أن مرحلة الستينات كانت مرحلة مهمة وحاسمة في تاريخ العلاقات العربية الأفريقية ، وقد اهتم « الملك فيصل » ، رحمه الله ، في إطار سياسة التضامن الإسلامي بدعم العلاقات الأفريقية العربية تحت مظلة إسلامية ، وبروح وبعيد إسلاميين . وقد كان لهذا التوجه أثر كبير حيث إنه قرب بين العرب و« أفريقيا » ، وأزال الكثير من الجفوات ، ووثق العلاقات وأعاد الثقة إلى نفوس الأفارقة ، وقد زار « الملك فيصل » ، رحمه الله ، الكثير من الدول الأفريقية واستقبل استقبالات حافلة ، وحرص على أن يؤكد من خلال زيارته على مفهوم التضامن الإسلامي وأهميته ، كما أنه شجع زعماء الأفارقة على زيارة العالم العربي ، وتوثيق العلاقات ، وكان يؤكد على أهمية التعاون والتضامن مع الأمة العربية ، وأنها تقف بجانب أخواتها في « أفريقيا » ، وتؤيد كفاحها ونضالها ضد الاستعمار ، وضد التفرقة العنصرية التي كانت تزعج الأفارقة وقد تعلقوا كثيراً بهذه الزيارات ، وقَدروها كثيراً ، وشعروا بصدق توجهات « الملك فيصل » وإخلاصه - رحمه الله - وتفاعلوا معه واقتربوا منه ووثقوا به ، ووجدوا في توجهاته بارقة أمل وبصيص نور شجعهم على مزيد من التعاون . كما استثمر « الملك فيصل » بذكاء هذه المواقف لكسب تأييد الأفارقة للقضايا العربية ، التي كانت مطروحة على الساحة ، وبالذات القضية الفلسطينية ، والحركات الصهيونية ، وعمل جاهداً على عزل الصهيونية عن « أفريقيا » وأوقف تسللها إلى القارة الأفريقية .

وكان « الملك فيصل » يشجع الزعماء الأفارقة على تنظيم شؤون المسلمين في بلادهم ، ويحثهم على قضية التضامن الإسلامي ، وعمل كذلك على ربطهم

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

بالثقافة الإسلامية ، وكان يرسل مجموعات من الدعاة المؤثرين ، ولهذا فقد تم توحيد كثير من الجهود الدينية التي نتج عنها جعل المسلمين متحابين في بعض البلاد التي كان أهلها شيعا متحاربة ، بل كانوا يتقاتلون بسبب خلافات دينية بسيطة ، ويشيرون خصومات قديمة بينهم حتى لاقى بعض المسلمين حتفهم في أماكن العبادة ، ولكن عملية التوعية نجحت إلى حد كبير في جعلهم متحابين متعاونين إلى درجة طيبة .

دعم التعليم في أفريقيا

وكانت سياسة « الملك فيصل » في عملية دعم التعليم في « أفريقيا » سياسة ناجحة لأن الطلبة الأفارقة ، رغم ذكائهم ، كانوا محرومين من الفرص الثقافية التي تتاح لغيرهم من الطلبة والطالبات من غير المسلمين الذين تحتضنهم الكنائس . وللأسف الشديد فإننا نعاني اليوم في « أفريقيا » من نفس المحنة السابقة . وقد زرت خلال هذا العام عددا من الدول الأفريقية التي بها أقليات مسلمة ، أو حتى أكثرية ، ومع ذلك فقد لاحظت أنهم محرومون من فرص التعليم ، وفي دولة مثل « تنزانيا » يدخل ما يزيد عن ٦٠٪ من الطلاب المرحلة الابتدائية فلا يصل منهم إلى الجامعة أكثر من ١٢٪ ، وهذا الأمر أصبح مألوفا في كثير من الدول الأفريقية ، حتى أننا نجد أن الكنائس تقوم بجهود مكثفة لمساعدة المسيحيين تحت ستار حرية الأديان ، وعلى المسلمين الذين يرغبون في تعليم أبنائهم أن يجدوا مدارس ثانوية لهم ، أو ليكتفوا بالتعليم الابتدائي ويتشردوا ويتسكعوا بدون عمل ، ليكون مصيرهم الضياع والتشرد ، ويصير أبناء المسيحيين قادة وزعماء ، والعالم الإسلامي في غفلة عنهم ، غير مهتم بشؤونهم ، وغير مدرك للأسف خطورة هذا الوضع على مستقبل الإسلام في « أفريقيا » ، حيث أن المسيحيين جادون في عمليات التبشير ، ويركبون موجة التعليم ، وهم مدركون أنها مفتاح المستقبل ، في وقت تهمل فيه الأمة العربية والإسلامية قضية تعليم هؤلاء الأفارقة المسلمين وتركهم نهبا لهذه الحركات

التبشيرية والتي لا يملكون معها حولا ولا قوة ، وهم بين أمرين لا ثالث لهما : إما أن يتركوا أبناءهم من غير تعليم يتسكعون ويتشردون ؛ وإما أن يدخلوهم مدارس التبشير فيتنصروا ويتبعوا إحدى الكنائس ، وقد يكونون معاول هدم ضد الإسلام .

اتصالات مباشرة ، وتحركات عملية

ولقد واصل « الملك فيصل » في الحقيقة جهده وجهاده في نواحٍ متفرقة من « أفريقيا » ، وحرص على عملية المتابعة ، وقد كان يتطلع إلى كيان أفضل للدول الإسلامية في « أفريقيا » ، ولا شك أن الغرب والكنائس المسيحية أدركت خطورة ذلك الدور الذي كان يقوم به ، وأبدت مخاوفها كثيرا لتحركاته خصوصا وأنه قد فتح قلبه وذراعيه لكل القادمين من « أفريقيا » ، ووسّع فرص التعليم في المملكة وذلك الكثير من العقبات أمام الحجاج ، وكان يُشعر الأفارقة بأن هذا الذي يؤديه إنما هو الواجب ، ويتحدث معهم بأخوة وصدق ويحفظ كرامتهم ويحاول أن يُرجع فضل ذلك إلى الله تعالى ، لهذا أقبلوا عليه ، وفرحوا به ، وتعلقوا بزياراته ، وحتى الزعماء الأفارقة من غير المسلمين تعاونوا معه وشعروا بإخلاصه .

وقد حرص رحمه الله في هذا الإطار على أن يستفيد من جهود هؤلاء الزعماء في ترسيخ خطورة الاتجاهات اليسارية في أذهانهم . وقد التقى في مفهومه هذا مع الغرب الذي كان يكره الشيوعية واليسارية ، بما فيها الأفكار الاشتراكية والرأسمالية ، ولكن الغرب ظل متخوفا من البعد الآخر لمحصلة تحركات « الملك فيصل » والتي كانت تعني ترسيخ القيم الإسلامية .

ولقد كان « الملك فيصل » عمليا في تحركاته ؛ فقد أتبع القول بالعمل ، وقام بخطة حكيمة لتقديم معونات مدروسة وفعالة ، حيث قام ببناء الكثير من المساجد والمدارس الإسلامية ، وتقديم المساعدات المختلفة لبعض الدول الأفريقية التي كانت تعاني من ضائقات مالية أو حصار اقتصادي أو تسلل صهيوني .



وقدم لها مساعدات سخية في شكل قروض طويلة المدى أو معونات لوجه الله ، ولقد كان لهذا أثره البالغ دون شك في تأليف قلوب الشعوب الأفريقية ، وليس الزعماء فحسب ، كما أنه وسع فرص التعليم في المملكة لأبناء « أفريقيا » ، وكذلك في العالم العربي ، وشجع الكثير من الدول العربية والإسلامية للقيام بدور مماثل . ولقد كان لدول مثل « المغرب » و « الجزائر » و « مصر » و « تونس » أدوار بناءة في برامج التنمية ، وفي دعم القضايا الأفريقية ، وقامت مؤسسات كبيرة تعليمية بأدوار بارزة مثل « الأزهر » ، و « منظمة المؤتمر الإسلامي » و « رابطة العالم الإسلامي » ، والجامعات الإسلامية التي كان لها أدوار مشرفة في مجال الدعوة الإسلامية والتعليم في « أفريقيا » ، حتى بعض مراكز التعليم لا تزال قائمة بأدوارها حتى اليوم وإن كانت ضعيفة ، إلا أنها ما زالت تقدم ما تستطيع إليه سبيلا .

مساهمة مصر ما زالت مستمرة !

وبالرغم من ضعف دخل الفرد المصري إلا أن « مصر » اليوم ما تزال تقوم بأدوار مشرفة في « أفريقيا » ، وترسل البعث إلى مختلف الدول الأفريقية ، وتمول المراكز التي تقوم بعملية التعليم ، وقد شاهدها بنفسها في أكثر من مكان ، حيث ترى رجال الأزهر من الشباب والشيوخ ، والفتيات يؤدون أدوارا مشرفة ، وتنفق عليهم الحكومة المصرية في وقت هي في أمس الحاجة إلى من ينفق على أبنائها وتعليمهم ، إلا أنها آثرت التضحية ، وتحملت المسؤولية بشرف وأمانة وإخلاص . وإن الإنسان ليفتخر وهو يرى الدور الذي يقوم به « الأزهر » على ضعف موارده اليوم في « أفريقيا » ، ثم أنه قد فتح أبوابه على مصراعيها لاستقبال أبناء « أفريقيا » وتعليمهم ورعايتهم بالآلاف في كليات الطب والهندسة والعلوم والشريعة وغيرها ، في وقت أغلقت فيه الكثير من الدول العربية أبوابها ، وبعضها من الدول الموسرة والقادرة ، ولهذا فإنني أشعر بخطورة استمرار انخفاض الأعداد القادمة من الطلاب الأفارقة إلى الدول

العربية ، وكذلك خطورة ضعف الأعداد الخارجة من الدول العربية والمتوجهة بإخلاص للدعوة والتعليم في « أفريقيا » ، ويعني هذا ضعف الصلوات وتدهور العلاقات ، وهو يعني في الوقت نفسه أننا ننسحب تدريجياً من « أفريقيا » في وقت غير ملائم ، ولا مبرر له . وإذا لم يكن الانسحاب يعني خطراً عليهم حتماً يعني خطراً علينا لأنه يعني أن البعد يعمق وأن انتشار الإسلام في « أفريقيا » لم يعد ولن يعود كما كان ، فإذا لم تفعل شيئاً من أجل الله فلنفعله من أجل أنفسنا ومن أجل مستقبلنا .



ضرورة تقوية الروابط العربية الأفريقية

في جميع الأحوال ، وبصرف النظر عن مدى النتائج العملية للمواقف العربية من القضايا الأفريقية ، فإنها - وبكل تأكيد - كانت دليلا على إدراك العرب لأهمية الروابط التي تصل بينهم وبين أشقائهم وأصدقائهم الأفريقيين ، وإنها دليل لم يقدم سواهم مثله ، على خلوص نياتهم تجاه أولئك الأشقاء والأصدقاء وصدق رغبتهم في السير مع « أفريقيا » إلى أبعد مدى ممكن من التعاون والتضامن والتفاهم ..

ولا بد لنا من القول إن تعميق الروابط وتقويتها بين « أفريقيا » والبلاد العربية ضرورة تاريخية وجغرافية واقتصادية وبشرية وثقافية لصالح الطرفين كليهما ، ولو أن أي بلد أفريقي حاول أن يوازن بين علاقاته مع العرب ومع سواهم ، لتبين له أن توثيق هذه العلاقات مع العرب - قبل غيرهم - هو الأقرب إلى السلامة والصواب ، بحكم الصلات العريقة أولا ، ثم بحكم طبيعة القوى المتكاملة على « أفريقيا » من جهة أخرى ..

لقد جربت « أفريقيا » معظم أنواع الاستعمار الدموي المتوحش ، وعانت منه ما عانت ، وضحت في سبيل الخلاص منه ما ضحت ، لأن الاستعمار إنما جاء سالبا وناهبا وسيء النية ، يريد أن يستعبد أهل القارة ، وأن يمتص دماءهم ، وأن يستولي على ثرواتهم ، فهي - إذن - مصلحة « تجارية » و« مادية » تتعارض مع مصلحة الشعوب الأفريقية وسلامتها ..

وحتى الاستعمار الحديث ، والمستحدث ، يذلل كلاهما محاولات مماثلة ، وإن اختلفت الأساليب ، ولا يوجد على وجه الأرض من يستطيع أن يثبت أن « إسرائيل » ، مثلا ، سليمة النية في علاقاتها الأفريقية ، أو أنها معنية حقا بتنمية « أفريقيا » وتطويرها وإثرائها ، فمحاولاتها لإيجاد مجالات

للتحرك في « أفريقيا » إنما هي عملية تجارية بحث تحاول « إسرائيل » بها أن تستمد من « أفريقيا » ما يعينها هي - « إسرائيل » - على الحياة ..
وبالمقابل .. فالدول العربية ، جميعها ، ليست ذات مصالح مادية في « أفريقيا » ..

فالعرب - بفضل الله - يمتلكون ثروات معدنية لا تقل عما في « أفريقيا » ، وهم ساعون في تطوير بلادهم وتنميتها مثلما تفعل « أفريقيا » ، ولم نسمع حتى الآن عن مؤسسة عربية ، أو دولة عربية ، قد تأمرت ضد أي بلد أفريقي ، بقصد الاستيلاء على ثرواته أو الحصول على امتيازات تعدينية أو تجارية ظالمة أو سواها .. بينما تأتينا الأنباء كل يوم عن مؤسسات ودول أوربية وغير أوربية ، تحرك الاضطرابات ، وتصطنع الانقلابات ، وتطيح بأنظمة ، سعيا وراء المنافع المادية ، وخدمة للاحتكارات الاقتصادية والسياسية ..

غزو الإخاء والصدقة والتعاون

التوجه العربي إلى « أفريقيا » هو توجه إخاء وصدقة ، ينبع من جذور تاريخية ويمتد على مدى حقائق عصرية تؤكد أن مصلحة الطرفين ، كليهما ، - إذا سلمنا أنهما طرفان وليس طرفا واحدا - متوافقة ومتماثلة ، خالصة النية ، نظيفة اليد ، صادقة الشعور ، ولا تريد « لأفريقيا » إلا ما تريده لنفسها ، قوة وتطورا ونماء ورفاهية .

ولقد مر بنا ، في مواقع عديدة سابقة من الكتاب ، أن العرب الذين جاؤوا إلى « أفريقيا » لأسباب شتى ، مجاهدين أو دعاة أو تجارا أو مهاجرين ، قد انصهروا في المجتمعات الأفريقية المحلية التي جاؤوا إليها ، فاستقروا وتزاوجوا وتعاملوا وباتت « أفريقيا » ، في أي منطقة من مناطقها ، هي موطنهم الجديد ، فهم - بهذا يختلفون عن الأوربيين ، مثلا ، الذين نزحوا إلى « أفريقيا » هُدف واحد ليس غير ، هو الاستعمار والاستثمار Created with ونهب الثروات واستعباد أهل

القارة ، فالنظرة الاستعمارية العنصرية التي ينظر بها الأوربي إلى « أفريقيا » والأفريقيين قد منعتهم من الانصهار في المجتمع الذي حل فيه ولا يريد أن يخرج منه ، وبذلك ظل منعزلا تماما عن المجتمع الأفريقي ، وظل ، بالتالي ، وافدا طارئا غير مرغوب فيه ، فلم يستطع أن يحدث في البنية الاجتماعية تأثيرا يذكر . وعلى العكس من ذلك كان شأن العرب الوافدين .. ذلك أن من أصعب الأمور أن تفرز الأصول العرقية في المجتمعات الأفريقية التي يوجد فيها العرب ، لأن اندماجهم في مجتمعهم الجديد كان كاملا تقريبا ، وتأثيراتهم الدينية والثقافية واللغوية والحضارية كانت عميقة وراسخة الجذور ، فنتج عن ذلك لون حضاري جديد ، يجمع بين الطابع العربي والطابع المحلي الأفريقي ، وهو ما يستطيع المرء أن يراه بسهولة في أي مكان تقيم فيه أعداد كبيرة من المواطنين الأفريقيين ذوي الأصول العربية .

وحين استدعى تطور الأحداث تحديد أوضاع غير الأفريقيين الأصليين في مناطق القارة ، كان العرب وحدهم ، دون سائر الوافدين ، الذين صنفوا من أهل البلاد ، بينما اعتبر البيض والآسيويون الآخرون أقليات طارئة ، ولم يكن هذا الوضع مدعاة لارتياح الاستعماريين الأوربيين فعملوا على تحريك بعض الأفريقيين ضد « العرب الغرباء » أو ضد الأجانب - والمقصود بهم هنا العرب بالذات - بغية فصل اللحم التي ربطت بين الأفريقيين والعرب ، والتخلص من الدور الوطني المخلص الذي قام به بعض العرب خدمة للأقطار الأفريقية التي يقيمون فيها ..

ونجد مثالا على ذلك في بلد أفريقي لا توجد فيه أكثرية إسلامية وهو « كينيا » .. ففي عام ١٩٤٦ م ، بدأت تجتاح « كينيا » قلاقل واضطرابات ضد المستعمرين بقيادة « جومو كينياتا » الذي ارتبط اسمه بحركة قومية كينية سميت « ماو ماو » كانت موجهة ضد البيض والهنود الذين يعيشون في « كينيا » ، ووقف العرب مع المواطنين المحليين ، فاعتبروا منهم ، ونالهم ما نال هؤلاء من البطش الاستعماري .

الحملة الدعائية ضد الجاليات العربية

وفي الوقت الذي حاول فيه البيض تكيف أوضاع البلاد بما يوافق مصالحهم ، بما في ذلك تقسيم البلاد إلى مناطق قومية عديدة ، كان العرب ممن قاوم هذه المحاولات ، وتمسك بوحدة البلاد كمصلحة وطنية دون النظر إلى مصالحهم الخاصة ، وقد جرّ عليهم ذلك متاعب كثيرة حدت ببعض اليمنيين المقيمين في « كينيا » إلى العودة لبلادهم ، بينما قررت أكثرية العرب حمل الجنسية الكينية والقيام بمسؤولياتهم كمواطنين كينيين .

ولكن أمور « الجاليات العربية » لم تجر دائما وفق ما يفترض أن تجري به عليهم كمواطنين في البلاد التي يقيمون فيها ، فارتفعت الصيحات مرات عديدة ، في أقطار عديدة من مختلف المناطق ، ضد إعراب ووجودهم ونشاطهم ، فعرضوا لكثير من الأذى في بعض تلك الأقطار ، وقيل عنهم إنهم « أجنب » وإنهم « غرباء » ، وصودرت أموال بعضهم وطرد منهم بعض آخر ، وظل كثيرون منهم في حالة عدم الاستقرار ، وهم مهددون في أي وقت بالتحركات المعادية لهم تحت شعار « القومية الأفريقية » ووقعت حوادث طرد جماعية في بعض الأقطار الأفريقية .. بفعل عناصر ذات توجهات خاصة .

وما يؤسف له أن الذين يحركون نار الفتنة ضد العرب ، الذين تعود جذور بعضهم إلى مئات السنين ، لا يأخذون في الاعتبار أن أغلبية المقيمين في « أفريقيا » ، خارج نطاق دول الجامعة العربية الأفريقية ، قد ميزوا بدقة بين « السياسة » و« العمل الوطني » .

والمقصود بالسياسة هو الدخول في دوامة المناورات الحزبية والتحركات الهادفة إلى السيطرة على الحكم ..

أما العمل الوطني فهو الكفاح ضد المستعمر والمعتدي من أجل غاية واحدة محددة هي الحفاظ على سلامة الوطن ..

فعلى صعيد العمل السياسي لوحظ على معظم « العرب » انصرافهم عن هذه

اللعبة والاهتمام بعملهم وحده ، وعدم الانغماس في تيارات التحركات الحزبية والتكتلات السياسية ...

أما على صعيد العمل الوطني ، فقد كان العرب في الصفوف الأولى بين مناوئي الاستعمار ومقاتليه ، شعورا منهم بأصالة انتابهم الأفريقي ..

ومرة أخرى نأسف إذ نقول إن هذا الموقف السليم لم يكن - دائما - موضع تقدير ، بل إنه - عكس ذلك - اتخذ حجة ضد « العرب » باتهامهم بالسلبية تجاه نظام ما ، وعدم اندماجهم في الوسط السياسي ، بينما أخذ الاستعمار على « العرب » - دائما - نشاطهم الوطني المعادي له ، والذي عرضهم في الكثير جدا من الأحيان لاضطهاد الاستعمار وتنكيله وعسفه ..

دور الوجود العربي في التنمية والتطوير

بطبيعة الحال ، لعبت الدعاية الاستعمارية والصهيونية دورا كبيرا في محاولة الوقيعة بين الأفريقيين والعرب المقيمين في البلاد الأفريقية ، وقد نجحت تلك الدعاية أحيانا ، وأخفقت في معظم الأحيان ولكنها طرحت - على أية حال - قضية تستحق منا وقفة متأملة ..

ففي تقديري ، ومن منطلق موضوعي بحث ، يمكننا أن نفهم إثارة هذا الموضوع صهيونيا واستعماريًا ، ولكننا لا نستطيع أن نفهم أبدا إثارته أفريقيًا .. ذلك أننا عرفنا ، كما يعرف إخوتنا وأصدقائنا الأفريقيون ، أن من أصعب الأمور أن نطرح موضوع التمييز ما بين أفريقي خالص ، وما بين عربي مقيم ، استنادا إلى الجذور التاريخية العميقة ، والعريقة ، بين الأفريقيين والعرب منذ أقدم الأزمان ، كما رأينا في صفحات سابقة كان انصهار العرب المهاجرين إلى البلاد الأفريقية انصهارا شبه كامل ، لا سيما وأن كثيرين منهم قد تزوجوا مع أبناء البلاد الأفريقية التي هاجروا إليها ، واستقروا ، وعملوا - غالبا - في الصف الوطني الأفريقي ، مختلفين بذلك عن سواهم من المهاجرين المقيمين ..



وتبقى الحقيقة المجردة أنه ليس من مصلحة أحد أن يثار ذلك التمييز بين الحين والآخر في بعض البلدان الأفريقية ، وأن يتخذ أحيانا صورة طرد جماعي ، لا يسر له ويفرح سوى « إسرائيل » والاستعمار وأعداء العرب والأفريقيين معا .

فالدور الذي اضطلع به العرب المقيمون في بعض البلاد الأفريقية وطينا وثقافيا واقتصاديا دور لا ينكر ، ولا ينبغي أن تنهض حالات من تصرفات فردية - إن وجدت - كمبرر لتدعيم الاستثناء وتحويله إلى قاعدة ، فأن تقول الدعاية المعادية إن العرب « يسيطرون » اقتصاديا في بعض البلدان الأفريقية قول مدلوله معنا ، عربا وأفريقيين ، وليس علينا ..

فحين استقلت بعض الدول الأفريقية لم يكن في جيوش بعضها ضابط أفريقي واحد ، ناهيك بالمدرسين والمهندسين والأطباء ، وذلك ناتج عن السياسة الاستعمارية التي حرصت على وضع حاجز كثيف بين الأفريقيين وبين حضارة العصر طوال مدة الاستعمار ، وهي حالة واجهها كثير من البلاد العربية ذاتها ، ومع الزمن والسير في الخطط الإنمائية والتطويرية أمكن ، ويمكن ، استكمال الكوادر الوطنية القادرة على الإمساك بزمام القطاعات الحياتية المختلفة .

ففي هذه الحالة ، أليس من الأجدى أن يكون الاقتصادي الناجح في بلد أفريقي عربيا مخلصا لوطنه الجديد بدل أن يكون أوربيا أو « إسرائيل » يا لا يُكِنُّ لأفريقيا ولا للعرب أي خير ؟ ..

ولماذا يسمح الأوربيون لأنفسهم بأن ينشئوا الاحتكارات الضخمة الهادفة إلى استغلال ثروات « أفريقيا » ، ثم يأخذون على « العرب » أن يكون أحدهم صاحب حانوت أو مؤسسة تجارية أو صناعية ؟ ..

ولماذا يستमित الإسرائيليون في إنشاء المشاريع الاقتصادية في « أفريقيا » ، وهم من هم ، ويحلون ذلك لأنفسهم ، ثم يثيرون الفتن والضغينة بين الأفريقيين



والعرب المقيمين ؟ ..

ثم إننا يجب أن نتذكر دائما أن العرب المقيمين في « أفريقيا » يعتبرون إحدى وسائل الوصل القوية بين العرب ، الآخرين ، وبين « أفريقيا » ، ول بعضهم جهود ملحوظة في هذا الشأن ، ومن واجبا ، نحن العرب والأفريقيين ، أن ندعم كل ما من شأنه أن يقوي صلاتنا ببعضنا بعضاً ..

وحدة الأخطار والمصالح !

لقد مر على « أفريقيا » حين من الزمن ، ما بين أواخر الخمسينات وأواسط الستينات ، تفاعل خلاله التحرك الوطني العربي مع التحرك الوطني الأفريقي ، وكانت دول « أفريقيا » العربية ، في طليعة الدول التي عملت على توثيق العلاقات مع التحركات الوطنية الأفريقية ، وكانت الدول الأفريقية العربية في طليعة من عملوا على إنشاء المنظمات « الوحدوية » و « التعاونية » الأفريقية ، سواء من خلال ما أولت « جامعة الدول العربية » من اهتمام للقضايا الوطنية الأفريقية ، أو إنشاء « منظمة الوحدة الأفريقية » أو انعقاد « مؤتمر قمة عربي - أفريقي » عام ١٩٧٧م ، وإنشاء « لجنة تحرير أفريقيا » . وسارت الدول العربية ، الأفريقية والمشرقية معا ، على طريق توثيق العلاقات مع « أفريقيا » المستقلة ، وقطعت في ذلك أشواطاً بعيدة ، يؤمل لها أن تتسع وتنتشر تأثيراتها إلى أبعد مدى ممكن . ذلك أن الأخطار المحدقة بالبلاد العربية هي نفسها ، دون أي اختلاف ، تلك التي تحدق « بأفريقيا » .. وهو أمر طبيعي جداً بحكم الترابط القوي القائم بين الطرفين وكون أحدهما امتداداً للآخر ، جغرافياً وتاريخياً واقتصادياً ووطنياً وثقافياً .

وكما كانت البلاد العربية ، لا سيما في فترة الستينات والسبعينات ، منطقة صراع بين الدولتين : « أمريكا » و « روسيا » ، فإن نطاق هذا الصراع قد امتد ليشمل « أفريقيا » بأكملها ، ولتنسحب انعكاساته على المنطقة العربية والقارة الأفريقية في وقت واحد .

ومن أوضح الأمور وأكثرها استدعاءً للحذر والاهتمام ، أن الممارسات الأمريكية بأخطائها وسلبياتها في المنطقة العربية كانت - هي نفسها - في القارة الأفريقية ..

وكما أدت هذه الممارسات إلى نتائج عكسية لما كانت تهدف له « أمريكا » في المنطقة العربية ، حدث الشيء ذاته في القارة الأفريقية ..

كذلك الممارسات السوفيتية ، فهي لم تختلف في « أفريقيا » عنها في المنطقة العربية ، ونتائجها كانت كذلك - في الأغلب - واحدة .

فكما عمل « السوفييت » على محاولة إقامة أنظمة موالية لهم في المنطقة العربية ، مستغلين بذلك أخطاء السياسة الأمريكية ، طبقوا الخطة ذاتها في « أفريقيا » ، بنفس الأسلوب ولنفس الأهداف .

فمن أعجب الأمور ، أن بلادا أفريقية عديدة كانت محسوبة على أمريكا والمعسكر الغربي عموماً ، قد انقلبت من النقيض إلى النقيض ، فقامت فيها أنظمة موالية « لموسكو » ، تستمد المساعدات والدعم من السوفييت بعد أن كانت تعتبر قلاعاً حصينة للمعسكر الغربي ..

حدث ذلك في « أثيوبيا » ، وفي « موزمبيق » ، وفي « أنجولا » ، وبطرق غريبة لا تزال تدهش كل من يدرس تقلبات الأحوال في « أفريقيا » ..

بل لقد وصل الأمر إلى حد وجود قوات كوية مسلحة ، ساهمت جهراً وعلانية في إقامة النظام « الماركسي » في « أنجولا » ..

وكما هي العادة ، فإن المواقع التي كسبها السوفييت في « أفريقيا » ، كانت خسارة « لأمريكا » و« المعسكر الغربي » بوجه عام ، ودفعت ثمن هذه الأخطاء الأقطار الأفريقية التي كسبها « السوفييت » ، وهذا نفس ما حدث في المنطقة العربية منذ إنشاء « إسرائيل » في « فلسطين » وحتى الآن ..

ولقد أثبتت الدلائل والمعلومات والتقارير والدراسات التي تناولت الصراع

الغربي - الشرقي في « أفريقيا » ، أن المعسكرين الدوليين ، كليهما ، قد وسّعا دائرة ممارساتهما واهتماماتهما في المنطقة العربية لتشمل القارة الأفريقية ، فماذا يعني ذلك؟

إنه يعني - وببساطة تامة - أن المعسكرين الدوليين قد أدركا ، بعد الاحتكاك المباشر مع القارة الأفريقية الذي تلا استقلال معظم أقطار القارة ، أنه لا يمكن لممارساتهما أن تحقق أهدافها إذا لم ينظرا إلى المنطقة العربية والقارة الأفريقية كشيء واحد ، وأن يتسع مجال نشاطهما ليشمل المنطقة العربية والقارة الأفريقية معا . ومن معاد القول أن نشير إلى أن هذه النظرة إنما تنبع من الأدلة القوية ، التي لمسها المعسكران ، على العلاقات العربية - الأفريقية الوثيقة .

ومنذ عهد الرئيس الأمريكي « نيكسون » ، تصاعد الاهتمام الأمريكي بالقارة الأفريقية ، من منظور تحديد مجالات « الأمن القومي » الأمريكي ، فامتدت تلك المجالات - كما تراها « أمريكا » - إلى « أفريقيا » بعد أن تركز على « الشرق الأوسط » . ومن ثم توالت التحركات ، وما رافقها من أخطاء ، على النحو المعروف ، دون أن تحول الأخطاء دون تزايد الاهتمام الأمريكي بالقارة الأفريقية ، والذي لخصه الرئيس الأمريكي « ريغان » بأن على « أمريكا » أن تتصدى للتوسع السوفيتي والشيوعي أينما كان ..

أما « السوفييت » ، فإن توجهاتهم تقوم - بكل اختصار - على محاولاتهم الدائبة لإقامة أنظمة موالية لهم في أي مكان من العالم في سياق خطط الصراع القائم بينهم وبين « أمريكا » ، إضافة إلى أنهم (كما اعترفت جريدة « برافدا » السوفيتية الرسمية في أبريل عام ١٩٧٥م) يحاولون حرمان المعسكر « الرأسمالي » من الموارد الخام التي تشكل عصب الكيان الاقتصادي الغربي وأساسه ، بعد أن بدأ يعاني - بشكل حاد ولم يسبق له مثيل كما قالت الجريدة السوفيتية - من نقص تلك الموارد .



وإذ نتساءل : أين توجد تلك الموارد الخام التي يعاني المعسكر الغربي من نقصها ؟ ..

نجيب : إنما توجد ، أكثر ما توجد ، في المنطقة العربية والقارة الأفريقية ..
أي أننا نجد أنفسنا ، كيفما اتجهنا ، أمام حقيقة هامة هي : وحدة الطريق والمصير بالنسبة لنا وللأفريقيين في الوقت نفسه ، وإن نظرة مقارنة نجريها بين ما حدث ويحدث في المنطقة العربية وبين ما حدث ويحدث في « أفريقيا » ، تفيدنا - في الحال - أن تلك الأحداث يتطابق بعضها مع بعض وأنه لا يمكن دراستها في منطقة دون متابعة انعكاساتها على المنطقة الأخرى ..

وفي جميع الأحوال ، فإن لنا أن نتساءل عن صاحب المصلحة في تخريب ، أو بالأصح : محاولة تخريب ، العلاقات العربية - الأفريقية ؟ ..

إنه ليس الدول العربية ..

ولا هي الدول الأفريقية ..

إنه العدو المتربص بنا جميعا شرقا وغربا .. وهذه العصابة التي زُرعت بين ظهرائنا لتسلط علينا وتمزق جهودنا وتشتت ما استطاعت من شملنا .. وتضعف روابطنا .. وخاصة فيما بيننا ، وفيما بيننا وبين أشقائنا في « أفريقيا » .. وهذه هي غاية آمالهم .. وحصيلة مخططاتهم ، ولكن الفاعل شيء والقابل شيء آخر ، ولولا القابلية التي لدينا .. ولولا تفككتنا وضعفنا لما تمكنوا من كل هذا التأثير وكل هذا التخريب .. ومن هنا جاءت أهمية أن نقف طويلا أمام السؤال الذي نحاول الإجابة عليه من فصل إلى فصل في هذا الكتاب « أفريقيا .. لماذا ؟ » .





الفصل الخامس

منهاج التعاون الأفريقي لفرقي

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الاقتصاد أولاً !

عندما قررت دول « أوروبا الغربية » إنشاء « وحدة » تضم الدول الأوروبية غير الشيوعية ، كان أول ما طبقته وأكدته هو إنشاء « السوق الأوروبية المشتركة »^(١) أي أنها لم تبدأ - مثلاً - بالنواحي السياسية التي طبقتها فيما بعد ، « كالبرلمان الأوروبي » و« مجلس الوزراء الأوروبي » وغيرهما ..

ذلك أن النواحي السياسية معرضة باستمرار لعواصف التقلبات التي قد تطيح بها في أي وقت ، وهو ما لوحظ في كثير من « الوحدات » التي ارتجلت بين بعض دول العالم الثالث وأسفر معظمها عن الانفصال والفسل . فالسياسة متقلبة ، والعوامل المحيطة بها كثيرة ومعقدة .. فكيف يكون البدء في إنشاء وحدة قابلة للدوام والاستمرار ؟ ..

إنه يكون بإرسال القواعد التي تمزج ما بين « المصالح » الخاصة بكل بلد مع البلاد الأخرى ، فيشعر المشاركون بما يعود عليهم من فوائد ، وتتشابك - مع الزمن - المصالح والنشاطات ، فيصعب - إن لم يسحل - انفصالهما أو وهنها ..

من هنا كانت انطلاقة « أوروبا الغربية » انطلاقة اقتصادية ، لم تلبث أن اتسعت مع الزمن لتشمل النواحي السياسية على النحو المعروف ..

وخلال ذلك حدث ما كان متوقعا ، حين حصل التضارب في السياسات والاتجاهات ، وفقا لظروف كل دولة ، ففي حين تصاعدت علاقات

(١) لم تشترك « بريطانيا » الأمر ثم التحقت بها قبل سنوات قليلة لأسباب لا مجال

« ألمانيا » ، « بأمريكا » ، وهنت العلاقات « الفرنسية - الأمريكية » إلى درجة الفتور في عهد الرئيس « دييجول » ، وفي حين توثقت علاقات « فرنسا دييجول » « بالسوفييت » ، ضمن الحسابات الخاصة لسياسة الرئيس الفرنسي الأسبق ، وهنت في عهد الرئيس (الاشتراكي) « ميتيران » إلى حد خطير .. ولو أن الوحدة الأوروبية قامت على أسس سياسية منذ البداية ، لانهارت بعد سنة أو سنتين ، ولما أمكن ، إذ ذاك ، إقامة أي نوع من أنواع التعاون الواسع ؛ أما وأن بداية الخطوات الوحدوية كانت اقتصادية ، فقد ظل هناك فاصل واضح بين السياسة والاقتصاد ، ففي حين خضعت « السياسة » للتقلبات ، ظل « الاقتصاد » يواصل خطواته المرسومة ، بعد أن بات صعبا التوقف أو التراجع ..

نخلص من هذه المقدمة التمهيدية ، إلى أن الأسس الاقتصادية هي - في الأغلب - الأسس الأكثر صلاحية لبناء التعاون والتفاهم بين طرفين اثنين تجمعهما مصالح وظروف مشتركة ..

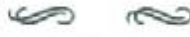
ولقد بينا ، بشكل واضح ومفصل ، أسس العلاقات التي تصل ما بين « العرب » و« الأفريقيين » ، وبات علينا أن نتابع المدى الذي وصلت إليه تلك العلاقات على طريق التعاون ..

والواقع أن هذا التعاون قد استكشف آفاقا أوسع من المجال الاقتصادي وحده ، بحيث توصل إلى وضع منهاج متكامل ، يشمل مختلف ميادين الحياة ، سياسيا واقتصاديا وثقافيا وحضاريا وإنمائيا ، بصورة يمكن اعتبارها معقولة ومناسبة كأساس يقوم عليه الهدف المشترك في تعميق أسس العلاقات وترسيخها إلى أقصى مدى ممكن ..

ولقد انطلق هذا المنهاج من رؤية موضوعية شاملة ، قامت بها الدول الأفريقية والعربية ، لمجالات التعاون والتكامل فيما بينها ، وخرجت من ذلك بجملة مبادئ وبيانات لا يمكن التخلي عنها في شؤون العلاقات العربية - الأفريقية ،

إلا استنادا إليها - سواء طبقت أم لم تطبق - لأنها تمثل ، عمليا ، خلاصة تطلعات جميع الدول الموقعة على تلك المواثيق والبيانات .

لقد وقعت على تلك الوثائق عشرون دولة عربية وثمان وثلاثون دولة أفريقية ، عندما تم حدث بالغ الأهمية في تاريخ « الجانبين » عبر « مؤتمر القمة العربي - الأفريقي » الذي عقد في « القاهرة » (٧ مارس ١٩٧٧ م) ، وكان أضخم تحرك أفريقي - عربي على مستوى القمة ، تشهده القارة الأفريقية والمنطقة العربية .



منهاج معقود بين ندين !

ولقد أسفر المؤتمر عن إعلان « منهاج التعاون الأفريقي - العربي » الذي أثبتته وغيره من الوثائق ، فيما يلي ، ليكون القارئ على بينة بخلفيات ما يتصل به من حديث ..

أولا - المقدمة

١ - نحن ملوك ورؤساء الدول والحكومات الأعضاء في « منظمة الوحدة الأفريقية » و« جامعة الدول العربية » المجتمعين في « القاهرة » من ٧ إلى ٩ مارس (آذار) ١٩٧٧ م .

٢ - آخذين في الاعتبار ميثاق « منظمة الوحدة الأفريقية » وميثاق « جامعة الدول العربية » .

٣ - مستذكّرين المقررات التي اتخذت والقرارات الصادرة على مختلف المستويات ، وبوجه خاص تلك التي صدرت عن الدورة غير العادية الثامنة ، والدورتين الثالثة والعشرين والرابعة والعشرين لمجلس وزراء « منظمة الوحدة الأفريقية » وكذلك الصادرة عن مؤتمري القمة السادس والسابع العربيين ، وعن الدورتين العاديتين الثانية والستين والثالثة والستين لمجلس « جامعة الدول العربية » من أجل تدعيم التعاون بين الدول :

٤ - مدرّكين لروابطنا ومصالحنا المتعددة وللاعتبارات الجغرافية والتاريخية والثقافية ، وللرغبة في التعاون في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وبسبب مقتضيات كفاحنا المشترك ضد السيطرة والاستغلال في جميع صورهما .

- ٥ - مقدرين روابط الصداقة والأخوة وحسن الجوار القائمة بين الدول الأفريقية والدول العربية .
- ٦ - مدفوعين بإرادة مشتركة لدعم التفاهم بين شعوبنا والتعاون بين دولنا استجابة لأمني شعوبنا في تعزيز الإخاء الأفريقي العربي .
- ٧ - مصممين على تدعيم الروابط القائمة بين دولنا وشعوبنا ، وذلك بإنشاء مؤسسات مشتركة .
- ٨ - آخذين في الاعتبار المصالح والمطامح المشتركة للشعوب الأفريقية والعربية .
- ٩ - مقتنعين بأن التعاون الأفريقي العربي يدخل في إطار العمل المشترك الذي تقوم به جميع البلدان النامية من أجل زيادة تعاونها من ناحية ، ومن ناحية أخرى من أجل تكثيف جهودها لإقامة نظام اقتصادي دولي جديد أكثر إنصافا وعدلا .
- ١٠ - مصممين على استخدام مواردنا الطبيعية والبشرية من أجل التقدم الشامل لشعوبنا في جميع ميادين النشاط البشري .
- ١١ - مستذكرين المبادئ والأحكام الواردة في « ميثاق الجزائر » ، و« إعلان ليما » ، و« الإعلان الأفريقي » عن التعاون والتنمية والاستقلال الاقتصادي ، وبيانات وقرارات وبرنامج العمل للتعاون الاقتصادي الصادرة عن « مؤتمر القمة الرابع لدول عدم الانحياز » ، والأحكام الاقتصادية المتعلقة بتصفية الاستعمار في إعلان « مؤتمر القمة الإسلامي في لاهور » ، والإعلان الرسمي « لمؤتمر القمة لملوك ورؤساء الدول أعضاء منظمة الدول المصدرة للنفط » ، وإعلان وبرنامج العمل لإنشاء نظام اقتصادي دولي جديد ، الصادرين عن الدورة السادسة الخاصة « للجمعية العامة للأمم المتحدة » و« ميثاق الحقوق والواجبات الاقتصادية للدول » وإعلان وبرنامج العمل الصادرين عن « مؤتمر

داكار « بشأن المواد الأولية والتنمية .

١٢ - قررنا الموافقة على هذا الإعلان وبرنامج العمل اللذين يحددان المبادئ وإطار العمل الجماعي والفردى للبلدان الأفريقية والعربية في ميدان التعاون الأفريقي العربي .

ثانيا - المبادئ

١٣ - التعاون السياسي والاقتصادي بين الدول الأفريقية والعربية يقوم بصفة خاصة على المبادئ الآتية :

١ - احترام سيادة جميع دولنا وسلامتها ووحدة أراضيها واستقلالها السياسي .

ب - المساواة بين جميع الدول .

ج - السيادة الدائمة للدول والشعوب على مواردها الطبيعية .

د - نبذ العدوان وعدم شرعية احتلال أو ضم أراضي الغير بالقوة .

هـ - عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى .

و - الحفاظ على المصالح المتبادلة على أساس المعاملة بالمثل والمساواة .

ز - تسوية الخلافات وحل النزاعات بالطرق السلمية وبروح من التسامح .

ح - الكفاح المشترك ضد السيطرة والعنصرية والاستغلال في جميع صورها من أجل الحفاظ على السلام والأمن الدوليين .

ثالثا - مجالات التعاون وبرنامج العمل

(١) مجالات التعاون :

١٤ - تتعهد البلدان الأفريقية والعربية بتنمية علاقاتها على المستويين الثنائي ومتعدد الأطراف على أسس من التعاون الشامل وطويل الأجل في

المبادئ التالية :

Created with:  nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

- ١ - الميدان السياسي والدبلوماسي .
- ب - الميدان الاقتصادي والمالي .
- ج - الميدان التجاري .
- د - الميدان التربوي والثقافي والعلمي والفني والإعلامي .

(ب) التعاون السياسي والدبلوماسي :

١٥ - إن البلدان الأفريقية والعربية ، تؤكد من جديد التزامها بسياسة عدم الانحياز عاملا هاما في الكفاح من أجل :

- ١ - حرية واستقلال الأمم .
- ب - إقامة عالم يسوده السلام والأمن لجميع الدول .
- ج - التطبيق الشامل لمبادئ التعايش السلمي .
- د - إسباغ الصبغة الديمقراطية على العلاقات الدولية .
- هـ - حقوق متساوية في التعاون .
- و - التنمية الاقتصادية والتقدم الاجتماعي .

١٦ - تدين الامبريالية والاستعمار والاستعمار الجديد ، والصهيونية والفصل العنصري وسائر أشكال التمييز والتفرقة العنصرية والدينية خاصة في « أفريقيا » وفي « فلسطين » والأراضي العربية المحتلة .

١٧ - تؤكد من جديد مساندتها للقضايا الأفريقية والعربية ، وتتعهد بتنسيق أعمالها في المجال الدولي ، ولا سيما في « الأمم المتحدة » حول المسائل ذات المصلحة المشتركة ؛ وتحقيقا لذلك ، ستقيم المجموعات الأفريقية والعربية في المحافل الدولية تعاونا أوثق بينها .

١٨ - ويواصل الجانبان تقديم مساندتهما السياسية والدبلوماسية والمادية والأدبية لحركات التحرير القومية الأفريقية والعربية التي تعترف بها « منظمة الوحدة الأفريقية » و « جامعة الدول العربية » .

١٩ - تبذل الدول الأعضاء في كلا الجانبين جهودها لإقامة وتعزيز تمثيلها



الدبلوماسية والاقتصادي في بلدان الطرف الآخر وتعزيز الاتصالات بين مؤسساتها القومية ، السياسية والاجتماعية ، ومؤسسات الطرف الآخر .

(ج) التعاون الاقتصادي :

٢٠ - رغبة في تحقيق التعاون الاقتصادي على أوسع نطاق ، فقد قرر الجانبان توسيع وتكثيف التعاون وتدعيمه في الميادين الآتية :

- ١ - التجارة .
- ب - التعدين والصناعة .
- ج - الزراعة وتربية الحيوان .
- د - الطاقة والموارد المائية .
- هـ - النقل ، والمواصلات ، ووسائل الاتصال السلكية واللاسلكية .
- و - التعاون المالي .

التجارة :

٢١ - قرر الجانبان اتخاذ الإجراءات اللازمة من أجل :

- ١ - إقامة علاقات تجارية مباشرة .
- ب - سبب حاجة أسواقهما على أساس الأولوية قدر المستطاع .
- ج - تسهيل التجارة الأفريقية العربية المباشرة بما في ذلك وضع الأنظمة التجارية التفصيلية .
- د - تشجيع وتعزيز التعاون بين المؤسسات التجارية والمشروعات التجارية والاشتراك في المعارض التجارية .
- هـ - إقامة التعاون بين المؤسسات الـ « مصر » فية ومؤسسات التأمين وإعادة التأمين الأفريقية والعربية .

٢٢ - ولتحقيق ذلك فإن الجانبين يطلبان إلى الأمين العام الإداري « لمنظمة

المحاجة الأفريقية » الأمين العام « لجامعة الدول العربية » إعداد

دراسات عن الأسواق الأفريقية والعربية ، بالاشتراك مع « البنك الأفريقي للتنمية » و« المصرف العربي للتنمية الاقتصادية » في « أفريقيا » و« اللجنة الاقتصادية لأفريقيا » بهدف تشجيع التجارة الأفريقية العربية .

التعدين والصناعة :

٢٣ - طبقا لسياسة الجانبين في سيطرة الدول على مواردها الطبيعية وتحقيق القيمة المثلى لمواردها الأولية قرر الجانبان :

١ - التعاون في مجال المسح المنتظم للموارد الطبيعية بهدف تطوير استخدامها واستغلالها الرشيد .

ب - تكثيف التصنيع عن طريق استغلال وتسويق ونقل مواردها التعدينية والأولية وتشجيع مشروعات الاستثمار في هذه الميادين .

ج - تنمية التعاون المالي والفني وتشجيع الأبحاث في جميع ميادين الصناعة والتعدين ، والاتفاق على الشروط الملائمة لذلك التعاون ، عن طريق إقامة مشروعات مشتركة أو تقديم المنح والقروض .

الزراعة والغابات ومصايد الأسماك وتربية الحيوان :

٢٤ - قرر الجانبان :

١ - تطوير الزراعة بإدخال الأساليب الفنية الحديثة والمتقدمة في ميادين الإنتاج والتوزيع والتخزين .

ب - تعزيز تحديث أساليب تربية الحيوان وتحسين سلالاته وإنتاجه .

ج - ضمان الزيادة السريعة والملموسة للإنتاج الغذائي عن طريق

الاستثمار المباشر والمشروعات المشتركة وأساليب التعاون

الأخرى ، بالنسبة للإنتاج الحيواني والغذائي واستثمار الغابات

- وتسويق منتجات الأخشاب .
- د - تبادل المعلومات ونتائج الأبحاث المستهدفة لتحسين ظروف المعيشة في المناطق الريفية مع التركيز على الهياكل الأساسية الريفية .
- هـ - اتخاذ الخطوات اللازمة في إطار نظام مقبول لمساعدة البلدان الأفريقية والعربية على تصنيع موادها الأولية إلى أقصى حد ممكن قبل تصديرها .
- و - الاتفاق على الترتيبات الخاصة بالتعاون المالي والفني بهدف الوصول إلى عمل مشترك لتطوير الزراعة والغابات ومصايد الأسماك والإنتاج الحيواني .

الطاقة والموارد المائية :

- ٢٥ - قرر الجانبان تأكيد السيطرة الفعالة لكل دولة على موارد الطاقة في بلادها .
- ٢٦ - قرر الجانبان الاتفاق بين الدول أو المؤسسات المختصة الوطنية الأفريقية والعربية على :
- تعزيز عمليات التنقيب عن جميع مصادر الطاقة ، بما فيها البترول ، واستغلالها ونقلها وتخزينها والعمل على تنمية الاستثمارات في هذه العمليات .
- ب - تبادل المعلومات والخبرات والتكنولوجيا في ميدان الطاقة .
- ج - تعزيز تبادل المعلومات واستخدام الخبرات المستفادة والتكنولوجيا الملائمة من أجل تحسين الظروف المناخية والصحراوية ، وكذلك أساليب العمل الملائمة المتعلقة باستغلال الأنهار والبحيرات والأحواض ومصادر المياه الجوفية .
- د - التعاون في استغلال الطاقة الكهربائية المتولدة من القوة المائية ومصادر الطاقة الأخرى على أسس إقليمية ، كلما أمكن

ذلك ، لأغراض التنمية في نطاق ترتيبات مقبولة للطرفين .
 هـ - تكثيف استخدام موارد الطاقة الأخرى ، مثل الطاقة الشمسية
 والحرارية والنووية وغيرها من مصادر الطاقة وكذلك الأبحاث
 في هذا المجال وذلك بهدف الإسراع في عملية التنمية الاقتصادية
 وإيقاف الزحف الصحراوي وتآكل التربة ومكافحة القحط في
 « أفريقيا » .

النقل والمواصلات والاتصالات السلكية واللاسلكية :

٢٧ - رغبة في تيسير وسائل الاتصال بين الدول الأفريقية والعربية يقرر
 الجانبان :

أ - الإسراع في تنمية الهياكل الأساسية الحديثة للطرق ، والسكك
 الحديدية والخطوط الجوية والمجاري المائية الداخلية الصالحة
 للملاحة والنقل البحري باعتبارها أسسا هامة لتنمية التعاون
 الأفريقي العربي .

ب - إقامة وصلات - وفقا للأولويات - بين شبكات الطرق
 والسكك الحديدية والخطوط الجوية الوطنية بهدف تيسير النقل
 الاقتصادي السريع للأشخاص والسلع طبقا لاتفاقيات ثنائية أو
 متعددة الأطراف .

ج - إجراء الدراسات اللازمة لإنشاء اتحادات لشركات الشحن
 البحري مما يتيح لها العمل بكفاءة أكبر ، والاشتراك في
 استخدام الابتكارات الفنية في ميادين النقل والمواصلات .

د - تقوية أواصر التعاون بصورة فعالة بين شركات الطيران بهدف
 توسيع نطاق الخدمات الجوية وترشيدها .

هـ - تحسين الشبكات البريدية وشبكات الاتصالات السلكية
 واللاسلكية القائمة وتوسيع إطارها وفقا للأولويات .

والتعاون في تنفيذ المشروعات على المستوى الإقليمي الفرعي

وعلى المستوى القاري في ميادين الاتصالات السلكية واللاسلكية والطرق والسكك الحديدية .

التعاون المالي :

٢٨ - يقرر الجانبان :

١ - اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لتعزيز التعاون المالي الفعال

بالشروط التي تكفل الأمن والضمانات عن طريق :

١ - القروض الثنائية المباشرة طويلة الأجل بأفضل الشروط

الممكنة لكلا الجانبين ، والاستثمارات المباشرة ، وكذلك

المشروعات المالية المشتركة .

٢ - القروض متعددة الأطراف طويلة الأجل بأفضل الشروط

الممكنة لكلا الطرفين لتمويل المشروعات بما في ذلك

دراسات الجدوى الاقتصادية .

٣ - الاشتراك الأفريقي العربي في التجمعات (كونسورتيا)

المالية الدولية لتمويل المشروعات المشتركة في « أفريقيا »

والعالم العربي .

ب - تسهيل دخول المؤسسات المالية الأفريقية والعربية وفقا للقوانين

والأنظمة المعمول بها في الدول المعنية ، وعلى أساس الأفضلية ،

إلى أسواق رؤوس الأموال الأفريقية والعربية .

ج - دعوة « منظمة الوحدة الأفريقية » و « جامعة الدول العربية »

إلى التعاون مع « بنك التنمية الأفريقي والعربي للتنمية

الاقتصادية » في « أفريقيا » وغيرها من المؤسسات المتخصصة

للبحث عن الصيغة الملائمة لتعاون اقتصادي ومالي وفني أوثق ،

وخاصة عن طريق إنشاء مؤسسات مالية أفريقية وعربية ووضع

اتفاقية أفريقية عربية تتضمن قواعد معاملة الاستثمارات .

دعوة « بنك التنمية الأفريقي » و « المصرف العربي للتنمية

Created with



nitro PDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الاقتصادية» في «أفريقيا» إلى تنسيق نشاطهما الاستثماري والمشاركة في تمويل المشروعات الأفريقية متعددة الجنسيات .

(د) التعاون في المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية :

٢٩ - رغبة في تحقيق تفاهم أفضل بين الشعوب والدول الأفريقية والعربية اتفق الجانبان على تعزيز الصلات في المجالات الاجتماعية والثقافية والتربوية بعقد اتفاقات ملائمة بشأن :

- ١ - البعثات الثقافية والمهرجانات .
- ب - المنح الدراسية وبرامج التدريب والرياضة .
- ج - النشاط العمالي والنقابي .
- د - التعاون في ميدان الرسائل الإعلامية كالصحافة ووكالات الأنباء والأقمار الصناعية المستخدمة في الاتصالات والراديو والتلفزيون .
- هـ - تبادل المعلومات الملائمة والخبرات والمساعدة في حل المشاكل الاجتماعية مثل توطين الرُّحْل .

٣٠ - ونظرا للدور الإنساني والثقافي الذي تلعبه السياحة في تعزيز التفاهم بصورة أفضل ، اتفق الجانبان أيضا على تشجيع وتيسير السياحة ودعم التعاون في هذا الميدان ، وخاصة عن طريق الاستثمارات والمشروعات المشتركة في ميدان السياحة .

(هـ) التعاون العلمي والفني :

- ٣١ - قرر الجانبان :
- ١ - تعزيز وتنسيق الأبحاث عن طريق تبادل المعلومات والدراسات العلمية والفنية .
- ب - إنشاء خدمات استشارية مشتركة ومعاهد متخصصة

للتنسيق والتدريب

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

- ج - توفير التعاون الفني المباشر الذي يشمل المنح التدريبية والمنح الجامعية في ميدان العلوم والتكنولوجيا .
- د - توسيع نطاق التعاون الفني لضمان توفير الخبراء .

رابعاً - المؤسسات

- ٣٢ - رغبة في تعزيز أنشطة التعاون الأفريقي العربي للإسهام في تنفيذ هذا الإعلان وبرنامج العمل فقد قرر الجانبان :
- أ - إنشاء لجنة مشتركة دائمة على المستوى الوزاري لتقوم دورياً بمتابعة وضمان تنفيذ أحكام هذا الإعلان ولاستكشاف أية مجالات أخرى للتعاون .
- ب - أن يمنح كل طرف صفة المراقب إلى الطرف الآخر في اجتماعات كل منظمة عند مناقشة موضوعات ذات أهمية مشتركة .
- ج - أن تنشئ كل من « منظمة الوحدة الأفريقية » و « جامعة الدول العربية » في أسرع وقت ممكن تمثيلاً لدى سكرتارية الأخرى بهدف المحافظة على علاقات العمل بطريقة وثيقة دائمة في تطبيق التعاون الأفريقي العربي .
- د - دعوة المؤسسات الأفريقية والمؤسسات العربية المناظرة لها في مختلف المجالات لاتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لإقامة علاقات عمل وثيقة من شأنها تسهيل التعاون وتنسيق أوجه نشاطها .
- ٣٣ - صدر هذا الإعلان « بالقاهرة » في يوم ٩ مارس (آذار) ١٩٧٧ م ولنصوصه باللغات العربية والإنجليزية والفرنسية نفس الحجية ومصداقاً لما فيه وضعنا توقيعنا .

التواقيع :

« الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية » ، جمهورية « أنجولا » الشعبية ،
دولة « البحرين » ، جمهورية « بنين » الشعبية ، جمهورية « بتسوانا » ،



جمهورية « بوروندي » ، جمهورية « الكاميرون » المتحدة ، جمهورية « الرأس الأخضر » ، (امبراطورية) « أفريقيا الوسطى »^(١) ، جمهورية « تشاد » ، جمهورية « الكومورو » ، جمهورية « الكونغو » الشعبية ، جمهورية « اليمن » الديمقراطية الشعبية ، جمهورية « مصر » العربية ، جمهورية « غينيا » الاستوائية ، « أثيوبيا » الاشتراكية ، جمهورية « الجابون » ، جمهورية « جامبيا » ، جمهورية « غانا » ، جمهورية « غينيا » ، جمهورية « غينيا بيساو » ، « الجمهورية العراقية » ، جمهورية « ساحل العاج » ، « المملكة الأردنية الهاشمية » ، جمهورية « كينيا » ، دولة « الكويت » ، « الجمهورية اللبنانية » ، مملكة « ليسوتو » ، جمهورية « ليبيريا » ، « الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية » ، جمهورية « مدغشقر » الديمقراطية ، جمهورية « مالي » ، « الجمهورية الإسلامية الموريتانية » ، « موريشوس » ، « المملكة المغربية » ، جمهورية « موزامبيق » الديمقراطية الشعبية ، جمهورية « النيجر » ، جمهورية « نيجيريا » الاتحادية ، سلطنة « عمان » ، « فلسطين » ، جمهورية « رواندا » ، جمهورية « ساتومي وبرنسيب » الديمقراطية ، « المملكة العربية السعودية » ، جمهورية « السنغال » ، جمهورية « سيشل » ، جمهورية « سيراليون » ، جمهورية « الصومال » الديمقراطية ، جمهورية « السودان » الديمقراطية ، مملكة « سوازيلاند » ، « الجمهورية العربية السورية » ، جمهورية « تنزانيا » المتحدة ، جمهورية « توجو » ، « الجمهورية التونسية » ، جمهورية « أوغندا » ، دولة « الإمارات العربية المتحدة » ، « فولتا العليا »^(٢) ، « الجمهورية العربية اليمنية » ، جمهورية « زائير » ، جمهورية « زامبيا » .



(١) كان هذا اسم دولة « أفريقيا الوسطى » أيام حاكمها السابق « بوكاسا »

(٢) أصبح اسمها ، فيما بعد جمهورية كينافاسو .

الإعلان - الملحق

والحاقا ببيان « مؤتمر القمة الأفريقي - العربي » ، صدر الإعلان التالي حول التعاون الاقتصادي والمالي الأفريقي - العربي :

إن « مؤتمر القمة الأفريقي - العربي » الأول المنعقد في « القاهرة » من ٧ إلى ٩ مارس (آذار) ١٩٧٧ م ، بالنظر إلى أن الشعوب الأفريقية والعربية تخوض نضالا مشتركا من أجل مواجهة أعباء التنمية وإنهاء السيطرة والتبعية والاستغلال والتحرك نحو تحقيق نظام اقتصادي عالمي جديد وعادل .

وإدراكا من « مؤتمر القمة الأفريقي العربي » الأول لحقيقة أن التخلف والمشكلات الاقتصادية التي تعاني منها الشعوب الأفريقية والعربية ، إنما نشأت أساسا عن ظروف الاستغلال والاستعمار قرونا طويلة ، كما تكمن في الوضع غير المتكافئ في الإطار الراهن للعلاقات الاقتصادية الدولية ، وأنها تكمن في طبيعة النظام الاقتصادي الدولي الراهن القائم أساسا لخدمة أهداف الدول الصناعية المستعملة .

وتعبيرا عن إيمان الدول الأفريقية والعربية بأن قضية التحرير والتنمية الأفريقية والعربية قضية واحدة لا تتجزأ ، وإذ يلاحظ (المؤتمر) أن التعاون الأفريقي العربي قد قطع مراحل إيجابية نحو الإسهام في عملية التنمية وسيطرة الشعوب الأفريقية والعربية على مواردها وثرواتها الطبيعية .

وإذ يلاحظ كذلك أن حجم التعاون الأفريقي العربي في المجال الاقتصادي والمالي في السنوات الثلاث الماضية قد تضاعف سبع مرات وقام في معظمه على أسس تفضيلية وشروط ميسرة تناسب والأوضاع الاقتصادية القائمة ودعم موارد المؤسسات المالية والتنمية العربية والأفريقية وعلى رأسها « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية » في « أفريقيا » ، و« الصندوق العربي لإقراض الدول الأفريقية » و« الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية » ، و« بنك التنمية الأفريقي » والتعاون الثنائي الأفريقي العربي .

يقرر عند هذه المرحلة التاريخية ، الموافقة على خطة متكاملة طويلة المدى للتعاون الأفريقي العربي في المجال الاقتصادي والمالي ، تتضمن ما يلي :

- ١ - تشجيع المؤسسات المالية الوطنية والمتعددة الأطراف على تقديم مساعدات فنية ومالية لدراسات الجدوى للمشروعات الإنمائية وهيكل البنية الأساسية في « أفريقيا » وإعدادها للتمويل ، بما في ذلك المشروعات التي اقترحتها اللجنة الاقتصادية لأفريقيا .
- ٢ - تدعيم موارد المؤسسات المالية الوطنية والمتعددة الأطراف التي تعمل في ميدان التنمية الأفريقية .
- ٣ - المساهمة في تدعيم الموارد المالية « لبنك التنمية الأفريقي » عن طريق الإقراض من أسواق المال العربية بأفضل الشروط الممكنة .
- ٤ - زيادة موارد « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » لتمكينه من زيادة المساهمة في تلبية احتياجات التنمية الأفريقية .
- ٥ - تدعيم العلاقات التجارية بين الدول الأفريقية والعربية عن طريق إعطاء معاملة تفضيلية متبادلة .
- ٦ - تنسيق المساعدات المالية المقدمة من الدول العربية والمؤسسات المالية الجماعية ، وذلك تعزيزاً للأثر الإنمائي لتلك المساعدات في الدول الأفريقية المستفيدة .
- ٧ - تشجيع الاستثمارات العربية خاصة عن طريق إنشاء مشروعات أفريقية عربية مشتركة ، والعمل على وضع نظام لضمان الاستثمارات في الدول الأفريقية .
- ٨ - تشجيع توظيف رؤوس الأموال العربية في الدول الأفريقية في شكل استثمارات مباشرة أو قروض أو ودائع .
- ٩ - تشجيع التعاون الفني بين الدول العربية والأفريقية .
- ١٠ - زيادة المساعدات الثنائية المقدمة عن طريق الصناديق الوطنية إلى الدول

١١- أن تقوم اللجنة الدائمة بالتنسيق مع المؤسسات الأفريقية والعربية المختصة (وبصفة خاصة « اللجنة الاقتصادية لأفريقيا » و « بنك التنمية الأفريقي » و « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » بالعمل على وجه السرعة من أجل تنفيذ البنود السابقة وعلى الأخص البنود : الثالث والرابع والسابع والعاشر .

تنظيم وطريقة العمل لتحقيق التعاون الأفريقي العربي

بالإضافة إلى « مؤتمر القمة الأفريقي العربي » و « مجلس الوزراء الأفريقي العربي » تنشأ الأجهزة المشتركة التالية لضمان تحقيق التعاون الأفريقي العربي ، كما تحدد في إعلان وبرنامج العمل للتعاون الأفريقي العربي وهي :

- ١ - اللجنة الدائمة .
- ٢ - مجموعة العمل ، واللجان المتخصصة .
- ٣ - لجنة التنسيق .
- ٤ - محكمة أفريقية عربية خاصة أو لجان تحكيم .

أولاً : مؤتمر القمة ومجلس الوزراء المشتركان :

يعقد « مؤتمر القمة الأفريقي العربي » مرة كل ثلاث سنوات ويعقد الاجتماع العادي لمجلس الوزراء المشترك مرة كل ثمانية عشر شهراً .

ثانياً : اللجنة الدائمة :

التكوين :

تشكل اللجنة الدائمة من أربعة وعشرين وزيراً يتم اختيار اثني عشر منهم بواسطة « منظمة الوحدة الأفريقية » واثني عشر بواسطة « جامعة الدول العربية » أو ممثلهم على أن يكونوا على مستوى سفراء على الأقل ومن أمين عام « منظمة الوحدة الأفريقية » وأمين عام



nitro PDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

« جامعة الدول العربية » .
الرئاسة :

يكون رئيساً كلٌّ من « مجموعة الاثني عشر » في « منظمة الوحدة الأفريقية » و « مجموعة الاثني عشر » في « جامعة الدول العربية » هما الرئيسان المشاركان للجنة الدائمة .

الاجتماعات وأمكتها :

تعقد اللجنة اجتماعاً عادياً مرتين كل عام في مقر المنظمتين بالتبادل ، إلا في حالة توجيه دعوة من إحدى الدول الأعضاء ، وتعقد اجتماعات غير عادية عند الاقتضاء بناء على اتفاق الرئيسين ، وتحدد مواعيد وفترات تلك الاجتماعات بعد إجراء مشاورات بين الرئيسين والأمينين العامين للمنظمتين .

الصلاحيات :

تقوم اللجنة الدائمة بتنفيذ أعمال التعاون الأفريقي العربي ومتابعة تطوراتها في المجالات المختلفة ، وتراجع وتوجه ذلك التعاون نحو الأهداف السياسية والثقافية والاجتماعية والتكنولوجية والاقتصادية كما توخاها إعلان وبرنامج عمل التعاون الأفريقي العربي .

ومن أجل هذا تتخذ اللجنة القرارات اللازمة ، ويكون من بين ما تقوم به ما يأتي :

- ١ - ضمان تنفيذ ومتابعة قرارات مؤتمر رؤساء الدول والحكومات ومجلس الوزراء .
- ب - النظر في المسائل التي يثيرها كل جانب ووضع الاقتراحات اللازمة من أجل تقديمها إلى مجلس الوزراء بهدف دعم وترسيخ التعاون الأفريقي العربي .

ج - إنشاء مجموعات العمل اللازمة لدراسة مختلف نواحي التعاون الأفريقي

- العربي وتحديد صلاحيتها وقواعدها الإجرائية .
- د - الموافقة على المشروعات التي تقترحها مجموعات العمل المختصة .
- هـ - معالجة الأمور بالتنظيم والتنسيق العامين من أجل إقامة التعاون .
- و - للجنة الدائمة أن تقترح عند الاقتضاء عقد اجتماع غير عادي « لمجلس الوزراء المشترك » .

ثالثا : مجموعات العمل واللجان المتخصصة :

نشأ مجموعات العمل واللجان المتخصصة في الميادين الآتية ، طبقا لإعلان وبرنامج عمل التعاون الأفريقي العربي ، كلما دعت الحاجة إلى ذلك :

- أ - التجارة .
 - ب - التعدين والصناعة .
 - ج - الزراعة والغابات ومصايد الأسماك وتربية الحيوانات .
 - د - الطاقة ومصادر المياه .
 - هـ - النقل والمواصلات السلكية واللاسلكية .
 - و - التعاون المالي .
 - ز - التعاون التعليمي والاجتماعي والثقافي والإعلامي .
 - ح - التعاون العلمي والتقني .
- ويجوز للجنة الدائمة إنشاء مجموعات عمل أخرى .

التكوين :

تتألف كل مجموعة عمل من عدد متساو - بقدر الإمكان - من خبراء وخصائيين من الجانبين ، وعلى كل جانب بقدر الإمكان ضمان استمرار مدة خدمة أعضاء المجموعة .

يعين كل من الجانبين رئيسا لكل مجموعة عمل ويقوم بإبلاغ الاختيار إلى الجانب الآخر ، وتعين كل مجموعة عمل مقررًا .

يجوز لكل مجموعة - عند الحاجة - استشارة اخصائيين من القطاع العام أو القطاع الخاص حسب الأحوال .

الصلاحيات :

- ١ - لكل مجموعة عمل أن تتقدم بأي اقتراح ملائم ضمن اختصاصها إلى الرئيسين وخاصة فيما يتعلق باختيار وتنفيذ المشروعات مع أخذ التعليمات التي تصدرها اللجنة الدائمة في الاعتبار .
- ٢ - تقدم مجموعات العمل مقترحاتها وتوصياتها إلى اللجنة الدائمة لاتخاذ الإجراءات اللازمة بشأنها .
- ٣ - لكل مجموعة عمل بعد التشاور مع الرئيسين أن تقرر إنشاء لجان متخصصة لتقوم بأية مهمة محددة تقع ضمن صلاحيتها .
- ٤ - تحدد كل من مجموعات العمل في نطاق اختصاصها صلاحيات اللجان المخصصة وكذلك أسلوب عمل تلك اللجان .
- ٥ - لمجموعة العمل أن تقرر إنهاء أعمال أية لجان متخصصة .

رابعا : لجنة التنسيق :

تتولى لجنة التنسيق ، تحت إشراف اللجنة الدائمة ، مسؤولية تنسيق عمل مجموعات العمل المختلفة من ناحية ، وضمان تنفيذ القرارات الصادرة من ناحية أخرى ، وتقوم لجنة التنسيق ضمن حدود هذه الصلاحيات بمعالجة الأمور ذات الطابع العملي والإداري فحسب والتي تتطلب قرارات عاجلة .

التكوين :

تتألف لجنة التنسيق من :

•• رئيس لجنة الاثني عشر والأمين العام لمنظمة الوحدة الأفريقية من جانب ورئيس لجنة الاثني عشر والأمين العام لجامعة الدول العربية من الجانب الآخر .

•• الرئيسين المشاركين ومقرري كل من لجان العمل المعنية ، إذا ما رأت لجنة التنسيق ذلك ضروريا .

خامسا : محكمة أفريقية / عربية خاصة أو لجنة للتوفيق والتحكيم :

تنشأ محكمة أفريقية / عربية خاصة أو لجنة للتوفيق والتحكيم ، لتقديم



nitro PDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

التفسير القانوني للنصوص التي تحكم التعاون الأفريقي العربي ولفرض أي نزاع قد ينشأ .

ويتم الاتفاق على وضع مثل هذه المؤسسة وعلى تشكيلها خلال اجتماع للخبراء يعقد تحت إشراف « منظمة الوحدة الأفريقية » و« جامعة الدول العربية » .

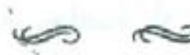
سادسا : وسائل العمل :

ينشأ صندوق خاص لضمان تسيير الأجهزة التنفيذية للتعاون الأفريقي العربي ويمول هذا الصندوق عن طريق مساهمة كل من المنظمتين بنسبة ٥٠٪ فيه ، تحسب بانتظام من الميزانيات العادية « لمنظمة الوحدة الأفريقية » و« جامعة الدول العربية » ، ويمكن تقديم المساهمات الطوعية والفردية إلى هذا الصندوق الخاص ، وتعتمد اللجنة الدائمة ميزانية الصندوق الخاص .

ويكون هذا الصندوق خاضعا لإرادة الأمين العامين « لمنظمة الوحدة الأفريقية » و« جامعة الدول العربية » تحت إشراف ومسؤولية لجنة التنسيق التي تقدم تقارير منتظمة عن أعماله إلى اللجنة الدائمة .



إن هذا المنهج يختلف تماما عن أية اتفاقيات ومناهج عقدتها دول أفريقية مع جهات عالمية أخرى ، لأنه يتسم ، أولا وقبل كل شيء ، بالمساواة في الحقوق والواجبات ، فهو منهج معقود بين ند وند ، فلا محاولة للتسلط من جانب تجاه جانب ، ولا روااسب عقد قديمة تعكّر صفو التوجه الانفتاحي الطبيعي والسليم بين الجانبين ، ولا مشكلات جوهرية يمكن أن تحول دون تطبيق كل ما يمكن تطبيقه من عناصر المنهج ، ولا غايات استعمارية أو تسلطية يحاول طرف أن يملها على طرف ، وإنما : قلوب صافية ، ونوايا سليمة ، ورغبة أكيدة في وضع عناصر المنهج ، روحا ونصا ، موضع التطبيق ..



اتفاق متوازن ، لم تتمكن من تنفيذه

وبنفس الموضوعية نقول : إن هناك عوامل كثيرة لعبت دورها - فيما بعد - لتعطيل تنفيذ المنهاج كما يجب أن ينفذ ، للاستعمار والصهيونية فيها أكبر نصيب . إلا أن الإنصاف يقتضينا بأن نذكر أن هناك خطوات عملية قد قطعت فعلا ، وهي خطوات جديرة بالسرد والتنويه ، قبل أن تنتقل إلى استقراء الصعوبات والعقبات التي عطلت تنفيذ الأجزاء الأخرى ..

ونبدأ بالجانب الاقتصادي ، لأنه - كما نعرف - يشكل أساسا جوهريا تقوم عليه العلاقات السياسية والثقافية والاجتماعية ، ولكن لنا - قبل ذلك - كلمة .. هذه الكلمة حول التفسيرات التي أعلنتها جهات أوربية ، ومعها أمريكية وصهيونية ، اتقول أن الدوافع التي حدثت بالدول العربية لوضع منهاج التعاون الأفريقي العربي هي عوامل دينية بالدرجة الأولى ..

ولنا على هذا القول رد ينقسم إلى شطرين :

الشطرن الأول ، أن نظرة واحدة على لائحة الدول الموقعة على وثائق المنهاج تبين أنها تشكل أكثر من ثمانين بالمائة من مجمل الدول الأفريقية ، وتتراوح الأغلبية الدينية السائدة في تلك البلاد بين الإسلامية والوثنية والمسيحية ، فلو كان السبب دينيا - أي : إسلاميا - بحث لما كان أيسر علينا من « فرز » الدول الأفريقية الإسلامية عن غيرها - وهو أمر في منتهى السهولة - والاقتصار على التعاون معها ، وهذا لم يحدث .

ولقد سبق أن بينا في مواقع عديدة أن اهتمام الدول العربية بقضايا الدول الأفريقية كان اهتماما متساويا بالنسبة للدول الإسلامية وغير الإسلامية ، لأن القضية - بالنسبة لنا - قضية مبدأ نعتبر فيه أن القارة الأفريقية - باعتبار عمق العلاقات الإنسانية والروابط المتينة التي تربطنا بها قديما وحديثا ، وباعتبار الرباط الجغرافي ولأنها كذلك عمقنا الحيوي الاستراتيجي - يجب أن تستقل سواء كانت مسلمة أم لا . ونحن نرتبط مع دول كثيرة أخرى في كل أنحاء

العالم بروابط صداقة وتعاون قوية مع أنها ليست مصلمة ، فهل يكفي هذا للتدليل على أن هذا الاعتبار لم يرد في حساباتنا في سياق التعاون الأفريقي العربي ؟ .. أعتقد أنه يكفي ، وسيرد الدليل عليه عند استعراض مجالات نشاط المصارف وصناديق التنمية العربية في « أفريقيا » ..

أما الشطر الثاني ، فإن من واجبنا - الذي يعتبر في صلب إيماننا وعقيدتنا - أن نقيم جسور التعاون ، ونعمل على توثيق العلاقات ، مع أشقائنا المسلمين في « أفريقيا » ، ولكن كانت الرابطة الدينية وحدها تكفي ، فإن هناك روابط أخرى من العلاقات العريقة ، والصلات الوثيقة ، والجذور البشرية التي تحدوننا إلى القيام بموجبات التضامن الإسلامي مع أشقاء مسلمين لنا في « أفريقيا » .. إن العناية الخاصة التي نوجهها لأشقائنا المسلمين الأفريقيين ، هي عناية إيجابية مفيدة ، نقيم فيها المساجد ، وننشئ المدارس ، ونساعد على التطوير الاجتماعي والثقافي ، ونعمل على نشر دين الله ، فهذا جزء من مسؤولياتنا دولاً ومؤسسات وأفراداً ، وكل ما فعلناه ونفعله إنما يقوم على أساس من المحبة المتبادلة ، والإدراك العميق للروابط الدينية الأخوية التي تشدنا ، كمسلمين ، إلى بعضنا ..

وهل بنا حاجة للتذكير بالممارسات الاستعمارية الدموية التي تسترت ، وتستر ، وراء الدين ، للتنكيل بالأفريقيين من قبل الدول الاستعمارية بحجة « التنصير » ونشر المسيحية ؟ ..

أحلال عليهم وحرام علينا ، مع الفارق الجسمي بين ممارساتنا وممارساتهم ؟ .

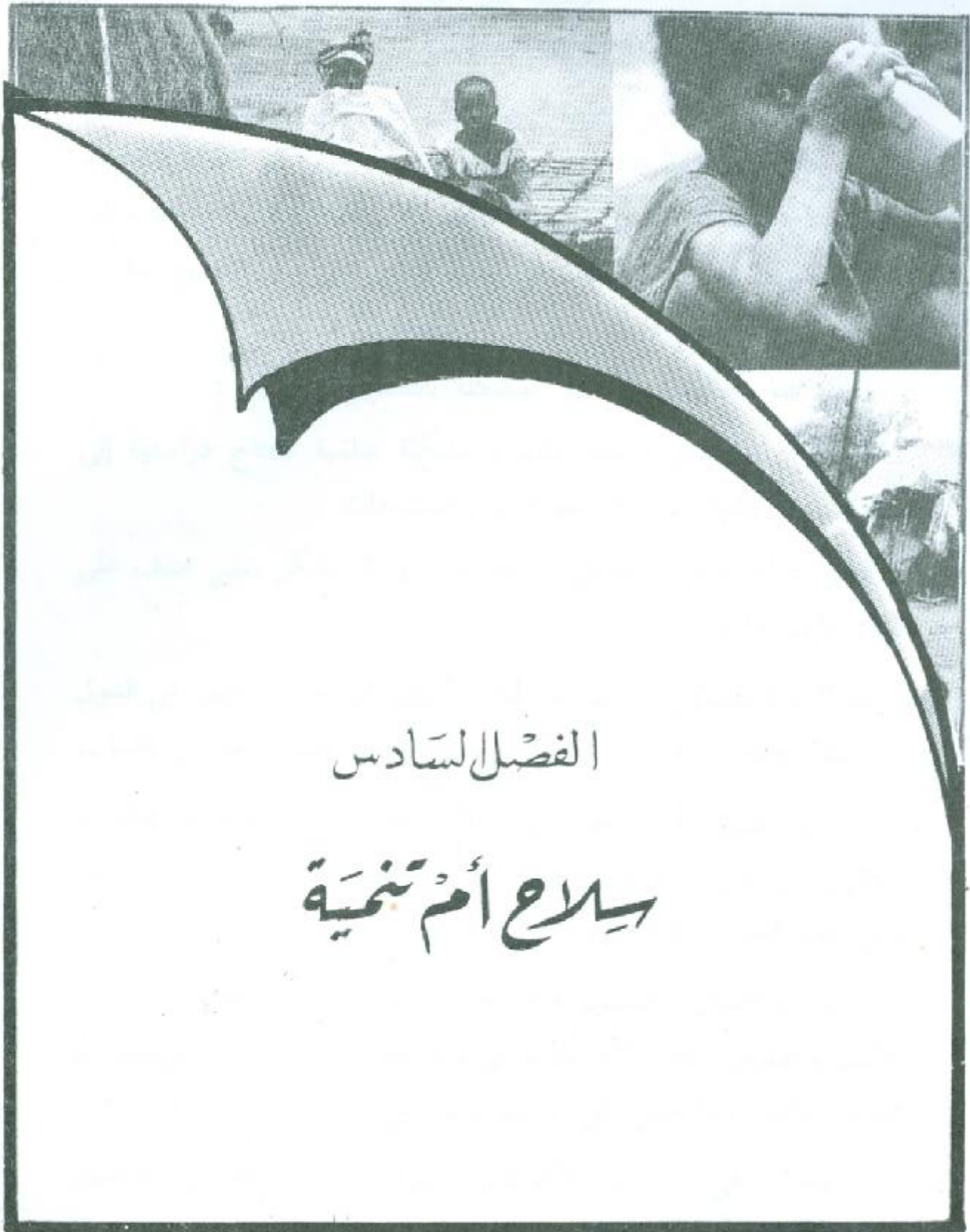
لقد كان « الفاتيكان » ، معقل الكاثوليكية ، شريكا صريحا وعلنيا في أحداث « بيافرا » الدموية التي راح ضحيتها عشرات الألوف من الأنفس في محاولة لفصل هذا الإقليم عن دولة « نيجيريا » الأم لإقامة دولة مسيحية خالصة عليه ، ومن الطريف أن دولة أوربية بروتستانتية قد دعمت مجهود « الفاتيكان » ذلك ، وساهمت بالأموال والمرتزة والسلاح ، لتأريث نار

الاقتيال بين النيجيريين لمجرد إنشاء دولة جديدة ، دعيت « بيافرا » ، ذات وجه مسيحي ..

وإذا كانت هذه المحاولة قد آلت إلى الإخفاق الذريع ، فإننا نجد أن الأصابع الصليبية ما تزال في طول « أفريقيا » وعرضها من أجل محاربة الإسلام والمسلمين في القارة ، وخلق المشكلات ، وبث الفرقة والتباعد والخلافات بين بعض الدول الأفريقية والبعض الآخر ، استمرارا للسياسة الاستعمارية التي كان الإسلام خصمها الصلب أيام السيطرة الاستعمارية ، وظل - بحول الله - خصمها العنيد بعد طرد المستعمرين من البلاد ومحاولتهم العودة مجددا إلى « أفريقيا » تحت براقع أخرى .

الدعوة إلى دين الله ، وخدمة أشقائنا المسلمين في « أفريقيا » ، هو شأن خاص بنا ، حقا وواجبا ، ونحن نقوم به انطلاقا من مبادئنا الإسلامية ، ودون أن نخلط بينه وبين ممارساتنا التعاونية مع جميع الدول الأفريقية التي يمكن التعاون معها بصرف النظر عن اختلاف الدين .. وهذه نقطة تسجل لصالحنا لأننا ارتفعنا بأهدافنا وممارساتنا عن الأغراض الذاتية الاستثمارية ، أو الاستعمارية ، وتوجهنا إلى « أفريقيا » بمجموعها ، ودون أن يؤثر هذا التوجه ، أو يتداخل ، مع واجباتنا الخاصة تجاه إخوتنا المسلمين .





الفصل لسادس

بلاغ أم تنحية

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

سفينة بلا ربان

لعل كبرى مشكلات العصر الذي نعيش فيه ، هي الفوضى القائمة في الأنظمة الاقتصادية العالمية ، وهي فوضى يقف أمامها أكبر خبراء الاقتصاد عاجزين عن تفسيرها ، لأنها تسير بلا ضابط ولا رابط ، ولا يكاد أحد يملك حولا مضمونة لها ، مما تسبب في جملة نتائج عانى منها الجميع بمقادير متفاوتة ..

وليس هنا مجال بحث هذه المشكلة بالتفصيل ، لسببين :

الأول - أنها تعتبر ، بحد ذاتها ، مشكلة عالمية تحتاج دراستها إلى مجلدات من الدراسات والإحصائيات والمقترحات .

الثاني - أنها لا تزال تتفاعل ، وتتصاعد ، وتؤثر بشكل سلبي عنيف على معظم دول العالم ..

فالركود الاقتصادي ، وتصاعد أعداد العاطلين إلى خانة الملايين في الدول الصناعية ، وبخاصة « أوروبا » ، قد استمر زمنا غير قصير ، ومازال قائما .. والدول الفقيرة ازدادت فقرا ، وبلغ الأمر حد انتشار المجاعة بين عشرات الملايين من البشر في « أفريقيا » و « آسيا » ، وهو أمر لم يسبق له أن حدث يمثل هذه الحدة والقسوة ..

وحوار « الشمال والجنوب » قد تعطل وتوقف ، لأن المتحاورين ، أي : الأغنياء والفقراء ، يقف كل منهما في واد بعيد عن الوادي الذي يقف فيه الطرف الآخر مما جعل كل الاجتماعات التي تمت غير ذات ثمرة .

والنتيجة ، هي أن العالم الاقتصادي بأسره ، وهو المتمثل في المنتجين والمستهلكين وأصحاب المواد الخام ، قد بات أشبه ما يكون بسفينة بلا ربان ولا محركات ولا أشرعة ، تهيم على وجهها في عرض المحيط ،

فتتقاذفها الأمواج من كل جانب ، دون أن يتصدى أحد من ركبائها ، على اختلاف

إمكاناتهم وظروفهم ، لمحاولة إنقاذها .
 لقد كان التفسير الوحيد الذي قيل حول هذه المشكلة هو أنه ليس لها أي
 تفسير ..

قال ذلك خبراء اقتصاديون ، وعلماء ماليون ، وكثير من كبار رجال
 الصناعة والمال والتجارة في مختلف أنحاء العالم .

العالم الثالث يجب أن يبقى عالماً ثالثاً !

والواقع أن السبب الأساسي للمشكلة - بعيدا عن التفسير الأكاديمية -
 يكمن في أن الدول الغنية لا ترغب في أن تقدم شيئا للدول الفقيرة دون أن
 تتقاضى ثمنه من موادها الخام أو من دمائها أبنائها .. لا فرق ! فالهم هو أن
 تكون البضاعة ثمينة ، والتمن بخسا .

إن الانهيارات المفاجئة التي تناولت أثمان معظم المواد الخام الأساسية ، التي
 لا صناعة ولا ازدهار بدونها ، تعتبر عملا سياسيا أكثر مما هي عمل اقتصادي ،
 فهي تخالف منطق الواقع من حيث حاجة العالم الصناعي إلى تلك المواد الخام ،
 فإما أن يحصل هذا العالم (الصناعي) على المواد الخام بأقل كثيرا من قيمتها
 الحقيقية ، أو تستمر الفوضى القائمة إلى أن يحصل الانهيار الاقتصادي الكامل ،
 ويتقوض بناء النظام الاقتصادي العالمي برمته ، بصورة أقسى وأعنف من كل
 ما مر بالعالم من أزمات اقتصادية في الماضي .

فالعالم الصناعي لا يريد للعالم الثالث أن يأخذ حقه المشروع في ثرواته
 الطبيعية ، وبعبارة أخرى أكثر دقة : لا يريد له أن ينمو ويتطور ويشبع ويبنى
 نفسه ويلحق بركاب العصر ..

إنها السياسة « الاستعمارية » ذاتها ، بمنطقها التسلطي ، ولكن بأساليب
 أخرى ، رغم أن حركة الاقتصاد العالمي في دورة عادلة هو أمر في صالح
 الجميع ، فلو أخذ « الفقير » ثمننا عادلا لسلعته الخام ، لأمكنه أن يشتريها مجددا

بعد تصنيعها ، فيستفيد ويفيد ويأخذ كل ذي حق حقه ..

ولكن ما يحدث فعلا يختلف تماما عما يجب أن يحدث ، والدليل على ذلك أن مؤشرات النمو في العالم أجمع ، هي أقل بكثير مما كان متوقعا ، حتى بالنسبة للدول الصناعية الكبرى ، وباستثناء بضع دول ليس غير ، فإن تلك المؤشرات ، في العوالم الثلاثة معا ، تتعثر وتواجه صعوبات جمة كما هو معروف .

ولعل « أفريقيا » هي أحد النماذج التي تؤكد وجود الخلل غير الطبيعي في النظام الاقتصادي ، ففي حين تتشدد الدول الغنية بضرورة مد يد العون للقارة ، ومساعدتها على تطوير نفسها ، ورفع مستواها ، والاستفادة من مواردها الطبيعية ، والقضاء نهائيا على المجاعة ، نرى الأحوال في القارة تسير في بعض دولها بسرعة مخيفة نحو الانهيار والدمار ..

ويقيناً ما كان ذلك ليحدث ، لو أن العالم الغربي ، على وجه التخصيص ، قد أعطى « أفريقيا » شيئا مما هي بحاجة إليه من مقومات التطور والتقدم .. إن الشيء الوحيد الذي يغدقه المعسكران الدوليان الغربي والشرقي على القارة الأفريقية هو : السلاح .. ولا شيء - تقريبا - غير السلاح ..

والسبب في ذلك واضح ومعلوم ..

فالسلاح سلعة ثمينة جدا ، وتستهلك أموالا طائلة تلتهم كل ما تجنيه القارة من أموال لقاء موادها الخام وإنتاجها الزراعي المصدّر ..

ثروات لشراء السلاح وبرواتب الخبراء العسكريين !

يذكر جان جاك سرفان شراير^(١) في كتابه الهام « التحدي العالمي » أن

(١) « جان جاك سرفان شراير » - التحدي العالمي - ترجمة : « فيكتور سحاب » و « إبراهيم

العريس » - المؤسسة العربية للدراسات والنشر - ١٩٨٠ م .

« زامبيا » ، التي يعتبر النحاس ثروتها الوطنية الأولى ، كانت تقدم (١٩٠) طنا من النحاس مقابل سيارة جيب ، أما الآن فإن عليها أن تقدم (٣٥٠) طنا من النحاس لقاء سيارة الجيب نفسها ..

وأن ثمن المدرعة الواحدة ، البالغ أربعمئة ألف دولار ، يمكنه أن يبنى صوامع للذغال تخزن مائة ألف طن من الأرز ، علما بأن ليبرة واحدة من الأرز يمكنها أن تغذي شخصا واحداً في اليوم ..

وأن ثمن طائرة قتالية واحدة (وهو يبلغ عدة ملايين من الدولارات) يمكنه أن يفتح أربعين ألف صيدلية في القرى ..

ونعلق من جهتنا على هذه المعلومات فتساءل : ما هو التحول الحضاري الجذري الحاسم الذي كان يمكن أن يحدث لو أن الدول التي تباع « أفريقيا » السلاح قد باعتها بدلا منه مصانع ومعدات ووسائل إنتاجية حضارية ؟ ..

إن هذا ، للأسف ، لا يحدث ، بل إن دول المعسكرين الشرقي والغربي على السواء تتسابق بشكل محموم لتسويق الأسلحة وأدوات التدمير والهلاك في معظم أقطار القارة الأفريقية ..

إن الأرقام ، هنا ، تبلغ حدا مذهلا ، حين ننظر فيما تنفقه القارة الأفريقية على السلاح وفيما يمكن أن يحدث لو أن ذلك الإنفاق وُجِّه نحو التنمية والتطوير والرفقي ..

والأمر الجدير بالذكر والتركيز أن معظم الاضطرابات والحروب والانقلابات والحركات (الثورية) التي تقع في « أفريقيا » ذات مصادر وعوامل أجنبية ، ونحن نرى رأي العين أن التدخل الأميركي والسوفييتي والفرنسي والكويتي والصيني يتم بصورة علنية مكشوفة ، بحيث يمكننا تصنيف الدول الأفريقية جميعا إلى دول ذات سياسة استقلالية وأخرى دائرة ، بإرادتها أو رغما عنها ، في القارة الأميركية أو السوفييتي أو الفرنسي ..

ففي « أفريقيا » ، عام ١٩٧٩ م ، كان هناك اثنا عشر ألف خبير عسكري ، وأربعون ألف مستشار مدني من السوفييت ، إضافة إلى تسعة آلاف مستشار عسكري وسبعة عشر ألف مستشار مدني من « ألمانيا » الشرقية^(١).

وليس حال المعسكر الغربي بأفضل من حال المعسكر الشرقي ، مما يطرح - هنا - سؤالاً هاماً :

- ما حاجة « أفريقيا » لهذه الأعداد الكبيرة من المستشارين العسكريين وبعض مناطقها لا تكاد تجد طعاماً تسد به جوعها ؟ .. ولو أن المعسكرين الشرقي والغربي كليهما ، كانا صادقين النية فيما يدعيانه من تطلع إلى مد يد العون إلى « أفريقيا » ، أفما كان الأفضل ، والحالة هذه ، أن يوجه الاهتمام العسكري الذي يعتبر أحد الأسباب الرئيسية للتخلف الأفريقي ، إلى التنمية الاقتصادية والحضارية ؟ ..

ومعاهدات عسكرية لا إنمائية !

وقد يكون من المفيد هنا تقديم هذه المعلومات^(٢):

- ترتبط عدة دول أفريقية مع « الولايات المتحدة » بمعاهدات عسكرية واتفاقيات دفاع مشترك ، وتوريد سلاح ، منها : « النيجر » و « السنغال » و « زائير » و « الصومال » و « كينيا » .
- ترتبط دول أفريقية أخرى مع « الاتحاد السوفيتي » بمعاهدات مماثلة (ألغى بعضها بعد إبرامه) ومن تلك الدول : « أنجولا » و « موزمبيق » و « إثيوبيا » و « الكونغو » و « غينيا » و « غينيا بيساو » و « مالي » و « نيجيريا » و « أوغندا » .

(١) المصدر نفسه .

(٢) الكتاب السنوي لموسوعة السلاح المصورة - ١٩٨٢ م - دار المختار - جنيف .

● « للصين » اتفاقيات تعاون عسكرية وتوريد سلاح مع « الكاميرون » و « غينيا الاستوائية » و « غينيا » و « مالي » و « تنزانيا » و « موزمبيق » و « زائير » .

● « لبريطانيا » اتفاقيات عسكرية مع « كينيا » و « زيمبابوي » و « أوغندا » .

● « لفرنسا » اتفاقيات وتعاون عسكري مع « بينين » و « الكاميرون » و « أفريقيا الوسطى » و « تشاد » و « الكونغو » و « الجابون » و « ساحل العاج » و « مدغشقر » و « مالي » و « موريتانيا » و « النيجر » و « السنغال » و « توجو » و « فولتا العليا » و « زائير » و « جيبوتي » .

● « لبلجيكا » اتفاقيات عسكرية مع « زائير » .

● « لأسبانيا » اتفاقيات عسكرية مع « غينيا الاستوائية » .

● « لكوبا » تعاون عسكري مع « الكونغو » و « غينيا » و « الصومال » و « إثيوبيا » و « الجزائر » ، و (٢٠) ألف جندي في « أنجولا » ، و (١٧) ألف جندي في « إثيوبيا » .

وهناك إتفاقيات أخرى ما بين « ألمانيا الشرقية » و « بلغاريا » و « المجر » و « إسرائيل » من جهة وعدة دول أفريقية من جهة أخرى ..

فكيف تكون هناك تنمية وتطور وازدهار ، والأصابع الأجنبية تعبت بشؤون بعض الدول الأفريقية خدمة لمصالح أصحاب تلك الأصابع وضد مصالح القارة بأسرها ؟ ..

وكيف يمكن توجيه الموارد نحو الانطلاق الحضاري ومصاريف السلاح والجيوش والحروب والمستشارين الأجانب تلتهم الجانب الأكبر من تلك الموارد ؟ ...

وكيف يمكن السيطرة على أسعار المواد الخام ، ونفقات السلاح والحروب

تجعل بعض الدول الأفريقية ترهن مناجمها ومصادر ثروتها الوطنية من أجل تغطية كل تلك النفقات التي لا فائدة حقيقية فيها « لأفريقيا » ؟ ..

وكيف يمكن إنشاء نظام اقتصادي عالمي جديد ، كما يقال ، ما دام الموقف كله يقوم على أسس غير طبيعية ، وغير منطقية ، من الفوضى والاضطراب ؟ ..



المساعدات العربية .. دون شروط

لكي نرى الوجه الآخر للصورة ، أي الوجه العربي ، نستعرض بشكل سريع وخاطف أهم معطيات التعاون الأفريقي العربي ، وهو تعاون يثبت سلامة الموقف العربي تجاه حاجات « أفريقيا » الحقيقية ، ويؤكد وجوه الاختلاف الجذرية بين الذين يريدون بالقارة خيرا ، والذين يريدون بها عكس ذلك ..

لقد أنشئ عدد من المصارف والمؤسسات والصناديق الإنمائية العربية ، تنفيذاً لما ورد في منهاج التعاون الأفريقي العربي علاوةً على ما أنشأته بضع دول عربية من مصارف ومؤسسات إنمائية خاصة بها ، تسهم - كذلك - في خدمة الاقتصاد الأفريقي وتساعد على تحقيق بعض أهداف التطور والإنماء :

١- المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا

- رأس مال المصرف (٢٣١) مليون دولار ، ومهمته تقديم القروض الإنمائية بشروط ميسرة ، وقد شاركت في تأسيسه ست عشرة دولة ، وبأشر عمله عام (١٩٧٥ م) ، وتتلخص أهدافه في : تمويل المشاريع باستثناء خزائن وموازن المدفوعات ، والمشاريع المخططة التي لا تشكل جزراً داخل الاقتصاديات الوطنية الأفريقية ، والتعاون مع المنظمات الإنمائية الأفريقية الأخرى .

وقد عني المصرف باستيعاب المشروعات التي انتهت دراساتها ولا يحتاج تنفيذها إلا للتمويل حرصاً على كسب الوقت .

٢ - الصندوق العربي لتقديم القروض للدول الأفريقية

- أنشئ هذا الصندوق تنفيذاً لقرار مجلس وزراء البترول في الدول العربية المصدرة للبترول (أوابك) المتخذ في كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ م، بإنشاء صندوق رأسماله (٢٠٠) مليون دولار، يلحق «بالمصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا» .

وتبلغ مساهمات الدول العربية في الصندوق (١٨٥) مليون دولار سددت بالكامل . وقد قرر مؤتمر القمة العربي السابع سنة ١٩٧٤ م أن يكمل المبلغ المخصص للصندوق وأن يحدد كاملاً عام ١٩٧٥ م، ويعطي الصندوق قروضا (مدة القرض خمس وعشرون سنة تبدأ اعتباراً من التاريخ الذي يتم فيه توقيع اتفاق القرض) بعمولة قدرها ١٪ لتغطية الـ «مصر» وقات الإدارية، ويتم السداد بالعملة التي دفع بها القرض بعد فترة سماح مقدارها عشر سنوات . والدول الأفريقية التي حصلت على قروض بالدولارات من الصندوق العربي هي :

«بتسوانا» (٢,٧٠٠,٠٠٠) ، «بورندي» (١,٠٠٠,٠٠٠) ،
«الكاميرون» (٢,٨٥٠,٠٠٠) ، «ساحل العاج» (٣,٦٠٠,٠٠٠) ،
«داهومي» (١,٢٠٠,٠٠٠) ، «إثيوبيا» (٢٧,١٠٠,٠٠٠) ، «جامبيا»
(٣٥٠,٠٠٠) ، «غانا» (٤,٤٠٠,٠٠٠) ، «غينيا» (٨٠٠,٠٠٠) ،
«غينيا بيساو» (٢٥٠,٠٠٠) ، «غينيا الاستوائية» (٢٥٠,٠٠٠) ، «فولتا
العليا» (٢,٧٠٠,٠٠٠) ، «موريشوس» (١٣,٥٠٠,٠٠٠) ، «كينيا»
(١,٨٠٠,٠٠٠) ، «ليسوتو» (١,٤٠٠,٠٠٠) ، «ليبيريا»
(١,٤٠٠,٠٠٠) ، «مدغشقر» (٢,٤٠٠,٠٠٠) ، «مالاوي»
(٣,٧٥٠,٠٠٠) ، مالي (٣,٩٠٠,٠٠٠) ، «النيجر» (٢,٧٠٠,٠٠٠) ،
«أوغندا» (٥,٦٥٠,٠٠٠) ، «رواندا» (١,٠٠٠,٠٠٠) ، «أفريقيا
الوسطى» (١,٢٠٠,٠٠٠) ، «السنغال» (٣,٧٥٠,٠٠٠) ، «سيراليون»

« تنزانيا » (١,٨٠٠,٠٠٠) ، « سوازيلاند » (٢٠٠,٠٠٠) ، « تشاد » (٧,١٠٠,٠٠٠) ، « توجو » (٤,٤٠٠,٠٠٠) ، « زامبيا » (٦,٣٥٠,٠٠٠) ، « الصومال » (٦,٢٠٠,٠٠٠) ، « جزر ساوتومي وبرنسيب » (٧,٥٠٠,٠٠٠) .

٣- الصندوق العربي للمعونة الفنية للدول الأفريقية والعربية

وافق المجلس الاقتصادي « بجامعة الدول العربية » على إنشاء هذا الصندوق في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٧٣ م ، وخصص له (١٥) مليون دولار كدفعة أولى للاتفاق على إيجاد مجالات جديدة للتعاون الإنمائي والفني بين الدول العربية والأفريقية ، وإعداد الدراسات الفنية الاقتصادية للمشروعات ذات الطابع المشترك وبناء المؤسسات اللازمة لدفع الجهود الإنمائية والتطوير العلمي والتكنولوجي والعمل على توجيه رؤوس الأموال العربية إلى الاستثمار في مشروعات عربية أفريقية .

وقد رفع مؤتمر القمة العربي السابع ، المبلغ المخصص للصندوق إلى (٢٥) مليون دولار ، وباشر الصندوق عمله على الفور ، وهو يتألف حاليا من كل من « مصر » و« الجزائر » و« السعودية » و« دولة الإمارات العربية » و« ليبيا » و« فلسطين » و« العراق » و« تونس » و« السودان » و« عمان » و« قطر » و« اليمن الديمقراطية » .

٤ - تقديم المساعدات للدول الأفريقية المصابة بالقحط

وفقا لتوصية المجلس الاقتصادي « لجامعة الدول العربية » ، قدمت الدول العربية مساعداتها للبلدان الأفريقية المصابة بالقحط ، على النحو التالي :

أ - « الكويت » - (١٠٠) ألف دولار « لموريتانيا » و« مالي » و« تشاد » و« فولتا العليا » و« السنغال » .

Created with

ب - « المغرب » - قدمت كميات من الأرز والشعير والسردين وعصير الليمون والبرتقال إلى « موريتانيا » و« السنغال » و« مالي » و« فولتا العليا » و« النيجر » و« تشاد » .

ج - « ليبيا » - قدمت إلى « فولتا العليا » (٢٠٠,٠٠٠) دينار ليبي ، و(١٠٠,٠٠٠) دينار ليبي إلى « النيجر » و« موريتانيا » و« مالي » و« تشاد » ، كما قدمت عشر شحنات نقل تبلغ قيمتها (٢٠٠,٠٠٠) دينار ليبي إلى « النيجر » و« مالي » و« موريتانيا » و« تشاد » .

د - « السودان » - قدمت ذرة إلى « السنغال » و« موريتانيا » و« تشاد » .

هـ - « العراق » - قدمت معونة تبلغ قيمتها بالاسترليني كالاتي :
التمر (٢٠٠,٠٠٠) ، الدبس (١٥,٠٠٠) ، الأدوية (٧٥٠,٠٠٠) ، الأحذية والجلود (١٥٠,٠٠٠) ، كما قدمت خمسة آلاف طن من القمح إلى مالي .

و - « الإمارات العربية المتحدة » - قدمت بالدولارات : إلى « موريتانيا » أربعة ملايين وإلى « غينيا » (٢) مليون ، وإلى « مالي » (٢٥٠,٠٠٠) ، و« النيجر » (١٠٠,٠٠٠) ، و« الصومال » (٩) ملايين ، كما دفعت إلى « صندوق المساعدات الأفريقية » (٢٠٠) ألف دولار .

٥ - إمداد بعض الدول الأفريقية بالبترو

قرر وزراء البترول العرب ووزراء خارجية الدول الأفريقية المنتجة للبترول إمداد الدول الأفريقية بالبترول بأسعار مخفضة مع مراعاة عدم تسرب هذا البترول إلى دول فرضت عليها المقاطعة ، واستئجار الناقلات اللازمة لشحن البترول العربي إلى « أفريقيا » .

هذا عرض سريع للموقف الاقتصادي العربي تجاه « أفريقيا » ضمن إطار مجموعة الدول العربية الممثلة في الجامعة ، وهو يتيح لنا مجال المقارنة

بين « المجموعة العربية » والمجموعات الدولية الأخرى في مواقعها من القارة الأفريقية .

ولا نقول ، طبعاً ، إن ذلك الموقف قد أدى المقصود منه ، وحقق أغراض « أفريقيا » الكبيرة في التنمية والتطور ومواجهة الصعوبات الاقتصادية التي تواجهها ، ولكننا قدمناه كمؤشر يدل على الاهتمام العربي العام « بأفريقيا » ، ضمن حدود الظروف والإمكانات المتاحة .



الصعوبات التي تعترض المساعدات العربية

ما من شك في أن التعاون الاقتصادي العربي - الأفريقي يستطيع تحقيق خطوات أكبر وأوسع متى أمكن تذليل كثير من الصعوبات التي تعترضه ، والتي يمكن إيجازها فيما يلي :

١- الارتباطات السابقة بالدول الغربية التي كانت تستعمر بعض الدول الأفريقية والتي لا تزال الدول الاستعمارية تعمل جاهدة لتقوية جذورها فيها ، ومقاومة كل محاولة للدول الأفريقية لتخرج عن نطاق تلك الارتباطات . وهذه المقاومة تتخذ أشكالا شتى أتينا على ذكر بعضها في مواقع سابقة.

٢- طبيعة مرحلة التنمية التي تمر بها الدول العربية والدول الأفريقية ، مما يجعل المعاناة الناجمة عن هذه المرحلة تتناول الطرفين كليهما .

٣- وجود اتفاقيات اقتصادية ثنائية أو جماعية بين بعض الدول الأفريقية والدول الغربية ، تعطي الدول الأوروبية تسهيلات وإعفاءات جمركية لا تتمتع بها الدول العربية والأفريقية .

٤- عدم توفر طرق ووسائل الاتصالات المناسبة بين الدول الأفريقية والعربية ؛ فالمسافر من « غانا » إلى « الجزائر » ، مثلا ، قد يضطر للمرور « بلندن » و« باريس » قبل الوصول إلى « الجزائر » ، وهو قول ينطبق على حركة التنقل بين معظم الدول العربية والدول الأفريقية بوجه عام .

محاولة إزالة العوائق

ولقد كانت الصعوبات القائمة في وجه تعميق أواصر التعاون الاقتصادي بين الدول العربية والأفريقية موضع عناية دول منهاج التعاون الأفريقي العربي ؛ فقد أقرت اللجنتان الوزارتان ، الأفريقية والعربية ، التوصية باتخاذ عدد من الإجراءات الهادفة إلى تذليل بعض الصعوبات ، وتقوية الروابط الاقتصادية ضمن الإطار التالي :

- أ - إقامة علاقات تجارية مباشرة بين الدول الأفريقية والدول العربية .
 - ب - سد حاجات أسواق الطرفين على أساس الأولوية قدر المستطاع .
 - ج - إزالة جميع الحواجز التي تعوق التجارة الأفريقية العربية المباشرة .
 - د - تشجيع وتعزيز التعاون بين المؤسسات التجارية والصناعية والاشترك في الأسواق التجارية .
 - و - التعاون بين المؤسسات المصرفية و « مؤسسات التأمين » و « إعادة التأمين الأفريقية والعربية » .
 - ز - دعوة الأمين العام الإداري « لمنظمة الوحدة الأفريقية » والأمين العام « لجامعة الدول العربية » بالاشترك مع « البنك الأفريقي للتنمية » و « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » و « اللجنة الاقتصادية لأفريقيا » للعمل على تشجيع التجارة الأفريقية العربية .
- وليس يخفى أن معظم الدول العربية والأفريقية ، معا ، تعاني من مشكلة عدم توفر الأموال اللازمة لتنفيذ مشروعاتها الإنمائية ، وبخاصة ما كان يهدف منها إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي في معظم السلع .

وإذا كانت هذه الدول تتمتع بثروات طبيعية بعضها يعتبر أساس

الاقتصاد الوطني فيها ، فإن إيجاد الصعوبات والعقبات للحيلولة دون

استثمار تلك الثروات كان أحد الأساليب التي اتبعتها الدول الصناعية ، وخاصة الغربية ، لإعاققة المسيرة الإنمائية للعالم الثالث ؛ فهي إما أن تجعل من عمليات الاستثمار التي تقوم بها وسيلة للسيطرة السياسية ، أو تدفع أبجس الأسعار في المواد الأولية المستخرجة ، أو تتلاعب بأسعار المواد الخام في الأسواق الدولية (لتذكر : أن سيارة جيب واحدة تعادل اليوم ٣٥٠ طنا من النحاس) .

ولقد وجدت بعض الدول الأفريقية نفسها غارقة في الديون ذات الفوائد المرتفعة ، والتي قدمتها لها الدول الأخرى (شرقية وغربية) حتى عاجزت عن تسديد فوائد تلك الديون ، ناهيك بأن تسدد الديون نفسها ، مما ينعكس - مباشرة - على أسعار منتجاتها الوطنية من المعادن والمواد الزراعية ، بسبب اختلال ميزان العرض والطلب ، وسيطرة الدائنين على الموارد الوطنية الأساسية للمدنيين .

الدعايات الغربية الكاذبة

ومع أن معظم الدول الأفريقية ، غير البترولية ، تتمتع بثروات طبيعية جيدة تمكّنها من تطوير اقتصادياتها لو أحسن استغلالها ، فإنها في ظل أوضاع التحكم الأجنبي في استثمار تلك الثروات وتسويقها ، تدرج في عداد الدول الفقيرة ، بل إنها - حسب إحصائيات « الأمم المتحدة » و « البنك الدولي » - تعتبر أقل دول العالم نموا .

وإضافة إلى المعوقات التكنولوجية والفنية ، فإن مشاريع التنمية الأفريقية تعاني من النقص الحاد في الموارد المالية التي تساعد على تنفيذ تلك المشاريع .

ولقد عملت الدعايات المعادية للعرب ، من صهيونية وغربية ، على إثارة الضجيج ضد الدول العربية المنتجة للبتروول واتهامها بأنها سبب الركود الاقتصادي ، والتعثر الإنمائي وخاصة في « أفريقيا » . وهذه الدعايات قد سقطت الآن بعد الأزمة التي مرت بها الدول المنتجة للبتروول - تلك الأزمة



التي حدثت نتيجة لتلاعب الآخرين بأسعار البترول والمضاربة عليها بصورة أقل ما يقال فيها إنها : لا أخلاقية .

الوقائع تدحض الأكاذيب

والحق الذي يقال ، هنا ، أن الدول العربية البترولية قد عملت جاهدة للتخفيف من مضاعفات ارتفاع أسعار البترول ، في حينه ، وأنها بذلت جهودا وتضحيات كبيرة كيلا تصيب تلك المضاعفات الدول الأفريقية بوجه خاص .

وأكتفي ، هنا ، بإيراد نموذج واحد يعبر عن موقف دولة عربية إسلامية حملت ، وتحملت ، الكثير من أجل الأشقاء والأصدقاء في العالم الثالث ، وهي « المملكة العربية السعودية » التي تعتبر مبادراتها تجاه الدول النامية ، في « أفريقيا » وغيرها ، نموذجا لا مثيل له في مواجهة المشكلات الاقتصادية العالمية .

إن نسبة المعونات التي تقدمها « المملكة العربية السعودية » هي أعلى نسبة في العالم بالنسبة لإجمالي دخلها الوطني ، فهي تتراوح ما بين (٥ - ٦٪) ، ويليهما « الكويت » (٣ - ٤٪) ثم « الامارات العربية المتحدة » (٢ - ٣٪) .

أما الدول الغنية ، فهذه هي أرقام مساهمات بعضها بالنسبة لإجمالي دخلها الوطني^(١) :

- « الولايات المتحدة » (٠,٢٪) .
- « ألمانيا » الغربية (٠,٥٪) .
- « فرنسا » (٠,٧٪) .

(١) « فيليب روندو » - مقال « إسرائيل تعود إلى « أفريقيا » من الثقب العربي » - مجلة « كل

أي أن مساهمات أي من هذه الدول هي أقل كثيرا ، من نسبة واحد في المائة من إجمالي دخلها الوطني .

والمعروف أن من أسس السياسة التي تعمل من أجلها وتدعو إليها « المملكة العربية السعودية » ، إقامة نظام اقتصادي عالمي جديد ، يتحاشى سلبيات الواقع القائم ، ويحقق المساواة العادلة بين دول العالم غنيا وفقيرها ، في تحقيق خطواتها الإنمائية والتطورية ، يقينا من « خادم الحرمين الشريفين » أن الفوضى الاقتصادية القائمة الآن في العالم لا يجوز أن تستمر ، وأن مضاعفاتها السلبية تنعكس على مجمل الاقتصاد العالمي بصورة حوّلت الميدان الاقتصادي العالمي هذا إلى غابة تستأثر (وحوشها) بالمغامر دونما نظر إلى حقوق الآخرين ..

صندوق التنمية السعودي وتقدماته

وتطبيقا للسياسة السعودية تجاه دول العالم الثالث ، تأسس في أواخر العام ١٣٩٤ هـ (١٩٧٤ م) « الصندوق السعودي للتنمية » بهدف تمويل المشاريع الإنمائية في البلدان النامية بقروض ميسرة .

وتقوم أعمال هذا الصندوق على تقويم أهمية المشاريع التي سيمولها والدور الذي يضطلع به في تحقيق التكامل مع المشاريع الأخرى وأولويته بالنسبة لتلك المشاريع ، ومدى كفاية الدراسات التحليلية للمشروع من الناحيتين الفنية والاقتصادية ، وتوفير خطة التمويل ، وقدرة الدولة التي تطلب القرض على التنفيذ وعلى الإيفاء بالتزامات القرض^(١).

وعند توزيع المخصصات الإقليمية على البلدان الأقل نمواً ، وهي الدول الإحدى والثلاثون التي تعتبرها « هيئة الأمم المتحدة » « الأشد فقرا » في « أفريقيا » ، فإن « الصندوق السعودي للتنمية » قام بتمويل (١٤٤) مشروعا

(١) البند السادس من نظام « الصندوق السعودي للتنمية » .

إجمالي قيمتها (٨,٧٧) بليون ريال في بعض الدول الأفريقية ، خلال الفترة ما بين ١٣٩٤/١٣٩٥ هـ الى ١٤٠١/١٤٠٢ هـ^(١)، وهي تتوزع كما يلي :

المنطقة	المبلغ (مليون ريال سعودي)	عدد المشاريع	عدد الدول	% من المجموع
« أفريقيا »	٨٧٦٧,٥٠	١٤٤	٣٦	٤٨,٢
آسيا	٨٩٢٢,٦٨	٨٩	١٩	٤٩,١
مناطق أخرى	٤٨٩,٩٠	٧	٤	٢,٧
المجموع	١٨١٨٠,٠٨	٢٤٠	٥٩	١٠٠

وتأسيسا على مبدأ إعطاء الأولوية للبلدان الأكثر احتياجا ، فقد وجهت نسبة ٧٠٪ من إجمالي مخصصات « الصندوق السعودي » « لأفريقيا » لسد بعض الاحتياجات الأساسية للمناطق الواقعة جنوبي الصحراء ، وبخاصة بلدان الساحل التي لم تحقق نسبة الدخل فيها بالنسبة إلى رأس المال أي نمو خلال عقد كامل من الزمن.

ومن أصل (٨,٧٧) بليون ريال سعودي خصصت لأفريقيا حصلت بلدان جنوب الصحراء على نسبة ٣٣,٥٪ أي ما يعادل (٦,١١) بليون ريال لتمويل (١١٣) مشروعا ، كما يتبين من الجدول التالي عن المدة ما بين ١٤٠٢/١٣٩٥ هـ (١٩٧٥ - ١٩٨٢ م) :

(١) التقرير السنوي للصندوق السعودي للتنمية ، (١٤٠٢ هـ) .

إجمالي مخصصات دول أفريقيا		مخصصات جنوب الصحراء		% من الإجمالي	
مليون ريال المشاريع سعودي		مليون ريال المشاريع سعودي		% من المشاريع	
١٤٤	٨٧٦٧,٥٠	١١٣	٦١٠٧,٩٣	٧٨,٥	٦٩,٧

وقد أُخِذت في الاعتبار ظروف دول جنوب الصحراء ، وحاجتها إلى البنى الأساسية فكان توزيع المخصصات (خلال المدة نفسها) كما يلي :

أما تفاصيل الدول التي يشملها الجدول السابق فهي :

الدولة	عدد المشاريع	مليون ريال
غامبيا	٢	٥٠,١٨
غينيا	٥	٣٠٧,٠٠
غينيا بيساو	٥	٣٥,٣٠
مالي	١٠	٤٩٨,٣٢
موريتانيا	٤	٥٩٥,٣٥
النيجر	٦	١٦٨,٣٠
السنغال	١١	٦٥٣,٣١
فولتا العليا	٣	١٦١,٦٠
المجموع	٤٦	٢٤٦٩,٣٦

ولقد أتاح التمويل المشترك « للصندوق السعودي للتنمية » فرصة للاستفادة من عدد من الخدمات الناتجة عن العلاقات المالية مع المؤسسات الرسمية الأخرى ، مثل سهولة الحصول على المعلومات ، وتبادل المشورة وتوزيع المخاطرة على أكثر من طرف من خلال التمويل الأفضل ، والمتابعة ، والتنسيق في صرف القروض والخدمات الإدارية الأخرى . ولا شك في أن التعاون على هذه الأصعدة من إدارة المشاريع تلائم الصندوق بشكل خاص لأنه يمر الآن في مرحلة بناء قدراته الفنية . وقد أتاح التمويل المشترك للصندوق تمويل مشاريع البنية الأساسية الكبيرة التي تفوق تكاليفها قدرة الدول المقترضة ، ولذا فإن الصندوق قام بتمويل (١٣٨) مشروعا من أصل (٢٤٠) مشروعا بالمشاركة الثنائية أو متعددة الأطراف مع هيئات مالية أخرى ، وذلك خلال الفترة ١٣٩٤ / ١٣٩٥ - ١٤٠١ / ١٤٠٢ هـ (١٩٧٤ / ١٩٨٢ م) ؛

Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

أي أن الصندوق قدم ١١,٩٩ بليون ريال سعودي (حوالي ٦٦٪ من أصل ١٨,١٨ بليون ريال) عن طريق التمويل المشترك في كل من « أفريقيا » و « آسيا » و « أمريكا اللاتينية » والمناطق الأخرى .

إن أكثر من نصف المشاريع التي مُولت تمويلًا مشتركًا كانت في « أفريقيا » (٨٩ مشروعًا) ؛ وقد ساهم « الصندوق السعودي للتنمية » فيها بمبلغ (٦,٦٢) بليون ريال ، في حين أن المشاريع المماثلة في « آسيا » بلغت (٤٧) مشروعًا ساهم الصندوق فيها بما قيمته (٥,١٠) بليون ريال ، أي (٤٣٪) من إجمالي التزامات الصندوق في عمليات التمويل المشترك .

ونظرًا لأن الدول « الأقل نموًا » - جنوب الصحراء - تعتبر في حاجة إلى البنى التحتية - الاجتماعية ، فقد وجه الصندوق عناية خاصة لهذه الناحية ، نظرًا لأنها الأساس الذي تقوم عليه الخطوات التطورية التالية .

وقد حظي قطاع النقل ووسائل الاتصال بنصيب كبير من تلك العناية ، فوافق الصندوق على تمويل تسعة مشاريع ، من أصل خمسة عشر مشروعًا .

وعلى سبيل المثال ، خصص « لجزر القمر » (٢١) مليون ريال لبناء الطرق في جزيرتي « القمر الكبرى » و « موهيلي » ، و « لمالي » (١٦,٧٥) مليون ريال لبناء طريق « سيفار - جاو » ، و (٨٣) مليون ريال « لموريتانيا » لبناء طريق « كيفا - النعمة » ، و « لزامبيا » ثلاثة قروض هي : (٧٠) مليون ريال لبناء طريق « مينسا - كساما » ، و (٦٥) مليون ريال لبناء طريق « سلويزي - اكلنجي » ، و (٢٠) مليون ريال لإنشاء جسر « تشامبي » ، و « لزيمبابوي » ثلاثة قروض هي (٢٦,٧) مليون ريال لبناء طريق « هارتلي - موبيرا سكاوي لاين » ، و (٢٥) مليون ريال لإنشاء طريق « جليند ايل - شويس شتري » ، و (٢٤) مليون ريال لبناء شبكة وسائل اتصال في الريف .



القطاع	عدد المشاريع	الالتزامات (مليون ريال)	% من إجمالي الالتزامات
البنى التحتية - الاجتماعية	١٥	٦١٧,٢٦	٩٣,٣
اجتماعي	٣	٩١,٨	١٣,٩
نقل ووسائل اتصال	٩	٣٥٢,٢	٥٣,٢
الطاقة	٣	١٧٣,٢٦	٢٦,٢
الزراعة	٢	٤١,٤	٦,٢
الصناعة	—	—	—
قطاعات أخرى	١	٣,٦	٠,٥
المجموع	١٨	٦٦٢,٢٦	١٠٠,٠

جدول التوزيع القطاعي في (أفريقيا)

(١٤٠١ - ١٤٠٢ هـ) (١٩٨٠ - ١٩٨١ م)

نسب التوزيع القطاعي

(١٤٠٠ - ١٤٠١ هـ)

(١٩٨٠ - ١٩٨١ م)

القطاع	عدد المشاريع	الالتزامات (مليون ريال)	% من إجمالي الالتزامات
البنى التحتية - الاجتماعية	٢٥	١٠٢٧,٧٧	٥٢,٨
اجتماعي	١٠	٣٢٦,٩٦	١٦,٨
نقل ووسائل اتصال	١٤	٦٦٦,٤١	٣٤,٢
الطاقة	١	١٤,٤٠	١,٨
الزراعة	٨	٨٣٩,٠٠	٤٣,١
الصناعة	٢	٨٠,٠٠	٤,١
المجموع	٣٥	١٩٤٦,٧٧	١٠٠,٠

جدول التوزيع القطاعي في « أفريقيا »
(١٤٠١-١٤٠٢هـ) (١٩٨٠-١٩٨١م)

أما في قطاع الطاقة فقد خصصت نسبة (٢٦٪) من إجمالي مخصصات « أفريقيا » للعام ١٤٠٠/١٤٠١ هـ (١٩٨٠/١٩٨١ م) ؛ فحصلت « غانا » على قرض لتنمية الطاقة مقداره (١٧,٧٦) مليون ريال (مشروع « كبونج » للطاقة الكهربائية) ، وحصلت « الصومال » على قرض لإنشاء سد « برديرة » قيمته (١١٥,٥) مليون ريال ، أما « بوركينافاسو » فقد حصلت على (٤٠) مليون ريال لبناء سد « كومينجا » .

وفي قطاع الإسكان والتنمية الريفية قدم الصندوق « لزيبابوي » ثلاثة قروض هي (٥١,٥) مليون ريال لمشروع « باركر يدج فونتين بلو » الإسكاني ، و(٢٣,٤) مليون ريال لبناء مستشفيات وثمانية معاهد صحية في المناطق الريفية و(١٧,٩) مليون ريال لمشروع تطوير موارد المياه في الريف .

القروض العربية .. للتنمية فقط !

زيد رأس مال « الصندوق السعودي للتنمية » لعام ١٤٠١/١٤٠٢ هـ ، مما أتاح له المجال للتوسع في تقديم قروض التمويل في مختلف أنحاء العالم ، وزيادة بعض القروض المقدمة سابقا ، مما مكنه من تخصيص (٣,٥٨) بليون ريال لتمويل (٥٥) مشروعا في (٢٠) دولة ، بمعدل وسطي لكل مشروع مقداره (٦٥) مليون ريال .

وقد خصص « أفريقيا » من تلك المشاريع (١٥) اتفاقية قرض منها نسبة (٦١٪) لبلدان جنوب الصحراء والساحل - أي ما يعادل (١,٠٦) بليون ريال ، قدمت لكل من : « غينيا » ، « مالي » ، « موريتانيا » ، « الجزائر » ، « السنغال » ، « فولتا العليا » .

أما الدول الأفريقية الأخرى التي قدم لها الصندوق قروضا خلال العام المذكور ، فهي : « جزر القمر » (٤٤,٤٦ مليون ريال لتمويل مشروعين) ، و « جيبوتي » (٩٣,٥ مليون ريال لتمويل مشروعين) ، و « المغرب » (١١٣ مليون ريال لتمويل مشروع واحد) ، و « تونس » (٤٤٩,٥ مليون ريال لتمويل ثمانية مشاريع) .

كذلك حصلت « جزر القمر » على قرض مقداره (٣٤,٢٠) مليون ريال لتطوير ميناء « موتسمودو » ، و « جيبوتي » على (٨٥) مليون ريال لبناء طريق « جيبوتي - تاجورة » ، و « غينيا » على (٧٠) مليون ريال لبناء طريق « جيكيديو - نزر كوري » ، و « كينيا » على (١٠٠) مليون ريال لبناء سكة الحديد في « وادي كيريو » ، و « مالي » على (٦٧,٣٧) مليون ريال و (٦,١٧) مليون ريال لبناء الجسر الثاني في « باماكو » ، وشق طريق فرعي يصل إلى سد « سيلتجه » ، و « السنغال » على أربعة قروض لتمويل أربعة

Created with

مشاريع (٦,٦٧ مليون ريال لإنشاء طريق « أورشوجي باكيل » ، و٤٢ مليون ريال لإنشاء طريق « ديالا - كوتو - كيدوجو » و١٠ ملايين ريال لشق طريق وقناة « فرونت دوتير » و٢٥ مليون ريال لطريق « كيدوجو - سرايا » ؛ و« تونس » على ثلاثة قروض (٨٨ مليون ريال لمشروع سكة حديد « برج سدريه - سوسة » ، و٢١ مليون ريال لمشروع « مطار طبرقة الدولي » ، و٦٠ مليون ريال لمشروع توسعة موانئ الصيد في « قابس » و« طبلبة » و« قلبية » ، و« فولتا العليا » على (٥١) مليون ريال لمشروع طريق (و« جادوجو - كابا - دوري) .

ونال قطاع التنمية الاجتماعية نسبة (١٧٪) من إجمالي القروض المقدمة « لأفريقيا » حيث حصلت « جزر القمر » على (١٠,٢٦) مليون ريال لمشروع إعداد المعلمين وبناء مدارس إعدادية وثانوية ، و« غينيا » على (٢٤) مليون ريال لأحد المشاريع التعليمية و(١٥) مليون ريال لبناء وتجهيز مراكز صحية ريفية ، و« النيجر » على (٢١) مليون ريال لمشروع كلية التربية ، و« جيبوتي » على (٨,٥) مليون ريال لمشروع إنشاء سوق مركزية في العاصمة ، و« السنغال » على ثلاثة قروض (٥٧ مليون ريال لمشروع خطة الطوارئ للمياه ، و١١ مليون ريال للتنمية الريفية في المنطقة الشرقية ، و٥,٧ ملايين ريال لمشروع « ساكريه كور » الإسكاني) ، و« تونس » على (١٣) مليون ريال لدراسة جدوى استغلال المياه الجوفية في أقصى الجنوب ، و(١٦١,٥) مليون ريال لمشروع تزويد « صفاقس » بالمياه الصالحة للشرب .

وقدم الصندوق في نفس العام قرضا إلى « بوتسوانا » قيمته (٣٤,٤) مليون ريال لتمويل مشروع « موربول » لتوليد الطاقة الكهربائية .

أما في قطاع الزراعة فقد مول الصندوق ثمانية مشاريع شكلت نسبة (٣٤٪) من مخصصات « أفريقيا » في ذلك العام ، منها مشروع تنمية حوض « السنغال » الذي حصلت بموجبه ثلاث دول أفريقية على القروض التالية : « موريتانيا » (٨٥,٦) مليون ريال ، « مالي » (١٨٩,٦) مليون ريال ،



« السنغال » (٣٣٧,٥) مليون ريال ، ويهدف هذا المشروع الكبير إلى تطوير مرافق الطاقة والملاحة والري في حوض « السنغال » .

وقدم الصندوق « لغينيا » (١٨) مليون ريال لتمويل مشروع « سابل » الزراعي ، و« للسنغال » (٤٥) مليون ريال لتطوير الزراعات المروية على نهر « السنغال » ، و« للمغرب » (١١٣) مليون ريال لتطوير المرحلة الثانية من مشروع « الحوز الأوسط » ، و« لتونس » (١٠٠) مليون ريال لمشروع « وادي سنجان » و(٥٠) مليون ريال لمشروع « واحات نزاوة » .

ونظرا لأن من أهم أساليب عمل « الصندوق السعودي للتنمية » عدم تمويل مشاريع ذات طابع تجاري ، فإن قروضه الصناعية اقتصرت على الصناعات الأساسية ، وقد قدم تمويلا مقداره (٦) ملايين ريال « لتونس » تمثل تكاليف دراسة الجدوى الاقتصادية لإنشاء مجمع صناعي في الشمال الغربي ، و(٧٤) مليون ريال « لغينيا » لإنشاء مصنع أسمنت في « سوجيتا » .

وما من شك في أن هذه المعلومات والإحصائيات تعطي فكرة واضحة وذات دلالة على الأسلوب الذي تحتاجه « أفريقيا » لمساعدتها على التطور والنمو ، بدلا من شحنات الأسلحة وآلات الدمار التي تشيع الفوضى والخراب في القارة ، ولا تخدم سوى أعدائها ، ذلك أن « أفريقيا » الخارجة حديثا من عصور الظلام والقهر والسيطرة ، عصور الاستعمار الأوربي ، هي في أشد الحاجة إلى الأخذ بيدها للحاق بركب الحضارة العصرية الراهنة ، بدل تدبير المؤامرات ، وزرع أسباب الشقاق والتزاع ، وتصنيف القارة علما رابعا ، والعمل على تضييق الفجوة بين الشعوب المتقدمة والشعوب النامية بدل توسعة هذه الفجوة وإعاقة تقدم شعوب العالم الثالث .

القروض .. والمشاريع

ولعل استعراضاً سريعاً لشيء من تفاصيل بعض المشاريع التي مولها « الصندوق السعودي للتنمية » في « أفريقيا » أو ساهم في تمويلها ، ما يزيد في وضوح الصورة في أذهاننا من حيث الأسلوب الأمثل لتطوير حركة التنمية الشاملة في « أفريقيا » وتعويض القارة عما فاتها من خطوات على طريق التطور :

بوتسوانا :

مشروع مطار جايرون الدولي :

قيمة القرض : ٣٦,٥ مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية^(١) : ١٣/١١/١٤٠٠ هـ (٢٢/٩/١٩٨٠ م) .

هدف المشروع :

- تزويد دولة « بوتسوانا » بوسائل اتصال جوي مناسبة ، وتنشيط حركة التبادل التجاري مع العالم استيراداً وتصديراً ، وهو مرحلة أولى من مشروع انشاء مطار دولي جديد قادر على استقبال الطائرات النفاثة العملاقة .
- شارك في تمويل هذا المشروع (الذي تقدر كلفته الإجمالية بـ ١٦٨ مليون ريال) « الصندوق السعودي للتنمية » ، و « الصندوق الكويتي للتنمية الاقتصادية العربية » ، و « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » ، و « بنك الإعمار الألماني » ، و « بنك التنمية الأفريقي » .

بوروندي :

مشروع إعادة تشجير منطقتي « موجامبا » - « بوتوتسي » :

قيمة القرض : ٨,٧ مليون ريال سعودي .

(١) القروض الموقع عليها يتم سدادها خلال عشرين عاماً مع فترة سماح مدتها خمس سنوات ، إلا إذا ذكر في الاتفاقية خلاف ذلك .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٣/١٠/١٤٠٠ هـ (١٩٨٠/٨/٢٤ م) .

هدف المشروع :

- حماية التربة من الانجراف الناتج عن الأمطار الغزيرة ، وتعزيز الثروة الخشبية بإعادة تشجير منطقة مساحتها عشرة آلاف هكتار بمنطقة تجارب .
- الكلفة الإجمالية للمشروع (١٧,٧) مليون ريال ، وقد شاركت الحكومة البلجيكية في تمويل جانب من المشروع .

مشروع طريق « جيتيجا » - « جيهوفي » :

قيمة القرض : ٢٤,٤ مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٨/١١/١٤٠١ هـ (١٩٨١/٩/١٦ م) .

هدف المشروع :

- انشاء طريق طوله تسعون كيلو مترا من « جيتيجا » (المدينة الثانية في « بوروندي » إلى « جيهوفي » (الواقعة في الجنوب الشرقي) .
- الكلفة الإجمالية للمشروع (١٠٤) ملايين ريال ، وقد شارك في التمويل « بنك الإعمار الألماني » و « الصندوق الأوروبي للتنمية » .

الكامبيون :

مشروع زراعة الحبوب :

قيمة القرض : ٢٩,٣ مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١١/٥/١٤٠٢ هـ (١٩٨٢/٣/٦ م) .

هدف المشروع :

- اعداد مساحة مقدارها (١٠٨٠٠) هكتار في منطقة « أدامو » في الشمال لزراعة الحبوب لتغطية الطلب المحلي على المواد الغذائية .
- الكلفة الإجمالية للمشروع (١٧٧) مليون ريال تقريباً .



Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

جزر الرأس الأخضر :

مشروع تطوير صيد الأسماك :

قيمة القرض : (٨,٦٦) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٦/٢/١٤٠١ هـ (١٩٨٠/١٢/٢٣ م) .

هدف المشروع :

- تطوير وزيادة الانتاج السنوي من الأسماك لتغطية الاستهلاك المحلي وتصدير الفائض لتحسين ميزان التبادل التجاري ، نظراً لأن صيد الأسماك يعتبر من أهم القطاعات الاقتصادية في البلاد بسبب صعوبة التضاريس التي تحول دون توسعة الرقعة الزراعية .

- الكلفة الإجمالية للمشروع (٢١) مليون ريال ، ويشترك في تمويله « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية » و « صندوق أبو ظبي » .

جزر القمر :

مشروع طريق جزيرتي « القمر الكبرى » و « موهيلي » :

قيمة القرض : (٣٤) مليون ريال سعودي (كانت سابقاً ١٣ مليون ريال) .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٠/٧/١٤٠١ هـ (١٩٨١/٥/١٤ م) ، وكانت

الاتفاقية الأولى قد وقعت في ٢٨/٤/١٣٩٩ هـ (١٣٧٩/٣/٢٦ م) .

هدف المشروع :

- بناء ثلاثة طرق إجمالي طولها سبعون كيلو متراً ، اثنان منها في « جزيرة القمر الكبرى » والثالث « موهيلي » .

- الكلفة الإجمالية للمشروع (٩٦) مليون ريال تقريباً .

الكونغو :

مشروع استكمال خط السكك الحديدية :

قيمة القرض : (٧٦,٥٩) مليون ريال سعودي .

Created with

تاريخ توقيع الاتفاقية : ٢٦/١٠/١٤٠١ هـ (١٩٨١/٨/٢٦ م).
هدف المشروع :

- تطوير خطوط السكك الحديدية بين « بيلينخا » و « لوبومو » بطول ثمانية كيلومترات ، واستكمال مشروع خطوط السكك الحديدية الذي كان قد قدم له « الصندوق السعودي للتنمية » قرضا مقداره (٨٨,٣) مليون ريال وفقا لاتفاقية وقعت في ٢٩/٢/١٣٩٩ هـ (١٩٧٩/١/٢٧ م).
- الكلفة الإجمالية للمشروع (٤٠٧) ملايين ريال ، ويشارك في تمويله مع « الصندوق السعودي للتنمية » كل من « وكالة التنمية الدولية » و « بنك التنمية الأفريقي » و « صندوق التنمية الأوروبي » و « الصندوق الكويتي » و « صندوق أوبك » و « المصرف المركزي للتعاون الاقتصادي » ، و « الصندوق الفرنسي للعون » و « الوكالة الكندية الدولية للتنمية » و « حكومتا قطر » و « إيطاليا » .

جيبوتي :

مشروع طريقي « جيبوتي - تاجورة » :

قيمة القرض : (٨٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ٢٥/٥/١٤٠٢ هـ (١٩٨٢/٣/٢٠ م) .

هدف المشروع :

- ربط العاصمة « جيبوتي » بالجزء الشمالي من البلاد عبر طريق طوله (١١٤) كم بين « جيبوتي » و « تاجورة » ، مع طريقتين فرعيتين آخرين أحدهما باتجاه بحيرة « غسل » (١٧,٦ كم) والآخر باتجاه « جوبيت » (١,٢٥ كم) .

غينيا :

مشروع طريق « جوكيدو - نزركو » :

قيمة القرض : (١٠٠) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٠/ ٨/ ١٨ هـ - (١/ ٧/ ١٩٨٠ م) .
هدف المشروع :

- زيادة الصادرات الزراعية من خلال ربط « غينيا » « بليبيريا » ، واستغلال المناجم في الجزء الجنوبي من البلاد ويتألف المشروع من شقين ، الأول ربط « جوكيدو » « بسيريدو » (١٢٦ كم) والثاني ربط « سيريدو » « بنزركو » (١٥٨ كم) .

- الكلفة الإجمالية للمشروع (٥١٥) مليون ريال ، وقد شارك في تمويله مع « الصندوق السعودي للتنمية » ، « بنك التنمية الإسلامي » و « الصندوق الكويتي » و « صندوق أبو ظبي » و « بنك التنمية الأفريقي » .

كينيا :

مشروع طريق « كينيا - السودان » :

قيمة القرض : (٦٦,١) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٠/ ١٠/ ١٥ هـ - (٨/ ٢٦/ ١٩٨٠ م) .

هدف المشروع :

- انشاء طريق معبد طوله (٢٥٣) كم بين « ليدوار » ، شمالي « كينيا » ، وحدود « السودان » ، وهو جزء من الطريق الدولي ما بين شرق « أفريقيا » وغربها ، ويؤمل له أن يساعد على تنشيط تنمية الثروة الزراعية والحيوانية والسلمية في « كينيا » .

- الكلفة الإجمالية (١٤٨) مليون ريال ، وتشارك في تمويله مع « الصندوق السعودي للتنمية » « المجموعة الاقتصادية الأوربية » و « النرويج » .

مشروع طريق « تيكا - جاريسا - لبوي » :

قيمة القرض : (٨٢,٩) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠١/ ٧/ ٧ هـ - (١١/ ٥/ ١٩٨١ م) .

هدف المشروع :

- ربط « كينيا » « بالصومال » بطريق معبدة ملائمة لكل فصول السنة ، طوله (٥٠٨) كم ، ويمتد من « تيكا » في « كينيا » إلى « لبوي » على حدود « الصومال » .
- الكلفة الإجمالية للمشروع (٤٣٤) مليون ريال ، وتشارك في تمويله مع « الصندوق السعودي للتنمية » « المجموعة الاقتصادية الأوربية » .

مشروع مجاري مدينة « ممباسا » :

قيمة القرض : (٤٥,٩٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٦/٦/١٤٠٢ هـ (١٠/٤/١٩٨٢ م) .

هدف المشروع :

- بناء شبكة مجاري في مدينة « ممباسا » للحفاظ على الصحة العامة والنظافة ، وهو المرحلة الأولى من مشروع يتألف من ثلاث مراحل .
- الكلفة الإجمالية (١٥٠) مليون ريال ، ويشارك في تمويله « البنك الدولي » و« وكالة التنمية الدولية » .

ليسوتو :

مشروع مطار « مازيرو » الدولي :

قيمة القرض : (١٥,١٢) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ٢٤/٩/١٤٠٠ هـ (٥/٨/١٩٨٠ م) .

هدف المشروع :

- انشاء منفذ يصل « ليسوتو » مباشرة بالدول الأخرى والأسواق الأجنبية دون الاضطرار لنقل المسافرين والبضائع عبر « جنوب أفريقيا » التي تحيط « بليسوتو » من كل جانب ، ويتناول القرض المباشرة بالمرحلة الأولى من مطار دولي قادر على استقبال الطائرات النفاثة العملاقة .

- الكلفة الإجمالية حوالي (١٦٠) مليون ريال ، ويشترك في تمويل المشروع « صندوق أبو ظبي » و « البنك الأفريقي للتنمية » ، و « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » ، و « صندوق أوبك » و « الصندوق الأوروبي للتنمية » .

مالي :

مشروع طريق « سفار - جاو » :

قيمة القرض : (٣٣,٦) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٠/١١/٧ هـ (١٩٨٠/٩/١٦ م) و ١٤٠٢/٤/٥ هـ (١٩٨٢/١/٢٠ م) .

هدف المشروع :

- انشاء طريق معبد طوله (٥٥٦) كيلو متر يصل ما بين « سفار » و « جاو » ، وهو جزء من الطريق الدولي العابر للصحراء والذي يربط ما بين « مالي » و « الجزائر » و « نيجيريا » ومن شأنه تقوية الروابط الإقليمية وتزويد « مالي » بمنفذ إلى البحر .

وقع « الصندوق السعودي » اتفاقيتين لتقديم قرضين للمشاركة في تنفيذ هذا المشروع أحدهما بقيمة (٣٣,٦) مليون ريال والثاني بقيمة (١٦,٧٥) مليون ريال .

- الكلفة الإجمالية للمشروع حوالي (٤٩٩) مليون ريال ، ويشترك في التمويل « البنك الإسلامي للتنمية » و « صندوق أوبك » و « المصرف العربي للتنمية الاقتصادية في أفريقيا » ، و « الصندوق الكويتي » و « البنك الأفريقي للتنمية » و « جمهورية ألمانيا الاتحادية » .

موريتانيا :

مشروع وادي « غرغول » الزراعي :



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

قيمة القرض : (٣٣,٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠١/٤/٢٥ هـ (١٩٨١/٣/١ م) .

هدف المشروع :

- توسعة رقعة الأراضي المروية في « موريتانيا » لرفع قدرتها على تأمين حاجاتها من الإنتاج الزراعي بدلا من استيراده ، وتحسين المستوى المعيشي للسكان في الجزء الجنوبي - الشرقي من البلاد .

- الكلفة الإجمالية : حوالي (٣٤٤) مليون ريال ، ويشترك في التمويل « صندوق أبو ظبي » ، و « البنك الإسلامي للتنمية » ، و « الصندوق الأوربي للتنمية » ، و « لجنة التنمية الدولية » ، و « الصندوق الدولي للتنمية الزراعية » ، و « بنك الإعمار » ، و « ليبيا » ، و « الصندوق الفرنسي للعاون والتعاون » .

مشروع طريق « كيفا - النعمة » :

قيمة القرض : (٨٣,٧٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٤/٢ هـ (١٩٨٢/١/٢٧ م) .

هدف المشروع :

- سفلة طريق طوله (٤٨٦) كيلو مترا لربط العاصمة « نواكشوط » بعدد من المدن والقرى الرئيسية وهو مؤلف من ثلاثة أجزاء هي : طريق « كيفا - عيون العتروس » (٢١٠ كيلو مترات) طريق « عيون العتروس - تمبديرا » (١٧٥ كيلو متراً) طريق « تمبديرا - النعمة » (١٠١ كيلومتر) .

- الكلفة الإجمالية : حوالي (٤٦٦) مليون ريال ، ويشترك في التمويل « الصندوق الكويتي » ، و « صندوق أبو ظبي » ، و « الصندوق العربية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية » ، و « البنك البرازيلي » ، و « البنك الإسلامي » .

وكان « الصندوق السعودي للتنمية » قد قدم للمشروع نفسه قرضاً

سابقاً بقيمة (١٦,٥) مليون ريال (عام ١٩٧٩ م) .

موريشوس :

مشروع إعادة التعمير والتنمية الحضرية :

قيمة القرض : (١٦,٨) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٥/٢٧ هـ (١٩٨٢/٣/٢٢ م) .

هدف المشروع :

- تعزيز مؤسسات التخطيط الحضري وتنمية وصيانة المرافق الحضرية والإسكان في مناطق جديدة .
- الكلفة الإجمالية : حوالي (٨٤) مليون ريال ، ويشترك « البنك الدولي » في التمويل .

النيجر :

مشروع طريق « نيامي - باليارا - فيلنجه » :

قيمة القرض : (٧١) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٤/٨ هـ (١٩٨٢/٢/٢ م) .

هدف المشروع :

- تأمين ربط « النيجر » بالبحر عبر طريق « فيلنجه » ، مما سيؤثر تأثيراً إيجابياً في تطوير الزراعة وتربية الماشية والصناعات اليدوية .
- الكلفة الإجمالية : (١٤٢) مليون ريال ، ويشترك الصندوق العراقي في التمويل .

مشروع طريق « مارجو - فالى - كولو - جايا » :

قيمة القرض : (٢٥,٨٨) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٤/٨ هـ (١٩٨٢/٢/٢ م) .

هدف المشروع :

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

- انشاء طريق من الحصى طوله (١٩٠) كم ، لخدمة التنمية الزراعية وتربية الماشية والصناعات اليدوية في « بويوي » و« دوسو » و« لوجا » .
- الكلفة الإجمالية : (٥٢) مليون ريال ويشارك « الصندوق العراقي » في التمويل .

السنغال :

مشروع تنمية حوض « أنامي » :

- قيمة القرض : (٣٠) مليون ريال سعودي .
- تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠١/٤/٢٨ هـ (١٩٨٠/٣/٤ م) .
- هدف المشروع :
- تنمية مساحة حوالي ألف هكتار لانتاج الجيوب عن طريق الري ، لتغطية جانب من الاحتياجات الغذائية والتخفيف من أثر الجفاف ، وهو المرحلة الأولى من مشروع تطوير وتنمية حوض « أنامي » (٢٥٠٠٠) هكتار .
- الكلفة الإجمالية : حوالي (٦٠) مليون ريال ، وكانت الاتفاقية الأصلية تنص على قرض مقداره (١٣,٢) مليون ريال ، ثم عدلت إلى (٣٠) مليوناً .
- إجمالي قرض « الصندوق السعودي للتنمية » هو (٨٧,٥) مليون ريال ، منها (٣٠) مليون ريال للمرحلة الأولى و(٥٧,٥) مليون ريال للمرحلة الثانية .

الصومال :

استكمال مشروع سكر « جوبا » :

- قيمة القرض : (٣٣,٣) مليون ريال سعودي .
- تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠١/٨/١٣ هـ (١٩٨١/٦/١٥ م) .
- هدف المشروع :
- تنمية حوالي (٨٠٠٠) هكتار من الأراضي المروية وزراعتها بقصب السكر

رإنشاء مصنع بطاقة إنتاجية سنوية مقدارها سبعون ألف طن .
 - الكلفة الإجمالية للمشروع (٦٨٠) مليون ريال ، وكان « الصندوق
 السعودي للتنمية » قد شارك في تمويل المرحلة الأولى من المشروع بقرض
 مقداره (٢٥٤) مليون ريال بموجب اتفاقية عقدت في ١٩/١٢/١٣٩٧هـ
 (٣٠/١١/١٩٧٧م) . ويشارك في تمويل المشروع « صندوق أبو ظبي
 للتنمية » و« صندوق أوبك » .

السودان :

مشروع طريق « الرهد » :

قيمة القرض : (٢٠,١) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ٢٣/١٠/١٤٠٠هـ (٣/٩/١٩٨٠م) .

هدف المشروع :

- بناء شبكة من الطرق مختلف أحوال الطقس في منطقة مشروع الري
 « بالرهد » ، وهو يتألف من (٨٤) كم من الطرق المزدوجة المعبدة و(٦٠)
 كم أخرى من الطرق الفرعية ، مع إنشاء جسر على نهر « الرهد » .
 - الكلفة الإجمالية (١٣١) مليون ريال ، ويشارك في تمويله « الصندوق
 الكويتي » ، « والصندوق العربي للتنمية الاقتصادية والاجتماعية » .

توجو :

مشروع توسعة مرفأ « لومي » :

قيمة القرض : (٣٣,٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١/١١/١٤٠٠هـ (١٠/٩/١٩٨٠م) .

هدف المشروع :

- توسعة إمكانات مرفأ « لومي » لتنشيط حركة التبادل التجاري مع
 الخارج ، وبناء ^{مصيفه} إضافي طوله (٢٥٠) م ، وعرضه (١٤٠) م بحيث

تستطيع أن ترسو على جانبيه سفينتان ، وهذا الرصيف هو المرحلة الأولى من مشروع تطوير مرفأ « لوسي » .
 - الكلفة الإجمالية للمشروع (١٤٥) مليون ريال ويشارك في تمويله « الصندوق الأوربي للتنمية » ، و « جمهورية ألمانيا الاتحادية » .

مشروع دراسة الجدوى الاقتصادية

للمجمع الزراعي - الصناعي لفول الصويا :

قيمة القرض : (١,٧) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٠/١١/١ هـ - (١٩٨٠/٩/١٠ م) .

هدف المشروع :

- إعداد دراسة الجدوى الاقتصادية والفنية لإقامة مجمع زراعي وصناعي لفول الصويا تتضمن : خطة عمل تحدد أهداف الدراسة ، تقرير الجدوى الأولى يحتوي على نتائج الدراسات الفنية والاقتصادية والمالية ، وتقرير الجدوى النهائي .

- الكلفة الإجمالية (١,٦٧٥) مليون ريال .

تونس :

مشروع حماية سد « سيدي سعيد » :

قيمة القرض : (١٦) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠١/٨/٦ هـ - (١٩٨١/٦/٨ م) .

هدف المشروع :

- تطوير حوالي ثلاثين ألف هكتار من الأراضي في « عويد الخطب » و « الكوكي » و « الزرقا » و « اللاج » بغرض حماية سد « سيدي سعيد » من انجراف التربة وتراكم الطمي في حوض التخزين .

- الكلفة الإجمالية (٣٦) مليون ريال .



زامبيا :

مشروع طريق « سولويزي - أكلينجي » :

قيمة القرض : (٦٥) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٦/١٣ هـ (١٩٨٢/٤/٧ م) .

هدف المشروع :

- إنشاء طريق معبد طوله (٣٥٢) كم بين « سولويزي » و « أكلينجي » (على ثلاث مراحل) .

- الكلفة الإجمالية (٢٣٨) مليون ريال .

زيمبابوي :

مشروع شبكة الاتصالات السلكية

واللاسلكية في الأرياف :

قيمة القرض : (٢٤) مليون ريال سعودي .

تاريخ توقيع الاتفاقية : ١٤٠٢/٦/١١ هـ (١٩٨٢/٤/٥ م) .

هدف المشروع :

- تمديد الخدمات السلكية واللاسلكية إلى المجمعات السكنية الريفية وتأمين المعدات والأجهزة والمواد اللازمة .

- الكلفة الإجمالية : (٩٢) مليون ريال .

وقروض مباشرة

وأكتفي بهذا القدر من التماذج التفصيلية لبعض المشاريع التي شارك في تمويلها « الصندوق السعودي للتنمية » ، وبعض الصناديق العربية المماثلة ، والتي نستدل منها على الخدمات الفعالة التي تؤديها هذه الصناديق في تطوير مختلف مرافق الحياة في مختلف أنحاء « أفريقيا » .



ومن تلك النماذج نستدل على أن « أفريقيا » التي فرض الاستعمار عليها التخلف والتأخر زمنًا طويلاً ، قد بدأت مسيرتها الحضارية الفعلية ، بمبادراتها الذاتية أولاً ، وبالمساعدات التي قدمتها ، وتقدمها ، لها الدول العربية الشقيقة والصديقة ، مع نزر - لا يكاد يذكر - من مساعدات بعض الدول الأوروبية و« البنك الدولي » ، مع العلم بأن الدول الأوروبية لا تقدم قرشاً واحداً إلا مقابل غايات خفية أو معلنة ، بينما يفرض « البنك الدولي » شروطاً قاسية على الدول التي يقدم لها قروضه .

ولعل من المناسب أن أدرج كشفاً عاماً بقروض « الصندوق السعودي للتنمية » التي شملت كلا من :

« الجزائر » ، « بوتسوانا » ، « بوروندي » ، « الكاميرون » ، « جزر الرأس الأخضر » ، « تشاد » ، « جزر القمر » ، « الكونغو » ، « جيبوتي » ، « مصر » ، « الغابون » ، « غامبيا » ، « زيمبابوي » ، « غينيا » ، « كينيا » ، « ليسوتو » ، « مالي » ، « موريتانيا » ، « موريشوس » ، « النيجر » ، « النيجر » ، « السنغال » ، « الصومال » ، « السودان » ، « توجو » ، « تونس » ، « زائير » ، « زامبيا » ، « فولتا العليا » ، « المغرب » ، « رواندا » ، « سيراليون » .

أي أكثر من نصف دول « أفريقيا » ..

ومن هذا الكشف نستطيع التعرف بوضوح على لمحات من المسيرة الأفريقية الحضارية ، وهي مسيرة يحاول أعداء « أفريقيا » إخفاءها والتعتم عليها ، وإيهام العالم بأن القارة لا تزال تعيش في حمأة التخلف التي تركها الاستعمار عليها .

كذلك نتبين ، بنفس الوضوح ، أن القروض السعودية ، والعربية الأخرى ، لم تقتصر على الدول الإسلامية الأفريقية وحدها ، كما يزعم الخصوم والأعداء ، وإنما تناولت دولاً تتفاوت فيها أعداد المسلمين ما بين

أقلية محدودة ، وأكثرية مطلقة ، وأن المشاريع التي شاركت المملكة في تمويلها هي مشاريع تطويرية وإثرائية تساعد على استكمال البنية الأساسية التي لا بد منها للحاق بموكب الحضارة العصرية .

الجدول التفصيلية

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
١٧٦,٥٠	ميناء جيجيل	الجزائر
٣٦,٥٠	مطار جابرون	بوتسوانا
٣٤,٤٠	مشروع موربول لتوليد الطاقة الكهربائية	
١٦,٥٠	مبلغ غير مخصص	
٨,٧٠	إعادة تشجير منطقتي موجامبا - بوتوتسي	بوروندي
٢٤,٤٠	طريق جيتجا - جهوفني	
٣١,٥٠	تطوير إقليم رومنج الزراعي	
١٠٥,٩٠	سد سونج لولو	الكاميرون
١٢,٣٠	طريق تشنش - قودير	
٢٩,٣٠	زراعة القمح	
٦٧,٢٠	تطوير سكة حديد دوالا - ياوندي	
٨,٦٦	مشروع الأسمك	جزر الرأس
٢٦,٧٤	مبلغ غير مخصص	الأخضر
٥٢,٠٠	طريق بونجور - ليه	تشاد
٥٤,٠٠	طريق موندو - كايديجيا	
٣٤,٠٠	طريق جزيرتي القمر الكبرى وموهيلي	جزر القمر

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
١٠,٢٦	المدارس الثانوية	
٣٤,٢٠	مرفاً مستمودو	
٥,٨٠	جلب المياه وتوزيعها	
١١,٨٠	التمية الزراعية نيوما كيلية	
٨٨,٣٠	خط السكك الحديدية	الكونغو
٣٥,٤٠	جامعة برازفيل	
٨٥,٠٠	طريق جيبوتي - تاجورة	جيبوتي
٨,٠٠	السوق المركزي في مدينة جيبوتي	
١٧٥,٠٠	إعادة فتح قناة السويس	مصر
٢٢٦,٠٠	تطوير السكك الحديدية	
٨٩,٦٠	محالج الأقطان	
٨٠,٥٠	تطوير الاتصالات السلكية واللاسلكية	
١١٧,٣٣	توسعة قناة السويس	
٥٠,٠٠	طريق أوتوستراد مصر الجديدة - حلوان	
٧٠,٦٠	سكك حديد الغابون	الغابون
٩,٠٠	دراسة مشروع معهد العلوم الفنية في ماسوكو	
٩٦,٠٠	معهد العلوم الفنية في ماسوكو	
٢٣,٣٠	مطار يوندوم - المرحلة الأولى	غامبيا
٦,٧٢	تطوير مدرج مطار يوندوم - المرحلة الثانية	
٢٠,١٦	طريق بانجول - يوندوم	

Created with


nitro^{PDF} professional
download the free trial online at nitropdf.com/professional

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
١١٤,٧٠	سد كبونج لتوليد الطاقة الكهربائية (القرض الأول)	غانا
١٧,٧٦	سد كبونج لتوليد الطاقة الكهربائية (القرض الثاني)	
٣,٣٧	دراسة مشروع طريق جو كيدو - نزركور	غينيا
١٠٢,٧٣	طريق جو كيدو - نزركور (القرض الأول)	
٧٠,٠٠	طريق جو كيدو - نزركور (القرض الثاني)	
١٨,٠٠	مشروع سابل الزراعي	
٧٤,٠٠	مصنع الأسمنت في سوجيتا	
٢٤,٠٠	تطوير التعليم	
١٥,٠٠	انشاء وتجهيز مراكز صحية وريفية	
١٥,٩٠	مجمع الصناعات المتعددة	غينيا بيساو
٨,٥٠	سد جاميل	
٤,١٠	مصنع اللوز الهندي	
٥,٨٠	طريق بيساو - شتولي - كابو	
١,٠٠	مشروع الأرز	
٨٧,٢٥	مشروع المياه لنيروبي	كينيا
٦٦,١٠	طريق كينيا - السودان	
٨٢,٦٩	طريق تيكا - جاريسا - لبوي	
٤٥,٩٥	مجارى مدينة مومباسا	
٤٠,٠٠	مشروع كميري لتوليد الطاقة الكهربائية	

Created with

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
١٠٠,٠٠	سكة حديد وادي كيريو	ليسوتو
١٥,١٢	مطار ماسيرو الدولي	
٣١,٨٠	طريق جسر توبمان بومي هلز	ليبيريا
٣٨,٨٠	توسعة محطة بوشرود الحرارية	مدغشقر
٤٢,٤٠	مشروع الطاقة الكهربائية في أندكاليكا	
	شراء الآلات والمعدات الزراعية لتنمية حوض نهر النيجر	مالي
١٠,٥٠	بناء الوحدات السكنية في باماكو	موريتانيا
٧,٠٠	دراسة مشروع الري في المنطقة السادسة	
٣,٥٠	سد سلنجي	
٥٢,٩٥	تربية المواشي في الساحل الغربي	
٤٦,٨٥	طريق سفار - جاو (القرض الأول)	
٣٣,٦٠	طريق سفار - جاو (القرض الثاني)	
١٦,٧٥	مشروع الري في المنطقة السادسة	
١٤,٠٠	مصنع الأسمت	
٥٠,٠٠	تمويل مشروع الجسر الثاني في مدينة باماكو	
٦٧,٤٠	استكمال الطريق الموصل إلى سد سلنجي	
٦,١٧	حوض نهر السنغال (مخصص مالي)	
١٨٩,٦٠	طريق كيفا - النعمة (المرحلة الأولى)	
١٦٦,٥٠	طريق كيفا - النعمة (المرحلة الثانية)	
٨٣,٧٥	استغلال مناجم القلب	

Created with

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
٣٣,٥٠	وادي غرغول الزراعي	موريشيوس المغرب
٨٥,٦٠	تنمية حوض نهر السنغال (مخصص موريتانيا)	
١٦,٨٠	إعادة التعمير والتنمية الحضرية	
١٢٠,٠٠	سد المسيرة	
١٢٠,٠٠	ميناء الجرف الأصفر	النيجر
١١٥,٠٠	مشروع الغرب الزراعي	
١١٣,٠٠	الحوز الأوسط - المرحلة الثانية	
١٢,١٨	مشروع الإسكان	
٨,١٢	مخازن الحبوب	
٧١,٠٠	طريق نيامي - باليارا - فيلينجه	
٢٥,٨٨	طريق مارجو - كوكو - جايا	
٣٠,١٢	طريق فيلينجه - تاهوا	رواندا
٢١,٠٠	مشروع كلية التربية	
١٧,٦٥	طريق كيجالي - جاتونا	
٦٧,٢٠	مستشفى الملك فيصل في مدينة كيجالي	
٤٥,٣٠	طريق كيونزا - جاتمبا	السنغال
١٢٥,٦٤	طريق دكار - تيسر	
٣٠,٠٠	تنمية حوض أنامي (المرحلة الأولى)	
٥٧,٥٠	تنمية حوض أنامي (المرحلة الثانية)	
٢٣٧,٨٠	تنمية حوض نهر السنغال (مخصص السنغال)	
٥٧,٠٠	خط الطوارئ للمياه	

Created with

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
٢٥,٠٠	طريق كيدوجو - سرايا	
٦,٦٧	طريق أورسوجي - باكيل	
١٠,٠٠	مشروع قناة وطريق فرون دوپتر بداركار	
١١,٠٠	تنمية ريفية في شرق السنغال	
٥,٧٠	مشروع الإسكان ساكري كور (المرحلة الثانية)	
٤٥,٠٠	تطوير الزراعات المروية على نهر السنغال	
٤٢,٠٠	طريق ديلاكاتو - كيدوجو	
٥٠,٠٠	محطة الطاقة الكهربائية في بومبونا	سيراليون
٢٥٤,٠٠	مشروع سكر جوبا (المرحلة الأولى)	الصومال
٣٣,٣٠	استكمال مشروع سكر جوبا (المرحلة الثانية)	
٣٥,٣٠	الجامعة القومية	
١٩٩,٢٠	سد برديرة	
٩٨,٠٠	مشروع الري بالرهده	السودان
٩١,٧٨	طريق كسلا - هيا	
٣٥,٣٠	مطار بورتسودان	
٣٠,٠٠	تنمية السافانا الغربية	
٣٥,٣٠	المحطات الأرضية للاتصال عبر الأقمار الصناعية	
٢٤,٧٠	تحسين وسائل الاتصال اللاسلكي	
١٢٣,٦٠	طريق نيالا - كاس - زلجني	
١٢,٣٠	معدات العلوم لوزارة التربية	
١٢٠,١٦	مشروع سكر كنانة	

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
٢٠,١٠	شبكة طرق الرهد	توجو
٣٣,٥٠	ميناء لومي	
١,٧٠	دراسة الجدوى لمشروع المجمع الزراعي والصناعي لفول الصويا	تونس
١٠٥,٠٠	تطهير تونس الكبرى	
٣٧,٠٠	المدرسة القومية للمهندسين بقابس	
١٦٠,٠٠	تزويد الساحل وجنوب الوطن القبلي بالماء الصالح للشرب	
٢٤٣,٠٠	سد سيدي سعيد بالقيروان	
١٦,٠٠	حماية سد سيدي سعيد	
١٦١,٥٠	تزويد صفاقس بالمياه الصالحة للشرب	
٨٨,٠٠	مضاعفة الخط الحديدي بين برج سدريه وسوسه واحاحات نفزاوه	
٥٠,٠٠	دراسة استغلال المياه الجوفية في أقصى الجنوب	
١٣,٠٠	دراسة الجدوى الاقتصادية لانشاء مركز صناعي في الشمال الغربي	
٦,٠٠	انشاء مطار دولي في بلدة طبرقة	
٢١,٠٠	توسعة موانئ الصيد في قابس وطبله والقلبية	
٧,٠٠	التوسع في إنتاج القمح والشعير	
١٦,٣٠	تنمية الكنا والجوت	

القرض (مليون ريال)	اسم المشروع	الدولة
٣٦,٤٠	التوسع في تنمية الأبقار	فولتا العليا
٤٥,٣٠	تنمية منتجات الألبان التجارية	
٧٠,٦٠	سكك حديد تامباو	
٤٠,٠٠	سد كامينجا	
٥١,٠٠	طريق أوجادوجو - كايا - دوري	
١١٦,٠٠	شراء معدات للسكك الحديدية والنقل النهري	زائير
١١٤,٥٠	صيانة شبكة الطرق	زامبيا
٦٥,٠٠	طريق سولويزي - أكلينجي	
٥٠,٤٠	تجديد سكة حديد زامبيا	
٧٠,٠٠	طريق مانسا - كساما	
٢٠,٠٠	تشيد مدارس متوسطة	



التزامات ١٤٠٢/١٤٠١ (٨٢/٨١)	التزامات ١٤٠١/١٤٠٠ (٨١/٨٠)	اسم المشروع	الدولة
٨٥,٦٠		تنمية حوض السنغال (مخصص موريتانيا)	المغرب
١١٣,٠٠		تنمية الحوز الأوسط (المرحلة الثانية)	النيجر
٢١,٠٠		معهد المعلمين - جامعة نيامي	السنغال
٥٧,٠٠		خطة الطوارئ للمياه	
٦,٦٧		استكمال واصلاح وسفلة طريق أورسوجي ، باكيل	
٤٢,٠٠		طريق ديالا كوتو - كيدوجو	
١٠,٠٠		طريق وقناة فرون دوپتر بداركار	
١١,٠٠		التمية الريفية في شرق السنغال	السنغال
٥,٧٠		مشروع الإسكان ساكري كور (المرحلة الثانية)	
٢٥,٠٠		طريق كيدوجو - سرايا	
٤٥,٠٠		تطوير الزراعة المروية على نهر السنغال	
٢٣٧,٨٠	١١٥,٥٠	تنمية حوض نهر السنغال (مخصص السنغال)	الصومال
		سد برديرة	تونس
		دراسة استغلال المياه الجوفية في أقصى الجنوب	
١٣,٠٠		دراسة الجدوى الاقتصادية لمركز صناعي في	
٦,٠٠			
١٦١,٥٠			

التزامات ١٤٠٢/١٤٠١ (٨٢/٨١)	التزامات ١٤٠١/١٤٠٠ (٨١/٨٠)	اسم المشروع	الدولة
٣٤,٢٠	٣٤,٤٠	مشروع موربول لتوليد الطاقة الكهربائية مرفاً متسمودو	بوتسوانا جزر القمر
٨,٥٠	١٠,٢٦	انشاء عدد من مدارس اعداد المعلمين ومدارس ثانوية وابتدائية	
٨٥,٠٠	٢١,٠٠	طريق جزيرتي القمر الكبرى وموهيلي السوق المركزية في جيوتي	جيوتي
		طريق جيوتي - تاجورا	
١٨,٠٠	١٧,٧٦	سد كبونج لتوليد الطاقة الكهربائية (القرض الثاني)	غانا
٧٤,٠٠		مشروع سابل الزراعي	غينيا
٢٤,٠٠		مصنع الأسمت في سوجيتا	
١٥,٠٠		تطوير التعليم	
٧٠,٠٠		انشاء وتجهيز مراكز صحية ريفية	
١٠٠,٠٠		طريق جيكودو - نزركو (قرض إضافي)	
	١٦,٧٥	سكة حديد وادي كيريو	كينيا
٧٦,٣٧		طريق سيفار - جاو	مالي
٦,١٧		الجسر الثاني في باماكو	
١٨٩,٦٠		الطريق الموصل إلى سد سلتجه	
	٨٣,٧٥	تنمية حوض نهر السنغال (مخصص مالي)	

التزامات ١٤٠٢/١٤٠١ (٨٢/٨١)	التزامات ١٤٠١/١٤٠٠ (٨١/٨٠)	اسم المشروع	الدولة
٨٨,٠٠		مضاعفة الخط الحديدي بين برج سدريه وسوسة	
٢١,٠٠		مطار طبرقة الدولي	
١٠٠,٠٠		سد وادي سجنان	
٦٠,٠٠		توسعة موانئ الصيد في قابس وطبلبة والقليبية	
٥٠,٠٠		واحات نفزاوه	
	٤٠,٠٠	سد كامينجا	فولتا العليا
٥١,٠٠		طريق أوجادو جو - كايا - دوري	
	٧٠,٠٠	طريق مانسا - كساما	زامبيا
	٦٥,٠٠	طريق سولويزي - اكلينجي	
	٢٠,٠٠	جسر تشيمبي	
	١٦,٤٠	صوامع الفلال	
	٢٥,٠٠	دراسة جدوى لمشاريع زراعية	
	٣,٦٠	مبلغ غير مخصص	
	٥١,٥٠	مشروع اسكان باركرديج فاوتنبلو	زيمبابوي
	٢٦,٧٠	طريق هارتلي - موبايرا - سكايلين	
	٢٥,٠٠	طريق جليندايل - شويش ستري	
	٢٣,٤٠	انشاء مستشفيات و ٨ معاهد صحية في الأرياف	
	١٦,٩٠	توفير المياه للأرياف	
	٢٤,٠٠	الاتصالات السلكية واللاسلكية في الأرياف	
١٩٤٦,٧٧	٦٦٢,٢٦		

اتفاقيات القروض التي تم التوقيع عليها للفترة
١٤٥٠١/١٤٥٠٠ - ١٤٥٠٢/١٤٥٠١ هـ (١٩٨٠/١٩٨٢ - ١٩٨٢/١٩٨٠) جلايين الريالات

تاريخ التوقيع	قروض	قروض	اسم المشروع	الدولة
(٨٢/ ٩/٢٢)هـ ١٤٥٠٢/١١/١٣	١٤٥٠٢/١٤٥٠١	١٤٥٠١/١٤٥٠٠		
(٨٠/ ٨/٢٤)هـ ١٤٥٠٠/١١/١٣		(٨١/٨٥)	مطار جابرون الدولي	بسنانا
(٨١/ ٩/١٦)هـ ١٤٥٠١/١١/١٨	٢٤,٤٠	٨,٧٠	موجاجيا - بوتوتسي	بوروندي
(٨٢/ ٣/ ٦)هـ ١٤٥٠٢/ ٥/١١	٢٩,٣٠		طريق جيتجا - جهوفي	الكاميرون
(٨٠/١٢/٢٣)هـ ١٤٥٠١/ ٢/١٦		٨,٦٦	زراعة القمح	جزر الرأس
(٨١/ ٥/١٤)هـ ١٤٥٠١/ ٧/١٠	٣٤,٠٠		مشروع الأسماك	الأخصر
(٨١/ ٨/٢٦)هـ ١٤٥٠١/١٠/٢٦	٧٦,٥٩		طريق جزيرتي القمر الكبرى وموهيلي تعميل وتطوير خط السكك الحديدية (قروض اضافي)	جزر القمر الكونغو

الدولة	اسم المشروع	قروض	قروض	تاريخ التوقيع
جيبوتي	طريق جيبوتي - تاجورة	١٤٠١/١٤٠٠	٨٥,٠٠	(٨٢/ ٣/٢٠)هـ ٤٠٢/ ٥/٢٥
غينيا	طريق جوكيدو - نزركور	١٠٠,٠٠		(٨٠/ ٧/ ١)هـ ٤٠٠/ ٨/١٨
كينيا	طريق كينيا - السودان	٦٦,١٠		(٨٠/ ٨/٢٦)هـ ٤٠٠/ ١٠/١٥
	طريق نيكا - جارسا - لبوي		٨٢,٦٩	(٨١/ ٥/١١)هـ ٤٠١/ ٧/ ٧
	مطار مازيرو الدولي		٤٥,٩٥	(٨٢/ ٤/١٠)هـ ٤٠٢/ ٦/١٦
ليسوتو	طريق سيفار - جاو	١٥,١٢		(٨٠/ ٨/ ٥)هـ ٤٠٠/ ٩/٢٤
مالي	طريق سيفار - جاو (قرض إضافي)	٣٣,٦٠		(٨٠/ ٩/١٦)هـ ٤٠٠/ ١١/ ٧
موريتانيا	وادي غرغول الزراعي	٣٣,٥٠	١٦,٧٥	(٨٢/ ١/٢٠)هـ ٤٠٢/ ٤/ ٥
	طريق كيفا - النعمة		٨٣,٧٥	(٨١/ ٣/ ١)هـ ٤٠١/ ٤/٢٥
موريشيوس	إعادة التعمير والتنمية الحضرية		١٦,٨٠	(٨٢/ ١/٢٧)هـ ٤٠٢/ ٤/ ٢
				(٨٢/ ٣/٢٢)هـ ٤٠٢/ ٥/٢٧

الموالة	اسم المشروع	قروض ١٤٠١/١٤٠٠ (٨١/٨٠)	قروض ١٤٠٢/١٤٠١ (٨٢/٨١)	تاريخ التوقيع
البنجر	طريق نيامي - بالبارا - فلبينجه طريق مارجو - كولو - جايا تنمية حوض أنامي (المرحلة الأولى) مشروع سكر جوبا (قروض إضافية) طريق رهد	٣٠,١٠	٧١,٠٠ ٢٥,٨٨	(٨٢/ ٢/ ٢)هـ ١٤٠٢/ ٤/ ٨ (٨٢/ ٢/ ٢)هـ ١٤٠٢/ ٤/ ٨ (٨٠/ ٣/ ٤)هـ ١٤٠٠/ ٤/ ٢٨ (٨١/ ٦/ ١٥)هـ ١٤٠١/ ٨/ ١٣ (٨٠/ ٩/ ٣)هـ ١٤٠٠/ ١٠/ ٢٣ (٨٠/ ٩/ ١٠)هـ ١٤٠٠/ ١١/ ١
توجو	توسعة ميناء لومي دراسة الجدوى لمشروع التجمع الزراعي والصناعي لفول الصوميا حماية سد سيدي سعد	٣٣,٥٠	١٦,٠٠	(٨٠/ ٩/ ١٠)هـ ١٤٠٠/ ١١/ ١ (٨١/ ٦/ ٨)هـ ١٤٠١/ ٨/ ٦ (٨٠/ ٧/ ٢٩)هـ ١٤٠٠/ ٩/ ١٧
السودان	إعادة بناء وصيانة طرق	١١٤,٥٠		
زاير				

تاريخ التوقيع	قروض	قروض	اسم المشروع	الدولة
(٨٢/٤/٧)هـ ١٤٠٢/٦/١٣	٦٥,٠٠٠	١٤٠١/١٤٠٠	طريق سولونيزي - اكلينججة الاتصالات السلكية واللاسلكية في الأرياف	زامبيا
(٨٢/٤/٥)هـ ١٤٠٢/٦/١١	٢٤,٠٠٠	(٨١/٨٠)		زيمبابوي
	٧٣٠,٤١	٥٠١,٩٦	الاجموع	

Created with

مساعدهاتهم .. أفخاخ ومصايد !

وليس يخفي أن « أفريقيا » ما تزال في حاجة إلى الكثير من الضروريات الأساسية التي تساعد على النهوض والتطور ، وإذا كانت المساهمات العربية في بعض المشاريع الإنمائية قد حققت شيئا ، فما زال هناك - بالمقابل - شيء كثير يجب أن يعمل ..

ولسنا ننكر أن هناك دولا أوربية قليلة (حوالي أربع دول) ساهمت في بعض المشاريع الأفريقية ، ولكن هذه المساهمة مجكومة بضوابط قاسية ذات جذور استعمارية عميقة ..

ذلك أن الغربيين ، ومعهم الشرقيون ضمنا ، لا يمدون أيديهم لمساعدة « أفريقيا » على استثمار وتطوير مصادرها المعدنية الضخمة .. فهم يقتصرون إما على بعض مشاريع البنية الأساسية ، أو على بعض المشاريع الزراعية المحدودة ، فماذا يعني ذلك ؟ ..

إنه يعني - وبكل بساطة - أن الغرباء (من غربيين وشرقيين على السواء) لا يريدون للقارة الأفريقية أن تتقدم ، ولا أن تسيطر على مصادر دخلها الوطني ، لأن معنى هذا انقطاع موارد هامة جدا من المواد الخام التي يأخذونها الآن بأبخس الأثمان ، ولا تكاد أرباحها تتكافأ مع القليل الذي يقدمونه على شكل مساهمات محدودة في بعض المشاريع ..

ولعل هذا الوضع الشاذ ، بالذات ، هو السبب في أن « أفريقيا » لم تحقق تقدما اقتصاديا يذكر ، يتيح لها السيطرة على ثرواتها الوطنية .. فازداد بعض أقطارها فقرا ، واتسعت الفجوة التي تفصل ما بين الدول المتقدمة والدول النامية ، بينما كان المفروض - لو كانت النوايا صافية وصادقة - أن يحدث

العكس ..

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

إن هذا الموقف الثابت الذي يقفه « الشمال » من « الجنوب » هو السبب في فشل جلسات الحوار التي جرت ، والتي لم تسفر عن شيء ، فالشمالي المتفوق لا يريد للجنوبي المتخلف أن يقضي على أسباب تخلفه ويواكب التطور الحضاري ..

ورغم كل ما يقال عن تغيير حدث في أساليب التعامل الاقتصادي العالمي ، فالواقع يؤكد أن العقلية الأجنبية لا تزال تعمل بأسلوب « التكتلات » الكبرى التي تتحكم في أسعار المواد الخام والسلع الأساسية . وحتى لو رأينا دولا نامية ، أفريقية أو غيرها ، قد انتسبت إلى أحد تلك التكتلات ، فإن هذا الانتساب يعتبر شكليا لا أثر له ولا تأثير ، ويظل القرار ، وأسلوب الممارسة ، حكرا على مؤسسي تلك التكتلات الذين يتحكمون في أسواق المواد الخام والسلع الأساسية دون شفقة ولا رحمة ..



خلاصة

إنني أتصور أن « أفريقيا » في حاجة إلى سياسة اقتصادية جماعية ، إنتاجية وإنمائية واستهلاكية ، تطبق منها كل دولة افريقية ما يخصها ، للوقوف في وجه التكتلات الاحتكارية ، وأخذ الثمن المناسب للثروات الأفريقية الطبيعية ، ودفع الثمن المناسب لما تستورده « أفريقيا » من الخارج ، دون ظلم ودون إجحاف .

ولعلنا نجد هنا دورا ملحوظا للنشاط العربي في « أفريقيا » ، يمكنه أن يحقق للقارة ما نأمله لها من التطور والتقدم والنمو ، بدون السلبيات التي نراها في تعامل « أفريقيا » مع الآخرين ، فما دمنا قد سلمنا - وهذه حقيقة ثابتة - بأنه ليس لنا ، كعرب ، أية مطامع في « أفريقيا » ، وأنا نمد للقارة يدا نظيفة مخلصة ، فإن فرص الدور العربي المؤثر والفعال ، تبدو أكثر ملاءمة للمصالح الأفريقية من دور الغرباء المتستترين وراء التكتلات الاحتكارية ، والذين لا يهمهم سوى استنزاف الثروات الأفريقية الطبيعية ، وبيع الإنتاج بأعلى الأسعار ، وما يستدعيه ذلك - بالضرورة - من تدخل أصحاب تلك التكتلات في أدق الشؤون الداخلية ، لدرجة تدبير الانقلابات ، وإثارة الاضطرابات ، وإشاعة الفوضى ، وبث القلق ، وتنصيب العملاء وإسقاطهم كما يريدون ..

إن منهاج التعاون الأفريقي العربي قد لاحظ بكثير من الشمول آفاق التعاون الاقتصادي ، وهو تعاون صادق النية ، سليم المقصد ، ولكن معظم ما ورد في ذلك المنهاج بهذا الخصوص ، لم يقدر له أن يأخذ طريقه إلى حيز التنفيذ بالمستوى والعمق اللذين كانا مأمولين له ..

هذا لأن الاقتصاد اتده على طرف دون طرف ، وإنما هي تشمل

Created with



nitro

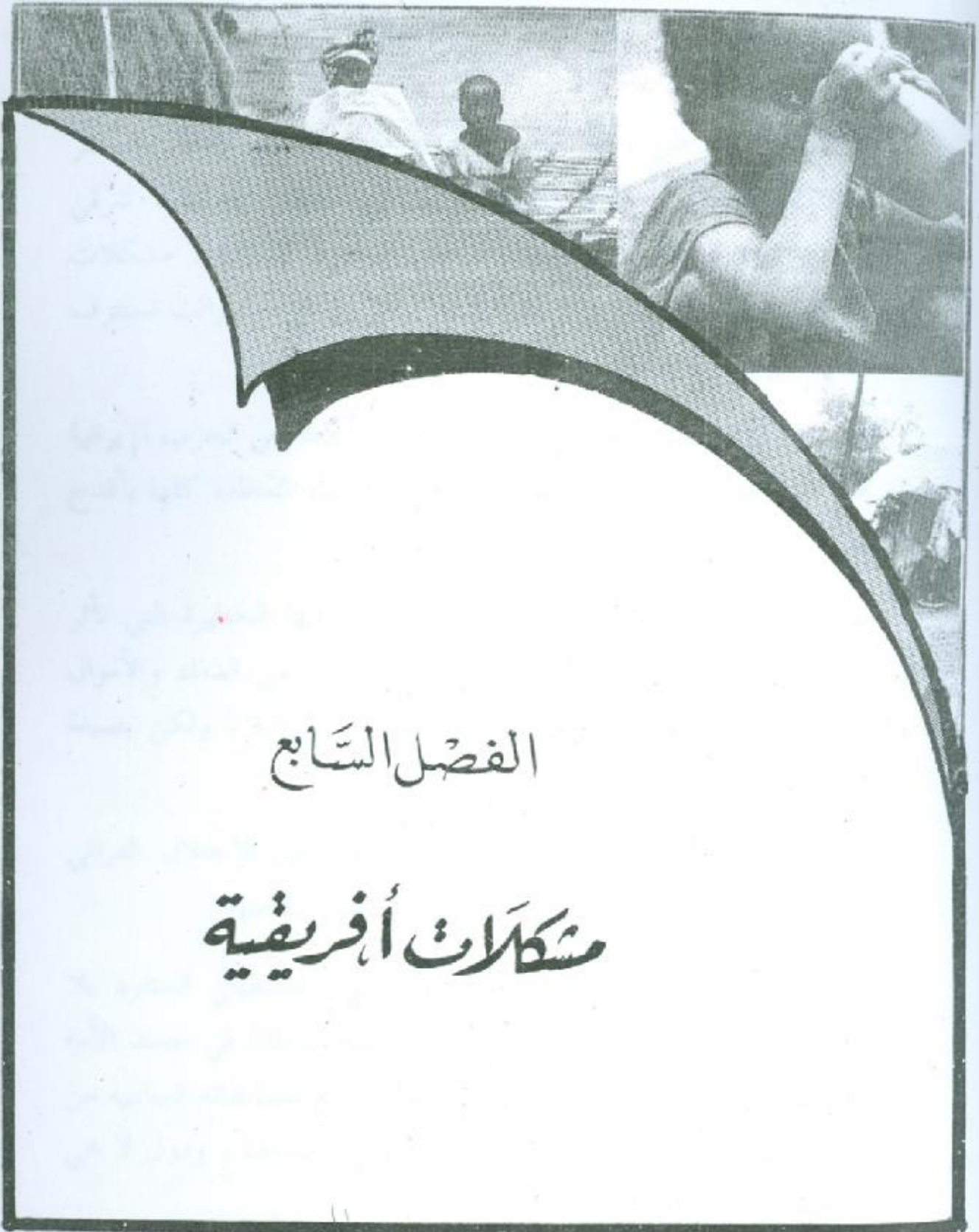
professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الطرفين كليهما ؛ فرأس المال العربي ، سواء كان حكوميا أو أهليا ، يستطيع أن يضطلع بدور بالغ الأهمية في دفع عجلة التعاون الاقتصادي المشترك إلى الأمام ، من خلال خطة شاملة موضوعة ، وتطلعات مدروسة ، وخطوات واثقة ، ومشاريع مجزية ، وهذه - ولا شك - مهمة ليست سهلة إذا أردنا لها أن تتحقق بالمستوى والفاعلية اللذين يجب أن يكونا ، ولكننا نؤمن أن الصبر ، والمثابرة ، والعمل الدائب ، يمكن لها أن تصنع الكثير في هذا الشأن .

ولكى نكون عمليين وموضوعيين ، فإن تعميق ذلك التعاون ، وبلورته لا بد من أن يسبقه تعاون آخر ، يمهد التربة للانطلاقة الحاسمة ، ويحقق لها أكبر ضمانات النجاح الممكنة ، فهناك مشكلات أفريقية عاجلة ، قد لا تكون في مستوى أهمية منهاج التعاون من حيث استحقاقها للاهتمام والعناية ، ولكنها تشكل معوقات لا يكاد المرء يصدق معها أن تلك المشكلات قد حدثت فعلا ، أو أنها قائمة حقا ، لأن تأثيراتها على المسيرة الأفريقية هي عامل أساسي في عرقلة هذه المسيرة ، ووقوع السلبيات المذهلة ، والمؤلمة ، التي نراها قائمة في « أفريقيا » اليوم ..





الفصل السابع

مشكلات أفريقية

Created with



nitroPDF[®] professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

مشاكل .. ومشاكل

قد يكون صعباً مني ، أو علي ، أن أتخذ متعدي الناصح والناقد والمنظر للمشكلات الأفريقية وحلولها المقترحة ، وفي منطقتي العربية ، شرقي « أفريقيا » فيما يلي « قناة السويس » حتى الحدود الإيرانية ، مشكلات عديدة خطيرة ، لم يوجد لها - حتى الآن - حل ناجع ، ومازالت تستنزف الدماء والأموال والمصالح والكيانات بصورة لا تصدق ..

عندي ، في منطقتي العربية ، مشكلة الآثار الناجمة عن الحرب الإيرانية العراقية التي استمرت أكثر من ثمانية أعوام ، وهددت المنطقة كلها بأفدح الأخطار .

عندي ، أيضاً ، المشكلة اللبنانية ، بكل مضاعفاتها الخطيرة التي تأثر بها كل بلد في المنطقة بشكل أو بآخر ، وأهدرت من الدماء والأموال والمصالح ما رأينا نظيراً له على الحدود العراقية الإيرانية ، ولكن بصيغة أخرى ..

وعندي ، من جديد ، مشكلة الخليج الناتجة عن الاحتلال العراقي للكويت وأضرارها الحالية والمستقبلية على المنطقة بكاملها .

عندي ، أيضاً وأيضاً ، مشكلة الشعب العربي الفلسطيني المشرد بلا خطيئة والذي يمثل الوجود الإسرائيلي على أرضه سرطاناً في جسد الأمة العربية وتهديداً لحركة التقدم والتنمية في العالم ، مع مضاعفاته الجانبية من مواقف الأنظمة العربية ما بين دول مواجهة ، ودول مساندة ، ودول لا هي بالمواجهة ولا بالمساندة .

عندي كذلك مشكلة العلاقات المتردية بين بعض الدول العربية ، لأسباب

Created with

 nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

لا أعرفها ، ولا يكاد يعرفها أحد ، فإذا عرفت فإنها لا تقنع أحدا بجديتها وخطورتها ، مع أن تأثيراتها السلبية الحادة على الوضع العربي العام ، ليست موضع شك أو جدال ..

وفي الأقطار العربية الأفريقية نرى المشكلات ذاتها بنفس منطلقاتها وخلفياتها ، حروب واشتباكات تنشب بين الحين والآخر ، وعلاقات متردية بين هذا البلد أو ذاك من أقطار الشمال الأفريقي ، وامتداد للمشكلات العربية المشرقية إلى الساحة العربية الشمالية الغربية ..

هذا كله صحيح وواقع ، بشكل قد يستدعي لأن أسمع من يقول : عليك بمشكلات « مشرقك » العربي ، و« شمالك الأفريقي » قبل أن تتصدى لبحث المشكلات الأفريقية ، واقتراح الحلول لها ..

مشاكلنا .. متشابهة

وما أنا بزاعم أن لدي وصفة سحرية تفيد « أفريقيا » فتحل مشكلاتها ، مادمت لا أملك هذه الوصفة للمنطقة التي أعيش فيها ..

ولكنني متأكد من أن خلفيات المشكلات العربية ، في المشرق و« المغرب » ، هي نفسها خلفيات ومسببات المشكلات الأفريقية فيما يلي الصحراء الكبرى جنوبا .. وفي سائر أنحائها .

في الجسد الأفريقي جروح عديدة تنزف دماء ، وتستهلك أموالا وأرواحا ، وتعيق المواجهة الحقيقية الضرورية ، ما بين التخلف والتقدم .

هناك أقطار أفريقية عديدة تعاني من الحروب اللاهبة الدامية مثلما تعاني أقطار عربية ، وهي حروب تنشب بين الحين والآخر - ومازالت - لتنفق على التخريب والتدمير أكثر مما تنفق على الإنماء والتعمير (لتتذكر مرة أخرى : أن ثمن مدرعة واحدة يكفي لافتتاح أربعين مستوصفا) .



وهناك « إسرائيل أفريقية » ، تعرف باسم « جنوب أفريقيا » تتحكم فيها أقلية ضئيلة أوربية بأكثرية أفريقية ساحقة ، تحت أبشع أنواع العنصرية المتعصبة الحاقدة .

وهناك أقطار أفريقية أخرى ، تتعرض لاعتداءات خارجية ، تحركها أصابع أجنبية ، فينعكس ذلك على مجمل العلاقات الأفريقية العامة ..

ومثلما تقف « جامعة الدول العربية » عاجزة عن وضع - وتنفيذ - حلول ناجحة للمشكلات العربية ، تقف « منظمة الوحدة الأفريقية » ، ولو بدرجات متفاوتة ، مثل « جامعة الدول العربية » ، في عدم قدرتها على تحقيق الأهداف التي أنشئت من أجلها ..

الحال متشابه إذن ، في العالم العربي وفي « أفريقيا » ، وهذا يعتبر مبررا قويا لي كي أتصدى للمشكلات الأفريقية ، وكأنني أتصدى للمشكلات العربية ..

.. ومصادرها واحدة !!

أكثر من هذا ، فإن الأيدي الخفية والظاهرة ، تلك التي تحرك المشكلات والأحداث في المنطقة العربية ، تفعل ذلك نفسه في القارة الأفريقية ، فهل هناك مبرر أقوى - والحالة هذه - يجعلنا نقتنع ، ونقول أن الطريق الواحد ، والمصير الواحد ، بيننا وبين « أفريقيا » ليس كلاما يرسل في الهواء ، وإنما هو حقيقة واقعة ؟ ..

إن مصدر المتاعب والصعوبات التي تعاني منها القارة الأفريقية ، هو ذاته ، وبالتحديد ، مصدرها في المنطقة العربية بأسرها ..

إنها لعبة الوفاق التي نعرف ، بكل ما فيها من خطوط حمراء وزرقاء رسمها العملاقان الدوليان ، « أمريكا » و « روسيا » ، لتحدد مجالات تحرك كل منهما

بعض المناطق « مقفلة » لصالح أحد الطرفين ..
 وبعض المناطق « متفلة » لصالح الطرف الآخر ..
 ومناطق أخرى متروكة لمن يكون أسرع مبادرة ، وأقوى نفوذا ، وأقدر
 على المناورة .

إن مفهوم « المدى الحيوي » يمتد من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب في
 الكرة الأرضية لتحقيق مصالح العملاقين اللذين وضعوا سياسة « الوفاق »
 وعملا بها بصدق مرة وبخبط مرات ، والضحية - في جميع الحالات - هي
 الدول الأخرى التي لا تريد أن تنحاز إلى هذا المعسكر أو ذاك ..

والدوافع التي حدثت بالدول الأوروبية لأن تعقد « مؤتمر برلين » قبل مائة
 عام كاملة من الزمن لاقتسام القارة الأفريقية ، هي نفسها التي حدثت
 بالعملاقين إلى التفاهم « حول مناطق النفوذ » ، في مختلف بلاد العالم ، وفي
 مقدمتها القارة الأفريقية ..

إن ثروات « أفريقيا » التي تكاد تعتبر بكرا إلى الآن ، رغم ما نهب منها
 المستعمرون وما سرقوا ، تعتبر إحدى الدعائم التي يزداد اعتماد العالم الصناعي
 عليها في تطلعه إلى الحفاظ على مكاسبه الحضارية الراهنة ..

وإذ دأب العملاقان الدوليان على وراثة « الاستعمار القديم » في كل مكان
 خرج منه ، فإن « أفريقيا » قد باتت - مثل منطقة « الشرق الأوسط » تماما -
 ميدانا للصراع بين الروس والأميركيين ..

ومن هنا نستطيع أن نفسر كثيرا من الانقلابات والاضطرابات والحروب
 التي نشبت ، وما زالت في القارة الأفريقية .. فهي أحداث ظاهرها الصراع
 بين الرأسمالية والشيوعية ، وباطنها الصراع بين « أمريكا » وروسيا .. أو بعبارة
 أخرى الصراع الأيديولوجي بديلا عن الصراع العسكري .

ولقد نشأت ، مرات عديدة ، أن انقلبت الأمور من النقيض إلى النقيض

في كثير من الأقطار الأفريقية ؛ فبعد أن يكون بلد ما محسوبا على المعسكر الأميركي ، نراه وقد انقلب - فجأة - إلى المعسكر السوفيتي .. وهو في الحالتين معاضحية سياسة الصراع بين العملاقين دون إقامة أى اعتبار لمصلحة البلد وشعبه وأهله ..

فأن يقوم نظام ماركسي في « أفريقيا » ليس له سوى معنى واحد : هو التبعية القهرية للمعسكر السوفيتي ، إذ لا يمكن القول - حتى من وجهة النظر الماركسية - أن الشيوعية يمكن أن تحقق أية فائدة لبلد فقير ، ليس فيه طبقة عمالية ، ولا فئات اجتماعية متصارعة ، وليس فيه صناعة ، ولا زراعة متقدمة ، فلماذا ، وكيف ، يقوم نظام ماركسي إذن ؟ ..

الجواب نجده لدى الفيلق الكوبي الذي بعث به « كاسترو » إلى « أفريقيا » ، ليتدخل بالقوة المسلحة في قلب الأنظمة ، وإقامة أنظمة أخرى موالية للسوفييت ، وهو فيلق مزود بالدبابات والأسلحة ويتراوح عدد أفرادها ما بين اثني عشر ألفا وثمانية عشر ألفا من الجنود^(١).

سياسة الوفاق .. الخطر الأكبر

ماذا يفعل « الكوبيون » في « أفريقيا » ؟ .. إنهم يحاربون بالنيابة عن روسيا ..

ولماذا لا تتدخل « الولايات المتحدة » وتضع لهذا التدخل الفاضح حدا ؟ ..

سل سياسة الوفاق تعطك الجواب الصحيح ..

فالتنمية والتطور لا يمكن أن يتما وسط أجواء الحروب والانقلابات

(١) قبل ، بشكل غير مؤكد ، إن هذا العدد وصل إلى خمسين ألف جندي كوبي (...)

والاضطرابات وحمامات الدم .. وإنما شرطهما الأساسي والرئيسي ، هو الاستقرار ، والطمأنينة ، والانصراف الكلي إليهما ..

فكيف تحل المشكلات الأفريقية الاقتصادية والاجتماعية ، وتلك القلاقل تجتاح أكثر من نصف دول « أفريقيا » ؟ ..

نحيب على هذا التساؤل قائلين إن هذا هو - بالضبط - ما يريده الغرباء .. إنهم يريدون إبقاء « أفريقيا » على حالها من التخلف والفقر ، لكي يسهل عليهم ابتلاعها .

وهذا هو نصف إحدى المشكلات الهامة التي تعاني منها « أفريقيا » .. أقول « نصف المشكلة » لا « المشكلة كلها » لأن لبعض الدول الغربية الأخرى ، ممارساتها الخاصة هي أيضا ، وهي ممارسات تتم ، في الأغلب ، لحساب الدول الأوروبية التي تقوم بها ، ولكنها تخدم بشكل مباشر ، أو غير مباشر ، مصلحة هذا العملاق أو ذاك من طرفي لعبة الوفاق .. إنه الاستعمار المستحدث الذي طرد من الباب فعاد من النافذة ، فإذا طرد منها مجددا ، تسلل ولو من السقف أو من تحت الأرض ..

الغاية تبرر الوسيلة

إننا نستطيع أن نضع التدخلات الأجنبية الاستعمارية بكل ما تضمنه من عناصر وأطراف ، بعضها يعمل للأميركيين ، وآخر يعمل للروس ، وثالث يعمل لحسابه الخاص ، على رأس لائحة المشكلات الأفريقية التي يجب أن يوجد لها حل ، والتي تعتبر مسؤولة عن جميع المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية الأخرى التي تعاني منها ..

كيف ؟ ..

نوجز التفسير ..

Created with  nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

فمن أجل المطامع الأجنبية المتمثلة في الدول الشرقية والغربية على السواء ، ينشط المرتزقة من الجنود الأوربيين الذين يحملون مسؤولية معظم الانقلابات والاضطرابات التي حدثت في « أفريقيا » إضافة إلى الجنود النظاميين ، كالكوبيين والفرنسيين ، فكيف تستطيع « أفريقيا » أن تستقر وتهدأ ، وهؤلاء يعيشون في أقطارها فسادا ؟ .. فلا تكاد الأحداث تهدأ في قطر حتى تلتهب في قطر آخر ؟ ..

ومن نفس المنطلق ، منطلق المطامع الأجنبية ، تنتشر البعثات التنصيرية التي هي جزء متمم من الانتشار الاستعماري ، لتحارب الإسلام والمسلمين في « أفريقيا » ولتقيم أوكارا ينطلق منها الاستعمار السياسي بعد أن مهدت له الطريق مستترة تحت رداء الدين ، والدين منها براء ..

وتكمل « إسرائيل » اللعبة بالدور المزدوج الذي تقوم به في « أفريقيا » ، فهي تعمل - أولا وقبل كل شيء - لحسابها الخاص ، لتشغيل صناعتها وتصريف إنتاجها وتوطيد أقدامها ، مستعينة بالدعم الذي تقدمه لها « الولايات المتحدة » و« فرنسا » و« ألمانيا الغربية » وغيرها ، لتحقيق نفس الهدف ..

ولقد سبق لي أن عرضت هذا الموضوع بأبعاده وخلفياته في فصل سابق ..

أما ما يتبقى من الدور الاستعماري الذي يؤديه الغرباء في « أفريقيا » ، فإن دولة « جنوب أفريقيا » العنصرية تؤديه بكل همة ونشاط ..

إنني لا أصدق ، قط ، أن الدول الغربية كانت جادة فعلا حينما أعلنت موافقتها على قرار « الأمم المتحدة » بمقاطعة « جنوب أفريقيا » ؛ فهذه المقاطعة - من قبل الغرب - تتناقض تناقضا كليا مع السياسة الأجنبية المطبقة في « أفريقيا » ..

لقد مضت سنوات طويلة على قرار المقاطعة هذا ، ولكن لا يبدو عليه أنه قد أثر على « جنوب أفريقيا » كثيرا أو قليلا ، فتجارها رائجة ، وتبادلها

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الاقتصادي قائم على قدم وساق ، وسلاحها وقنابلها النووية جاهزة وتحت الطلب ، فكيف يستقيم هذا مع فرض مقاطعة دولية شاملة على هذه الدولة العنصرية ؟ ..

لقد كان تأييد « أوروبا » لقرار المقاطعة هو مجرد تظاهرة جوفاء ليس غير ، لأن « جنوب أفريقيا » ركيزة خطيرة للاستعمار الأجنبي في القارة الأفريقية .. وإذا كانت « إسرائيل » و« جنوب أفريقيا » تعتبران جزءا من سياسة التدخل الاستعماري في « أفريقيا » ، فإنهما تعتبران ، في نفس الوقت ، مشكلة واحدة قائمة بذاتها ، لأن الدولتين الغريبتين ، كليهما ، تعملان لحسابهما الخاص في نفس الوقت ، وهما تشكلان حلقا متفاهما يعين أحدهما الآخر ؛ لأن مبررات وجودهما ، في « آسيا » و« أفريقيا » ، واحدة ؛ ولأن الهدف الذي تعملان له واحد ، وهو استغلال التقدم التكنولوجي لمحاولة الاستمرار في القارتين ، مدعومتين في ذلك من المعسكرات الأجنبية على اختلاف أوضاعها ..

الخلافات .. مشكلة المشاكل !

بعد ذلك ، ننتقل إلى « مشكلة المشكلات » التي تعاني « أفريقيا » كلها منها ، كما تعاني المنطقة العربية وهي : الخلافات ..

وكما يعجز المواطن العربي العادي عن فهم وتفسير أسباب ومبررات الخلافات التي تأخذ بخناق العلاقات بين بعض الدول العربية ، في « آسيا » و« أفريقيا » على السواء ، فإن المتأمل لأحوال القارة الأفريقية يعجز ، أو يكاد ، عن فهم وتفسير الخلافات القائمة بين بعض الدول الأفريقية والتي تؤثر بشكل حاد على أية محاولة جادة لتوحيد قوى القارة ، ناهيك بتوحيدها سياسيا وجغرافياً ..

ويمكننا القول أن تعدد الانتهات وتضاربها يُعتبر المسؤول الأول عن تلك الخلافات ..

فهناك انتماءات ذات طابع يساري ، ترتبط بالسوفييت أو الصينيين ومن يمثلونهم ؛ وهناك انتماءات ذات طابع غربي ، ترتبط « بالولايات المتحدة » أو « فرنسا » أو « بريطانيا » أو سواها ..

وهناك دسائس داخلية تقوم بها وتحركها وتغذيها الاحتكارات المعدنية الكبرى التي تجد أن قلب نظام الحكم برمته في بلد أفريقي هو أسهل من « التفاهم » مع ذلك النظام حول الطريقة المناسبة للتعاون الذي لا يجحف بحقوق البلد في ثرواته ..

هناك تقسيمات الحدود التي وضعتها الدول الاستعمارية قبل رحيلها لتترك بذور صراع حاد تحرص على تنميته دائما عن طريق تدخلها لدعم الأطراف المختلفة .

وهناك خلافات شخصية ، تقوم بين بعض الرؤساء والحكام ، وتنعكس مباشرة على العلاقات المشتركة بين بلادهم ، وتؤخر - هي أيضا - المسيرة التطورية الجادة ..

وهناك مطامع لبعض الحكام في مناطق تابعة لحكام آخرين ، يستخدمون فيها ، أحيانا ، القوة المسلحة السافرة ، أو التسلل الخفي في أحيان أخرى ، فتناصر مجموعة من الدول هذا الحاكم ، وتناصر دول أخرى ذاك الحاكم ، وتكون النتيجة هي تفاقم أسباب الخلاف والصراع والقتال ، واستنزاف الجهود والأموال والأرواح في قضايا لا تقدم - في واقع الأمر - ولا تؤخر .. ولست أريد ، هنا ، أن أسمى أحدا بعينه ، لا من البلاد ولا من الحكام ، فليس هذا من شأني ، ولكنني أسجلها كلمة حق ، وهي أن هذا الحال لا ينبغي له أن يدوم ..

فالاستعمار ، بكل أنواعه ، لا يفرق عمليا بين بلد وآخر في مؤامراته واعتدائه ودسائسه ؛ لأن كل ما يهمه هو بقاء نفوذه السياسي والاقتصادي في أوسع دائرة ممكنة من الدول الأفريقية ، وينبغي على « الحكام » أن يعوا

هذه الحقيقة ، وأن يوقنوا بأن الاستعمار إنما يهتم بهم بقدر منفعتهم له ، فإذا انتهت هذه المنفعة نبذوهم دون رحمة أو شفقة ، ولعلنا نرى العبرة في بعض البلاد الأفريقية التي انقلبت من النقيض إلى النقيض ، فكانت في إحدى الفترات محسوبة على المعسكر الغربي ، فباتت محسوبة على المعسكر الشرقي ، فلا الغرب أفاد الحاكم الذي ربط بلاده بعجلته ، ولا الشرق بقادر على أن يفرض نظاما مستقرا يعمل لحسابه ..



نموذج من تنزانيا

لعل مما يزيد الصورة التي نريد أن نعرضها وضوحا ، أن نستعرض بعض النماذج المتميزة التي كان لها تأثير واضح في مجريات الأحداث في أكثر مناطق « أفريقيا » حساسية ..

وأول هذه النماذج هو النموذج التنزاني ..

و« تنزانيا » - كما نعرف - هي نتيجة اتحاد كل من « تنجانيقا » و« زنجبار » ، وقد ارتبط اسمها منذ سنوات طويلة برجل أفريقي مشهور هو الرئيس « جوليوس نيريري » ..

لقد لمع اسم « نيريري » في الستينات من هذا القرن ، حين أقدم على تجربة غريبة بدت ، في حينها ، مثيرة للاهتمام .. فلقد أعلن أن بلاده ترفض الانحياز لأي من المعسكرين الدوليين الكبيرين ، وترفض في نفس الوقت تطبيق النموذج التقليدي لمبدأ « عدم الانحياز » ؛ فهو لا يريد التجربة الغربية ولا التجربة الشرقية ولا تجربة دول عدم الانحياز ..

وحتى الآن يعتبر هذا « كلاما جميلا » - من الناحية النظرية - إذا كانت لدى « نيريري » وجهة نظر جديدة تختلف عن وجهات نظر المعسكرات الثلاثة تلك ..

ولكن « نيريري » اختار الصينيين .. كان هذا هو الاختيار الذي فضله .. وهكذا فتح أبواب بلاده للصينيين الشيوعيين ، المناوئين للسوفييت والأميركيين ، على أمل - أو زعم - بناء « نظام ثالث » يختلف عن الرأسمالية على الطريقة الغربية والشيوعية على الطريقة السوفيتية ..

توجهات غير مدروسة

وهكذا أعلن « نيريري » أنه سوف يني اشتراكية زراعية ، تقوم على مبدأ « العودة إلى الأرض » وربط هذه العودة بالتراث الوطني الأفريقي ، وباللغة الوطنية التنزانية - وهي اللغة السواحيلية - (وكان ذلك الإعلان في مدينة « عروشة » بتاريخ فبراير (شباط) ١٩٦٧ م) ..

وفسر « نيريري » نظريته هذه قائلا :

إننا نقول : هنا الأرض .. وهانحن هنا .. ولدينا قدر من الخبرة والبراعة .. ولدينا قليل من المال ينبغي أن ننفقه لإكمال براعتنا ، وشراء ما نحتاجه في مسيرتنا التقدمية ..

وهكذا حظيت الزراعة بنسبة (٩٩٪) من اهتمام « نيريري » وحكومته وحزبه ، ولم يحظ التصنيع إلا بنسبة (١٪) فقط ..

وكان « نيريري » يبرر هذا الاتجاه ، بأنه لا يمكن القول بنجاح تجارب صناعية ضخمة ، ككلمتي حدثت في « مصر » أو « الجزائر » (حيث تركز الاهتمام على التصنيع الثقيل ولم تكن التجربة خالية من الأخطاء والخسائر) ..

ولكن حظ تجربة « نيريري » لم يكن بأحسن من حظ من اتجهوا نحو الصناعة ؛ إذ أن سنوات طويلة من التجربة قد أثبتت أن « تنزانيا » قد سارت في الاتجاه الخاطئ ..

الإغراق في الديون

فلقد اكتشف « نيريري » أن الاهتمام بالزراعة وحدها لا يكفي .. وأن هناك صناعات هامة يجب الاعتناء بها كمتعم طبيعى للزراعة ، كالصناعات التحويلية الزراعية ، وبهذا وقعت « تنزانيا » تحت عجز مالي كان يتزايد عاما بعد عام ، حتى المضطرت إلى التقدم « للبنك الدولي » بطلب قرض مقداره

خمسمائة مليون دولار ، وقدم البنك القرض المطلوب بعد أن فرض شروطه القاسية المعتادة التي تضع اقتصاد البلاد تحت هيمنته ..

حينئذ رفض وزير الاقتصاد والمالية « ادفيز ماتاي » الموافقة على عقد هذا القرض ثم اضطر لتقديم استقالته التي عللها بقوله :

« ليس هناك ما يشجعني على الاستقالة غير ثقتي بأن القروض سوف تزيد في تعاسة تنزانيا ... »

ويبدو أن توقعات وزير المالية التنزاني كانت في محلها ..

فبعد إخفاق التجربة الزراعية اتجه اهتمام « نيريري » وحزبه الحاكم (حزب الاتحاد الوطني الأفريقي) إلى الصناعة ، فارتفعت نسبة العناية بها من (١٪) إلى (٢٤٪) من إجمالي النشاط الاقتصادي ، ولكن أمورا كثيرة كانت قد تغيرت ..

فالزراعة قد تأخرت وتدهورت ، لاسيما بعد أن سيطرت الحكومة على أهم أنواع الإنتاج (القهوة والتبغ) فصارت تشتري الإنتاج الوطني كله وتدفع له ثمنا محددًا لا يكاد يغطي النفقات والجهود التي بذلها المزارع في عمله ، مما يشبط همته عن متابعة هذا العمل ، وظهرت طبقة من السماسرة والوسطاء (هم في الغالب من رجال الحزب الحاكم) أثرت على حساب المزارع في حقله والعمل في مصنعه ..

ديون جديدة .. وأعباء حتى الإفلاس !

وزاد الحالة تفاقما تلك الحرب التي شنها « نيريري » على « أوغندا » لإسقاط الرئيس « عيدي أمين » وتنصيب « أوبوتي » مكانه .. فلقد اضطر « نيريري » إلى شراء الأسلحة البريطانية والألمانية لمواجهة أسلحة « عيدي أمين » السوفيتية .. وكانت نتائج الحرب شرا على البلدين ؛ فلقد اجتاح جنود « نيريري » « أوغندا » ونقلوا إلى « تنزانيا » كل ما وجدوه في « أوغندا »



من معدات وآلات وأموال ومحاصيل زراعية (قيل إنهم لم يتركوا حتى أثاث الفنادق) ، وتسببت نفقات الحرب في إثقال ميزانية « تنزانيا » ، المثقلة أصلاً ، ونتيجة لذلك تقدم « نيريري » بطلب قرض جديد من « البنك الدولي » مقداره ثلاثمائة مليون دولار ، الأمر الذي جعل بعض المتحفظين تجاه « التجربة النيريرية » يتساءلون : كيف يمكن أن تبنى دولة على القروض الخارجية ؟ .. إننا سنضطر لرهن كل شيء لتسديد فوائد تلك القروض ، فمتى نسدد القروض ذاتها ؟ ..

لقد حكم الرئيس « نيريري » « تنزانيا » حوالي ثلاث وعشرين سنة ، وكانت النتيجة ازدياد البلاد فقراً على فقرها ، ورزوحها تحت نير الديون الخارجية ، واستهلاك أموالها القليلة في شراء الأسلحة ، وإهدار ما تبقى من تلك الأموال في تجارب غير مدروسة ، زراعية مرة وأخرى صناعية ، إضافة إلى فوائد الديون التي قدمها « البنك الدولي » ..

وأجدني مضطراً ، هنا ، لأن أسجل أنني لا أقصد - بأية حال - الطعن في الرئيس التنزاني أو انتقاده ، فذاك شأن يخصه ويخص « تنزانيا » بالدرجة الأولى ، ولكنني عرضت التجربة التنزانية كصورة من صور الخطأ في الممارسة ، والاستمرار فيها ، رغم وضوح فشلها وإخفاقها^(١) ..

إن أي بلد في العالم مطالب بأن يساعد نفسه قبل أن يساعده الآخرون ، وأن يختار الطريق الأسلم من واقع تجربته وظروفه وبيئته ، حتى إذا ما قطع من هذا الطريق ما يثبت أنه الصواب ، كانت المساعدات التي تقدم إليه في محلها ، وكانت - من ثم - أكثر فائدة وجدوى ..

(١) هذا لا يغير الحقيقة التي عرفناها عن الرئيس « نيريري » من ناحية موقفه المعادي للإسلام واللغة العربية ومواقفه السلبية بل العدوانية نحو كل تحرك إسلامي أو عمل لنشر اللغة العربية حتى أصبح عدد الطلاب المسلمين في الجامعة لا يزيد عن ١٢٪ في وقت يشكل المسلمون فيه أكثر من نصف السكان . ولقد قدم « نيريري » خدمات كبيرة للجاليات التنصيرية وساعدها

تنازع النفوذ بين الغرب والشق

إن ما يدعو للأسف حقا ، أن معظم الخلافات القائمة بين بعض الدول الأفريقية والتي تصل ، في كثير من الأحيان ، إلى مرحلة الاشتباكات المسلحة ، لا تعود إلى شؤون أفريقية بقدر ما تعود إلى عوامل خارجية ، لا علاقة للمصلحة الأفريقية بها ، لا من قريب ولا من بعيد ..

حلف النقيضين

ومن عجائب هذا الوضع الذي يعود إليه نصيب كبير مما تعانيه « أفريقيا » من تخلف وقرر أن رأينا بلدا عنصريا متعصبا في عداته لأهل « أفريقيا » الأصليين ، وأعني به دولة « جنوب أفريقيا » ، قد توصلت في العام الفائت إلى عقد معاهدة عدم اعتداء بينها وبين « أنجولا » و« موزمبيق » المحسوبتين حاليا على السوفييت ..

أى أن « اليمين » المتعصب ، قد تعاهد على السلام مع « اليسار » المتعصب ، وبعبارة أوضح : أن الرأسمالية قد تعاهدت مع الشيوعية ، فلماذا ؟ ..

نعود هنا إلى جذور سياسة الوفاق بين العملاقين ، « أمريكا » و« روسيا » ، اللذين يبعدان آلاف الأميال عن « أفريقيا » ، ومع هذا فإن بصماتهما تلبو بوضوح في كثير من خلفيات الأحداث الأفريقية ..

تراجع أمريكي ، وتقدم سوفياتي

لقد كتب محلل سوفيتي في مجلة « الشؤون الدولية » التي تصدر في لندن أن السوفييت يتمتعون في « أفريقيا » بمرکز لا يستطيع أحد أن يزحزحهم عنه ،

وأن نجم السوفييت يصعد باستمرار بينما يخبو نجم الأمريكين شيئا فشيئا ..
والواقع أن ذلك يبدو بعيدا عن التصديق ؛ فالتجارب الاشتراكية الأفريقية
المستوحاة من الفكر السوفييتي أو الصيني ، قد أخفقت جميعها ، بما في ذلك
تجارب الدول العربية الأفريقية ، وليس لدى السوفييت الكثير مما يستطيعون
تقديمه ، ومع هذا فإن النفوذ الأمريكي ينحسر ، والنفوذ السوفييتي يتسع ،
فكيف يتفق هذا مع طبائع الأشياء ؟ ..

تفسير ذلك ، ببساطة ، أن السوفييت قد اختاروا الطريق الأقصر ، وهو
طريق القوة المسلحة المباشرة عبر القوة الكوبية التي تصول وتجول في « أفريقيا »
على هواها ، فتدعم النظام الماركسي في « إثيوبيا » تارة ، وتقاتل إلى جانب
« حركة مبالا » ضد حركة « يونيتا » في « أنجولا » ، وتفرض النظام الشيوعي
في « موزمبيق » ..

ولقد اعترفت « الولايات المتحدة » ، في حينه ، أن انتصار أعوان
السوفييت في « أنجولا » و« موزمبيق » هو هزيمة لها ، تقبلتها بكثير من المرارة ،
وأن عليها أن تتدارك ذيلها في أقرب وقت ..

تدخلات مشبوهة .. لتعطيل مسيرة التنمية !

وإذ كان هناك إجماع على اضطراب السياسة الأمريكية في العالم ، وفقدتها
لكثير من مصداقيتها ، على النحو المعروف ، فقد آثرت « جنوب أفريقيا » أن
تفاهم مع شيوعي « أنجولا » ، فتسحب قواتها من إقليم « كوين » الأنجولي
وتتعهد بعدم مساندة قوات المعارضة في « أنجولا » و« ناميبيا » مقابل عقد
معاهدة عدم الاعتداء ، والتعاون الاقتصادي بين « جنوب أفريقيا » ، الغنية ،
و« أنجولا » الفقيرة التي هدّت اقتصادها التطبيقات الشيوعية المدمرة .. وهذا
يعنى - من جهة أخرى - ما سبق لي تأكيدته في مواقع عديدة سابقة ، من
أن مقاطعة دولة « جنوب أفريقيا » ، بقرار من « الأمم المتحدة » ، ليس سوى

Created with



nitro PDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

وخلاصة القول هنا ، أن هناك خللا ، لاشك فيه ، في الممارسات السياسية الأفريقية التي لا تأخذ المصلحة الأفريقية الوطنية في الاعتبار الأول ، على مستوى القارة كلها ، وأن هناك جيوبا غريبة : أمريكية وروسية وإسرائيلية وفرنسية وصينية وألمانية ، تفعل فعلها في تعطيل المسيرة الحضارية الأفريقية - وهي الأساس - لإهدار جهودها في قضايا جانبية لا تخدم سوى مصلحة الأعراب ..

وقد يكون مفيدا أن نستعرض نماذج أخرى من الفوضى السياسية التي تحكم كثيرا من الأوضاع في « أفريقيا » ، وخاصة في الجزء الجنوبي منها ، وهو ما يعتبر حديثا متواصلا ومستمرًا للصحافة العالمية ..

لقد كافأت « الولايات المتحدة » « أنجولا » (الشيوعية !) على المعاهدة التي عقدها مع « جنوب أفريقيا » بتقديم مساعدات اقتصادية وقروض ميسرة .

ومن الطريف - أو العجيب - أن نذكر أن طائرات « جنوب أفريقيا » ، من طراز « ميراج » ، قد دكت « مابوتو » عاصمة « موزمبيق » قبل أن يتوجه وفد جنوب أفريقي إلى « موزمبيق » لتوقيع معاهدة عدم الاعتداء ..

وفي « زامبيا » اعترف الرئيس « كاوندا » أن الخطط التطورية التي كان يطمح إليها قد أصابها الإخفاق ، وأن الفساد - والتعبير للرئيس « كاوندا » نفسه - قد استشرى بين أعضاء « حزب الاستقلال الوطني » الحاكم ..

وأعلن الرئيس « روبرت موجابي » رئيس « زيمبابوي » أنه يعاني من كابوس الخلافات السياسية التي تعصف بالقوى الوطنية في البلاد ، وأن تلك الخلافات قد عطلت كل أمل في العمل الجدي المثمر لمواجهة مشكلات « زيمبابوي » الاقتصادية .

هل نسترسل في استعراض المشكلات الأفريقية أم نكتفي بهذا القدر ؟ ..

أحسب أن ذلك يكفي ، لأن معظم التجارب الأفريقية السلبية متشابهة



سواء من حيث مسبباتها وخلفياتها ، أو من حيث نتائجها ومضاعفاتها . . ومما يدعو إلى الألم - حقاً - أن معظم المسببات ، كما رأينا ، تعتبر خارجية ، ولا علاقة لها بالمصلحة الوطنية للشعوب الأفريقية . .

لقد مرت على العالم فترة كافية ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية ومتغيراتها الجذرية ، لتقنع الجميع أن القوالب الجاهزة للحكم والإدارة ليست ، دائماً ، صالحة ومفيدة ، وفي « أفريقيا » ، حديثة العهد بالاستقلال ، تعتبر ضارة ومسيئة للمصلحة الوطنية ، وأن الجانب الأكبر من المشكلات الذاتية والإقليمية في « أفريقيا » إنما ينبع من هذا السبب بالذات ، ويكاد يكون متعذراً علينا ، من موقع الباحث عن حلول للمشكلات الأفريقية ، أن نتصور حلاً لا يقوم - قبل كل شيء - على وضع حد للتدخل الأجنبي السافر والمقنّع ، وعلى تحقيق التفاهم والتعايش بين الدول الأفريقية ولو اختلفت أنظمتها . .

إننا نجد خلاصة هذه المشكلات الأفريقية ، التي تعتبر أكبر عائق في طريق تطور « أفريقيا » ونموها وتقدمها ، في منظمة الوحدة الأفريقية التي باتت اليوم عاجزة عن تحقيق الحلم الأفريقي الكبير في قارة أفريقية موحدة تسير على طريق التقدم والرفق بخطى متوازنة . .



منظمة الوحدة الأفريقية .. ما لها وما عليها

لقد مضى الآن ربع قرن على تأسيس « منظمة الوحدة الأفريقية » ، وكان تأسيسها تعبيراً عن تطلعات القارة التي كانت - إذ ذاك - في مرحلة تصفية الاستعمار من معظم أقطارها ، وفي قمة غليان المشاعر الوطنية تجاه خروج الدول الاستعمارية ، واحدة إثر الأخرى ، من الدول الأفريقية ؛ بينما كانت ثورات واضطرابات وأحداث دامية تلتهب في دول أخرى ، إما تطلعاً للاستقلال ، أو للقضاء على المحاولات الاستعمارية المستميتة للبقاء في بعض المواقع الأفريقية . .

ونظرة واحدة على أسماء مؤسسي المنظمة ، والعاملين على إظهارها إلى الوجود في أكثر فترات تاريخ « أفريقيا » الحديثة حرجاً واضطراباً ، تدل على الأهداف التي أنشئت المنظمة من أجلها ، على أمل بلورة وحدة طريقها ومصيرها . .

فمن أبرز أولئك المؤسسين المرحوم الملك « محمد الخامس » ، والرئيس « نكروما » ، والرئيس « سيكوتوري » ، والرئيس « جمال عبد الناصر » ، ولكل منهم دور معروف في تاريخ بلاده وتاريخ القارة . .

وكان المأمول للمنظمة ، كما يوحي بذلك اسمها ، أن يكون تأسيسها خطوة على طريق توحيد القارة ، التي تحمل من مقومات القابلية للوحدة شيئاً كثيراً ، ولكنها - وبالأسف - ولدت عاجزة ، وعاشت كسيحة ، وبعضهم ينظر إليها اليوم على أساس أنها قد ماتت أو كادت . .

وقد يبدو غريباً أن حُلماً أفريقياً ضخماً ، كحلُم وحدة القارة - اقتصادياً وثقافياً على الأقل - لم يحظ بالرعاية الكافية من رؤساء الدول الأفريقية ،



فهان عليهم أن تسير المنظمة نحو الانهيار ، كلما مر عليها الزمن ، في الوقت الذي يفترض فيه أن يشتد معه ساعدها ويقوى ، وأن تصحح مسارها كلما انحرف عن الجادة الطبيعية ، وأن تبذل جهدها لتحقيق ذاتها ، وتثبت وجودها ..

العكس ، تماماً ، هو الذي حدث ..

ذلك أنه إذ يفترض أن المنظمة إنما وجدت لكي تعمل على تقريب الدول الأفريقية من بعضها بعضاً ، وحل الخلافات والمشكلات القائمة بينها ، وتذليل العقبات التي تحول دون الوحدة المنشودة ، فإن تلك العوامل - بالذات - كانت هي سبب تمزق المنظمة وانهيارها وشللها ..

إن انعقاد « مؤتمرات القمة الأفريقية » ، إحدى مؤسسات المنظمة ، يرمي من حيث المبدأ إلى تحقيق فرصة للقاء الملوك والرؤساء والزعماء ، يتباحثون فيها ويتباسطون ، ويواجهون مشكلاتهم ويعملون على حلها ..

ولكن الذي حدث ، أن انعقاد المؤتمرات ، بحد ذاته ، بات حلاً عسير التحقيق . وخلال السنوات القليلة الماضية ، تأجل انعقاد المؤتمر عدة مرات ، بسبب الخلافات العميقة التي كانت بين بعض الدول الأفريقية ، وبخاصة تجاه مشكلتي « البوليساريو » و« تشاد » ..

ولقد سبقت المواعيد التي كانت مقررة لانعقاد المؤتمر مناورات ومشادات شارك فيها معظم الدول الأفريقية ، وكانت النتيجة أن تأجل انعقاد المؤتمر عدة مرات ..

اتساع الهوة بين الأهداف والواقع

لقد دل العجز الذي تعيشه « منظمة الوحدة الأفريقية » ، على أن الشقة ماتزال بعيدة بين الهدف الذي قيل إن المنظمة قد أنشئت من أجله ، وبين الواقع المرير الذي تعيشه القارة ، والذي أشرت إلى بعض عوامله من حيث

العلاقات المضطربة التي تسود بين معظم الدول الأفريقية . . .
 نأخذ ، مثلاً على ذلك ، موقف بعض الدول الأفريقية من « جنوب
 أفريقيا » التي فرضت عليها « الأمم المتحدة » مقاطعة دولية شبه شاملة ، مراعاة
 للقارة الأفريقية كلها ، ومع هذا فإن بعض الدول الأفريقية نفسها لم تقاطع
 « جنوب أفريقيا » ، بل وعقدت معها معاهدات ومحادثات . . .

نفس الشيء نراه من موقف بعض دول المنظمة من « إسرائيل » . . . ومن
 « الولايات المتحدة » . . . ومن « الاتحاد السوفيتي » . . . مع أن هناك اتجاهات
 عامة في المنظمة تحدد موقف « القارة » من تلك الدول . . .

ونكاد لا نجد موقفاً واحداً تتفق فيه الدول الأفريقية تجاه القضايا التي تهم
 القارة وتشغلها ، مما أضعف من وجود المنظمة ، وأفقدتها مبرر وجودها . . .
 ولقد انتهر بعض الرؤساء الأفريقيين الذين يتخذون موقفاً سلبياً من
 « العرب » فرصة التعثر الذي تعيشه المنظمة ، فاتهموا بعض الدول الأفريقية
 العربية بأنها سبب ذلك التعثر ، ودعوا إلى إنشاء منظمة أفريقية غير عربية . . .
 لقد نادى بذلك ، علناً ، « موبوتو زائير » ، وكانت وجهة نظره أن بعض
 الدول العربية الأفريقية هي سبب معظم الخلافات القائمة بين دول المنظمة ،
 وأن تدخلات تلك الدول في بعض البلاد الأفريقية ، جنوبي الصحراء ،
 وخلافاتها فيما بينها ، تعتبر من أهم عوامل ضعف المنظمة . . .

هذا قول ظاهره « الحق » ولكن يراد به الباطل ، لأنه هو - وبالذات -
 ماتنادي به « إسرائيل » وتعمل من أجله ؛ وهو ، نفسه ، ماتحاول الدول
 الاستعمارية القديمة والحديثة تحقيقه بأي شكل من الأشكال ، وهو ماسبق أن
 عاجلناه بكثير من التفصيل في صفحات سابقة عندما تعرضنا لما يحاوله أعداء
 المسلمين والعرب من الفصل ما بين الوجه الإسلامي والعربي لأفريقيا ، والدعوة
 إلى « قومية أفريقية » منغلقة وانعزالية ، يجد الطامعون في « أفريقيا » ، معها ،
 بغيتهم في الانفراد بالأقطار الأفريقية واحداً واحداً . . .

ولست أزعم أنني ، في هذا الفصل ، قد أحصيت - أو أردت أن أحصي - المشكلات القائمة بين بعض الدول الأفريقية وماتسببه من انعكاسات سلبية خطيرة على القارة بأسرها ، فذاك حديث يطول ، ويستدعي - وحده - مؤلفات قائمة بذاتها ، وإنما أشرت ، بشكل خاطف ، إلى بعض النواحي التي تشكل نقاط ضعف في الموقف الأفريقي ، وتستنزف جهود وأموال وأرواح الدول الأفريقية المنغمسة في تلك المشكلات . .

نتائج المشكلات الأفريقية

فماذا يمكن أن نتوقع من نتائج ، إذا كان أساس الموقف حروباً دامية تشارك فيها دول أفريقية كثيرة ، وتبادل استنزاف الأرواح والأموال . .

وإذا كان الموقف توجيه معظم موارد البلاد للإنفاق على السلاح ، باهظ الثمن ؟

وإذا كان الموقف اتخاذ طرق إنمائية غير سليمة ، لأسباب سياسية أو شخصية ، والابتعاد عن الاتجاه الإنمائي الصحيح استناداً إلى التجارب السابقة ؟ . .

وإذا كان الموقف استثارة بعض الدول الأفريقية بممارسات تخالف الإجماع الأفريقي ، أو تتعارض مع المصالح الأفريقية الحقيقية ؟ . .

أقول : ماذا يمكن أن نتوقع من نتائج إذا كان واقع الأمور كذلك ؟ . .
أعتقد أن « المجاعة » هي أول نتيجة طبيعية مباشرة تسفر عنها تلك المواقف والأوضاع غير الطبيعية . .

أجل . . المجاعة . . التي روعت العالم بأسره ، فما صدق ، أو كاد ، أن هناك شعوباً أفريقية بأكملها تعيش دون مستوى « الفقر » ، وهل يكون أدنى من مستوى الفقر إلا الموت جوعاً ؟ . .

إنه أمر لا يكاد يصدقه عقل .. ولكنه - وبالأسف - صحيح وواقعي ..

« أفريقيا » ، ذات الأنهار الجارية التي تمتد آلاف الأميال ، والبحيرات والشلالات ، ومنابع المياه ..

« أفريقيا » ، ذات الثروات المعدنية والزراعية الهائلة التي تعتبر المخزون الحقيقي لمستقبل الحضارة الإنسانية ..

« أفريقيا » ، ذات الأربعمئة مليون نسمة ، (أي ما يزيد عن ثلثي سكان بلاد الأمريكين والسوفييت) ..

« أفريقيا » ، بكل مافيها من إمكانات غير محدودة للتنمية والتطور ، يموت بعض شعوبها من الجوع .

إنه ، وبكل أسف وألم ، محصلة كل السلبات الاقتصادية والثقافية والسياسية والاجتماعية التي تعاني القارة الأفريقية منها ، والتي يعتبر التدخل الأجنبي الغريب سببها الأول والرئيسي ..

والواقع أن حدوث المجاعة في بعض الأقطار الأفريقية يعتبر من قبيل « تحصيل الحاصل » للأسف الشديد ، لأن الجهود توجه إلى غير وجهها المشر الصحيح ..

فكما رأينا كان اهتمام الدول الأجنبية يتجه إلى تأريث نيران الخلاف بين بعض الأفريقيين ، وتزويدهم بالسلاح ، بضمنه ، ليقاتل بعضهم بعضاً ، بينما المساعدات الفنية والإنسانية والإئتمانية أقل بكثير جداً من حاجة قطر أفريقي واحد ، فمابالك بالقارة كلها ؟ ..

إن حدوث المجاعة في « أفريقيا » هو الدليل الحي على أن التدخل الأجنبي في القارة ذو غايات تسلطية ، ولطماع شرهة ، وليس من أجل صالح الشعوب الأفريقية ..

يعالجون الجوع .. بالسلاح !!

لقد عبر عن هذه الحقيقة « بيلسيسل اليسباه » المدير الإقليمي « للبنك الدولي » في « أفريقيا » بقوله :

« للقضاء على كارثة الجفاف التي تعم جزءاً كبيراً من دول القارة الأفريقية يتعين على زعيم عالمي أو اثنين أن يقررا أن هذا الجفاف يعتبر تحدياً للجنس البشري مثل وضع إنسان في الفضاء .. »

وبطبيعة الحال ، فهذا القول موجه إلى زعيم « الولايات المتحدة » وزعيم « الاتحاد السوفيتي » ، اللذين يحركان الأحداث في « أفريقيا » من وراء الستار أحياناً ، وعلناً أحياناً أخرى ، فهل لدى أحد منهما الشجاعة الكافية لأن يوجه معشار مايتفق على إطلاق السفن الفضائية لمساعدة القارة الأفريقية ، التي يقتل الجوع عشرات الآلاف من أهلها ؟ ..

لقد سبق أن عرفنا مايتكلفه السلاح من باهظ الثمن الذي يمكن توجيهه نحو تنمية المناطق الأفريقية المتخلفة ، فكم يهدر المتقاتلون في « أفريقيا » كل يوم من فرص للتنمية الحقيقية وهم يتراشقون بنيران الدبابات والمدافع والطائرات والمدافع ؟ ..

إن ثمن قبلة واحدة متوسطة ، يطلقها « هيلامريام » يمكن أن يقيم أود أسرة إثيوبية كاملة لمدة تزيد عن الشهر . فكيف يستقيم له أن يستخدم السلاح ، أتمن سلعة في العالم ، في قتال لا معنى له ، والجوع يفتك بالملايين من أهالي « إثيوبيا » ؟ .

وفي الوقت الذي تحركت فيه بعض دول « أوروبا » الغربية لمساعدة الأقطار الجائعة في « أفريقيا » فعقد مندوبوها مؤتمراً في « نيامي » عاصمة « النيجر » ، لبحث الموضوع ، كان الإخوة والأصدقاء الحقيقيون ، العرب ، يهبون لنجدة إخوانهم وأصدقائهم في « أفريقيا » ، فانهاالت التبرعات الشعبية والرسمية لترسل

مواد الإغاثة على عجل إلى الأقطار الجائعة وفي مقدمتها : « السنغال » و « موريتانيا » و « غامبيا » و « مالي » و « فولتا العليا » ، و « النيجر » و « تشاد » . .

لقد بلغ ما أرسلته « المملكة العربية السعودية » وحدها ألف مليون ريال (حوالي ثلاثمائة مليون دولار) خلال أقل من شهرين من بدء المجاعة . .

وفي الوقت نفسه ، كان « مؤتمر نيامي » فضيحة مدوية في حق « الإنسانية » التي يتشدد بها المتاجرون « بأفريقيا » ، حين تبينت ضالة المبالغ التي قدمتها الدول الغربية والشرقية ، والأساليب المتلوية والشروط المعقدة التي وضعت لتقديم شيء من المعونة إلى بطون فارغة ، وأجساد هزيلة ، لا تنتظر سوى اللقمة التي ترد عنها شيئاً من الجوع القاتل . .

« الولايات المتحدة » بعثت خمسمائة مضخة مياه إلى إحدى الدول الأفريقية (لا أريد أن أسميها) لاستخراج المياه من باطن الأرض ، فتبين أن معظم تلك المضخات غير صالحة للعمل ، وأنها تفتقر إلى قطع الغيار ، وتقاسم نصف هذه الكمية « محاسباً » الحكومة وأقربائهم ، وبقي البلد الأفريقي عطشاناً جائعاً . .

لقد استغرقت الاجتماعات والمؤتمرات التي عقدتها الدول الأجنبية لبحث مشكلة المجاعة في « أفريقيا » أكثر من ثمانية عشر شهراً ، ولم تسفر - حتى الآن - عن شيء ملموس . .

الضمير العالمي .. إلى أين ؟؟

قضية المجاعة في « أفريقيا » ليست قضية مساعدات عاجلة ترسل بعد الكارثة ، وإنما هي جزء من التحدي الإنمائي الذي تواجهه القارة . .

وأجدني عاجزاً ، بالرغم مني ، عن أن أختار الألفاظ « الدبلوماسية » للتعبير عما يجب أن يقال في ظرف فاجع كهذا ، ولهذا اكتفي بإدراج

المعلومات والأفكار كما هي ، لأن الألم الذي يخالطني - وتحت يدي أكديس من الوثائق المرعبة التي تتحدث عن المجاعة في « أفريقيا » - يجعلني أعرض الحقائق كما يجب أن تعرض ، لأنه إذا أمكن - بشكل ما - وضع حد للمجاعة القائمة الآن ، فإنها قابلة - دون أدنى شك - للعودة مرة ومرات ، ما لم تعالج أسبابها جذريا ، وتوضع الخطط المضادة التي تتحسب للخطر قبل وقوعه . .

باختصار شديد . . إن المجاعة التي تعاني منها بعض الأقطار الأفريقية تدل ، بشكل صارخ ، على أن الخطط الإنمائية التي يجري تنفيذها في القارة ليست ، كلها ، سليمة ، وليست - بالتالي - كافية للقضاء على هذه المشكلة ، ونحن على أبواب القرن الواحد والعشرين بعد الميلاد من عمر الحضارة الإنسانية . .

فلقد كشفت حالة القحط والجوع ، تلك ، عن أن الأقطار الأفريقية الجائعة ، في حاجة إلى الكثير من أجل القضاء على المشكلة . .

إنها في حاجة إلى خطط إنمائية ، قصيرة المدة وطويلة المدى ، يخضع معها الإنتاج الوطني لضوابط علمية سليمة قائمة على المعلومات والتجارب وتوفير الإمكانيات اللازمة . .

وهي في حاجة إلى القيام بتوعية شاملة للمواطنين تبين لكل منهم دوره ، حيث موقعه ، في تنفيذ وإنجاح الخطط الإنمائية . .

وهي في حاجة إلى استخدام الأساليب المتطورة في الري والزراعة وتأمين مستلزماتها ، وتدريب الأهلين عليها . .

لقد أعرب عن ذلك حاكم مقاطعة « تمبكتو » - في « النيجر » - « العقيد عبد الرحمن بنديالو » بقوله بالحرف الواحد :

« نحن لا نريد الاستجداء . . كل مانريده هو مساعدتنا على تأمين

العمل . . ليقدم لنا الذين يزوروننا ليتفرجوا علينا المساعدات الآلية

الزراعية . . ويحاربوننا على استعمالها ، ونحن نتولى الباقي . . »

وتأكيداً لهذا الرأي - وهو صحيح بالطبع - أشار الحاكم إلى نجاح مشروع لزراعة الأرز على ضفاف النيجر باستخدام مضخات تعمل بالديزل ، وتنقل المياه إلى الحقول عبر القنوات التي حفرها الأهليون بمجهودهم الخاص . .

لقد شارك في بحث وعرض مشكلة المجاعة في « أفريقيا » عدد كبير من الهيئات الدولية ، وجهات متخصصة عديدة ، وكانت نتيجة كل تلك البحوث أن هناك ضرورة ملحة لتنظيم توزيع الثروة المائية في « أفريقيا » ، والقضاء - من ثم - على الجفاف الذي هو سبب ، وأساس ، المجاعة التي تشكو منها بعض الدول الأفريقية . .

إن الحديث عن المجاعة في « أفريقيا » حديث طويل ، ومهما أفضنا فيه أو اختصرناه ، فإنه يظل يتلخص فيما أشرنا إليه من قبل ، وهو أنه لكي تقضي على المرض يجب أن تعرف أسبابه ، ثم تعمل على القضاء على تلك الأسباب . . وهذا هو كل ما في الأمر . .



المشكلات التي يواجهها الإسلام في أفريقيا

تلکم كانت بعض هموم « أفريقيا » ومشكلاتها ، لمستها من بعيد لمساً خفيفاً ، واخترت نماذج من مظاهرها التي تشكل أهم أسباب تلك الهموم والمشكلات ، ولقد تعمدت الإيجاز لسببين :

أولهما : أن الموضوع ، من حيث المبدأ ، معروف ومشهور ، وهو يشكل مادة يومية ومستمرة في الصحف ووسائل الإعلام .

والسبب الثاني : أننا لو أردنا الشرح والتفصيل لما انتهينا من ذلك قط ، لأن كل مشكلة أفريقية تصلح وحدها ، لأن تكون مادة لسيفر ضخم ، وهو الأمر الذي لم يقصر فيه بعض الباحثين الذين أصدروا كتباً ومراجع كثيرة ، ومفصلة ، عن المشكلات الأفريقية ، والصعوبات والمعوقات - بل قل المؤامرات - التي تواجهها « أفريقيا » ، وهي تحاول الانطلاق نحو تحقيق أهدافها الوطنية المشتركة . .

ولكن « المشكلات » لم تنته بعد . .

فهناك مشكلات تخصصنا ، نحن المسلمين ، بالدرجة الأولى ، وهي مسؤوليتنا . . مسؤولية ثمانمائة مليون مسلم في شتى أنحاء الأرض ، وتهيب بنا أن نوجه إليها كل عنايتنا . . وأن نعمل بكل ما نستطيع من قوة للوقوف إلى جانب إخواننا في « أفريقيا » ، باعتبار أن مشكلاتهم هي مشكلاتنا ، وأن مسؤولياتهم تجاهها هي مسؤولياتنا . .

البعثات التصيرية

ولقمت PDF professional

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الإسلامية .. فكلها ، في نظري ، متساوية في الأهمية ، وكلها تستدعي منا برامج وخططاً منظمة ، نواجه بها الأخطار التي تحاول تهديد الإسلام والمسلمين في القارة الأفريقية ونحبط بها المؤامرات التي تحاك ضدهم هناك . .

فمن حوالي خمسة مليارات نسمة ، يشكلون مجموع سكان الكرة الأرضية ، يأتي الإسلام - من حيث الكثرة العددية - في الدرجة الثانية . . متقدماً على المسيحية بمختلف مذاهبها . .

وإذا تذكرنا أن أكثر من نصف القارة الأفريقية مسلم ، وأن الآخرين موزعون بين الوثنية والمسيحية ، فهمنا لِمَ تُوجَّه الدول الغربية بعثاتها « التنصيرية » مزودة بالأموال الوفيرة ، وبأعداد كبيرة من القسس والرهبان والأطباء والمرضات وبعض الخبراء الزراعيين . .

وتلك البعثات التنصيرية - كما سبق أن تبين لنا - لم ترسل من أجل مصلحة الأفريقيين ، لأنها لو كانت مهمة - حقاً - بالمسيحية ، لكان حرياً بها أن تبشر بها في بلادها ذاتها ، في « الولايات المتحدة » و« بريطانيا » و« فرنسا » و« ألمانيا » وغيرها من الدول التي ينتشر الإلحاد العلني فيها انتشاراً واسعاً ، والتي تتعرض فيها الكنيسة ، ورجالها ، إلى كثير من الإهمال واللامبالاة . .

إن البعثات التنصيرية في « أفريقيا » ، هي - بالدرجة الأولى - طلائع للمستعمرين الذين استخدموا هذه الطريقة بنجاح كبير خلال السنوات المائة السالفة ، فما أن تنجح في إدخال إحدى القبائل في دينها ، حتى تصبح هذه القبيلة مفتوحة الأبواب ، لتلقائياً ، أمام قوات المستعمرين العسكرية . . أو أمام النفوذ والتبعية في هذه الحقبة الجديدة .

ومع أن وجود الإسلام وانتشاره في « أفريقيا » ، أمر واقع لا سبيل إلى إنكاره أو التقليل من حجمه ، فإن البعثات التنصيرية - وباللعجب - تأمل ، كما تعلن دائماً ، في إدخال مسلمي « أفريقيا » في دينها ، وكانت قد حاولت ذلك - أمام

يتمثل في استغلال حالة الجوع والفقر والمرض التي تعاني منها بعض الأقطار الأفريقية لإدخال الناس في دينها ، ومحاوله إخراج المسلمين منهم عن دينهم . . .
ولقد استغلت بعض البعثات التنصيرية ظروف المجاعة التي يعاني منها بعض أقطار « أفريقيا » ، لمحاولة تحقيق أغراضها . . .

ففي غمرة العطش القاتل الذي عانت منه بعض القبائل ، كان يكفي أن تقوم بعثة تنصيرية بحفر بئر ، لإقناع الناس بالدخول في دينها . . .

والبعثات التنصيرية تأتي وتحت أيدي أفرادها الأموال الطائلة ، تبني بها الكنائس والمدارس والمستشفيات والمستوصفات وملاجئ الأيتام ، وعن هذا الطريق تستطيع أن تسيطر ، ذهنياً ، على الأطفال والطلبة والمرضى ، بل لقد استطاعت تنصير عدد من أطفال المسلمين . . . ولكن . . .

ولكن قوة الإسلام الدافعة ، تأتي إلا أن تعيد أولئك الأشخاص إلى دينهم القويم ، مهما طال الزمن ، وبعد أن يدخلوا سن الإدراك والرشاد . . .

ولقد حدثت في العام ١٤٠١ هـ حادثة طريفة عميقة الدلالة ، تدل على أن النصر ، أولاً وآخراً ، لدين الحق ، متى توفر له الدعاة المخلصون الذين يستطيعون مقارعة الحججة بالحجة ، ودحض الباطل بالحق . . .

فقد وجه سماحة « الشيخ عبد العزيز بن باز » ، مفتي الديار السعودية ، ورئيس إدارات « البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد » ، أحد الدعاة الإسلاميين - وهو « الدكتور محمد جميل غازي » - إلى الخرطوم لمناظرة ثلاثة قساوسة سودانيين حول الإسلام . . .

وحين وصل « الدكتور محمد جميل غازي » إلى « الخرطوم » ، فوجيء بأن عدد القساوسة هو ثلاثة عشر ، وليس ثلاثة فقط ، وقد أعدوا ورقتين تحتويان على ثمانية عشر سؤالاً ، وإحدى الورقتين تتعلق بالدين المسيحي والأخرى تتعلق

وإذ شعر الداعية بأن القساوسة جادون في رغبتهم بالمناظرة ، استدعى زميلين من القاهرة ، كل منهما متخصص في قطاع محدد من موضوعات الأسئلة المطروحة ، ودارت المناظرة بين الدعاة الإسلاميين الثلاثة ، والقساوسة السودانيين الثلاثة عشر ، وكانت النتيجة هي دخول أولئك القساوسة جميعاً في الإسلام ، واتخاذهم أسماء إسلامية^(١) .

هذا نموذج سفته لبيان استماتة الغرباء في محاولة نشر المسيحية أو الإلحاد في القارة الأفريقية ، وهم ينتسبون إلى مختلف الجنسيات : الأمريكية ، والإنجليزية ، والكندية ، والفرنسية ، والبلجيكية ، والهولندية ، والإيطالية ، والألمانية ، وبعض الدول الشيوعية ، ولولا أن الله تعالى ، بفضله ، قد ثبت قلوب معظم مسلمي « أفريقيا » بالإيمان ، لكان للإسلام في القارة شأن آخر ..

أهداف استعمارية تحت ستار التنصير

فالبعثات التنصيرية التي ماتزال تنشط في جهودها الرامية إلى تنصير المسلمين ، علاوة على الآخرين ، تبذل الأموال الطائلة ، ولها إذاعة ذات موجات قوية تذيع على مدار ساعات اليوم الأربع والعشرين ، تخاطب الأفريقيين بلغاتهم المتعددة ..

ولقد قلت ، وأكرر القول ، أن « المسيح » والمسيحية براء من ممارسات تلك البعثات التي كانت ، في الأغلب ، تسبق جيوش المستعمرين وآلات حربهم ودمارهم ..

ولو أن تلك البعثات تمارس عملها ضمن حدود الرسالة التي تزعم العمل

(١) لمزيد من التفصيل ارجع إلى كتاب : « مناظرة بين الإسلام والنصرانية » ، نشر « الإدارة

من أجلها ، لكان لها بعض العذر ، ولكنها تعمد في الوقت نفسه إلى تشويه الإسلام ، والافتراء عليه ، والدس على رسول الله ﷺ ، والتشكيك في رسالته ، والطعن في خلفائه ، وتجريح رجالات الإسلام ، وابتكار الأكاذيب والترهات حول الإسلام والمسلمين . .

وليس يغيب عن البال أن البعثات التنصيرية تعمل متعاونة مع الجهات الصهيونية ، فهما تلتقيان في نقاط عديدة حول الدس للإسلام والطعن في المسلمين ، واختلاق المبررات للعدوان الصهيوني على « فلسطين » ، بزعم أن « فلسطين » هي « موعود الرب » للعبرانيين ، أي أن خطر البعثات التنصيرية والممارسات الإسرائيلية لا يقتصر ، فقط ، على الإسلام من حيث هو دين أكثر من نصف سكان « أفريقيا » ، وإنما يتعداه إلى شؤون سياسية راهنة تتعلق بالصراع العربي (أو بالأصح : الإسلامي) الإسرائيلي . .

محاولة تخريب الإسلام من الداخل

ومن هاتين المشكلتين اللتين أوردتهما مراراً في مواقع عديدة من هذا الكتاب ، تنتقل إلى مشكلات أخرى . .

إحدى هذه المشكلات ، وهي متصلة اتصالاً وثيقاً بالمشكلتين السابقتين ، هي مشكلة الاتجاهات - ولا أقول المذاهب أو الأديان - المنحرفة التي تتمسح بالإسلام ظاهرياً مع أنها ليست من الإسلام في شيء ، بل هي ضد-الإسلام على طول الخط ، وفي مقدمتها القاديانية والبهائية اللتان تنشطان نشاطاً ملحوظاً في القارة الأفريقية . .

ولا يتسع المجال ، هنا ، للتوسع في تعريف هذين الاتجاهين غير الإسلاميين ، ولذا أكتفي بالإيجاز . .

فالقاديانية ، التي تعرف أيضاً بـ « الأحمديّة » حركة ابتدعها شخص اسمه

« غلام مرتضى » ، انحدرت عائلته من « سمرقند » ، في عهد

مؤسس الإمبراطورية المغولية « بابر » الذي منحها إقطاعات كبيرة . ومع مرور الزمن تضاءلت هذه الإقطاعات حتى لم يبق منها سوى القليل ، عام ١٨٣٧م ، عند ولادة « غلام أحمد » فعاش في كنف والده عيشة فقر وضنك ، فكان التعاون مع المستعمرين الإنجليز والتزلف إليهم ، هي المهنة التي مارسها الأب ولقنها لابنه ، لدرجة أن الأب قاتل إلى جانب الإنجليز ضد المسلمين أثناء ثورتهم عام ١٨٥٧م ، وفي العام ١٨٦٤م ، بدأ « غلام أحمد » في تلقي العلوم العربية والفارسية وشيء من الإنجليزية ، فأصاب شيئا من العلم جعله يتصدى للإنجليز عندما حاولوا إثارة فتنة دينية فألف كتاباً أسماه « براهين أحمدية »^(١) دافع فيه عن الإسلام ، فكان له وقع حسن لدى المسلمين ، وكانت له - بادئ الأمر - جهود في المجادلة والمناظرة دفاعاً عن الإسلام ، ويبدو أن الغرور قد ركبه وأعمى بصيرته ، فراح يدعي أنه « مجدد القرن » ، ثم تدرج في الانحراف فادعى الكشف والإلهام ، ثم بلغ قمة الكفر حين ادعى الوحي والنبوة ، فراح يؤول القرآن الكريم على هواه ، ليخدم أغراضه في ادعاء النبوة ، وعاش عيشة مترفة ، منصرفاً إلى تناول الأطعمة الفاخرة والخمور ، ثم مات بالطاعون فخلفه ابنه « محمود أحمد » الذي كان أشد فجوراً وكفراً من أبيه . فراح يتأول على الإسلام ويتقول ، ويدعي لأبيه ماليس فيه ، مما تسبب في انصراف كثير من أتباع القاديانية عنه ، ولكن الإنجليز احتضنوا القاديانية وأمدوها بالحماية والأموال ، لاسيما وأن غلام أحمد قد (نهي) المسلمين عن الجهاد ، في الوقت الذي كان فيه المسلمون الهنود يجاهدون ضد المستعمر البريطاني ، وكان مما قاله في هذا الصدد . .

« دعوا أيها الأصدقاء فكرة الجهاد . . »

« فالقتال والجهاد للدين حرام . . »

« لقد أتى الآن المسيح وهو الإمام . . »

(١) القاديانية ، تاريخها وعلاقتها ، « كلزار أحمد مظاهري » وزميله .

- « وانتهت الحروب من أجل الدين . . »
- « الآن نزل نور الله من السماء . . »
- « فدعوا الآن فتوى الحرب والجهاد . . »
- « إن المجاهدين اليوم هم أعداء الله . . »
- « وينكر النبي من يعتقد بالجهاد . . »

ومن الواضح ، أن هدف الدعم الذي أمد الإنجليز القاديانية به هو دعوة المسلمين إلى ترك الجهاد ، الذي هو فريضة على كل مسلم دفاعاً عن دين الله ، فلقد كان المسلمون هم أشد سكان شبه القارة الهندية في مقاومتهم ، وجهادهم ، ضد المستعمرين الإنجليز ، وحين نشبت الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) ، دعا القاديانيون إلى مقاتلة الدولة العثمانية المسلمة إلى جانب الإنجليز غير المسلمين ، وقال زعمائهم في تبرير ذلك :

- « نحن مع جورج الخامس . . لأنه هو الخليفة الحالي . . »

فالقاديانية فئة مارقة على الإسلام ، ولا نعترف بها بأي وجه من الوجوه ، لأنها تقف على النقيض من كل ما نؤمن به ونعتقد . . فهي تدعي لصاحبها النبوة وتنكر على رسول الله ﷺ أنه خاتم الأنبياء ، وهي تفسر القرآن الكريم على هواها ، وبما يخالف التفسير الصحيح ، ويتفق وأهدافها التخريبية ، وهي لا تعترف بقداسة الكعبة المشرفة والأراضي الطاهرة كمكة المكرمة والمدينة المنورة ، وتحظى بدعم وتأييد غربيين من الصليبية ، المتمثلة في الدول الاستعمارية ، ومن الصهيونية ، المتمثلة في إسرائيل ، ولها منشآت و« مدارس » في فلسطين المحتلة ، ولها كامل الحرية في ممارسة طقوسها الشاذة ، ومحاولة نشر أفكارها المنحرفة ، وهذا الدعم نفسه تتمتع به القاديانية في بعض الأقطار الأفريقية . .

ولطالما شعرت بالدهشة خلال زيارتي لبعض تلك الأقطار وكنت أتساءل : من أين تأتي القاديانية بكل هذه الأموال التي تنفقها على نشاطاتها التخريبية ،

Created with

مع أنها أقلية ضئيلة ، وما هو سر كل هذا النشاط الذي تبديه للترويج لنفسها متخذة من الإسلام ستاراً والإسلام منها براء ؟ . .

الواقع أن بعض إخواننا المسلمين في « أفريقيا » قد خدعوا حقاً بهذه الفئة الضالة ، فاعتقدوا ، بذلك ، أنهم قد دخلوا في الإسلام ، ولكن ما أن اكتشفوا حقيقة التضليل القادياني حتى قطعوا كل صلة لهم بالقاديانية ، وتابوا إلى الله تعالى ، وكان ذلك يحدث ، عادة ، كلما عمد أحد الدعاة الإسلاميين إلى تبصيرهم بحقيقة القاديانية وبراءة الإسلام منها ، ومما تعتقد وتفعل . .

والقول نفسه ينطبق على فئة أخرى لا تقل ضللاً عن القاديانية ، ورأيت لها نشاطات واضحة في بعض أقطار « أفريقيا » ، وهي البهائية . .

فالبهائية فئة ضالة مضللة ، لا علاقة لها بالإسلام من قريب أو بعيد ، وهي « شيء » قائم بذاته ، لا هو بالمذهب ولا هو بالدين ، وإنما هو ضلال عظيم ظهر في « إيران » منذ حوالي قرن ونصف (١٢٦٠ هـ) بادعاء شخص اسمه « علي محمد-الشيرازي » أنه « الباب » إلى « المهدي المنتظر » ، وقد انتهى هذا الرجل إلى الهلاك بالحكم عليه بالإعدام عام (١٢٦٦ هـ) ، فتسلم الفتنة منه شخص معتوه اسمه « ميرزا حسين علي المازندراني » ، الذي دعا نفسه « بهاء الله » ، وأعلن أن « الباب » ليس سوى « مبشر » بظهوره ، ثم بلغ به السفه والعته أن ادعى لنفسه الربوبية ، وراح يهدي بأفكار سقيمة ، وعبارات ركيكة ، يريد بها أن يستبدل كلام الله في قرآنه الكريم ، وشريعة الإسلام . .

وليس مجالنا ، هنا ، أن نتوسع في بحث حقيقة البهائية الضالة ، وتبرؤ الإسلام منها تبرؤاً كاملاً ، وتصنيفه لها كأحد أعدائه الذين تدعمهم الصهيونية والصليبية ، ولكنني أكتفي بالإشارة إلى التخريب الذي تمارسه البهائية وانخداع البعض بها في « أفريقيا » ظناً منهم بأنها هي الإسلام ، ونبذهم لها حينما تبينوا ضلالها وافتراءها وبراءة الإسلام منها . .

ومع أنني أسجل ، بكتيبر من التقدير ، ما يبذله الدعاة الإسلاميون من جهود

في كشف أضرار الفئات المدعية للإسلام كذبا وزورا ، إلا أنني أتصور أن الأمر يحتاج منا مواصلة الجهود وتطويرها وتوسعة نشاطاتها لمحاصرة تلك الفئات وتوعية الناس بحقيقتها وأهدافها ، وعلاقتها الوثيقة بأعداء الإسلام وخصومه .

تلك مشكلة أخرى من مشكلاتنا الإسلامية في « أفريقيا » ، تستدعي منا أن نوليها ماتستحقه من اهتمام ، في سياق دفاعنا عن دين الله ، ومجاهدتنا لأعدائه في « أفريقيا » وفي غير « أفريقيا » . .

الحاجة إلى توعية المسلمين

هناك ، أيضا ، مشكلة - أو مشكلات أخرى - رأيت بعضها بنفسي ، وأبلغني ببعضها الآخر أشخاص غيورون على الإسلام ، وقرأت عن بعضها فيما وصل إلى يدي من مصادر . .

وموجز المشكلة ، وقد ألمحت إليها بشكل خاطف في صفحات سابقة ، أن بعض إخواننا المسلمين في « أفريقيا » بحاجة شديدة إلى توعية إسلامية منتظمة ومتواصلة ، تخاطب كلا منهم حسب قدرته ومداركه . .

ومعظم الجمعيات الإسلامية ، والمدارس ، والمكتبات ، تشكو حاجة شديدة إلى مزيد من الكتب والنشرات والمصادر التي تبين للمسلمين الأفريقيين حقيقة دينهم ، وتباعد عنهم الأضاليل والشبهات . .

ولقد سمعتها بنفسي من كثير من الأساتذة الأفاضل المشرفين على بعض الجمعيات الإسلامية في بعض الأقطار الأفريقية :

- « إننا في حاجة إلى كثير . . وكثير جداً من الكتب الإسلامية . »

والحقيقة أن الكتب التي نحن في حاجة إليها هي كتب إسلامية مبسطة تتحدث إلى الناس بلغة يفهمونها وتكون قريبة إلى عقولهم وقلوبهم وتأخذ بأيديهم نحو فهم أقوى وأعمق للدين الإسلامي . . أما هذه الكتب الضخمة

التي توزع وينفق عليها الملايين ، فهي كتب متخصصة ومن غير اليسير على الفرد العادي جمعها فضلاً عن فهمها . . ولهذا فإننا عبثاً نحاول نشر الدعوة الإسلامية من خلال هذه الكتب ، إذ يجب أن نعكف على وضع كتب تصلح لتحقيق الهدف الذي ننشده ويتقبلها الناس ويقبلون عليها وخاصة الناشئة منهم .

ومع أنني أعلم أن الجهات المعنية بالدعوة الإسلامية تبذل جهد استطاعتها في تزويد إخواننا المسلمين الأفريقيين بالكتب ، إلا أنني أعتقد أن الحاجة ماتزال قائمة إلى المزيد من هذه الكتب التي تبصّر الإخوة ، هناك ، بدينهم في جوهره الصافي ، وشريعته السمحة ، كما وردت في الكتاب والسنة وتراث السلف الصالح ، من غير زيادة ولا نقصان ، ودون تزويد أو تأويل أو تعقيد .

ضرورة حل الخلافات ومنع تجددتها

وجه آخر من وجوه المشكلة ، يبدو لنا في الخلافات التي تقع بين بعض المسلمين ، حتى في المدينة الأفريقية الواحدة ، حول شكليات لم يأمر بها الدين ولا نهى عنها ، وإنما هي آراء قال بها البعض ، فتحزب لها قوم ، وأنكرها آخرون ، فكان الخلاف بين الفئتين بما لا علاقة له - في واقع الأمر - بجوهر الدين وحقيقته . .

وما من شك في أن مثل هذه الأمور إنما تعود ، في الواقع ، إلى ضعف في التوعية الدينية ، يضاف إليه ما يثبته ذوو النيات السيئة من أعداء الإسلام العاملين بنشاط من أجل كل مامن شأنه أن يسيء إلى الإسلام ، ويضعف شوكته ، ويعد مسلمي « أفريقيا » عن جادة دينهم القويم . .

ولدى علماء المسلمين ودعاتهم ممن زاروا القارة الأفريقية ، وكذا الجهات المعنية بالدعوة ، كثير من المعلومات حول هذا الشأن الذي لا أجد حاجة للتوسع فيه ، فاكتفيت بالإشارة إليه باعتباره إحدى المشكلات التي يتعين علينا



مواجهتها والعمل على حلها ، ضمن مجموعة المشكلات الإسلامية في « أفريقيا » ..

علاوة على ذلك كله ، فهناك إخوة لنا في الإسلام ، يجاهدون أعداءهم الذين يشهرون السلاح في وجوههم ، إما في حرب طويلة كما هو الشأن في « أرتيريا » التي تقاتل الاستعمار الأثيوبي منذ أكثر من عشرين سنة ؛ أو في حروب قصيرة ، يقوم بها بلد ما لحساب الغرباء من المستعمرين القدامى ، وهي - كلها - مشكلات معروفة ، ومشهورة ، وتعتبر إحدى المواد اليومية الدائمة في وسائل الإعلام ..

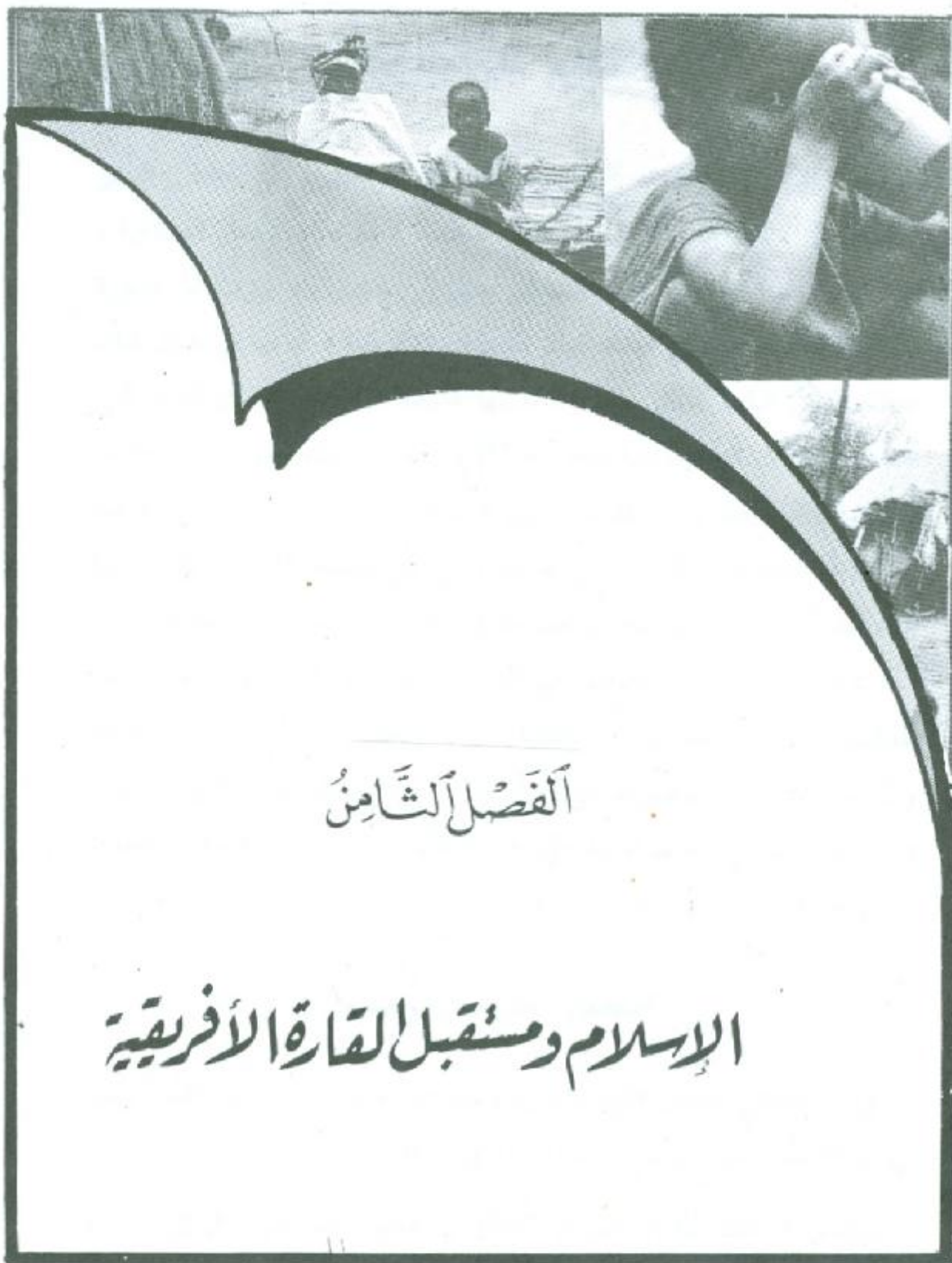


خلاصة

خلاصة القول ، في معرض الحديث عن المشكلات الأفريقية من جهة ، والمشكلات الأفريقية الإسلامية من جهة أخرى ، أن العبء ثقيل ، والمهمة صعبة - ولكنها ليست مستحيلة - وأن على إخواننا وأصدقائنا في « أفريقيا » أن يعوا أبعاد تلك المشكلات وأن يتطلعوا إلى البعيد من مقل الأيام ، فإذا كان أعداؤهم - وهم أعداؤنا في نفس الوقت - قد نجحوا حيناً وأخفقوا حيناً ، فلا النجاح يجعلهم يكتفون بما حققوه ، ولا الإخفاق يثنيهم عما هم فيه ، « أفريقيا » هي قارة المستقبل ، بعد أن ظلت قروناً عديدة قارة الماضي ، وعليها - حكومات وشعوبا - أن تعي هذه الحقيقة حق الوعي ، وأن تعرف أين تكمن مصالحها ، ومن هم أعداؤها ، ولماذا ، ومن هم أصدقائها ، ولماذا ، فقد نصل معهم - من خلال هذه المعرفة - إلى الإجابة على السؤال في جملة واحدة :

- أفريقيا .. لماذا ؟ .. لأنها قارة المستقبل ..





الفصل الثامن

الإسلام ومستقبل القارة الأفريقية

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الخطر القادم على جناح الأثير

يعتبر الإعلام وأجهزته الحاضرة أداة فعالة وخطيرة في مجال التأثير الجماهيري ، فإذا أضفنا إلى ذلك البعد الجديد لاستخدام الأقمار الصناعية ، وقدرتها المستقبلية على البث المباشر حتى إلى المنازل ، برزت لنا بصورة جلية تلك المخاطر التي تهدد كيان الشعوب الأفريقية ، شأنها في ذلك شأن معظم الدول النامية ، التي وجدت نفسها عديمة الحيلة أمام تلك القوى التي أصبحت تملك التكنولوجيا الفضائية والإعلامية ، وتستخدمها لبث أفكارها وثقافتها ، في خط واحد تفرضه على هذه الدول ، دون أن تتيح لها فرصة التبادل أو التعاون أو التعبير عن نفسها ، بل هي هيمنة كاملة ، تهيمن فيها هذه الشبكات الإعلامية بحيث أصبحنا في الدول النامية نعرف سياسة الدول الكبرى جميعا ونعرف نجومها في السينما والغناء ، بل أصبحنا نعرف عن بلدانهم أكثر مما نعرف عن بلداننا . ومن الجدير بالذكر أن أكبر ثلاث وكالات للأخبار المصورة في « أمريكا » و« بريطانيا » ، وأكبر خمس وكالات أنباء في العالم توجد في « الولايات المتحدة » و« بريطانيا » و« فرنسا » و« الاتحاد السوفيتي » .

استعمار جديد .. رهيب

وربما تتمكن الدول الكبرى ، في وقت غير بعيد ، أن تطلق أقماراً تبث في بيوتنا بثاً مباشراً دون أن نملك أمامها شيئاً .

والذي لا شك فيه أن صراع الأفكار في عصرنا هذا قد تحول إلى صراع بين التكنولوجيات بدلا من أن يكون صراعا بين الأيديولوجيات ؛ ذلك أن الذي يملك التكنولوجيا المتقدمة هو الذي يستطيع نشر أفكاره وقيمه ، أو

بعبارة أخرى ، هو الذي يملك أداة الغزو الثقافي .

ومن الملاحظ أن الدول الصناعية تسيطر سيطرة شبه كاملة على تصنيع الأقمار وعلى تقدير أثمانها وعلى التحكم فيها لضمان بقائها في مدارها ، بل إن تقنية إطلاق التوابع الصناعية تتم عن طريق صواريخ لا تنتجها حتى الآن إلا الدولتان العملاقتان وبعض الدول القليلة الأخرى التي حققت تقدما ملحوظا في مجال صناعة الصواريخ^(١) .

إن السيطرة على وسائل الإعلام الآن أصبحت في يد من يملك التكنولوجيا المتقدمة في مجال الاتصال . ولا شك أن سلطان الإعلام قد غدا خطيرا في عالم اليوم . بل أصبح القوة المحركة لكل القوى الاجتماعية ، أو هو الجهاز العصبي للمجتمع . ولسنا بحاجة إلى أن نؤكد أن الذي يسيطر على الإعلام والثقافة - وهما وجهان متكاملان من أوجه النشاط العقلي والفني - لا بد من أن يسيطر على الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

إننا نكاد نقطع أن الدول المتقدمة سوف تتمكن خلال فترة قصيرة من أن تجعل إرسالها التليفزيوني يغطي كافة أنحاء الكرة الأرضية ، كما هو الحال في الإرسال الإذاعي ، وذلك عن طريق استخدامها للأقمار الصناعية ، وهكذا يتعرض العالم النامي لعملية غزو إعلامي فكري بالغ الخطورة على معتقداته وأفكاره وقيمه^(٢) .

السيطرة للعلم والتكنولوجيا

ولا بد لنا أن نفرق هنا بين الغزو الفكري والتفاعل الفكري ؛ فالغزو الفكري هو عملية استعمارية عدوانية تسلطية لا شك فيها ، وهو ما يتحتم أن نحاربه . أما التفاعل الفكري فهو ممارسة حضارية نأخذ فيها من العالم -

(١) لمزيد من التفاصيل ارجع إلى كتاب « أقملر الفضاء - غزو جديد » للمؤلف .

(٢) المرجع السابق . Created with

أيا كان - ونعطيه ضمن ضوابط ديننا وأخلاقنا ومجتمعنا وثقافتنا الخاصة . وإذا كان الاستعماريون يحاولون الخلط بين الاثنين لتضليلنا عن حقيقة الغزو الفكري وإبرازه كتفاعل حضاري ، فإن مهمتنا هي بالتحديد التصدي لما تنتجه حضارتهم ، وفرزه بوعي وذكاء ، فما يلائمنا منه أخذناه بعد أن نطمئن إليه ، وما يتعارض مع قيمنا ومبادئنا نبذناه ودعونا إلى الابتعاد عنه .

وأود أن أشير إلى أننا في هذا المقام لا نتحدث كذلك عن التبادل الثقافي الذي هو ضرورة حتمية في ظل الحضارات المختلفة ؛ ذلك أن هذا التبادل يقوم على الانتخاب والانتقاء الحر ، وبالتالي فلا ضرر منه ولا خطر فيه ، بل فيه بالتأكيد مصلحة ومنفعة . إننا نتحدث هنا عن الغزو الثقافي الذي يعتمد على عملية اقتحام شاملة للأثير تستهدف بدورها اقتحام الثقافة والقيم الوطنية ، وإعادة صياغتها بما يتناقض مع التراث والعادات القومية العريقة ، والخطر الذي نتحدث عنه هنا هو الخطر الناجم عن غزو الأثير أو غزو ثقافتنا عن طريق الإذاعة والتلفزيون وما تتيحه الأقمار الصناعية لها من قدرة لا ضابط لها في التأثير على الثقافات والقيم الأخرى ، دينية كانت أو اجتماعية ، في عملية غير متكافئة تتم بها سيطرة الثقافة المسلحة بالتكنولوجيا المتطورة على سواها من الثقافات العزلاء - إن صح هذا التعبير - وتكون النتيجة الحتمية تشويهاً ، ومسحاً ، وصياغة للشخصية على هوى القوى الغازية عبر هذه الأقمار أو القوى الاستعمارية الجديدة .

.. والتصدي ، بالعلم والتكنولوجيا !..

ولهذا كله تعتبر قضية الإعلام في « أفريقيا » من القضايا الأساسية التي لا بد من الاهتمام بها والتركيز عليها عندما نحاول وضع خطط وبرامج للتعاون ، ولكن من الخطأ أن نتصور أن مساعدتنا لهم يجب أن تكون في مجال شراء التكنولوجيا الضرورية لهم ، إذ أن هذا لا يفي مطلقاً ؛ بل علينا أن نعينهم ونعين أنفسنا على محاولة احتلاك هذه الآلات وتنمية القدرة على التعامل معها . ولا مناص

من مرورنا بمرحلة ضرورية نساير فيها التطور الحضاري العالمي ، ونستفيد مما توفر من تكنولوجيا ، ونعمل في نفس الوقت على تدريب أبنائنا على صناعة وإنتاج التكنولوجيا بطريقة تدريجية ، تبدأ من إحساسنا بأهمية أن نمتلك ونصنع ما نحتاج إليه من تكنولوجيا ، وهذا شيء ممكن وقد صنعتته الأمم من قبلنا ، وهو ليس ضرباً من الخيال ؛ فهناك الكثير من النوابع عندنا وعلينا تعليمهم التعليم الصحيح ، وإعطاؤهم الفرصة للعمل والإبداع ، ثم علينا العمل على صناعة ذلك الصف الطويل من الفنانين الذين يحيلون هذه الآمال إلى واقع .

وهنا تبرز أهمية تدريب الكوادر العاملة في الحقل الإعلامي ، سواء في مجال التشغيل والصيانة أو في مجال الإنتاج .

وهكذا نرى أن التدريب ذو شقين : أحدهما تقني ، والآخر برامجي . والتدريب التقني على وجه الخصوص يتطلب خلفية علمية شاملة في المجتمع ككل ، وهذه هي مشكلة نقل التكنولوجيا من العالم الصناعي إلى العالم النامي بصفة عامة ، فأنت لا تستطيع أن تنقل تكنولوجيا متطورة في مجتمع لا قدرة له على استيعابها ، والأمر إذن يحتاج إلى قدر معقول من التطور العلمي والثقافي والاجتماعي ، حتى يكون نقل التكنولوجيا من مجتمع إلى مجتمع ممكناً .

وفيما يتعلق بالتدريب البرامجي فسوف نجد معادلة متشابهة تماماً ، فمن أين توجد العناصر التي ستكتب للتلفزيون ، والتي ستخرج وتذيع ، وأين الممثلون والموسيقيون إلا إذا كان هناك جو ثقافي عام في المجتمع يتيح ذلك ؟ هل يمكن أن توجد تمثيلات تلفزيونية جيدة دون أن يكون هناك مسرح نشأ فيه الممثلون والمخرجون ؟ هل يمكن أن توجد أفلام تلفزيونية جيدة دون أن تكون هناك صناعة سينمائية تدرس فيها المصورون ومهندسو الديكور ومصممو المشاهد ؟ هل يمكن أن يوجد سيناريو تلفيزيوني جيد دون أن تكون هناك حركة تأليف ونشر ترعرع فيها الكتاب ؟

وبالمقابل فإننا نجد أن مثل هذه الحركة الثقافية والفنية تنمو بنمو

التليفزيون ، فهو يستهلك إنتاجها ، ويسدد جانباً من نفقتها ويذيع أخبارها ،
ويزيد نجومها لمعانا^(١) .

وفضلاً عن ذلك كله لا بد أن يتضح أمامنا كهدف ثابت أن تحصين الهوية
الذاتية الثقافية هو المقام الرئيسي الذي ينبغي أن نعمل له في مواجهة ثقافية
لن تكون متكافئة ؛ فالحصانة والمناعة وتعميق الوعي بالذات حتميات لا بد
منها في المواجهة ، كما أن معرفة ما يقوم به الآخرون ضرورة وذلك حتى نعرف
مواقع أقدامنا ، ونحسن توظيف أعمالنا وإنتاجنا لنحقق المردود الأمثل . وإذا
كنا نأسف لعدم استخدام الإمكانيات التي يقدمها حتى الآن القمر الصناعي
العربي (عربسات) للأمة العربية وبعض الدول الإسلامية المتاخمة التي يمكن
استفادتها منه ، فذلك لأننا نعلم أن القناة غزيرة الإشعاع والتي بلغت تكلفتها
٢٠٪ من تكلفة القمر الصناعي العربي لم تستثمر حتى مطلع عام ١٩٨٩ بينما
يصل القمر الصناعي العربي إلى أكثر من نصف عمره الافتراضي (أطلق القمر
الأول في فبراير ٨٥ والثاني في يونيو ٨٥) .



ماذا يفعل غيرنا في عالم الاتصال والدعوة ؟

سؤال يجيب عنه جزء من تقرير قدمه الأخ « أحمد فراج » ، أمين عام الأمانة العامة « لمنظمة إذاعات الدول الإسلامية » ، إلى المؤتمر الأول لوزراء الإعلام في الدول الإسلامية ، وكان المؤتمر قد عقد في « جدة » في ١٠ أكتوبر ١٩٨٨ م . ونظرا لخطورة وأهمية ذلك التقرير نقبس منه الصفحات التالية تحت عنوان (دراسة استطلاعية حول إذاعات الدعوة والتنصير) .

« .. وإذا نظرنا إلى خريطة انتشار الإذاعات الدينية التنصيرية ، جغرافيا وبشريا ، فسنجدها تتدفق من أكثر من مركز في أكثر من اتجاه .

« ونلمس أكبر قدر من التدفق كما وكيفا في الاتجاه القادم من « أوروبا » إلى مناطق التركيز الإسلامي في القارتين الإفريقية والآسيوية ، وبعبارة أخرى فإن الجمهور المستهدف في هذه الحالة هو المسلمون بوجه عام ومن يستطيعون التأثير على جماهير المسلمين بوجه خاص . والمصدر الذي تتدفق منه هذه الإذاعات إلى هذا الجمهور المسلم قد يكون بروتستنتيا أو كاثوليكيا ، وإن كانت المصادر البروتستنتية أكثر نشاطا في هذا المجال .

« هناك أيضا إذاعات مسيحية موجهة إلى شرق « أوروبا » في عمل دعائي موجه ضد « الاتحاد السوفيتي » ، وهناك إذاعات مسيحية أخرى تستهدف تثبيت أركان المذهب الكاثوليكي في « أمريكا اللاتينية » ، وإذاعات بروتستنتية تستهدف زعزعة العقيدة الكاثوليكية في نفوس معتنقيها أو تثبيت العقائد البروتستنتية في « أوروبا » و « أمريكا الشمالية » ولدى معتنقيها في « آسيا » و « أفريقيا » .

« كذلك نجد ^{جانبها كبيرا} من هذا النشاط الإذاعي موجهها إلى غير



المسيحيين وغير المسلمين في « أفريقيا » وجنوب شرق آسيا لتحويلهم إلى العقيدة المسيحية ، بروتستنتية أو كاثوليكية ، حسب المصدر الذي تتدفق منه الإذاعات ، في سباق محموم مع انتشار الإسلام في هذه المناطق .

« فهناك إذن مساران لهما أهميتهما الخاصة بالنسبة للمسلمين : الأول هو التدفق الإذاعي إلى جماهير المسلمين في بلادهم ؛ والثاني هو التدفق الإذاعي لعرقلة انتشار الإسلام والتبشير بالمسيحية .

مواقع التخطيط للإذاعات التصيرية

« فيما يلي بيان موجز بالمراكز الرئيسية لتخطيط التبشير الإذاعي في العالم ، مع العناية بوجه خاص بالإذاعات الموجهة إلى المناطق الإسلامية أو المناطق المؤهلة لانتشار الإسلام .

المركز الرئيسي لراديو الفاتيكان :

وهو تحت الإشراف والتوجيه المباشر من البابا، ويموله الكرسي البابوي من ميزانية الدعوة والتبشير ، وتتبعه إدارات للتخطيط الديني وتخطيط البرامج والتخطيط الهندسي والتخطيط الإداري . ويعمل هذا المركز بالتعاون الوثيق مع مكتب الاتصال لمؤتمر الأساقفة في تحديد دور الكنيسة الكاثوليكية في الإذاعات التبشيرية ، وتتبعه لجتان رئيسيتان إحداهما للراديو والأخرى للتلفزيون ، كما يتعاون مع المعهد الكاثوليكي لمعلومات الاتصال (قسمي الراديو والتلفزيون) .

اللجان الإقليمية للإذاعات الكاثوليكية :

في أوروبا و « أفريقيا » وجنوب شرق آسيا .

الاتحاد الدولي الكاثوليكي للراديو والتلفزيون :

المقر الرئيسي لهذا الاتحاد في « بلجيكا » ويخطط للأنشطة الموجهة إلى :



« مصر » و« السودان » و« تشاد » و« مالي » و« موريشيوس » و« غينيا »
 و« جامبيا » و« لبنان » و« باكستان » و« بنجلاديش » و« الهند »
 و« إندونيسيا » و« سرى لانكا » و« الفلبين » ، بالإضافة إلى عدة دول في
 « أفريقيا » و« آسيا » و« أمريكا الشمالية » و« أمريكا اللاتينية » و« أوروبا » ،
 وتتبعه عشرون منظمة فرعية .

مجلس الكنائس العالمي ، والمجالس الإقليمية التي تتبعه :

ويعطي توجيهات على المستوى العالمي في مجال التعاون بين الكنائس
 الكاثوليكية والبروتستنتية (بقدر ما تسمح به ظروف كل من الفئتين) في المجال
 المشترك للتبشير المسيحي عن طريق الراديو والتلفزيون .

الإرسالية الإنجيلية للراديو :

تخطط من مركزين أحدهما في « أوروبا » (« للشرق الأوسط » و« أفريقيا »
 و« آسيا ») ، والآخر في « الولايات المتحدة » للأمريكيتين ، وهي التي
 تسمى إذاعاتها « المسيح يحيا » وتنسق نشاطها مع « إذاعة حول العالم » .

المركز الرئيسي للإذاعة الإنجيلية الدولية :

يخطط هذا المركز لأكبر نشاط تبشيري في العالم ويدير من « مونت
 كارلو » في « موناكو » شبكة إذاعية تنتشر فروعها ومراكز إرسالها في مختلف
 مناطق العالم . وهو المسؤول مباشرة عن « إذاعة حول العالم » وتتبعه لجان
 إقليمية للراديو والتلفزيون . ويشرف عليه تنظيم دولي يسمى « إرسالية الراديو
 الدولية » .

مؤتمر كنائس عموم « أفريقيا » :

بفرعيه : في شرق القارة المتحدث بالإنجليزية ؛ وغربها المتحدث
 بالفرنسية ، تخطط إقليمي الإذاعات التبشيرية في القارة الأفريقية .

وإذا تتبعنا جذور هذه الأجهزة التخطيطية فسنجدتها في النهاية تشكل تنظيمين أحدهما كاثوليكي والآخر بروتستنتي ، ولكنهما ، فيما يتعلق بالمنطقة الإسلامية وفي نظرتهما إلى انتشار الإسلام ، يعطيان لأجهزتهما التنفيذية ما يمكن أن نعتبره خطأ دعائيا مشتركا ، هو الذي تبنى عليه مختلف الرسائل الإذاعية مهما كان توجيهها ، ألا وهو أن المسيحية هي الحل الأمثل لمختلف العلل الاجتماعية التي يشكو منها العالم بأسره ، كما أن فيها « الخلاص » في الدنيا والآخرة . وتنتهي مختلف الطرق التي تفيض هذه الإذاعات في وصفها إلى جوهر العقيدة المسيحية وإلى ضرورة الإيمان « بالوهية السيد المسيح وصلبه » مفتاحا لمواجهة جميع مشاكل العالم .

وهذه الأجهزة التخطيطية تقوم ، إلى جانب تحديد الإطار العام والخطوط الرئيسية للإذاعات التبشيرية ، بتوجيه الجوانب التدريبية والبرنامجية والفنية والتمويلية للإذاعات التبشيرية على المستوى العالمي .

مراكز التدريب

من أهم ما تعنى به الإذاعات الدينية والتبشيرية إعداد الدعاة الذين يستطيعون استخدام الراديو أو التلفزيون أو كليهما بمهارة فائقة وفقا لظروف كل من المجتمعات المستهدفة .

وبالإضافة إلى معاهد التدريب الإذاعي الملحقه بالجامعات أو مراكز التدريب المتخصصة المنتشرة في بلدان « أوروبا » و « أمريكا » ، أنشئت في القارة الأفريقية مجموعة من مراكز التدريب لإعداد الدعاة محليا .

ويتولى مجلس الكنائس الأفريقية مسؤولية خاصة في تمويل هذه المراكز وتوجيهها ، وله في شرق « أفريقيا » الناطقة بالإنجليزية مركز للتدريب الإذاعي في إطار المركز الكنسي للتدريب على الاتصال في « نيروبي » ، ويقدم دورات تدريبية في « أفريقيا » الناطقة بالإنجليزية مركز للتدريب الإذاعي . ويقدم هذا

المركز دورات تدريبية في الإعلام الإذاعي المحلي والمركزي إلى جانب دورات عن الاتصال المباشر والاتصال الإنمائي والاتصال الريفي من زاوية مسيحية . كما يُجري أبحاثا إذاعية وينظم ندوات وحلقات نقاش حول استخدام الإذاعة في الدعوة والتبشير .

وفي « تنزانيا » يوجد مركز « لوثري » للراديو يقدم دراسات نظرية وتدريبات عملية على استخدام الراديو في « الاتصال عبر الثقافات » أي الوجه التبشيري للإذاعات الدينية ، ومقره في « موشي » « بتنزانيا » .

وفي « زيمبابوي » تقدم الكلية المسيحية « لأفريقيا الجنوبية » دراسات متكاملة في الإذاعة الدينية وتمنح درجات جامعية في هذا المجال .

وعلى هذا الجانب الكاثوليكي من الجهود التبشيرية تقوم إذاعة « الفاتيكان » الممولة مباشرة من الكرسي البابوي بجهود تدريبية على مستوى العالم . بالإضافة إلى مهام مكتب الاتصال لمؤتمر الأساقفة الكاثوليك .

ويتم التدريب في جميع الحالات عن طريق دورات دراسية مركزة ، وحلقات بحث ومناقشة .

وتوجد في مناطق التركيز الكاثوليكي مثل مقاطعة « كيبيك » في « كندا » معاهد متخصصة في الإعلام الكاثوليكي يستعين بها الفاتيكان في تخرج الدعاة والمبشرين الإذاعيين .

ومعظم الأنشطة التدريبية ، سواء منها البروتستنتية أو الكاثوليكية ، يهتم بالجانب العملي والتطبيقي لنظريات الاتصال ، وباستخدام تكنولوجيا الاتصال المتطورة ، إلى جانب الوسائل التقليدية التي تعتبر أكثر ملاءمة وإن كانت أقل بريقا، في الدول النامية .

وتُعنى البرامج التدريبية بصفة خاصة بالإخراج للراديو والتلفزيون ، والأداء ، خاصة فنون الإلقاء كما تتضمن البرامج بعض الدراسات النفسية

والاجتماعية والأنثروبولوجية ونواحي التنظيم والإدارة المتصلة بالراديو والتلفزيون ، ومعلومات هندسية وتكنولوجية مفيدة في هذا المجال .

ضرورة مواجهة البرامج الإذاعية الخطرة !

وعلى الرغم من افتراض المعرفة السابقة بالمحتوى الديني والتبشيري ، فإن المتدربين يتلقون دروسا خاصة تربط بين العقيدة المسيحية والمشكلات الاجتماعية المعاصرة .

والواقع أن المنطقة الإسلامية تواجه الآن نشاطا مركزاً ، واسع النطاق في الوقت نفسه ، يعتبر غزواً فكرياً ودينياً بعيد المدى على مختلف جبهات العقيدة والسلوك الاجتماعي ، تشارك فيه الإذاعات التبشيرية بمجهود مخطط وتستعين فيه بتكنولوجيا الاتصال المتطورة . وسواء كانت هذه الإذاعات أداة للدعوة المسيحية في خدمة الدين المسيحي لدى معتنقيه بهدف تثبيت العقيدة ، أو كانت عملاً تبشيراً سافراً أو مقنعاً ، فهي تقتضي من الإذاعات الإسلامية وقفة نظر إلى المستقبل وإلى المخاطر التي تهدد الأمة الإسلامية ذاتها ، كما تعرقل مسيرة الدعوة الإسلامية .

ومن غير الممكن أن نترك المجال الإذاعي لأمتنا وكذلك المجال الإذاعي للدعوة الإسلامية لتستأثر به حملات التنصير المنظمة بما وراءها من تخطيط وتدريب وتمويل واستعانة بأحدث ما تقدمه تكنولوجيا الاتصال .

وليس هناك إلا خيار واحد هو التصدي إذاعياً للدفاع عن العقيدة الإسلامية وعن الفرص المتاحة أمام الدعوة الإسلامية . ولذلك الاختيار منطلقات متعددة للوصول إلى الأهداف التي تملحها علينا مسؤولية العمل الإسلامي في هذا العصر ؛ وفي مقدمتها أن نأخذ بزمام المبادرة في التوجه إلى الجماهير وقادة الرأي بالأسلوب والوسيلة الملائمتين . وبين أيدينا صورة صادقة لنشاط الإذاعات التنصيرية تفرض علينا أن تكون لدينا على الأقل خطط وبرامج مماثلة

وأن تتعاون الإذاعات الإسلامية في بث برامج متفق عليها ومُتَّجَعَةً على أعلى مستوى من الجودة ، خاصة في اتجاه « أفريقيا » وجنوب شرق « آسيا » .

لا تتناول هذه الدراسة ما تقوم به الإذاعات الدينية ، سواء في مجال الراديو أو التلفزيون ، بهدف تثبيت العقيدة وتأكيد لها لدى معتنقيها ، ولكنها تركز على الجانب التصيري وخاصة ما يتجه إلى الشرق الأوسط و« أفريقيا » وجنوب شرق « آسيا » . وليس في هذا ما يهون من خطورة هذه الإذاعات باعتبارها عاملا مضادا للدعوة الإسلامية في « أوروبا » و« أمريكا الشمالية » و« أمريكا اللاتينية » و« استراليا » .

ولدينا مثلاً صارخان للنشاط التبشيري الإذاعي الموجه إلى المسلمين في دول إسلامية لا تستطيع الإرساليات المسيحية أن تقوم فيها بعمل تبشيري بالوسائل التقليدية :

في تقرير صدر عن « إذاعة حول العالم » عن دولة الإسلامية في شهر سبتمبر ١٩٨٨ نص رسالة من مستمع في هذه الدولة يقول : « وسط هذا الخراب أدهشنا أن نسمع في الراديو صوتا هادئا مريحاً للنفس يتحدث عن السلام وعن الحق ، كان هذا هو برنامجكم عن المسيح . أريد ، أيها الأصدقاء الأعزاء ، أن أعرف المزيد عن يسوع . أتوسل إليكم وأرجوكم أن ترشدوني إلى الحق وأن تقولوا لي كيف أعتنق هذا الحق » .

ويقول تقرير آخر لنفس الإذاعة إن الراديو يستطيع أن يحمل رسالة الإنجيل إلى الناس في بلاد الشرق الأوسط المغلقة رسمياً في وجه الدعوة المسيحية ، ويقتبس فقرات من رسالة يدعي أنها وصلت إلى الإذاعة من مستمع في « المملكة العربية السعودية » يرسل منها التحية « إلى إخوته الذين يعظون الناس ويخرجونهم من الظلمات إلى النور » ، في « برنامج صوت الغفران » من « إذاعة حول العالم » ، ويذكر فيها أنه رجل يعيش في « المملكة العربية السعودية » وأنه درس القرآن في الحرس الشريف حتى وصل إلى مستوى جيد من المعرفة

به وتم تعيينه عضوا في اللجنة التي تقوم بالوعظ سواء في « مكة » أو في « أفريقيا » ، ويقول : « ... كنت جالسا في الدار أستمع إلى إذاعتكم عندما سمعت صوتا لم أسمعته من قبل ، صوتا يدعو الناس إلى الإيمان بالمسيح ، فدخل الحب قلبي فانفتح لهذا الدين وأردت أن يصبح ديني وتحدثت إلى والدتي وزوجتي في هذا فقالتا إن ذلك من عمل الشيطان ليصرفني عن طريق الله . ثم ذهبت إلى « المدينة » وتحدثت إلى أصدقائي الذين يدرسون في جامعها الدينية فنصحوني أن استعيز من الشيطان ، فحاولت أن أقنعهم وفتحت الراديو فسمعوا وأصبحوا مثلي . . ونحن نعيش الآن في خطر ولا نعرف ماذا نفعول ، وهل نعلن ديننا الجديد ، لأن الحكومة ستبتطش بنا ، ونريد أن نذهب إلى أي بلد في أوروبا أو غيرها لتتعلم المزيد عن هذا الدين الحسن الذي اشتعل قلبي بحبه ، أرجوكم أرشدونا إلى أي كنيسة نهاجر . »

ليس مهما أن نناقش مدى صدق هذا التقرير ففيه من الخيال والتأليف ما هو أوضح من الكذب ، ولكنه يقدم الدليل على ما تهدف إليه هذه الإذاعة التي تمارس نشاطا تبشيريا مستميتا ومتزايدا في « أفريقيا » وجنوب شرق « آسيا » ومناطق أخرى من العالم .

والدلالة هي أن الراديو هو وسيلة الاختراق المثلى في الوصول إلى الجمهور المستهدف بالدعوة الدينية أو التبشيرية . . . ويسمي المبشرون هذا النشاط « زرع » الكنائس باستخدام الراديو . . ويوظفون له أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا الاتصال ، ويستخدمون أشد الأساليب الإذاعية فاعلية ، ويخصصون له الاعتمادات المالية الكافية للبحث وقياس الأثر وللأبحاث المساندة للعمل في جميع مراحل تخطيطها وتنفيذها .



من المراكز الرئيسية إلى البعثات التبشيرية

إذا بدأنا تتبع الأنشطة التبشيرية الإذاعية من المراكز الرئيسية التي تلتقي فيها المؤسسات القائمة بها ، فنسجد في مقدمتها « اتحاد الإذاعات الدينية » ، وهو يضم ١٢٥٠ مؤسسة ، ويزود الإذاعات الدينية والتبشيرية بحاجتها من الدعاة والفنيين والمتحدثين في مختلف المجالات . وله خدمة معلومات إلكترونية تحت تصرف الإذاعات المسيحية التبشيرية في جميع أنحاء العالم . ويستخدم في ذلك الكمبيوتر والأقمار الصناعية . وهناك أيضا الإرسالية المسيحية التلفزيونية ومؤسسة بيلي جراهام الإنجيلية التي تبلغ موازنتها السنوية ٥٠ مليون دولار ، وتستخدم الراديو والتلفزيون في جميع أنحاء العالم فيما تسميه « الحملات الصليبية الإنجيلية » . ولها نشاط خاص في « أفريقيا » . ونجد كذلك مجلس كنائس المسيح .

وتتجاوز موازنة التحالف المعمداني العالمي الذي يُعد واد التبشيرية مليوناً ونصف مليون دولار سنوياً .

وتتفق مؤسسة الإنجيل الدولية ثلاثة ملايين دولار سنوياً على البرامج الخاصة بتوجيه الأطفال والشباب .

وهناك مؤسسة لوثرية متخصصة في ترجمة الإنجيل إلى اللغات التي لم يترجم إليها بعد ونقله بالراديو لتصل « كلمة الرب » إلى من لا يجدون سبيلاً إلى الإنجيل بلغاتهم .

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة لا تتناول بالتفصيل نشاط الإذاعات الدينية الموجهة أساساً إلى مجتمعات مسيحية ، فمن غير الممكن أن نتجاهل تخصيص ما يزيد على ١٠٠ مليون دولار لإنتاج سينمائي ثعده في هوليوود للتلفزيون

مؤسسة إنتاجية كبرى ، ويشمل إنتاج ١٥ فيلما أعدت مادتها من سفر التكوين و ١٨ فيلما من إنجيل لوقا .

إذاعة الشرق الأقصى

وإذا تجاوزنا عن الإذاعات المسيحية الموجهة إلى مستمعين في « أمريكا الشمالية » أو « أمريكا الجنوبية » و « الوسطى » و « أوروبا » و « استراليا » ، فسنجد مركزين كبيرين للإرسال يستهدفان الشرق الأوسط و « أفريقيا » وجنوب شرق « آسيا » ، وأحد المركزين هو « إذاعة الشرق الأقصى » التي توجه البرامج التبشيرية عن طريقها إلى جنوب « آسيا » وشرق « أفريقيا » والدول العربية . ومن مقرها في جزيرة « سيشل » تعمل مرسلات قوتها ٢٢٠ كيلو وات من الواحدة صباحا إلى الثامنة مساء ، ويبلغ مجموع ساعات الإرسال من مرسلاتها الثلاث ١٥٤ ساعة في الأسبوع وتذاع برامجها باللغات العربية والأمهرية والفارسية والصومالية والسواحيلية والأوردو والهندي والسنهالا والسندي والتاميل والبنجابي والبوشتو والأوروما والمالايالام والمالاجاشي والتلوجو والإنجليزية والفرنسية والبرتغالية . وابتداء من أول يناير ١٩٨٩ اندمجت الإرساليات التبشيرية الإذاعية التابعة لشبكتي « البعثة الدولية لداخل السودان » و « الزمالة المسيحية الدولية » تحت اسم « الشبكة الأولى » بعد أن انضمت إليها الإرساليات التبشيرية التابعة للشبكة الثانية ، والموجهة إلى « باكستان » و « الهند » و « نيبال » و « بنجلاديش » و « الفلبين » و « أندونيسيا » و « السنغال » وبقية الدول الإفريقية . وتدار أعمال الشبكة الأولى من « كينيا » وتبث برامجها من محطات إرسال في « سيشل » ، بينما تبث الشبكة الثانية من « الهند » .

.. وإذاعة حول العالم

أمل المركز الثاني - الواقع أنه مجموعة من مراكز الإرسال - فيتبع « إذاعة

حول العالم . ومراكز هذه الإذاعة في المناطق المشار إليها قائمة في « سوازيلاند » و « مونت كارلو » و « قبرص » .

في « سوازيلاند » توجد محطة للموجة المتوسطة قوتها ٥٠ كيلو وات ، وخمس محطات للموجة القصيرة ، أربع منها بقوة ٢٥ كيلو وات لكل منها ، وواحدة قوتها ١٠٠ كيلو وات ، وتقدم ٢٥٨ ساعة من البرامج التبشيرية أسبوعياً . وتذاع باللغات الصومالية والسواحيلية والأوردو والهوسا والشونا والشيوا واللينجالا والزولو والأومبندو والملاجاشي والإنجليزية والفرنسية والألمانية والأفريكان والشانجان والبرتغالية وعدد آخر من اللهجات الأفريقية المحلية .

وفي « قبرص » محطة للموجة المتوسطة تقوي الإرسال الذي تلتقطه من « مونت كارلو » وتذاع منها البرامج باللغات العربية والفارسية والأرمنية والروسية وبعض اللغات الآسيوية الأخرى ، ومدة إرسالها ٢٠ ساعة أسبوعياً .

وفي « مونت كارلو » محطات للموجة المتوسطة قوتها ١٠٠٠ كيلو وات ، وثلاث محطات للموجة القصيرة : اثنتان منها بقوة ١٠٠ كيلو وات ، والثالثة بقوة ٥٠٠ كيلو وات ، ومحطة للموجة الطويلة قوتها ٢٠٠٠ كيلو وات ، وتذيع برامجها بأربعين لغة ، من بينها العربية واللهجة البربرية والتركية والألبانية ، وساعات إرسالها ١٢٠ ساعة في الأسبوع . كما أنها تقود العمليات التبشيرية والدعوة إلى المسيحية في المناطق الثلاث التي أشرنا إليها ، وتستخدم أساليب إذاعية متطورة في القيام بهذه المهمة التبشيرية .

إذاعات تبشيرية أخرى

وإلى جانب هذين المركزين الرئيسيين توجد إذاعات تبشيرية أخرى تنطلق

من « بونسوانا » و « جنوب أفريقيا » و « ليبيريا » و « ليسوتو » و « أندونيسيا »

Created with



nitro PDF

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

(٧٧ ساعة أسبوعيا) ، وبرنامج تبشيري موجه إلى « الشرق الأوسط » من « أمريكا » يحتوي على مواد دينية وموسيقى مسيحية معاصرة ومدة إرساله ١٢٦ ساعة أسبوعيا . وكذلك البرامج التبشيرية الصادرة من « الفلبين » والموجهة إليها (١٣٣ ساعة أسبوعيا من التبشير الكاثوليكي) .

وقد دخلت الكرسيتيان سيانس مونيتور أخيرا مجال الإذاعات الدينية الموجهة إلى خارج « الولايات المتحدة » ، وتستخدم في ذلك مرسلات على الموجة القصيرة قوتها ٥٠٠ كيلو وات يضاعفها نظام الهوائيات الذي يخدمها ليصل بقوتها المشعة إلى ٥٠٠٠٠ كيلو وات ويجعلها من أقوى إذاعات الموجة القصيرة في العالم . و« الشرق الأوسط » و« أفريقيا » من بين مناطق العالم المستهدفة بهذه الإذاعة التبشيرية التي تقدم ساعتين يوميا معظمها باللغة الانجليزية . ويعاد بث البرنامج نفسه إلى بقية مناطق العالم المستهدفة . ولهذا الإذاعة برنامج للتوسع تم تنفيذه على مراحل انتهت عام ١٩٨٩م بوصول إرسالها إلى « الهند » و« أندونيسيا » و« الفلبين » و« الصين » ومناطق أخرى من العالم . وقد أصبح البرنامج التلفزيوني الذي تقدمه الكرسيتيان سيانس مونيتور (نصف ساعة يوميا) برنامجا عالميا منذ عام ١٩٨٩م .



منتجو البرامج التنصيرية

لا تقتصر مهمة الإذاعات التبشيرية (التنصيرية) على مجرد البث الذي يغطي مساحات شاسعة من العالم ، وتصل قدرته الافتراضية إلى ٨٠ في المائة من سكان العالم (على حد ما تقوله إذاعة حول العالم في إرسالها) ولكن هناك أيضا القدرة على إنتاج البرامج التنصيرية الملائمة لكل جمهور ، وتضطلع بهذه المهمة مؤسسات تنصيرية متخصصة في الإنتاج للراديو والتليفزيون وفي الربط بين هذه البرامج وبين الكلمة المطبوعة ، وخاصة الكتيبات الدينية ونسخ الإنجيل التي تقوم الإرساليات بتوزيعها وبث التبشير بوسائل غير جماهيرية أي بالاتصال المباشر .

ولدينا نماذج عديدة لهذه المؤسسات ، يعمل بعضها على المستوى العالمي ، ويعمل البعض الآخر على المستوى الإقليمي أو المحلي ، وهناك برامج تُعدّ أساسا باللغة الإنجليزية أو الفرنسية ثم تترجم إلى اللغات الأخرى ، وهناك برامج تعد باللغات التي تذاغ بها ، وإذا كانت المناطق الثلاث التي أشرنا إليها يصلها أكثر من ٧٧٠ ساعة من البرامج أسبوعيا (يضاف إليها مثل هذا العدد تقريبا من ساعات الإرسال الموجه إلى بقية « آسيا » و « أمريكا اللاتينية » و « أوروبا ») فإن كلفة إنتاج البرامج التنصيرية للراديو تصل إلى ما يتجاوز ٣٥ مليون دولار سنويا تضاف إليها تكاليف الإرسال ، وهي تبلغ مثل ذلك تقريبا ، عدا المصاريف الإدارية وتكاليف الخدمات المساعدة .

نور على نور !!

ومما يبعث على الدهشة أنه رغم وفرة الأسماء التي يمكن أن تطلق على البرامج التنصيرية في وقت من الأوقات اختارت إذاعة حول العالم لأحد برامجها التي

تذاع باللغة العربية اسم « نور على نور » . وليس ذلك بالطبع من قبيل الصدفة ، ولكنه اختيار مقصود لاجتذاب المستمعين لبرنامج يدعو إلى المسيحية في منطقة غالبيتها من المسلمين .

بالإضافة إلى اشارتنا السابقة إلى هذه الإذاعة ، فإن مراكز إرسالها السبعة الموزعة على مناطق العالم توزيعا استراتيجيا والمزودة بمرسلات فائقة القدرة تقدم لمستمعها برامج تمتاز بالجاذبية والتنوع ، وتخطب كل فئة من مستمعها بالأسلوب الملائم لها ، ثم ينتهي كل برنامج إلى نفس النتيجة وهي حتمية الإيمان بألوهية « عيسى » عليه السلام طريقا وحيدا للخلاص والنجاة والرخاء والسعادة ، وكل ما يمكن أن يحلم به الناس أو يتطلعوا إليه ، ومن هنا كان اختيار هذه الإذاعة لاسم « نور على نور » بكل ما يبعثه من إيجابيات .

وهناك برامج أخرى بأسماء : أبناء - نداء الرجاء - خاطرة وتأمل - قافلة الشهود - رجاء العالم - ساعة الإصلاح - كلمات ومعان - حمل الله - من أسبوع لأسبوع - . وهذه البرامج كلها تقدم في إطار من المقدمات والخواتيم الموسيقية والترانيم بلغة عربية خالية من الأخطاء واللحن ، ويمكن تلخيص الرسالة الإذاعية التي تحاول هذه الإذاعة أن تؤثر بها على مستمعها في مطلع أغنية تردد فيها :

أقوم أعود إليك إلهي كفاني ضياعا بأرض الضلال
وصوت المحبة لحن ينادي وصوت « يسوع » يقول تعال

التبادل الثقافي

وهناك مدخل آخر تنفذ منه الأنشطة التنصيرية إلى الإذاعات الوطنية ، وهو التبادل الثقافي ، فمن خلال الاتفاقات الإذاعية تتسلل بعض البرامج التي تعدها مؤسسات الإنتاج الإذاعي التنصيرية ، وتؤدي إلى آثار أشد خطرا من تأثير الإذاعات التنصيرية الباهرة Created by ومن أمثلة ذلك أن شركة الثالوث (Trinity)

التي تنتج البرامج التصويرية في استوديوها بما بجانب « كاليفورنيا » أدخلت إنتاجها في مجال التبادل الثقافي ، وكانت هذه الشركة تنتج حوالي ٢٤ ساعة من البرامج الدينية المسيحية لتذاع من ٣٦ محطة في « الولايات المتحدة الأمريكية » و « أوروبا » و « أمريكا الوسطى » ، و « أفريقيا » . وقد دخلت « الصين » أخيرا في مجال نشاطها عن طريق تبادل البرامج الثقافية . وفي رأي منتجى الجانب الديني من هذه البرامج التي ستذاع خلال الشبكة المركزية « الصين » أن « الدين جزء من الثقافة » .



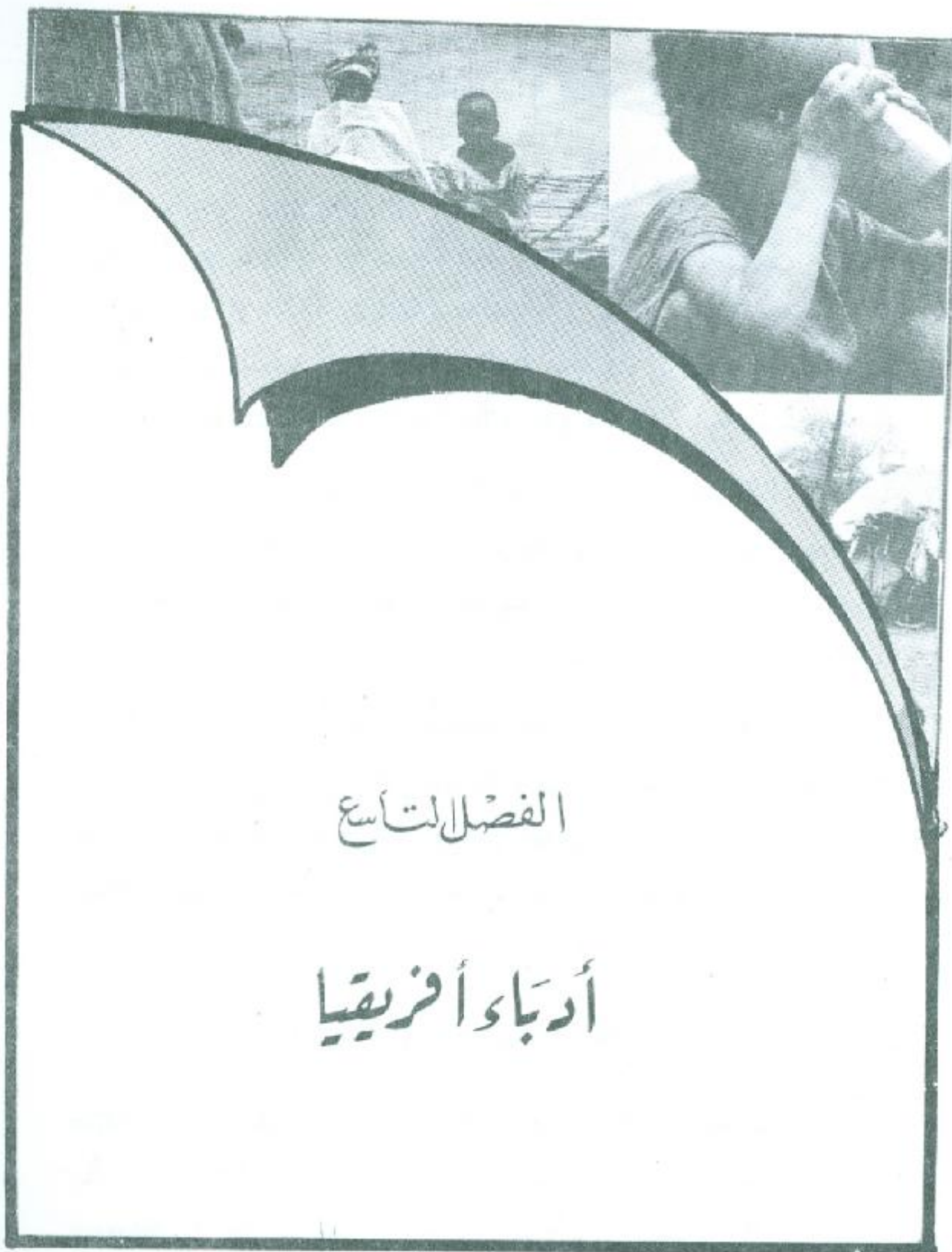
الخلاصة

إن هذه المعلومات تؤدي إلى نتيجة واحدة هي أن النشاط التنصيري عن طريق الإذاعة وصل إلى درجة من الخطورة تلفت النظر وتدعو إلى أمرين :

(١) ضرورة تحصين المسلمين من أخطار هذه الإذاعات بتقوية مناعتهم الدينية ، بجرعات مدروسة بعناية فائقة من البرامج الدينية الممتازة إعداداً وأداءً .

(٢) استخدام جميع المنافذ الإذاعية المتاحة ، والتي يمكن إيجادها لإبلاغ رسالة الإسلام ودعوته بكفاءة تعتمد على الوضوح والقدرة على الإقناع ، وبالاستخدام الواعي للفنون الاتصالية إلى مناطق العالم المختلفة بدءاً بالمناطق المؤهلة جغرافياً وبشرياً لتلقي الدعوة خاصة في « أفريقيا » و « آسيا » .





الفصل التاسع

أدباء أفريقيا

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

تواصل مقطوع .. وعداء غير مبرر

من المؤسف حقاً أن التواصل بين الأدباء والمثقفين عامة في العالم العربي ، وبين المثقفين في « أفريقيا » ، ضعيف أو معدوم ، حتى أننا نادراً ما نسمع عن نتاجهم الأدبي ، أو ابداعهم الفكري عامة ، إلا إذا أصبح ذا شهرة في العالم الغربي ، وكأننا قد كتب علينا أن لا تواصل بيننا وبينهم ، إلا عن طريق طرف ثالث ، وهو « أوربا » عادة أو الغرب عموماً .

اقتصادنا لا يتعامل ولا يتفاعل مع الاقتصاد الأفريقي إلا عن طريق الغرب وبضائعهم تأتينا أيضاً عن طريق الغرب ، ، وأخبارهم تأتينا ، وتأتيهم أخبارنا عن طريق الغرب ، كل شيء يتم بيننا وبينهم عن طريق الغرب ماعدا الخلافات فتتم مباشرة للأسف الشديد .

وبالنسبة للأدب فإنه بسبب هذه القطيعة والفجوة والجفوة قد أدى ذلك إلى انقطاع التواصل بين أدبائهم والأدباء في العالم العربي مما دفعهم إلى الاعتماد على مصادر غربية في فهم كثير من الأمور عنا خصوصاً عند تلك الفئة التي تهيأت لها فرص الثقافة في الغرب ، ولم تتح لها فرصة التواصل مع الشرق ، والغرب بصورة خاصة .

عداوة للعرب والإسلام

ولهذا نجد بعض أدبائهم يصور العلاقات العربية الأفريقية على أنها علاقة غزو واستلاب ، واستعمار وامتياز للإنسان الأفريقي ، ولا يفرق بين أثر الإسلام ، وأثر المسيحية في « أفريقيا » ، حتى أن بعضهم ينظر إلى الشعوب الأفريقية على أنها شعوب كانت ضحية للغزوات والمطامع الأجنبية ، التي غزتهم من الشرق ، ولا يفرقون بين الإسلام والمسيحية ، ولا يميزون بين

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

أثر الدعاة ، والرحالة المسلمين ، وبين الغزاة الأوربيين وتجار الرقيق :

« فمثلاً الأديب الأفريقي « بانو وولو فيم » من جمهورية « مالي » يصور ذلك في قصته : (يامبو أوولو جوم) ويقول : إن الأفارقة كانوا يضربون بالهراوي ، ويبيعون ، ويخزنون ، ويتساوم عليهم ، ويحاكمون ويجلدون ، ويربطون ويسلمون بعناية مدروسة واحتقار إلى البرتغاليين والأسبان والعرب (على الشواطئ الشرقية والشمالية) وإلى الفرنسيين والهولنديين والانجليز (على الشاطئ الغربي) وهكذا شتوا مع الرياح . »

فهكذا كانت قرون من العبودية والنفي والاستعمار ، كافية لأن تخلق في « أفريقيا » جيلاً معادياً لكل ما هو أجنبي ، وأصبح المثقف الأفريقي ينظر إلى الديانات السماوية كأدوات في أيدي الأجانب لإبقاء سيطرتهم على القارة . وأكثر من ذلك فإنه ، أي المثقف الأفريقي ، يعامل الديانات السماوية ، وخصوصاً الإسلام كديانة الغزاة الأجانب ، فهو لا يميز بين تعاليم هذه الديانات ، وتصرفات للشعوب التي تلقتها ، فماذا يمكن أن نفهم من عبارة « ارما » في قصة (ألفا موسم) : لسنا أوربيين ، لسنا مسيحيين لنخترع أساطير تضحك الأولاد ، ونصر على نشرها في ضوء النهار ، وعمق الليل ، كحقائق . لسنا عرباً ، لسنا مسلمين ، حتى نخلق لها صحراوياتك يذيع الجنون في البر .

إن الهدف من أمثال هذه العبارات ، هو إخبار المسلم الأفريقي أن الإسلام دين عربي ، وأن المسيحية دين أوربي ، وأنهما لا يناسبان المجتمع الأفريقي ، بل يشاركان في تفكيك الأسر والقبائل ، كما عبر عن ذلك الأديب الكونغولي ، « مونفو بيتي » مخاطباً أحد القساوسة في قصته : (The Poor Christ of Bomba) : إنك لرجل خطير جداً لو استمع إليك الناس لفارقت الزوجات أزواجهم ، ولما أطاع الأولاد آباءهم ، ولما عرف الإخوان بعضهم بعضاً ، ولانقلب كل شيء رأساً على عقب .

ونفس هذه الفكرة تظهر في قصة : (The River Between) للكاتب « أونفوغني واتيونغو » : (Nuggi Wathiongo) من « كينيا » ، وكذلك الكاتب النيجيري « شينوا آشيبي » (Chinua Achebe) في قصة : (Things Fall Apart) .

وبهذا يحاول الأدب الأفريقي أن يخلق نوعاً من البلبلة والشكوك في أذهان المؤمنين . وإن تأثير هذه الأعمال الأدبية على العقول يجب أن لا يستهان به ، إذا ما عرفنا أن معظم الذين يقرأونها يجهلون كل شيء عن حقيقة الإسلام . ولهذا أصبحت قراءة هذا الأدب نوعاً من الابتلاء لعقيدة المسلم الأفريقي الذي - في نهاية المطاف - يتساءل ما إذا لم يكن قد آمن بالغزاة البيض بدلاً من الله ، وإذا لم يكن قد أنكر ذاته أي شخصيته الأفريقية باعتراف هذه الديانة ، وإذا كان ما اختاره خيراً مما ترك ؟^(١) .

ويلاحظ المتبع للأدب في « أفريقيا » ، أنهم يصنفون العلاقات العربية ودخول الإسلام على أنه نوع من الغزو شأنه في ذلك شأن كل غزو أجنبي ، وخاصة عند أولئك الذين لا يعرفون عن الإسلام وتاريخ الإسلام في « أفريقيا » إلا عن طريق كتابات الغربيين والذين شوهوا صورة الإسلام في أكثر كتاباتهم ، وحاولوا أن يلصقوا بالمسلمين الأوائل الذين وصلوا إلى « أفريقيا » تهماً مختلفة ، وظالمة ، ومن المؤسف أن أدباء « أفريقيا » من الأفريقيين ، ينظرون إلى الإسلام من خلال ممارسات رجال الأديان المختلفة ، ويحكمون على العلاقات الأفريقية العربية الإسلامية في إطار الديانات الأخرى ، ويحملونها أوزار وآثام تلك الممارسات الدينية الخاطئة ، ولهذا فالأدباء الأفارقة الذين لم يعيشوا الحياة الإسلامية ، وكذلك الذين لم يتعرفوا على الإسلام عن طريق مصادر منصفة ، نجدهم يصورونه في نفس الإطار الذي ذكرته آنفاً :

(١) نظرة بعض أدباء « أفريقيا » السوداء إلى الإسلام - سلسلة تقارير المعلومات - وزارة

« فالمساويء والجرائم التي ارتكبت باسم الديانات السماوية في حق الشعوب الأفريقية ، تدفع القارئ المسلم عند انغماسه في الأدب الأفريقي إلى التساؤل كما فعل الأديب « شيخ حامد كان » ، في قصته « المغامرة الشاحمة Avenue Ambigue » : إن عابدي الله قد حكموا العالم لفترة طويلة ، هل حكموه طبقا لتعاليم الله ؟ . إنني لا أدري .. لقد سمعت أن في بلاد الرجل الأبيض ، أصبحت الثورة ضد الفقر والمسكنة لا تميز من الثورة ضد الله ، ويقال أن هذه المعركة تنتشر بسرعة ، وأن نفس الصرخة الكبيرة ضد الفقر سوف تغطي صوت المؤذنين عما قريب ، فما أسوأ تصرف هؤلاء الذين آمنوا بالله ، إذا كان اسم الله في نهاية حكمهم للعالم يثير اشمئزاز الجياع .

والواقع أن معظم هذه الكتابات تفتقر إلى الموضوعية ، وتسودها روح الانتقام والعصبية ، الشيء الذي حذر منه الأديب النيجيري (Kolowole Ogunbesan) وقال : إن الكاتب في « أفريقيا » بأسرها يحتاج إلى تهذئة وإلى موضوعية إذا أراد أن يكتب شيئا ذا قيمة لأن هناك إغراء قويا جدا ، من أجل أن يعلن جهادا في إطار تقليد أديب حديث ، إما لحساب مجتمعه أو ضد مجتمعه . وروح الجهاد هذه يمكن أن تضر بأدبه ، فبتحكم شديد بانفعالاته يمكنه أن يركز نظرتة على مجتمعه ويصوب عنايته إلى هدفه .

تأثير الثقافة الغربية عليهم

والجدير بالذكر أن كتاباتهم بصفة عامة تدور حول الديانة المسيحية ، وعلاقتها بالاستعمار الأوربي في « أفريقيا » ، فالقلة الذين كتبوا عن الإسلام كأمثال « شيخ حامد كان » و« أحمد هانباتي بانبانو » ، و« ولغيم » ، و« اي لوي ارما » ، يمكن تقسيمهم إلى فئتين : فالأولان - أي « شيخ حامد كان » و« أحمد هانباتي » - يريان أن آداب الإسلام وطرق عبادته تجمع الأجناس وتحت على الأخوة الإنسانية ، أما « يامبو » و« ولوغيم » ، و« اي لوي ارما » فهما لا يريان في الإسلام أية نواح إيجابية ، فمثلا يقول « ارما » : إن الإسلام

ما هو إلا نهب في صورة دين ، ويضيف « ولوغيم » : بأنه وسيلة لتنويم عقول الناس . ويقول : لقد أبقيت على الرياضة الدينية أي الصلوات الخمس في الإسلام كضمام أمن ، بينما انشغل البسطاء في البحث والعمل من أجل مملكة الله الدائمة .

فمن هذه العبارات يمكن أن نفهم مدى جهل هؤلاء بالإسلام ، لأن كفاح المسلم من أجل الجنة لا يلهيه عن الكفاح من أجل هذه الحياة : « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً » .. ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله ﴾ . إن نقمة « ارما » وأمثاله على الإسلام نابعة من اعتقادهم بأن الإسلام هو الذي قضى على الشخصية الأفريقية .

أصوات منصفة .. وضرورة التواصل معهم !

ولكن يوجد الأدباء المنصفون والواقعيون الذين يعترفون بأن الديانة الإسلامية أنسب الديانات السماوية إلى طريقة حياة الأفارقة وأقربها لها . فمثلاً يقول الكاتب « كوفي أونور » من « غانا » : « لقد استطاع الإسلام إلى أبعد الحدود من التكيف في « أفريقيا » والجمع بين العقيدة وأفكار جديدة كسماحه للديانات المحلية بالمضي في عباداتها ، وقبوله لنظام تعدد الزوجات محافظاً بذلك على النظام الأسري القديم وأسس القبيلة ، وكذلك حثه على دفع الصدقات ، كل هذا مكنه من المحافظة على نظام جماعي قائم على احتفالات وأعياد جماعية لا تختلف كثيراً عن النظام الأهلي ، وكان الدين الإسلامي وفوق كل ذلك نظام حياة ، ومؤسسة اجتماعية وسياسية له مناسك تقربه شكلاً إلى الأنظمة الدينية الأفريقية »^(١) .

(١) « نظرة بعض أدباء أفريقيا السوداء إلى الإسلام » - سلسلة تقارير المعلومات - « وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية » - دولة « الكويت » .

وهكذا نحس بأهمية التواصل بالأدب الأفريقي وإعانة المثقفين على الاطلاع ، والتعرف على المصادر الصحيحة عن العرب والمسلمين ، ومن ثم الاتصال بهم والتعرف على انتاجهم وإبداعاتهم ، والتفاعل معهم وإثراء مكتباتنا ومصادرنا عنهم وعن أديهم ، وبهذا التواصل والتفاعل فقط نستطيع أن نفهم عنهم ويفهموا عنا .

ومن الخطأ أن نكتفي بذلك الاتصال الهامشي مع بعض من أولئك الذين تربوا بين ظهرانينا ، أو الذين درسوا في جامعاتنا ، أو الذين ارتبطوا بنا أصلا ، فهذا لا يكفي أبدا ، ولا بد من توسيع دائرة اتصالنا وتفاعلنا ، وفهمنا ، ثم علينا أن نعين أولئك الذين يحترمون العلاقات العربية الأفريقية ، أولئك الذين يعتزون بالقيم الإسلامية في « أفريقيا » ، وكذلك تلك الفئات التي تتحدث بلهجة حضارية عن التواصل العربي في « أفريقيا » ، وعن دور الإسلام ، أو حتى الدين عموما ، وهذا « أنكروما » مثلا يتحدث عن أهمية الدور الذي لعبه الدين هناك : « يرى الزعيم الثوري الأفريقي « كوامي انكروما Kwame Nkrumah » أن المجتمع الأفريقي قد استفاد من الديانات السماوية ويقول : بعد نيل الاستقلال الحقيقي لا بد من صياغة وفاق يسمح بالتعايش بين « أفريقيا » القديمة و« أفريقيا » المسلمة و« أفريقيا » المسيحية الأوربية بحيث ينسجم هذا الوجود مع المبادئ الإنسانية الأصيلة التي يقوم عليها المجتمع الأفريقي . إن مجتمعنا ليس بالمجتمع القديم ولكن مجتمع جديد اتسع نتيجة التأثيرات الإسلامية والأوربية المسيحية »^(١) .

.. والتعرف إلى آدابهم

ويأتي دورنا في النهاية ، وأهمية متابعتنا للأدب والثقافة الأفريقية بصورة

(١) « نظرة بعض أدياء أفريقيا السوداء إلى الإسلام » - سلسلة تقارير المعلومات - وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية « - دولة الكويت » .

تمكننا من وضع أيدي المنصفين على الحقيقة لأن العمل الأدبي الأصيل إنما ينشد الحقيقة : « إن العمل الأدبي الأفريقي والانتقادات التي يوجهها إلى الإسلام والمسيحيين يجب أن تقوم على حقائق خالية من العصبية لأن واجب الأديب ، كما يراه « ايكوانسي » أحد الأدباء النيجيريين ، هو البحث عن الحقيقة : إن من واجب أي كاتب روائي ، ومن واجب أي مؤلف تمثيلي ، بل من واجب أي باحث أو أديب أن يبحث عن الحقيقة ، وعليه أن يغوص إلى الحقيقة ؛ لأنها الشيء الوحيد الذي يأخذ بيده إلى النور .

فنحن ننظر إلى هذه الانتقادات كتحديات يمكن مواجهتها بالتعمق في العلوم الإسلامية والسعي الدائم لجعل هذه العلوم في متناول الإخوان الذين لم يظفروا بقسط وافر منها ، فأعداء الإسلام يحاربونه في جميع المجالات ، والدفاع عنه مهمة كل مسلم في بلده وفي مجال تخصصه^(١) .



النخامة

على هامس من هاج التعاونه العربي الأفرريقي

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

تعاون مشترك .. بدون مطامع

هكذا نصل إلى خاتمة المطاف بالنسبة لهذا الكتاب وما اشتمل عليه من معلومات ومعطيات في الصفحات السابقة . . استعرضناها بأمانة ورغبة في إلقاء الضوء على جوانب وزوايا مهمة من التعاون العربي - الأفريقي .

ولعلي أكون قد وفقت في إيضاح حقيقة وأهمية العلاقات والتعاون هذا . . وأن التعاون العربي الأفريقي ليس عملية مقايضة يقوم بها أحد الطرفين . . أو يقدم فيها أحد الطرفين خدمة للآخر ويطلب في مقابلها ثمنا . إنها عملية تعاون مشترك .

وهي مهمة للطرفين . . وتخدم مصالحهما . . وهي واجب أخوي . . وحتمية سياسية . . وضرورة اقتصادية ، وهي بالجملة أمور تفرضها الصلات والروابط الأساسية بين العرب و« أفريقيا » .

إننا دون شك أمة من واجبها أن تقوي علاقاتها ب« أفريقيا » لانهم إخوة . . ولأن حتمية التاريخ ومسيرة الحياة تفرض علينا ذلك . . ونحن أمة ليس لها مطامع في « أفريقيا » إلا ذلك الرباط الشريف الذي وضعه الأجداد . . والذي تقع علينا مسؤولية أساسية في الحفاظ عليه . . إننا نحب « أفريقيا » ونتطلع إلى نهضتها ونمائها ونجاحها في تحقيق ذاتها وإكمال مسيرتها نحو نهضة حضارية متكاملة على هدي من الدين الإسلامي الحنيف الذي عرفته « أفريقيا » وعرفه الأفريقيون كدين عدل وخير ونظام كامل للحياة ، ولكن . .

« يوشك أن تتداعي عليكم الأمم .. »

لا شك أنه قد بدا لنا من خلال الصفحات السابقة أهمية تقوية هذه الروابط والعناية بها . . كما اتضح لنا خطورة التراجع من « أفريقيا » وتفريطنا في العلاقات الأخوية معها . . في هذا الوقت بالذات . . إننا نكون قد انسحبنا في وقت غير ملائم . . وتساهلنا في وقت خطير جدا . . وأهملنا في وقت يحتاج إلى جدية كاملة ومتابعات صحيحة وواعية . . وتصرفات مسؤولة .

لقد كان أجدادنا أكثر مسؤولية وفاعلية . . وجئنا نحن اليوم لنضيع مكاسب عظيمة . . وجهدا كبيرا .

إن بعض الأشقاء الذين التقيت بهم سواء من الزعماء أو من السياسيين أو رجال الفكر أو حتى من عامة الناس . . بدا لي أنهم يحسون بقلق شديد على تردي العلاقات الأفريقية - العربية وضعفها . . وقد أخذوا يحسون بإهمالنا لهم . . وإعراضنا عنهم . . واتشغلنا بغيرهم . . وعدم اهتمامنا بقضاياهم . . حتى قال لي أحدهم : أنتم لاتسألون عنا إلا عند حاجتكم إلى أصواتنا في « الأمم المتحدة » .

إذن هناك قضية - وقضية جوهرية - لا تحمل السكوت وتستدعي شحذ الهمم واليقظة لأبعاد وخطورة هذا التردي في العلاقات العربية الأفريقية . . ولا شك أن أي تحرك جديد يجب أن يأخذ في اعتباره ظروف « أفريقيا » الحالية وما هي فيه من محنة ومشكلات وما يحيط بها من مطامع وتحديات . . ثم إننا لم نعد وحدنا في الساحة ؛ فهناك الكثيرون الذين ينافسوننا هناك ويهدفون إلى إخراجنا منها إلى غير رجعة . . وهم يعملون بهمم كبيرة ومثابرة . . في وقت ضعفت فيه هممنا وقل في اهتمامنا . . ولهذا فالعقلاء من الناس يحسون وكأن الأرض تמיד من تحت أقدامنا . . وأن القارة بأكملها تنزاح رويدا رويدا بعيدا عنا .

ويخشى العقلاء أن نُضيع « أفريقيا » كما أضعنا « الأندلس » . . وأن نصبح

غرباء فيها .. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم :
 « يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها . قالوا :
 أمين قَلْبَهُ يومئذ يا رسول الله ؟ . قال : لا . . ولكن غثاء كغثاء السيل » .

ضرورة العمل الناشط .. المستمر

لقد كانت حركتنا في السابق أفضل وأكثر فاعلية منها الآن .. ولعل
 « منهاج التعاون الأفريقي » - العربي الذي انبثق عن « مؤتمر القمة الأفريقي -
 العربي » كان مثالا طيبا وعملا جيدا أحاط بأهم النقاط التي تلتقي عندها
 رغبات الطرفين .. وكان اهتمام العرب بالجانب الاقتصادي من هذا التعاون ،
 وتنفيذهم لأهم بنوده بنسبة عالية لم تدانها أي نسبة قدمتها أي جهة أو كتلة
 دولية أخرى - كان أصدق مثل على أهمية التعاون وفاعليته وأبعاده ومعطياته
 لأنه تعاون مهم للطرفين ، ومفيد للطرفين أيضا ، ومنطلقاته صحيحة وأبعاده
 واضحة وأهدافه جلية وجليّة .. يكمل فيه كل طرف الطرف الآخر دون
 هيمنة أو استغلال أو سيطرة ، وتحوطه الأخوة الإسلامية والصدقة العربية
 الأفريقية والمصالح المشتركة والمصير الواحد ..

ولكن المتبع لمنهج التعاون في أيامنا هذه يحس بأن الأمور ليست على ما
 يرام .. ولا تسير على النحو الذي يتطلع إليه أي مخلص ؛ لأن التعاون اليوم
 يقرب من حالة الجمود .. والاتصالات ضعيفة ، والعلاقات سطحية وواهية
 في وقت تفرض فيه الأوضاع العالمية الراهنة حركة أكبر وتعاوننا أوثق ..
 خصوصا وأن الحركة اليوم تقربنا من « أفريقيا » وتقربها منا ، وتساعدها على
 الوقوف في وجه الأزمات والمخاطر المحدقة بها وبنا ، وتعطيها القدرة على الصمود
 والثبات . وأحسب أن كل هذا الإهمال واللامبالاة يرجع إلى غياب الإحساس
 لدى الكثيرين بأبعاد ومخاطر هذا المصير الذي نسير إليه والذي قد يؤدي إلى
 ضياع علاقاتنا مع « أفريقيا » .. هذه العلاقات العريقة ذات الصلات الوثيقة ،
 والجذور العميقة التي ^{تربطنا} بهم إلى مرتبة الأخوة الإسلامية الصادقة .



الحاجة إلى منهاج .. وتنسيق

وننتقل إلى الجانب الأهم من الموضوع وهو ما يتعلق بالنشاط الإسلامي في القارة الأفريقية .. إن حاجات « أفريقيا » إلى هذا النشاط ونوعياته قد باتت معروفة من خلال الزيارات الكثيرة التي قام بها المعنيون بالشؤون الإسلامية من مختلف البلاد العربية . وهناك دراسات ومعلومات وتقارير متوفرة لدى الجهات الرسمية والأهلية ذات العلاقة .. أي أن طريق الممارسة معروف ، ولكننا في حاجة إلى منهاج يجب أن يقوم على أسس حديثة تتفق وروح العصر ؛ فالذي يحدث الآن هو أن كل دولة عربية ، مَعْنِيَةً بالدعوة الإسلامية ، تقوم بنشاطاتها في القارة بمعزل عن الدول الأخرى ، لا لشيء إلا لأنه لم يحدث تنسيق مسبق بين هذه الدول ، فكانت النتيجة أن تبعثت الجهود وتشتت ، وراحت كل بعثة تعمل من منظور يختلف عما تعمل بموجبه البعثات الأخرى .. وقد تتصادم هذه الجهود ، خصوصا عندما يكون تحركها الأساسي لغير وجه الله وإنما لأغراض سياسية أو مذهبية أو سعيا وراء مد نفوذ أو استقطاب .. وهنا تكمن الخطورة .. لأن ما كان لوجه الله عز وجل فهو المتصل .. وكل هجرة وحركة لله هي الحركة التي تعتبر جهادا في سبيل الله ، وما دون ذلك من هجرات أو حركات أو تحركات فهي لما اتجهت إليه .. وهدفت نحوه ..

وإنني أشعر بحزن شديد على ألوان من الممارسات التي تمت تحت ستار الدعوة وباسم الإسلام وهي ليست من الإسلام في شيء .. بل إنها تضر بالمسلمين وتسيء إلى سمعة الإسلام وتضعف ثقة المسلمين الأفريقيين في دعاة الإسلام ، وهم يرونهم يتصارعون ويتنافسون على كسبهم لندنيا يصيبونها أو تجارة يربحونها .. أو نفوذ يحققونه .. وهذا أمر مؤسف دون شك ، وقد ابتليت به الدعوة الإسلامية هناك . ولا بد ، والحال كذلك ، أن تتوحد جهود الدعاة المخلصين ، وأن يعملوا وفق منهج واضح وصحيح ، وبهمم صادقة وجد وإخلاص

اقترح عملي

وفي تقديري أن من الضروري للجهات المعنية بالدعوة والتوعية والإرشاد في مختلف البلاد العربية الآخذة بذلك ، أو الراغبة فيه ، أن تتداعى إلى اجتماع عام يستغرق وقتا كافيا وجهدا منظما ، ويصحب فيه مندوبو كل دولة ما لديهم من دراسات ومعلومات وانطباعات بالإيجابيات والسلبيات على السواء ، ويكون لدى كل فرد مشروع متكامل مقترح للتنسيق بين الدول المعنية ، وطرق الممارسة ، وتوزيع المسؤوليات ، وبرامج العمل ، والمستلزمات المالية ، وأساليب تطوير عمل الدعاة ، ومخططات لمواجهة البعثات التنصيرية والبهائية والقاديانية وسواها من البعثات التي تناصب الإسلام العدا ، فلا تكتفي بمحاولة اجتذاب غير المسلمين إليها ، بل هي تحاول تضليل المسلمين أنفسهم ، وتشكيكهم في دينهم ، وإدخال البدع والأضال عليهم . .

الخروج بخطة عمل واضحة

إنني أتصور أن يسفر هذا الاجتماع عن برامج متكاملة ، ذات جداول زمنية محددة ، وطريقة للمتابعة والتقييم ، فليس يكفي أن نخرج بمقررات براءة ذات رنين عذب ، وإنما يجب أن نخرج بمخطط عمل واضحة ، قابلة للتنفيذ الفوري . . وقد يكون من المناسب أن يحتوي برنامج عمل الاجتماع على بحث النقاط التالية :

١ - تقييم شامل لأوضاع المسلمين في القارة الأفريقية ، وإحصائيات دقيقة ، وحديثة ، قدر الإمكان ، عن هذه الأوضاع بكل ما يحيط بها من إيجابيات



- ٢ - حصر شامل لاحتياجات « أفريقيا » من المساعدات الدينية (كالمساجد والمدارس ومعاهد الدعوة والمدرسين والوعاظ الخ . .) .
- ٣ - حصر شامل لاحتياجات « أفريقيا » من المستشفيات والمستوصفات ، على أساس إعطاء الأولوية للأقطار الأكثر احتياجاً .
- ٤ - حصر شامل لتحركات أعداء الإسلام وخصومه ، وممارساتهم ، وأهدافهم المعلنة والخفية .
- ٥ - برنامج متكامل لنشر اللغة العربية (لغة القرآن الكريم) بوسائل عملية فعالة .
- ٦ - برنامج كامل للتوعية الإعلامية ، بتبادل التعريف بـ « أفريقيا » والعالم الإسلامي مع التركيز على القضايا المشتركة التي تهم الطرفين .
- ٧ - تصور دقيق لما يمكن أن تفعله الحكومات والشعوب الإسلامية من أجل « أفريقيا » بوجه عام و« أفريقيا » المسلمة بوجه خاص .
- ٨ - أسلوب عملي فعال لمتابعة تنفيذ كل قطاع من قطاعات هذه النشاطات ، وتقوم مراحلها باستمرار ، وتحديد الإيجابيات والسلبيات ضمن مدد زمنية محددة كل عام .

الاهتمام بالإنسان أولاً ..

ومن البديهي ، بادية ذي بدء ، أن نذكر أن مخطط العمل المذكور إنما يهدف إلى خدمة « أفريقيا » بشكل عام والإسلام في « أفريقيا » بوجه خاص ، على نطاق خارج تماماً عن النواحي « السياسية » التقليدية ، فإن ما يهمنا بالدرجة الأولى هو الإنسان الأفريقي ، ككيان قائم بذاته ؛ فمن هداه الله إلى الإسلام قدمنا له ما نستطيع من خدمة تفيده في دنياه وآخرته ، ومن لم يدخل نور الإسلام قلبه (وأعني هنا الوثنيين) أبلغناه دعوة الحق ، ومن كان ضحية للتضليل PDF ، بدون الله ، والأخذ بيده إلى طريق الصواب .

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

وفي تصوري أن ذلك « الاجتماع » ليس « رسمياً » على النحو المتبع في الاجتماعات التي توجه اهتمامها إلى « التنظير » أكثر من « التنفيذ » . والدليل هو مناهج التعاون الأفريقي العربي الموضوع منذ سنوات والذي لم ينفذ كله كما يجب أن ينفذ ، لأن المطلوب هو وجود جهة تأخذ على عاتقها تلك المسؤولية ، بعيداً عن الروتين الحكومي المعروف ، وبصورة تجعلها قادرة على المبادرة والتحرك وفق مقتضيات الأحوال ..

مواجهة الواقع .. بالحقائق

وبطبيعة الحال ، فإن الجهود الرسمية المباشرة التي تقوم بها بعض الحكومات الإسلامية لا تتعارض مع عمل « الجهة » المقترحة ، التي يمكن أن تنسق جهود تلك الحكومات ، وتضع تحت تصرف المسؤولين المعنيين ما لديها من معلومات ومعطيات ، وما يتوفر لها من ملاحظات ومقترحات ، لتطوير أداء العمل الإسلامي والعربي من أجل « أفريقيا » ..

ولقد سبق لي أن أشرت ، في أكثر من موضع سابق من هذا الكتاب ، إلى أن المعلومات الصحيحة الدقيقة عن واقع القارة الأفريقية غير متوفرة على النحو اللازم ، وأن هذه المعلومات ، وما فيها من إحصائيات ، تختلف باختلاف الجهة الصادرة عنها ، ونحن اليوم نعيش عصر « المعلوماتية » التي لا يمكن بغيرها أن توضع خطط عمل فعالة ومفيدة .. وقد يكون مناسباً أن تجمع المعلومات الحديثة من مصادرها المختلفة ، وهي كثيرة ، وأن تخضع للدراسة والتقييم ، وأن يتم التوصل ، نتيجة ذلك ، إلى أقربها للصحة والصواب ، بحيث تكون أساساً معقولاً تقام عليه الخطط التنفيذية .. ومن الضروري أن تكون هذه المعلومات صريحة في مواجهة السلبيات بوجه خاص ، فلا نتغافل عن نقطة قد لا تعجبنا ولكنها حقيقية ؛ لأن المشروع كله - أساساً - إنما هو مواجهة جريئة للواقع ، ومحاولة لتحويل السلبيات إلى إيجابيات. وحين أشير إلى ضرورة حصر حاجة « أفريقيا » من المساعدات

الدينية كالمساجد والمدارس والمعاهد والمدرسين والوعاظ ، فانما أضع الإصبع على أكثر النقاط أهمية في سعينا من أجل خدمة دين الله في القارة الأفريقية . . ولا بد من التنبه لدور المسجد في « أفريقيا » وأهمية تطويره والعناية به بحيث يكون مركز الدعوة وقلبها في كل مدينة وقرية . . وأن يؤدي أكثر من هدف . . حتى يلتف الناس حوله وخاصة الشباب . . إذ يجب أن يكون مكانا للصلاة وأيضا مدرسة في غير أوقات الصلاة ، تلقى فيها الدروس الميسرة والمبسطة ، وخاصة دروس تعليم القرآن الكريم والسيرة النبوية المطهرة . . وأن يشتمل على عيادة صغيرة . . وصيدلية بسيطة . . ونادٍ في الفناء ليقضي فيه الشباب أوقات الفراغ ويمارسوا فيه مختلف النشاطات التي تفيدهم وتربطهم كذلك بالمسجد . . وتعقد في المسجد الدروس . . وفي ساحته تعمل المعارض لنشاطات الشباب . . هكذا يكون المسجد مركز نشاط وحركة . . ويؤدي دورا أساسيا في الحياة الإسلامية اليومية هناك . . إذ لا يصلح ولا يصح أن نبنى مساجد ثم نغلقها في غير أوقات الصلاة ولا نستفيد منها . .

ومن المهم أيضا أن تكون بين أيدي إخواننا من مسلمي « أفريقيا » مراجع سهلة التناول ، بسيطة العبارة ، قريبة إلى الفهم ، تضع بين يدي قارئها وسامعها أبسط تعريف ممكن للإسلام ، شرائع ومعاملات ، دون الدخول في التفاصيل التي قد لا يفهمها سوى المتخصصين . . ودون الخوض في الخلافات المذهبية والأمور الفرعية التي لا تفيد هؤلاء الناس وقد تشتت أفكارهم دون أي مبرر ، لأننا نريدهم ، في « أفريقيا » المسلمة ، أن يعرفوا الإسلام على حقيقته ، ولا بد أن نأخذ في الاعتبار الرد على كل الأكاذيب والشبهات والأقاويل التي يرددونها أعداء الإسلام ، ويخدعون بها السذج والبسطاء ، وأن نبين لهم ما يعتبر تعارضا مع جوهر الدين . .

وبذلك يكون بين أيدي الأفريقي المسلم العادي مقياس واضح ، به يعرف مدى تمسكه بجوهر الدين ، ويصبح لديه من الوعي والإدراك ما يجعله يتعرف على مواطن الخلل أو credit the writer فيما يساق إليه من دعايات معادية للإسلام . .

نريد ، كذلك ، أن يكون بين يدي الأفريقي المسلم العادي « دليل » مبسط يبين له الفروض وأحكامها ، والسنن وشرائعها ، فيما يخصه كمسلم ، وفيما يخص قومه وبلده ، بحيث يفهم دينه فهما صحيحا بأبسط الطرق ، فيعرف معنى الشهادتين ، ويعرف ما يتعلق بالصلاة من فروض وسنن بدءا من الوضوء وانتهاء بالنوافل ، كما يعرف الصيام وأحكامه ، والزكاة وقواعدها ، والحج ومناسكه ، وكل ذلك بأبسط عبارة ممكنة ، وبأقل عدد ممكن من الكلمات مع دعم ما يحتاج منها إلى صور إيضاحية بتلك الصور..

انتاج برامج تلفزيونية باللغات المحلية

وأتصور ، أيضا ، أن نتبنى إنتاج برامج تلفزيونية موجهة إلى إخواننا المسلمين في « أفريقيا » تتناول الموضوع نفسه بأبسط ما يمكن من العبارات ، وأكثر ما يمكن من الشرح ، وأن تكون هذه البرامج ناطقة باللغات المحلية ، وأن يعاد عرضها في مناسباتها مع التركيز على أن ما ورد فيها هو الأساس ، وعليها يتوقف اعتبار الإنسان مسلما أو غير مسلم . . ومن الواجب الاستفادة من الأعمار الصناعية التي أخذت تغزو العالم اليوم . . فهذه الأعمار تعتبر من الأدوات الهامة والمؤثرة التي يجب التركيز عليها ودراسة كيفية الاستفادة منها للوصول إلى هؤلاء الأشقاء هناك وربطهم بنا . . وتوفير الإمكانيات لهم لمشاهدة ما نعمل وفق برامج هندسية . . وخطط دقيقة تسمح لنا بالاتصال بهم . . وإيصال برامجنا الخاصة بالدعوة والتعليم إليهم . . ونضع في اعتبارنا خطورة هذه الوسائل وأهميتها خصوصا في هذا العصر الذي تعمل فيه الكثير من الدول لكسب الهيمنة على برامج البث التلفزيوني بواسطة الأقمار لتفرض فكرها وثقافتها . . وتفرض برامجها على الشعوب الفقيرة والمتخلفة بمختلف الوسائل . . ونحن أحوج ما نكون إلى استخدام هذه الوسائل في مثل هذه الأغراض النبيلة . . وهناك الكثير مما يمكن أن يفعل في مجال التوعية بمبادئ الإسلام وما  nitroPDF professional

الوعاظ والأساتذة الذين تحتاج إليهم « أفريقيا » المسلمة أشد الحاجة .

تبسيط الشؤون الدينية في حدود جوهر الدين

ومن المسلم به أن أية خطة للتوعية ، يتعاون على تنفيذها المرشدون والوعاظ القادمون من شتى البلاد الإسلامية ، يجب أن تلتزم أشد الالتزام بحدود الدين في جوهره الصافي وأساسه القويمة ، وفي حدود المذاهب الأربعة فيما لا خلاف عليه ؛ فليس من المناسب أن نربك أخانا المسلم في « أفريقيا » باجتهادات ليست من جوهر الدين ، وعلينا أن نأخذ بيده لوقايته - قبل كل شيء - من أعداء الإسلام الذين عملوا كثيراً على تشويه الإسلام ، سواء عبر مذاهب طارئة لم يأمر بها الإسلام ، أو من خلال تفريعات فقهية لا يحتاجها هذا الأخ ، ويمكن أن يتعرف عليها فيما بعد متى ازداد علماً بالإسلام وشرائعه الأساسية .

إن على الجهة المقترحة لتنسيق الجهود الإسلامية في « أفريقيا » أن تأخذ بهذا المبدأ ليعتمده جميع الوعاظ والمرشدين والمدرسين ، ضمن مفهوم واحد وواضح للإسلام دون إضافة ولا تزيد ؛ فذلك أسلم مما هو واقع الآن من خلافات بين بعض المسلمين في البلد الواحد ، حول تشكيلات لم يتطرق إليها الدين أمراً ولا نهياً .



المساجد والمدارس والجامعات والمستشفيات

أما فيما يتعلق بحصر حاجة « أفريقيا » المسلمة إلى المساجد والمدارس ومعاهد الدعوة ، فيمكن أن يقال عنه الشيء الكثير . .

فأنا على ثقة من أن هناك حكومات إسلامية عديدة ، على استعداد لتمويل خطة مناسبة لإنشاء تلك المساجد والمدارس والمعاهد ، لا سيما إذا أخذ في هذه الخطة بالأولويات بحيث نبدأ ببناء المساجد والمدارس في الأقطار الأشد حاجة إليها ، وينبغي أن يكون المسجد - كما هو في الأساس - مدرسة وملتقى للمسلمين ، فيه يتفقهون في شؤون دينهم ، ويستعلمون عما يغمض عليهم منها ، ويستفتون الفقهاء المخولين بالفتوى ، علاوة على ما يمكن أن يؤديه المسجد من دور بالغ الأهمية في توعية الناس هناك بواجبهم تجاه بلادهم ، للعمل بجد ونشاط من أجل بنائها ، واللحاق بركب الحضارة الإنسانية ، لأن الإسلام هو دين الحضارة كما نعلم .

المدارس ، وإعداد دعاة عمليين !

والقول نفسه ينطبق على المدارس ؛ فهي يجب أن تكون مدارس إسلامية سليمة من كل شائبة ، تلتزم بالخط الأساسي الذي أركز عليه ، وهو تنشئة أجيال إسلامية تعرف دينها على حقيقته وجوهره ، لترد أباطيل الأعداء ، وتجعل من نفسها ، بدورها ، داعية لدين الله . . والمدرسة هناك يجب أن نحرص على بنائها بصورة تحقق الهدف الذي نسعى إليه من ناحية الدعوة والتعليم الصحيح الذي يتلاءم مع حياة هذا الإنسان الذي نعلمه ، بحيث تؤهله المدرسة للعمل . . وكسب مهارة يشق بها طريقه في الحياة . . ويكسب رزقه بعرق الجبين ، . . .

نخطط لفتح جامعات عملية وفاعلة وليست مجرد جامعات نظرية لا تأخذ في الاعتبار ظروف الناس وأحوالهم . . مثل تلك التي تركز على تخريج دعاة بدون عمل يقتاتون منه ويعيشون عليه . . فما فائدة تخريج دعاة ليست لديهم صناعة يعيشون منها . . فتراهم يتسكعون بعد تخرجهم يتكفون الناس . . مع أن الواجب أن نعددهم ليكونوا دعاة عمليين . . يحسنون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة . . وبالخلق الحسن وهم في نفس الوقت قادرين على كسب رزقهم من عمل ؛ فهذا الإعداد العملي مهم جدا .

... والجامعات

ومن أكثر الأمور التي لفتنا للانتباه أن في « أفريقيا » (غير العربية) عدة جامعات ، ولكن أياً منها لا تعطي الدراسات الإسلامية أي نصيب من اهتماماتها ، وهو أمر واضح ومفهوم ؛ لأن مسؤولية الدعوة إلى دين الله ، والتبصير به ، هي مهمة إسلامية بالدرجة الأولى ، ولسنا نأمن أن توكل الدراسات الإسلامية إلى غير المسلمين ، وأولى بنا - والحالة هذه - أن نشرع في إنشاء معاهد إسلامية عليا ، يمكن أن تتحول فيما بعد إلى جامعات ، وأن نختار مواقعها بدقة ، وفق الحاجة ، وحسب الأوضاع الجغرافية والبشرية في كل منطقة من مناطق « أفريقيا » .

يجب أن يأتي اليوم الذي تحقق فيه « أفريقيا » المسلمة الاكتفاء الذاتي في الدعوة الإسلامية العمليين ، بحيث يتخرج من تلك المعاهد أفريقيون مسلمون مؤمنون ، عمليون يدعون إلى سبيل الله عن علم وبصيرة ، فتصبح تلك المعاهد حصونا للإسلام في مختلف مناطق « أفريقيا » ، فتستوعب من الدارسين أعدادا أكبر ، بما لا يقاس ، من أعداد الدارسين الأفريقيين في الجامعات العربية ، وبذلك تتاح فرص أوسع لإخوتنا المسلمين الأفريقيين لترسيخ جذور الإسلام في نفوسهم ، وتجنيدهم للذود عن الإسلام ضد أعدائه الكثيرين ، والعمل على

نشر دين الله عند الدعوة إليه . .

.. والمستشفيات والمستوصفات

وحين نتكلم عن المستشفيات والمستوصفات ، فذلك يبدأ من منطلقين اثنين :

أولهما أن من واجبنا أن نمد يد العون لإخوتنا الأفريقيين المسلمين ، فلا نضطرهم لمراجعة المستشفيات والمستوصفات التنصيرية ، التي تتخذ من هذه المؤسسات وسيلة لإدخال كثير من الأفريقيين في دينها (وقد فعلت) ، فنحن بذلك نقدم للإسلام خدمة مباشرة بحماية هؤلاء من تأثير البعثات التنصيرية التي لا تكتفي بتنصير الوثنيين ، بل هي تحاول إدخال المسلمين في دينها ، مما يجعل مواجهتنا لمثل هذا الوضع حقا مشروعا من الدفاع عن النفس .

وثانيهما أنه من غير المقبول منا ، أن نغفل عن حاجة « أفريقيا » ، والمسلمة منها بشكل خاص ، إلى المؤسسات الصحية ، من مستشفيات ومستوصفات ، ما دام بوسعنا ، فيما أحسب ، أن نضع برنامجا مرحليا لإنشاء هذه المؤسسات بادئين بالأقطار الأفريقية الأكثر احتياجا ، وبذلك نقوم بأحد واجباتنا ، كمسلمين ، تجاه إخوة لنا في « أفريقيا » يستغل الآخرون حاجتهم وأمراضهم لإبعادهم عن الإسلام ، والدخول بهم في متاهات أديان ومذاهب واتجاهات لا يرضاها الله تعالى بعد أن أكمل لنا ديننا ، وأتم علينا نعمته ، ورضي لنا الإسلام - والإسلام وحده - دينا . . ومن الواجب عدم الاستهانة بأي جهد يبذل في هذا المجال . . حيث أن الفرد العادي من الأطباء المتخرجين حديثا ، بل وحتى من المساعدين الطبيين ومن المرضين ، يستطيع أن يقدم خدمات جليلة جداً وهامة جداً لهؤلاء الناس ، الذين هم في أمس الحاجة إلى كل خدمة طبية أو عناية ممكنة ، وهم في أمس الحاجة إلى لمسات الحنان والرعاية . . وقد شاهدت بنفسي كيف تعمل المرضات الشابات من بعثات الكنائس المختلفة اللاتي يحضرن لتقديم مثل هذه الخدمات .. والحقيقة أنهن يقمن بأعمال الإسعافات الأولية والخدمات الطبية بكفاءة عالية وبمشاعر إنسانية ملحوظة . .

ويُحِطَنَ الأطفال والكبار والمرضى عموماً بفيض من حنان ورعاية كبيرتين ، ومن خلال ذلك يقمن ، مثل بقية البعثات ، بعمليات التبشير والتنصير في غير ما ضجة أو عنف . . ونحن أحق بهذا العمل ، ومن واجبنا تدريب أبنائنا وبناتنا على هذه الخدمات والرعاية . . وقد أمرنا بالدعوة إلى الله على بصيرة . . وأمرنا أن تكون الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة . . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو خير مثل لنا في أسلوب الدعوة . . والصبر والاحتساب والإيثار . . ومن هنا تأتي أهمية تدريب الشباب والشابات وربطهم بقضايا الدعوة وتوجيههم لمثل هذا النوع من الخدمات الإنسانية العظيمة الفائدة ، ثم دعمهم وتشجيعهم وتجهيزهم للسفر إلى « أفريقيا » ، وإلى بقية المناطق الإسلامية التي بها من الأشقاء من هم في أمس الحاجة إلى مثل هذا التواصل والاتصال . ولقد شاهدت كذلك بنفسي بعض الآثار السلبية التي يتركها الدعاة المحترفون والبعثات الرسمية ، مما أكد لي أن فاعلية مثل هذا النوع ضعيفة وغير مؤثرة . . ومن المهم التحول عن مثل هذا النوع من الدعاة والاعتماد على همم الرجال والنساء المخلصين الذين يبيعون أنفسهم لله عز وجل ، ويتطوعون للدعوة إلى الإسلام ؛ فمثل هؤلاء أكثر تأثيراً وقدرة على التفاعل مع الناس . ولدينا تجارب التاريخ المشرقة لكل أولئك الرجال الذين حملوا الدعوة الإسلامية إلى « شرقي آسيا » وإلى « أفريقيا » وبلغوا الرسالة على هدي من كتاب الله وسنة رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

والمهم في النهاية أن نعمل بوعي وتخطيط وحكمة ونستفيد من برامج الخدمات الطبية . . ونستفيد من كل الإمكانيات الطبية المهذرة في بلادنا ونوظفها لخدمة هؤلاء الأشقاء في أنحاء العالم ، وبصورة خاصة هنا في « أفريقيا » ، لأنهم بحاجة ماسة إلى أي لون من الخدمات الطبية كما ذكرت ، ولأن حملات التنصير التي تستهدف هؤلاء الأشقاء تعتمد على هذا اللون من الخدمات . .

الدور التبشيري للمستشفيات

إن الجهات التنصيرية نفسها تعترف بالدور الذي تضطلع به مستشفياتها في نشر دينها ، فيقول المبشر « موريسون » :

« - نحن متفقون على أن الغاية الأساسية من أعمال التبشير بين المرضى الخارجين من المستشفيات أن ندخلهم أعضاء عاملين في الكنيسة . »
وتقول المبشرة « ايرا هاريس » وهي تلقي بتعليماتها إلى الطبيب الذاهب إلى أحد المستشفيات التنصيرية في « أفريقيا » :

« - يجب أن تنتهر الفرصة لتصل إلى آذان المسلمين وقلوبهم فتكرر لهم الحديث عن الإنجيل . . إياك أن تضع فرصة التطبيب في المستوصفات والمستشفيات ، فإنها أتمن الفرص على الإطلاق . »

وفي أكثر من مؤتمر تبشيري عام حظي بإنشاء المستوصفات والمستشفيات بالعناية والاهتمام واتخذت في شأنه مقررات وضعت موضع التنفيذ فعلا كقولهم :

« - يجب الإكثار من الإرساليات الطبية ، لأن رجالها يحتكون دائما بالجمهور ، ويكون لهم تأثير على المسلمين أكثر مما للمسلمين الآخرين . »
أي أن الجهات التنصيرية لا تكتم توجهاتها المباشرة ضد الإسلام في نشاطاتها المختلفة ، ورغبتها في تحويل الأفريقيين المسلمين عن دينهم ؛ فحين تنصدى لهذه النشاطات بنفس طريقتها فذاك هو العدل لأننا - في هذه الحال - لا نفعل إلا الدفاع عن ديننا وعن إخوتنا في هذا الدين من الأفريقيين . . فهل نعي ذلك في الوقت المناسب يا ترى ؟

والحديث عن أعداء الإسلام ، الذين يتسللون إلى الساحات الخالية من الوجود الإسلامي الفعال ، فيروجون لأديانهم ومذاهبهم ، عبر المدارس والمستشفيات المشبوهة - هذا الحديث يجبرنا إلى ما ألمحت إليه

لأنهم قد استفدوا قدرتهم على المقاومة والمجاهبة .. أو كادوا ..
 ولا ريب في أن وضع التصورات التي أدرجتها آنفا موضع التنفيذ من شأنها
 أن تساعد ، وإلى حد كبير ، في مجابهة الحملات المضادة للإسلام ؛ فالإسلام
 في « أفريقيا » ما زال بخير ، وما زالت الأكثرية الساحقة من المسلمين تقاوم
 فرديا وجماعيا ، فكيف يكون الحال لو أننا أمددناهم بالدعم اللازم ؟ .. إن
 أساس مقاومة حملات الأعداء والخصوم هو التوعية الدينية والإعلامية التي تنبه
 الغافلين ، وتوضح الحقائق للمضللين ، وترد المتأثرين بادعاءات الخصوم إلى
 جادة الصواب ، وإن في مجمل هذه التصورات التي أثبتنا « على هامش منهاج
 التعاون الأفريقي العربي » ما يحقق شطرا كبيرا من الهدف .. إن لم يحققه
 كله ..



نشر اللغة العربية

وأنتقل ، بعد هذا ، إلى نقطة أخرى . .

إنها قضية نشر اللغة العربية ، لسان الإسلام المبين ، في « أفريقيا » وغير « أفريقيا » . .

فليس صدف أن نجد أن كثيرا من الدول ذات المطامع المشبوهة ، تبذل الملايين ، وتجند الآلاف من أجل نشر لغاتها في كل مكان من العالم . . فالأميركيون والإنجليز يعملون على نشر اللغة الإنجليزية ، والفرنسيون يستثميتون في تعليم لغتهم لأكبر عدد ممكن من الناس ، والألمان - حتى الألمان! - من غربيين وشرقيين ، يذلون كل جهد يستطيعون لاجتذاب الناس لتعلم لغتهم . .

وفي اعتقادي أن مسؤولية نشر اللغة العربية ، وهي لغة دين لأكثر من ثمانمائة مليون مسلم في هذه الأرض ، يجب أن تحظى بأكثر مما تحظى به - حتى الآن - من اهتمام ، من قبل الجهات المسؤولة عن ذلك . . ومع تقديري لكل الجهود المبذولة في هذا الصدد ، فإنني أعتقد - جازما - أنها دون المطلوب بكثير ، ودون الممكن بكثير . .

ولا يتسع لي المجال هنا لعرض التصورات الكاملة الخاصة بنشر اللغة العربية ، ويكفي أن أسجل أن هناك آفاقا واسعة يمكن ارتيادها لإيصال لغة القرآن الكريم إلى أوسع مجال ممكن من بلاد المسلمين . . علينا أن نفيد من الإمكانيات الكبيرة التي تتيحها « الوسائل السمعية والبصرية » . . كما يمكننا أن نتخذ من المساجد ، في شتى أنحاء « أفريقيا » ، مجالا لتعليم اللغة العربية فوق هذا يمكن أن ننشيء سلسلة معاهد في عدد من البلدان

Created with



nitro

professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

الأفريقية لتعليم اللغة العربية ، ولا يخامرني أدنى شك في أن الغالبية العظمى من إخواننا وأصدقائنا الأفريقيين سوف يقبلون على هذه المعاهد إقبالا يفوق كل تصور . . وهذا مجال رحب وهام للاستفادة من طاقات الأقمار الصناعية .

الصلة الإعلامية المقطوعة بين العرب وأفريقيا

وليس سرا - أقول هذا وأنا أنتقل إلى فقرة أخرى من هذه التصورات - أن الصلة الإعلامية تكاد تكون مقطوعة بين « العرب » من جهة « و » أفريقيا « » من جهة أخرى .

إن معظم معلومات الغالبية الساحقة من « العرب » قد أتتهم من مصدر واحد ، وهو المصدر الذي لا يريد الخير للعرب ولا لأفريقيا . . وإن البرامج التلفزيونية ، والأفلام السينمائية ، والتحقيقات الصحفية ، والمعلومات الإخبارية ، تأتي كلها من مصادر أجنبية ، وهي جميعها مصنوعة في قالب يبرز القارة الأفريقية وأهلها وزعماءها ورجالاتها على صورة أقطار ، وشعوب ، متخلفة ، تعيش في عصور ما قبل التاريخ . . بل ويصورها كارهة للشعوب العربية .

وهذا ليس صحيحا بالطبع ؛ فلقد زرت كثيرا من أقطار « أفريقيا » ، واجتمعت إلى كثير من رؤساء دولها وكبار مسؤوليها وعلمائها ومثقفها ، ولمست - أغلب الأحيان - أن هناك رغبة في اللحاق بركب التطور ، وأن هناك إنجازات كثيرة قد تحققت ، بالجهود الأفريقية ، ولكن أحدا ما - خارج « أفريقيا » - لا يعرف عنها شيئا إلا من منظور ما تنقله وسائل الإعلام الأوربية والأمريكية ، لإبقاء الصورة السلبية عن « أفريقيا » في الأذهان ، وتوسعة الهوة ما بين القارة وباقي شعوب العالم . .

ضرورة تصحيح الصورة العربية في أفريقيا

كذلك الصورة العربية في « أفريقيا » . .

إن الأفريقيين لا يعرفون إلا ما تنقله لهم وسائل الإعلام ذاتها ، ومن نفس المنظور الذي يحاول الإقلال من شأن العرب ، وبذر اليأس في نفوس الأفريقيين من العرب . .

أقلا يمكن أن يكون هناك جهد منظم مدروس لتبادل التعريف ما بين « أفريقيا » والبلاد العربية ، إعلاميا ومعلوماتيا ، من وجهة نظر بريئة القصد ، نبيلة الهدف ، إسلامية المضمون . . بدلا من هذا الوضع الذي تتسع فيه الهوة « الإعلامية والمعلوماتية » القائمة بين الطرفين وتؤثر ، بصورة تلقائية ، على منهاج التعاون الأفريقي العربي تأثيرا سلبيا لا ينكر أثره . . ولا يتغافل عنه أي عاقل !؟

فمع توفر المعلومات ، وقيام جسور التعارف والتآلف ، يمكن للحكومات والهيئات ، في « أفريقيا » والبلاد العربية على السواء ، أن تعرف ما يمكن ، وما يجب عمله ، بالضبط ، بحيث نخرج من هذه المعرفة بنتائج عملية واضحة ؛ فهناك دول تستطيع أن تقدم المال ، وأخرى تقدم الدعاة ؛ وثالثة تقدم الأساتذة ، ورابعة تقدم الخبرات الزراعية والتكنولوجية ، وخامسة تشارك في تمويل بعض المشاريع الإنمائية . . وهكذا . .

وأثق بأن أي بلد عربي مهما كان فقيرا أو محدود الإمكانيات ، يستطيع أن يفعل شيئا ما من أجل « أفريقيا » . . إن إرسال داعية واحد ، على مستوى جيد من الكفاءة والمقدرة والإخلاص ، يمكن أن يعتبر إنجازاً عظيماً . . إنه أفضل من لا شيء ، بل وأفضل من كثير من الأعمال والإرساليات الرسمية ذات الفاعلية الضعيفة أو المعدومة . . أو تلك التي تأتي في بعض الأحيان بنتائج عكسية .

تكثيف النشاط الثقافي

وأحسب أن المهم جدا هو التركيز على قضايا التعليم وعمل خطط دقيقة وبرامج واعية تضع في اعتبارها ظروف القارة . . وحاجات الناس وإمكاناتهم ومعطيات بلادهم ، ومن ثم تؤهلهم التأهيل الصحيح . . إن بناء المدارس والجامعات ومعاهد تعليم اللغة العربية ومدارس القرآن الكريم ، وكذلك مراكز الثقافة العربية والإسلامية - كل هذا مهم ، ولكن الأهم من ذلك كله وضع الخطط الصحيحة واختيار الرجال ومتابعة مثل هذه البرامج وربطها بقضايا الإنتاج ، حتى تكون أكثر فاعلية . ولا بد أن ندرك أهمية تبادل البعثات الثقافية من الأساتذة والطلبة بيننا وبين « أفريقيا » عموما ، على أن يكون ذلك وفق خطط صحيحة وبرامج مدروسة يتم اختيار العاملين فيها بعناية بحيث يكونون على قدر من الفهم لتاريخ البلاد التي يفدون إليها وعادات وتقاليد أهلها . وعلينا كذلك أن نهتم بالطلاب الذين يفدون إلينا ، فنقوم بمتابعة أحوالهم ونعمل على ربطهم بالحياة الإسلامية وبالمجتمع الإسلامي . . ونسعى إلى توزيعهم على أسر مختارة للعناية بهم . . ورعايتهم وتوجيههم بطريقة غير مباشرة . . كما أنه من المهم رعاية برامجهم التعليمية كما سبق أن أشرت وتوجيههم إلى برامج أكثر فاعلية وذات صلة مباشرة بمجتمعهم ، والعناية بالمبرزين والمبدعين والموهوبين والأخذ بيدهم . . وإعطاؤهم الفرص ورعايتهم حتى يحققوا المستويات العليا من التعليم والثقافة ويؤهلوا ليكونوا إيجابيين عند العودة إلى بلادهم كرجال للعلم والفكر والأدب والسياسة والاقتصاد ، وفي مختلف القيادات المؤثرة والقادرة على إدارة البلاد والمساهمة في نمائها وتطورها .

الاهتمام بالدراسات والدارسين الأفارقة

ولا بد من توجيه جامعاتنا ومراكز الأبحاث للاهتمام بالدراسات الأفريقية ومد جسور تعميق المعرفة عنا وعنهم وخاصة في المجالات المعاصرة . . كما أن من الواجب تشجيع الجامعات في بلادنا لرعاية برامج خاصة بتعليم اللغات والحضارة

والثقافة الأفريقية ، والعمل على إدراج مثل هذه التخصصات في البرامج الجامعية ، والعمل كذلك على إفادة البعثات التي تذهب إلى « أفريقيا » للدعوة من مثل هذه الدراسات والمعلومات .

ولا شك أن تشجيع المفكرين والعلماء الأفارقة مسألة بالغة الأهمية ، والحرص على دعوتهم والالتقاء بهم في إطار ندوات ومؤتمرات منظمة ، وكذلك تشجيع إنتاجهم وتخصيص جوائز عالية لذلك كما تفعل « مؤسسة الملك فيصل الخيرية » . . إضافة إلى وضع خطط نشر كتبهم وكتبتنا عنهم . . وخاصة تلك التي تهتم بهم وبحضارتهم وثقافتهم وحاجاتهم وتربطهم بالعالم وتتيح لهم فرصة الانتشار والمعرفة .



المساهمة في النشاط الاقتصادي

ولابد من عمل مثمر وفعال في مجال الاقتصاد ، والعمل على سد حاجة « أفريقيا » من المال وفق برامج اقتصادية وتنموية جيدة ، وعدم الاكتفاء بالقروض ، فهذه غير كافية وغير مفيدة إذا لم توجه إلى المجالات الإنتاجية ، حيث تتحول بالتدريج إلى أعباء مالية على الدول . . ولهذا فمن المهم توجيه هذه البرامج الخاصة بالقروض بصورة تحقق أهداف التنمية في البلاد . والجدول التالي يوضح القروض التي قدمها « بنك التنمية الإسلامي » لبعض الدول الأفريقية :

ديون الدول الأفريقية لبنك التنمية الإسلامي
حتى نهاية عام ١٩٨٦ م (بملايين الدولارات)

٢٠,٨٨٤,١	الجزائر	١
١٠,٧٤٠,٠	بينين	٢
٩٩٦,٨	بوركينافاسو	٣
٣,١٦٦,٢	الكاميرون	٤
٢٩٢,٢	تشاد	٥
٢١٢,٨	كوموروس	٦
٢٣٢,٦	جيبوتي	٧
٢٦,٥٣٢,٠	مصر	٨
١,٦٢٤,٧	الجابون	٩
٢٢٨,٠	جامبيا	١٠
١,٩١٣,٣	غينيا	١١
٤٣٠,٨	غينيا بيساو	١٢
٢,٠٩٩,٤	مالي	١٣
٢,٢٣٥,٦	موريتانيا	١٤
١٧,٨٦١,٢	المغرب	١٥
١,٤٨٥,٨	النيجر	١٦
٢٤,٠٦٨,٧	نيجيريا	١٧
٣,١٢٠,٦	السنغال	١٨
٦٠٣,٤	سيراليون	١٩
١,٦٦٥,٣	الصومال	٢٠
٨,١٢٨,٠	السودان	٢١
٧,٥٨٨,٩	تونس	٢٢
١,٤٤٠,٩	أوغندا	٢٣

أهمية التبادل التجاري والاستثمار الزراعي

ومن المهم في مجال الاقتصاد أيضاً ، تشجيع التبادل التجاري بيننا وبين الدول الأفريقية عموماً ، والتحول عن ذلك الطريق الطويل الذي تصلنا منتجاتهم من خلاله . . حيث تذهب هذه المنتجات في أغلب الأحيان بثمن بخس جدا وعن طريق الاستغلال لحاجات المزارعين والمنتجين - تذهب إلى بلد أوربي لتُصنَّع ثم تصدر لنا بأثمان باهظة . . وكل هذا مجرد حاجة هؤلاء المزارعين إلى القروض والعون . . ولو ساعدناهم وأعناهم وأقرضناهم لكسرنا حلقة الاحتكار هذه ووفرنا لهم قنوات أفضل للحصول على حاجاتهم من المال بطريقة ميسورة ، ودون استغلال ، واستفدنا نحن كذلك عن طريق الحصول على منتجات غير مرتفعة الثمن .

وتبرز هنا أهمية الاستثمار في المجال الزراعي . . حيث إن هناك المساحات الضخمة ، والأراضي الزراعية الصالحة للزراعة ومصادر المياه العديدة ، بل واليد العاملة . . وكل ما يحتاجه الناس هو المال والآلة والتدريب . . والمال هو عصب عملية التنمية الزراعية في « أفريقيا » ، بالإضافة إلى الخبرة التي يمكن شراؤها واستقدام من يدرب أبناء تلك البلاد على العمل واستخدام الآلة والإنتاج ، لأن ذلك أفضل بكثير من استقدام فنيين لتشغيل هذه الآلات . . وهذه قضية هامة جدا ، لأن شراء هذه الآلات لا يعطي لا الفائدة ولا المردود المناسبين . . ولعل الخطأ الأكبر الذي وقعت فيه معظم الدول النامية هو حرصها على شراء الآلة ، دون الخبرة في استعمالها وصيانتها وتدريب المواطنين على التعامل معها ، وربما تحسين أدائها وشراء المناسب لهم منها ، أو تصميم ما يحقق مطالبهم ؛ إذ من الخطأ أن تظل الدول النامية تتعامل تعامل الزبون مع المصانع في الغرب فتشتري وتستهلك ثم تشتري مرة أخرى وهكذا . . مع أن الواجب أن لا يكون الأمر كذلك ؛ لأن هذه الدول ذات موارد محدودة ، وهي بحاجة إلى

حيث جلسوا من الغرب مجلس التلاميذ وأخذوا عنهم العلم والخبرة في وقت جلسنا معهم فيه مجلس الزبائن . . نشترى ونستهلك وهكذا . فلا بد إذن أن نتعاون مع الأشقاء في « أفريقيا » ونضع برامج للتنمية - وخاصة الزراعية والصناعية - معهم .

وباستمرار مثل هذه البرامج يتولد عندنا وعندهم الاقتناع بفاعلية التعاون وأهميته ، وتنكشف لنا وسائل وطرق أفضل تحترم مصالح الطرفين وخاصة بعد إنشاء البنوك الإسلامية المختلفة والتي من المفروض أن تكون أهم أهدافها تشجيع هذا اللون من الأعمال والتعاملات التجارية . . والتبادل التجاري المهم ، وهو ذو مردود طيب ومثمر على جميع الأطراف المشاركة فيه . . وهذه مناسبة مهمة لدعوة أصحاب المال لافتتاح بنوك وبيوت تمويلية إسلامية في شتى مناطق « أفريقيا » ، لأن لمثل هذه المؤسسات آثارا إيجابية كبيرة لدعم التعاون العربي - الأفريقي . .

.. والمساهمة في التصنيع

كما أن هناك الكثير من فرص الاستثمار في الزراعة والصناعة والتي يمكن أن يلعب فيها المال العربي والإسلامي عامة دورا مهما وخاصة في عمليات التصنيع . . والتي تؤدي إلى خلق اليد العاملة الفنية والماهرة وتوفيرها تدريجيا بين الأفريقيين ، وتساهم في عملية تطوير التصنيع وبناء الهياكل اللازمة لذلك ، بدلا من استمرارهم في الاعتماد على طاقات ومعدات من خارج بلادهم . ومثل هذه العمليات أيضا سوف تساهم في توفير الآلة الزراعية وتدريب المزارعين وإيجاد جيل قادر على إنتاج أفضل ، وهذا مهم جدا .

.. وكل ذلك ، بالسلوك الإسلامي

والمهم بعد ذلك كله أن يتم كل هذا في إطار إسلامي يحفظ لهم حقوقهم

ولا يستغلهم ، ولا يكون على حساب جهودهم وعرقهم ، ولا يستغلهم



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

حاجاتهم . . وإلا كان استغلالا كاستغلال الأجانب . . وظلما كظلمهم . .
 وظلم ذوي القربى أشد وأكثر إيلا . . ولهذا فلا بد ان يتم التعاون في إطار
 إسلامي ومن خلال برامج طويلة المدى نبيلة الأهداف . . ومدروسة وتسعى
 لخير جميع الأطراف .

ولابد من توظيف كل جهد للدعوة إلى الله على بصيرة ، وأن نعمق في
 نفوس الجميع ونلقي في روعهم أن الدعوة لا تصلح أن تكون بالكلام ولا
 بالأساليب الرتيبة ولا الروتينية ولا بالغلظة والعنف ، ولا عن طريق التباكي
 على ماضٍ مجيد للأمة الإسلامية ، بل لابد أن تكون دعوة مخلصه وفاعلة تأخذ
 في اعتبارها معطيات العصر وتحدياته ، وتوظف لتحقيق أهدافها كل الوسائل
 الحديثة المتوفرة ، بما في ذلك الأقمار الصناعية وغيرها .

ولابد ، ونحن نتحرك في مجال الدعوة ، أن ندرك بأننا لا نستطيع أن ندعو
 الناس وهم عراة حتى نكسوهم ، ولا وهم جياع حتى نطعمهم ، ولا وهم
 جهال حتى نعلمهم ، وإلا كانت دعوتنا مفرغة من المضمون . . وغير جادة
 ولا فعالة .



الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة

لابد من الاهتمام بخطط الدعوة وربطها بقضايا « أفريقيا » وحاجاتها الملحة ، ولا شك أن ما تقوم به « الوكالة الإسلامية الأفريقية للإغاثة » يعتبر مثلاً طيباً ومنهجاً سليماً ، فقد انبثقت هذه الوكالة من « منظمة الدعوة الإسلامية » عام ١٩٨١ م لتكون مؤسسة ذات صفة اعتبارية مستقلة لتعمل في مجال الإغاثة ومواجهة الكوارث الطبيعية والجفاف والتصحر والتصدي لمشكلات الفقراء والمعوزين ودعم التنمية الريفية والاهتمام بإعادة التأهيل وتعمير المناطق النائية .

وقد ظلت الوكالة منذ نشأتها تعمل بجهد وإتقان لتحقيق الغايات وبلوغ الأهداف التي قامت من أجلها ، معتمدة على عون الله ، ثم إيمانها برسالتها ، وأفرادها الذين تحملوا المسؤولية وقاموا بالواجب بكل إخلاص وتجرد . وقد مرت الوكالة منذ ميلادها وحتى الآن بأربع مراحل هامة يمكن بيانها كما يلي :

المرحلة الأولى

وهي مرحلة التعرف على المسالك والطرق وتحسس مواقع الأقدام وتبني مشكلات وخصائص العمل في المجال الذي اختارته ، وقد تعلمت من هذه المرحلة الكثير والكثير ، وكانت نبراساً وعوناً لها في الوصول للمراحل التالية .

المرحلة الثانية

مرحلة النشاط السوداني ، وقد اتسمت هذه المرحلة بتكثيف النشاط وتركيزه « بالسودان » المتخصصة في أوساط اللاجئين التشاديين والأريتريين

والأوغنديين بغرب « السودان » وشرقه وجنوبه والذين كانوا في أمس الحاجة للعون والمساعدة الإسلامية والدولية ، فكانت الوكالة أول من بادر في هذا المجال ، وقدمت الخدمات الصحية والغذائية والتعليمية والرعاية الاجتماعية .

المرحلة الثالثة

وسميت هذه المرحلة بمرحلة الانفتاح الأفريقي ، واتسمت بانتشار عمل الوكالة في « الصومال » و« أفريقيا الوسطى » و« زائير » ، كبداية لانطلاق عملها في بقية الدول الأفريقية ، ولم يمض وقت طويل حتى شملت المناشط غرب « أفريقيا » وشرقها ووسطها ، وبلغ مجموع الدول الأفريقية التي تعمل بها الوكالة أربعة عشر قطرا استطاعت الوكالة أن تشملها بالخدمات والرعاية اللازمة .

المرحلة الرابعة

وهي مرحلة الوجود الدولي ، واستطاعت الوكالة خلالها إنشاء علاقات وطيدة ومفيدة مع المنظمات الدولية مثل « منظمة الصحة العالمية » التي تعمل معها في مجال مكافحة الجذام ، و« منظمة الأمم المتحدة للاجئين » في « السودان » و« الصومال » ، وكذلك « منظمة الغذاء العالمي » و« منظمة اليونيسيف » وغيرها من المنظمات التي تعاونت معها في كافة المجالات .

وقد استطاعت الوكالة في هذه المرحلة الأخيرة أن تخلق علاقات وطيدة مع « الأمم المتحدة » في رئاستها « بنيويورك » حيث تمت دعوتها لحضور الدورة الخاصة بمشكلات « أفريقيا » ، كما نالت عضوية اللجنة الاستشارية العليا « لتنسيق مكافحة الكوارث في العالم » ، التابعة « للأمم المتحدة » ومقرها « بجنيف » .

كما أنني أحب أن ألفت النظر أيضا إلى دور المنظمة الأم التي انبثقت منها هذه الوكالة وهي « منظمة الدعوة الإسلامية » ، وقد اختارت المنظمة أن

تكون القارة الأفريقية مسرحا لنشاطها ، باعتبار أن « أفريقيا » من أولى القارات التي دخلها الإسلام ، وكان له أثر بالغ في تشكيل وجهتها الحضارية وصياغة مجتمعاتها ، إلا أن الاستعمار حرص على أن يبدل تلك الوجة ليقطع أصولها ويطمس آثارها ، حتى تخلص له القارة بموقعها الخطير وشعوبها ومواردها الفنية البكر ومساحتها الشاسعة ، وقد واكب هذه الهجمة الاستعمارية تحرك صليبي لناوأة المد الإسلامي ؛ لذلك فقد حددت المنظمة أهدافها لمواجهة هذه الهجمات وهي كالتالي :

(١) نشر الإسلام عقيدة وشريعة في أوساط غير المسلمين ، وترشيد الجماعات المسلمة القادرة على فهم عقيدة التوحيد والتعبير عن معانيها العميقة في الحياة الفردية والاجتماعية .

(٢) نشر روح التفاهم والتسامح بين الجماعات المسلمة وأصحاب الديانات الأخرى .

(٣) توجيه الجماعات المسلمة وتطويرها فكريا وثقافيا ، وفقا لتعاليم القرآن والسنة ، كمياريين موحدين للفكر والشعور والممارسة الإسلامية .

(٤) الإسهام في التنمية الاجتماعية والاقتصادية والرعاية الصحية للجماعات المسلمة .



الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية

في مجال خدمة القضايا الأفريقية ، هناك أيضا « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية الكويتية » التي لعبت دورا بارزا في خدمة هذه القضايا وخدمة الأقليات المسلمة ، رغم العمر الزمني القصير لها ؛ فقد تمكنت هذه الهيئة ، بفضل من الله وبجهود العاملين بها ، من تحقيق العديد من الإنجازات . وقد شمل نشاطها العديد من الدول الأفريقية ومناطق الأقليات المسلمة بالذات ؛ فقامت بإنشاء المساجد والمدارس ومراكز التدريب ، وكذلك حفر الآبار الارتوازية وتشيد المراكز الإسلامية والوحدات الصحية واهتمت أيضا بالمشاريع الزراعية ، كما تمكنت - بالتنسيق والتعاون بينها وبين « لجنة مسلمي أفريقيا » - من إنشاء أول إذاعة إسلامية في القارة الأفريقية تبث برامجها باللغات المحلية لخدمة الدعوة الإسلامية .

ادفع ديناراً تنقذ مسلماً

ولا شك أن كثيرين من المهتمين بقضايا المسلمين لم ينسوا ذلك النداء الذي اتخذته « الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية » كشعار لها : (ادفع دينارا تنقذ مسلما) لمواجهة تحركات المجمع الكنسي العالمي في « كلورادو » لجمع ألف مليون دولار لتنصير المسلمين . وجزى الله فضيلة الشيخ « يوسف القرضاوي » خير الجزاء لتلك الجهود التي بذلها في العمل على جمع كثير من المخلصين من أبناء الأمة الإسلامية في دولة « الكويت » الشقيقة ؛ فانبثقت عن هذا الاجتماع فكرة إنشاء « الهيئة الإسلامية العالمية » ، واتخذت الشعار الذي ذكرته سابقا لجمع مبلغ ألف مليون دولار كحد أدنى يساهم فيه المسلمون لمواجهة ذلك التحدي .

Created with



nitroPDF professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

ومن أهداف الهيئة

ومن أهداف هذه الهيئة :

- (١) معاونة الفقراء والمرضى والأيتام والمعوزين ومنكوبي الكوارث والمجاعات والقيام بكافة أنشطة الخير والبر .
- (٢) نشر الثقافة الإسلامية والتعريف بمبادئ وأخلاقيات الدين الإسلامي الحنيف .
- (٣) إعداد الدراسات العلمية التي ترمي لمعرفة واقع المسلمين ووضع البرامج والخطط المناسبة لمعاونتهم .
- (٤) إنشاء المساجد والمراكز والمؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية والثقافية والإسلامية وتنشيط رسالتها والمساهمة في نفقاتها .
- (٥) تقديم المعونات العينية والنقدية في حالات الكوارث والمجاعات .
- (٦) تنسيق العمل الخيري مع المؤسسات والهيئات ذات الأغراض المتشابهة .

ثم لا بد أن تأتي بعد ذلك أهمية العمل التطوعي . . وحتى يدرك الناس أن العمل في « أفريقيا » لا يصح أن يعتمد دائما على الجهود الحكومية والرسمية ، بل لا بد من دور فعال للقطاع الخاص في قضايا الاستثمار والتبادل التجاري وقضايا الاقتصاد بصورة عامة . . وكذلك لا بد أن تعتمد برامج الدعوة ، كما ذكرنا ، على دعاة مخلصين ومتطوعين يعملون من أجل الدعوة الإسلامية بروح عالية وهم كبيرة ، حتى تكون كلمة الله هي العليا . . وهذا هو هدفهم الوحيد .

وبعد :

فلا بد أن تكون عملية التعاون العربي - الأفريقي عملية مستمرة ومتواصلة وأن لا تكون عملية وقتية أو سريعة او محدودة . . ولا بد أن يكون الاهتمام

إنسانية وحضارية . وعن طريق مثل هذه السياسة يمكن لنا الدجاح ، أما إذا اتبنا سياسات مؤقتة أو برامج وقتية . . أو مساعدات عابرة . . فإن كل ذلك لا يَعدُّو أن يكون مجرد ردود فعل لأحداث وقتية ولا يمكن الاعتماد على مثل هذا ، إذا كنا نستهدف عملا كبيرا وأساسيا في « أفريقيا » . . ولا بد أن يعلم الأشقاء هنا عن برامجنا وأهدافنا وخططنا ، وأن نحرص على إشراكهم معنا ، لأن أهدافنا واضحة . . وأساليبنا بيّنة ، والعملية كلها ذات مصلحة مشتركة وأهداف إسلامية إنسانية نبيلة . . ولا بد أن نعمل على شحذ همم جميع الدول والهيئات والأفراد الغائبين عن العمل في الساحة الأفريقية واستدراجهم للعمل وشحذ هممهم وإطلاعهم على ما يمكن عمله والأخذ بأيديهم نحو مساهمات أفضل في حدود إمكاناتهم ، وهذا وحده عمل كبير وعظيم .

وأخيرا . . لعلني أكون قد وُفِّتُ في إلقاء الضوء على إجابة السؤال الذي وضعته عنوانا للكتاب : أفريقيا .. لماذا ؟ ...

- لماذا ؟ . . لأن لنا فيها مائتي مليون ونيفا من المسلمين . .
- لماذا ؟ . . لأنها قارة المستقبل . .
- لماذا ؟ : . . لأننا وحدنا ، نحن العرب ، المؤهلون تاريخيا وأخلاقيا وسياسيا ، وقبل ذلك دينيا ، لأن نقدم لأفريقيا ما نستطيع من غير أية مطامع أو غايات ، تسلطية أو استعمارية . .
- لماذا ؟ . . لأن « أفريقيا » في خطر أكيد ، يحيط بها فيه الأعداء من كل جانب ، ويعملون ضدها في الداخل والخارج على السواء . .
- لماذا ؟ . . لأن « أفريقيا » هي عمقنا الاستراتيجي الطبيعي ، الذي تقتضي مصالحنا العليا أن يكون محميا من أعدائنا . .
- لماذا ؟ . . لأننا نشكل العمق الاستراتيجي الطبيعي لأفريقيا ، وعبر هذا العمق تجد المصالح الأفريقية مجالا للتحرك والتحرر . .
- لماذا ؟ . . لأن تاريخنا في « أفريقيا » ناصع البياض لا تشوّهه عهود

- لماذا ؟ .. لأن « أفريقيا » منا ..

- لماذا ؟ .. لأننا نحن منها ..

وكفي بذلك سببا لطرح السؤال .. والإجابة عليه ..



المصادر والمراجع

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

أهم المصادر والمراجع

أولاً : عربية ومترجمة

- ١ - الاتصالات العربية الأفريقية في العصور القديمة :
للدكتور محمد عبد الغني سعودي
- ٢ - الاستعمار الأوروبي لأفريقيا الشرقية :
للدكتور سيد رجب حراز
- ٣ - الاستعمار والتبشير والاستشراق :
للدكتور عبد العزيز عزت
- ٤ - الاستعمار والمذاهب في البلاد العربية :
للدكتور محمد عوض محمد
- ٥ - الإسلام دين العلم والمدنية :
للشيخ محمد عبده (كتاب الهلال : يناير ١٩٨٣)
- ٦ - أفريقيا بين الدول الأوروبية :
للدكتور محمد صفى الدين أبو العز
- ٧ - أفريقيا بين الدول العربية :
للدكتور محمد صفى الدين أبو العز
- ٨ - أفريقيا في مفترق الطرق :
للأستاذ أحمد طاهر
- ٩ - أعمار الفضاء - غزو جديد :
للدكتور محمد عبده يماني
- ١٠ - تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم - برنو :

- ١١ - تاريخ الحضارات العام ج ٤ :
لدولان موسيني
- ١٢ - تاريخ الدول الإسلامية :
للدكتور عبد الرحمن زكي
- ١٣ - تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها :
للدكتور شوقي الجمل
- ١٤ - التبشير والاستعمار في البلاد العربية :
للدكتور مصطفى خالدي والدكتور عمر فروخ (بيروت ١٩٦٤م)
- ١٥ - تحفة النظر في عجائب الأسفار وغرائب الأمصار :
لابن بطوطة (المكتبة التجارية الكبرى بمصر : ١٩٦٧م)
- ١٦ - تطور العلاقات العربية الأفريقية في العصور الوسطى :
للدكتور محمد أمين (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)
- ١٧ - حقيقة التبشير :
للأستاذ أحمد عبد الوهاب
- ١٨ - الدعوة إلى الإسلام :
للشيخ محمد أبو زهرة (دار الفكر العربي - القاهرة)
- ١٩ - الدول العربية ومواقفها من القضايا الأفريقية :
للدكتورة سلوى لبيب
- ٢٠ - الروابط العربية الأفريقية قبل حركة الكشوف الجغرافية وبدء
حركة الاستعمار الأوربي في القرن الخامس عشر :
للدكتور جمال زكريا قاسم (المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم)
- ٢١ - السودان الشمالي :

- ٢٢ - السيرة النبوية :
لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي (مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة ١٩٣٦)
- ٢٣ - الشرق والغرب من الحروب الصليبية إلى حرب السويس :
للأستاذ محمد الغنيت (الدار القومية للطباعة والنشر - القاهرة)
- ٢٤ - العرب وأفريقيا :
مركز دراسات الوحدة الأفريقية
- ٢٥ - العرب والأفريقيون :
للدكتور أحمد سويلم العمري
- ٢٦ - العلاقات العربية الأفريقية - دراسة تحليلية في أبعادها المختلفة :
(المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة)
- ٢٧ - فتوح مصر والمغرب والأندلس :
لابن عبد الحكم (لندن ١٩٢٠ م)
- ٢٨ - فلسفة الدعاية الإسرائيلية :
للدكتور حامد عبد الله ربيع
- ٢٩ - القاديانية - تاريخها وغاياتها :
لكلزار أحمد مظاهري وزميليه
- ٣٠ - ما يقال عن الإسلام :
للأستاذ عباس محمود العقاد
- ٣١ - المدخل الشرقي لمصر :
للأستاذ عباس عمار
- ٣٢ - معجم البلدان :
Created with

- ٣٣ - مناظرة بين الإسلام والنصرانية - مناقشة بين مجموعة من رجال الفكر من الديانتين الإسلامية والنصرانية :
(الإدارة العامة للطبع والترجمة - الرياض ١٤٠٧ هـ)



ثانياً : أجنبية

- 1 - The British Anti- Slavery Movement, by R. Coupland.
(London, 1930)
- 2 - East Africa and its Invaders, by R. Coupland.
- 3 - The History of East Africa, by Sonia Cole
(New York, 1962)
- 4 - Islam in East Africa, by J. S. Trimingham
(Oxford, 1964)
- 5 - L'Islam Noir, by Vincent Monteil.
- 6 - My Account of the Nigerian Civil War 1967-70
BY General Obasanjo (London, Heinemann, 1980)



حقوق الطبع محفوظة
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م

تم طبع هذا الكتاب بالتعاون مع

دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة

Created with

 **nitro**^{PDF} professional

download the free trial online at nitropdf.com/professional

عدد ٤٩٠ - ١٩٩١

٢٧ - منشور دار الإبحار والبريد - سلسلة من المجلات من مجال الفكر من أواخر الإمبراطورية البريطانية
٢٨ - مجموعة المجلات والبريد - المجلد ١٩٩١
٢٩ -

أبواب

1. The British Anti-Slavery Movement, by E. Coupland (London, 1936)
2. East Africa and the Slave Trade, by E. Coupland (London, 1936)
3. The History of the Slave Trade, by E. Coupland (New York, 1962)
رقم الايداع ١٩٩١/٧٥١٦
4. Slavery in East Africa, by E. S. Youngblood (London, 1962)
5. Slavery in East Africa, by Vincent Mountfort (London, 1962)
6. Slavery in East Africa, by Vincent Mountfort (London, 1962)

تصميم الغلاف : الفنان / بدر الدين محمد النور
Created with



download the free trial online at nitropdf.com/professional

افريقيا لماذا؟

سؤال يطرحه ويحاول الاجابة عليه الدكتور محمد عبده يمانى مؤلف هذا الكتاب من واقع عمله فى سبيل الاسلام وحرصه على المسلمين وخوفه على القارة السمراء التى دخلها الاسلام وانتشر فى ربوعها بالمحبة والكلمة الطيبة والقدوة الحسنة .. وبعد قرون من استقراره فى ارض افريقيا وفى وجدان شعوبها يواجه الاسلام هجمات ضارية تستهدف اقتلاعه من القلوب والعقول .. والمسلمون ازاء هذه الهجمات لا يقومون بما يتوجب عليهم نحو دينهم واخوانهم ..

والكتاب ليس دراسة مكتبية تفتقر لحرارة الواقع ونبضه وانما هو حصيلة اتصال مباشر ولقاءات طويلة ومعايشة واعية لواقع الاسلام والمسلمين .. وهو شهادة تاريخية للاسلام وشهادة تاريخية على المسلمين .. وهو يستنهض همم ابناء الامة لا بكلمات انشائية ولكن بالحقائق التى لا تكذب وبالارقام التى لا تخدع .

ويبقى سؤال الدكتور محمد عبده يمانى
لماذا هذا الاعراض .. وهذا التقصير فى حق الاشقاء هناك وما هى ابعاد
وخطورة هذا الوضع !؟